التفسير الموضوعى للقرآن الكريم

(٦)

محمّد صلى الله عليه وآله

بين الكتاب والسنة
وسائر الكتب السماوية

المجلد الثانى

آية الله العظمى الصدقي الطهراني

فهرست مطالب

محمد 3 ..... ٧
والمعراج العظيم ٧
بسم الله الرحمن الرحيم ٧
محمد3 ..... ٢٢
صاحب المعراج ٢٢
٢ ..... ٢٢
(سورة النجم ـ مكية ـ وآياتها اثنتان و ستون) ٢٢
أسئلة مطروحة حول: ٤٩
الغزوة المعراجية المحمدية و مركبتها العجيبة ٤٩
الرحلة الفضائية فى نطاق العلم: فى عمق الزمان ٤٩
و المكان: ٤٩
مشكلة الحرارة: ٥٤
مشكلة الجاذبية: ٥٥
خلاصة عن الرحلة المعراجية: ٦٢
القرآن وتسخير الفضاء ٦٢
محمد3 ..... ٦٥
يُنفى من مكة المكرمة ٦٥
١ ..... ٦٥
محمد يُنفى ٧٧
عن مكة المكرمة ٧٧
٢ ..... ٧٧
وعد ربانى ١٠٢
سورة النصر ـ مدينة ـ وآياتها ثلاث ١٠٢
نصر وفتح: ١٠٥
الصفات السلبية والثبوتية. ١٠٩
محمد 3 ..... ١١٣
على خلق عظيم ١١٣
سورة القلم ـ مكية ـ وآياتها اثنتان وخمسون ١١٣
«سورة عبس ـ مكية ـ وآياتها اثنان و أربعون آية» ١٢٠
محمد 3 ..... ١٤٠
هل له عصيان ١٤٠
حتى يعنى عنه ١٤٠
؟!؟ ١٤٠
كلام حول العصمة: ١٤٨
واستغفر لذنبك ١٥٥
تبليغ ١٦١
باستمرارية الرسالة ١٦١
تتويج الأمير يوم الغدير بتاج إمرة المؤمنين: ١٨٩
محمد ١٩٩
اعظم الشفعاء ١٩٩
محمد3 فى خلف ربانى ٢٠٦
محمد3 ..... ٢٠٩
اليتيم ـ الضال ـ العائل ٢٠٩
! ٢٠٩
سورة الضحى ـ مكية ـ وآياتها احدى عشر ٢٠٩

شريعة محمد 3 قبل الإسلام: ٢١٤
شرح صدر محمد 3 بوزيره على Δ ٢١٧
سورة الانشراح ـ مكية ـ و آياتها ثمان ٢١٧
هل سک محمد فی القرآن ٢٢٢
؟ ٢٢٢
! ٢٢٢
هل إن محمداً 3 ..... ٢٣٨
تارک بعض ما يوحى اليه ٢٣٨
؟!! ٢٣٨
محمد3 ..... ٢٤٧
لايعلم الغيب الا رسوليا و رساليآ ٢٤٧
من الله ٢٤٧
محمد3 لايغل ٢٥٣
محمد3 مستمک بالقرآن ٢٥٦
امام جموع المكلفين ٢٥٦
محمد 3 ..... ٢٦٥
لم يفترى على الله ابداً ٢٦٥
محمد3 ..... ٢٧١
ليس الا بشراً رسولاً ٢٧١
محمد 3 ..... ٢٨٢
اول العابدين اجمعين ٢٨٢
محمد3 ..... ٢٨٨
عليه صلوات مستمرة ٢٨٨
و تسليمات لديه ٢٨٨
محمد3 اسوة طليقة ٢٩٨
محمد3 ..... ٣١٠
فی استقامته ٣١٠
محمد3 ..... ٣١٤
مع السبع المثانی والقرآن العظيم ٣١٤
من اختصاصات النبی 3 ..... ٣٢١
من اختصاصات النبی 3 ..... ٣٢٥
٢ ..... ٣٢٥
من اختصات النبی ٣٢٩
٣ ..... ٣٢٩
رسول الله لايطيع احداً الا الله ٣٣٦
محمد ٣٣٩
مع ازواجه ـ وآله المعصومين ٣٣٩
عليهم السلام ٣٣٩
٤ ..... ٣٣٩
يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ٣٧١

محمد 3

والمعراج العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

سُبْحانَ الّذى أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الّذى بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إِنّهُ هُوَ السّميعُ الْبَصيرُ(١٧: ١)

هنا اجمال عن الرحلة المعراجية إلى المقام الأعلى للقاء، وفي النجم إجمال أخصر مما هنا: ﴿ولقد رآه بالأفق المبين ۞ثم يقيم تفصيلها في النجم: ﴿وهو بالأفق الأعلى ۞مثلث بارع رائع عن هذه الرحلة الإلهية الخارقة، يفسر بعضها بعضاً ويقضي بعضها على بعض، مهما اختلفت فيها الروايات فلنعرض على القرآن لكي تتعرف نحو القرآن.

﴿سبحان ۞غير بداية يتلوها غير ختام: ﴿الحمدلله ۞ تبدأ بها سورة السجدة الأخرى: تخيل لمرائي، كأنني حركة قصية قصية تشق مع واقع الاشراء وجوّه الغيب، وأخرى حالة روحية حيث يبلغ صاحبها إلى الأفق الأعلى المبين.

و ﴿سبحان ۞علَم التسبيح، منحصر في الله، و منحصر عن غير الله، فالله المنزه المطلق، فليتنزه بالتنزيه المطلق، وليس مطلق التنزيه حتى يشمل من سوى الله من المخلوقين، وإنْ في أعلى قمم الكمال حيث التقرنوا بهم، والنقص كيلهم فلأنهم سبحان مطلق![1]

ولله تظل ذاته سبحان وصفاته سبحان وأفعاله سبحان، وهي هنا: سبحان ذاته أن يعرج إليها عبده لأي عروج كان، في الملكة أو في الملكان، فإنه مكّن

---

١. تفسير روح المعاني ج ١٥ ص ٣ في العقد الفريد عن طلحة قال: سألت رسول الله 3 عن تفسير سبحان الله فقال: تنزيه لله تعالى عن كل سوء.

المكان فليس له مكان، وحدُّ الحدود والجهات فليست له حدود وجهات، وهو المُنهي النهايات والمتنهِّي الغايات، فسبحان ذاته أن يكون متنهى الروح لعبده المؤمن كان، اللهم إلا فتة للعوام المكنة بأنه: ﴿هم في ظل. فكان قاب قوسين أو أدنى ﴿

ثم وسبحان أفضاله أن يعرج عن معراج عبده بجسمه وروحه إلى سماواته ليريه بعض آياته، كما يعرف به من لا يعرف قدرته تظل على كل شيءٍ.

وسبحان صفاته عن أن يعبّر عنه أو يدل عن هذه الكرامة الفائقة لأول العابرين وسيد الخلق أجمعين، فسبحانه سبحانه عن أي ريب وشين في هذا الباب.

ثم و ﴿سبحان ﴿ تنكل — كل — بيان سلبية للصفات بغير الاتصاف بجناب عزّه، كما ﴿الحمد ﴿ بيان للثابتات الاتصاف بحضرة قدسه.

«سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا»

﴿أسرى ﴿ من ﴿السُّرى ﴿ سير الليل، ولكنه خُصَّ في الرفعة والعلو، خلافاً لكل شيءٍ أطلق كسرى الليل: ارتفاعه، رفعة حسية أو معنوية: ﴿فوق رأسك تحلق سريا ﴿(١٩: ٢٤): رفيعاً عظيماً هو المسيح ∆ كما السرو شجرة مستقيمة رفيعة، وقد تجمع ﴿السرى ﴿ بين الرفعين كما في سرى الرسول 3سرى أضيه إلى النفس في سفرة جوية، ثم سماوية إلى الأفق الأعلى مكانة ومكاناً.

وإذا كانت السرى سير الليل فلماذا هنا ﴿ليلاً ﴿ وكما في تالية ﴿فأسر بعبادي ليلا إنكم متبعون ﴿(٢٦: ٢٣) وتالية ﴿فأسر بأهلك بقطع من الليل ﴿ (١١: ٨١) وفي ثم في رابعة تأتي دون ليل ﴿أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون ﴿(٢٦: ٥٢).

نقول: إن جمع الليل إلى السرى إذا كان مع عدم جمعه سبق كما في سري

وسى، فالليل لزيد لاصباح[1] ام ولكي يوف أنها في ليلة واحدة لا ليل، وإذا —لا— كما في لط: ﴿بقطع من الليل﴾ قسم من الليل وَّنَ فيه عن ملاحقة قومه، لاكله أو أية قطعة منه حيث الخرا حاق والدو حاق، فافهمه ولتك.

ام هذه وسولها من نكت كما في الإسراء يجمعها: ١— دلالة على أن المري كانت في ليلة واحدة، حيث الوحدة لاعتة من تنكير ﴿ليلاً﴾ لا في ليل، حيث المري وحدها أعم من ليلة أو ليل. ٢— وإشارة إلى أنها كانت في قطع من ليلها دون تمامه، حيث القطعة مشار إليها بالتنكير ﴿ليلاً﴾ كما الوحدة، فلستغرق الليل يقضي ﴿الليل﴾ لا ﴿ليلاً﴾ و٣— إفادةً للتعظيم حيث كانت ليلة العروج وكانت لإتين وما ادراك ما الاتنان؟ له 3ولد يوم لإتين وبعث لإتين، وبعث لاتين، و عرج به لاتين، و خرج من مكة مهاجراً لاتين، ودخل المدينة لاتين وارتحل إلى رحمة ربه لاتين، إتنين ست تمم حياته، فلام عليه يوم ولد ويوم بعث و يوم عرج وهاجر ويوم مات ويوم يبعث حياً، ثم وهو هو الأول في الكون والكيان بعد الغيرة الإلهية، فالله هو الأول في ملك الملك والاضطلاع والملكوت، واحمد هو الأول، وأين أول من تلا، ومن بين الوجوب وأرقى الإمكان:

زاحمدتا أحديک ميم فرقست　　همه عالم در آن يک ميم غرقست

و ما هو موقف الباء في ﴿بعبده﴾ بعد أن ﴿أسرى﴾ منعد بالإضافة إلى إليها المرية؟ ولا تقف إلا في خبر ليس! أم لتأكيد العدية أن سرى عبده إنما هي منه نظر تماماً لا من عبده؟ ولا يعهد هكذا تأكيداً! وآيلها الأخرى في إسراء لط بأهله وسرى بقومه لا يتلسها تأكيداً! أم إن مفعولها الأول محذوف كالذي عرج به كشفيته القدسية: ﴿بالرفرف﴾ والذي صاحبه كجبرئيل إذا ما

---

١. كما في «وقال الله لاتتخذوا إلهين اثنين انما هو آله واحد». قصداً الى ان نفي الإثينية كاثبات الوحدة مقصود، دون ان يكون النفي هامشياً.

هو الفصل الأول في غيبتها ﴿فأسر بأهلك.. أسر بعبادي.. ﴾ولا يتلبسها مخلوق في إسراء و موسى! أم إن سرى و أسرى بمعنى واحد[1] مع الفرق أن أسرى لأول الليل وسرى لآخرة[2] وقد كان سرى للسول في الليل لاول من الليل؟ احتمالان: أخرها اوطاه واوطها آخرها و بينهما متوسطات.

ولماذا ﴿بعبده ﴾دون ﴿محمد ﴾أو ﴿رسوله ﴾أم نبيه ﴾

علّه لأن ﴿محمداً ﴾دون وصف العودية أو الرسالة لايحمل ما يحمل هكذا معراج، ولا يُذكر حين يذكر إلا للتعجيب لاشيء بالرسول النبي.

ثم هذا العروج لم يكن رحلة رسالية، وإنما عودية تتبتّل كما له في كله حيث ﴿قم فنذر. فكان قاب قوسين أو أدنى. لقد رأى من آيات ربه الكبرى.. ﴾فالرحلة من الأرض إلى الخلق رسالة، ومن الخلق إلى الأرض سمة العودية في ذاته لتكمل الرسالة.

ثم العودية تزيل حجب النور وحجب الظلمة، والرسالة هي هي من حجب النور، وهو في مقام النور والدليل يتخلى عن الحجب كلها ويتحلى بحلية العودية في أعلى قممها: ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى ﴾دون نبيه أو رسوله، وحيالَ سِرِّ يأسرّ بياضه دون سواه، فيُرى المعراج تقفّي سُرى العودية.

ومن ثم ما أحلى صيغة ﴿عبده ﴾وصفه وصياغته: أن لم تكن هناك رسالة، لم تكن هنالأول العابر صيغة أجدر من ﴿عبده ﴾ثم لا نجد في القرآن ﴿عبدنا ﴾و ﴿عبده ﴾إلا اصطحب المعراج[3] اللهم لا لمولود ولوب

---

١. كما عن ابى عبيدة.

٢. وقال الليث: اسرى لاول الليل وسرى لآخره.

٣. «وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا» (٢: ٢٣) «وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان» (٨: ٤١) «الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب» (١٨: ١) تبارك نزل الفرقان على عبده» (٢٥: ١) «فاوحى الى عبده ما اوحى» (٥٢: ١٠) «هو الذي ينزل على عبده آيات» (٥٧: ٩).

وزكريا و نوح، ولكنه في زكريا في ظل رحمة ربك: ﴿ذكر رحمة ربك عبده زكريا ﴾ (١٩: ٢) وفي داود تسلية لنبيه: ﴿اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد ﴾(٣٨:١٧)وفي أيوب كذلك ذكرى لكي يعتبر: ﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه.. ﴾ (٣٨: ٤١) وفي نوح تهديداً على طول المدة ﴿كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا ﴾(٥٤:٩).

فليس إذاً ﴿عبده ﴾ المطلق إلا محمد 3كأنه هو عبد لا سواه لأنه جامع لجامع العبودية فهو ﴿أول العابدين ﴾كما وأنه هو رسول لا سواه، كما تلمح لها آياتها وتأتي في طيتها.

ثم و ﴿عبده ﴾ تعبيراً في مقام الإسراء إلى الرحلة العلى، ولكي لا تُنسى هذه اللحظة في زهوة الرحلة القدسية وزهوة المعراج، وليس ليساه الرسول 3ثم ولا يلتبس مقام العبودية بمقام الألوهية كما التبس في العقائد المسيحية.

وأخيراً ﴿عبده ﴾ توحي بأن هذه المرئي كانت بجزئيه: روحه وجسمه دون تَقَسُّم، فلم يُرَ روح عبده أو بجسمه حتى يعرفه العارفون ويخرفه الخارفون: أن المعراج كان روحياً، أو رؤيا في رؤيا ام ماذا؟ وإنما ﴿عبده ﴾ صاحب المعراج هنا ﴿عبده ﴾في النجم ﴿صاحبكم ﴾ ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى ﴾في التكوير هو ﴿رسول كريم ﴾ ﴿إنه لقول رسول كريم. ذي قوة عند ذي العرش مكين. مطاع ثَمَ أمين و ما صاحبكم بمجنون. ولقد رآه بالأفق المبين ﴾(٢٢).

أرى بعد أن ﴿صاحبكم ﴾ ﴿عبده ﴾ ﴿رسول ﴾هي فقط روحه، وهو ما صاحبنا فقط روحه، وما سالته فقط في روحه، وما عودته فقط روحه، إنْ هذه إلا هوجة هواة ولله منها براء فسبحانه سبحانه

ن قيلت هي وبلات على التي اليمن فأين تذهون[١]

ولما ﴿ليلاً﴾ نهاراً أم مزدوجاً، والنهار لأين للناظرين وأبد إنكاراً للناكرين؟ علّه لأن الليل هنا كان نهاراً هناك ولكي يرى من آيات ربه ضح النهار، أم علّه لأن الليل أعمى وأوقع لمرى المعراج، وتلثئه هي ﴿أشد وطئاً وأقوم قيلاً﴾ (٧٣: ٦) وأيّة تلثئة طوال حياته 3 أنشأ وأنشط من تلثئة المعراج؟ فلكي ليلاً، ولايجول الليل ولا أنى مه ظلمة دون رؤيته ايات ربه الكبرى عا أراه الله.

والمرئي المعاجية تتي عروج الرسول إلى أعلى لا أعلى للوقية، فلى أن تتي إعجازها، ولم يكن عروجه إلى عتى القضاء بالسرعة ما فوق الطوقية أو عليها الجاذبية ـ التي تفوق الزمان ـ لم يكن بالتي يُرى فيصدق عا يُرى، اللهم لا عا جبرهم عار آفق سراه ما فوق الأضيئة إلى النفس من يعبر أم ملاذا[٢] فقد كان سري الرسول سُرَيً سَرَيّاً سريّاً إلا فيما أنبأ به ربه عا أنبأ والله أعلم بسراه.

---

١ . وما في دعاء الندبة «وعرجت بروحه» غلط من الناقل والمنقول عنه والصحيح «وعرجت به» كما في نسخة ثانية جعلها المحدث القمي فرعاً، والفرع اصلاً. فأصله لا اصل له وفرعه هو الأصل! وقد يشبه اصله ما يروى عن عائشة «ما فقدت جسد رسول الله ولكن اسري بروحه» كما في الدر المنثور عنها ـ فقد كذبت مرتين: ان الاسراء كانت قبل ان يتزوجها بزمان فانها قبل الهجرة بسنة وزواجها بعدها بزمان، وان الاسراء كان من المسجد الحرام لابيت عائشة ام اي بيت، ثم واحاديثنا متظافرة بالمعراج الجسماني والروحاني معاً دون تبعيض (راجع ج ٢٦ ـ ٢٣ـ الفرقان ص ٤١٤ ـ ٤١٥ وقد وافق عائشته زميلها معاوية في نكران المعراج الجسماني ومعاوية كان يومئذاً كافراً.

٢ . في روضة الكافي باسناده عن ابي عبدالله Δ قال: لما اسري برسول الله 3 اصبح فقعد فحدثهم بذلك فقالوا له: صف لنا بيت المقدس، قال: فوصف لهم ونما دخله ليلاً فاشتبه عليه النعت فأتاه جبرئيل فقال: انظر ههنا فنظر الى البيت فوصفه وهو ينظر اليه ثم نعت ما كان من عير لهم فيما بينهم و بين الشام ثم قال: هذه عى بني فلان يقدم مع طلوع الشمس يتقدمها جمل اورق او احمر، قال: وبعثت قريش رجلاً على فرس ليردها، قال: وبلغ مع طلوع الشمس، قال قرطة بنعبد عمرو: يا لهفا ان لا اكون لك جذعاً حين تزعم انك اتيت بيت المقدس ورجعت من ليلتك» (نور الثقلين ٣: ١٠٢).

ثم ﴿ليلاً﴾ توحي وحدة المعراج، اللهم إلا أن يُقال بتكراره في بعض الليلة ولم يحفظ بحفظ. فالروايات الناطقة لتكراره تؤلّف أو تخرج[1] وروحه القدسية كانت عاجة دوماً إلى مقام قاب قوسين أو أدنى اللهم إلا فيما اضطره رسالته لإبلاغه وخطابه بالرسل إليهم، حيث الرسالة ـ على نفسيتها ـ من حجب النور، وعلّه 3كان يُغشى على قلبه ويستغفر ربه في كل يوم سبعين مرة من حجب النور.

﴿... من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾

مطلق المعراج مسجد هو أفضل المساجد في الأرض، أشرف الكون كله، وقد جاء ذكره في الذكر الحكيم(٧) مرة بكل تبجيل وتجليل، ثم المسجد الأقصى وهو أقصى المساجد إلى المسجد الحرام نجده مرة واحدة هي هاهنا بواسطة واحدة: ﴿باركنا حوله﴾.

ومهما اختلفت الروايات في مبدأ المعراج بيت عائشة[2] أم بيت أم هاني أم المسجد الحرام[3] نص القرآن يؤيد تلك الآحاد لا يحيد عنه.

---

١ . كما اورده القمي عن محمد بن الحسن الصفار باسناده عن ابي عبدالله Δ قال:عرج بالنبي مائة وعشرين مرة..» اقول: وعلها إلاّ واحدة عروج ـ روحي له 3 وقد كانت حياته بهذا المعنى معارج. وفي الكافي باسناده الى علي بن ابي حمزة قال: سئل ابو بصير ابا عبدالله Δ فقال وانا حاضر. جعلت فداك كم عرج برسول الله 3؟ فقال: مرتين (تفسير البرهان ٣: ٤٠٢) اقول: علّ المرتين هما كما قال تعالى: «ولقد رآه نزله اخرى عند سدرة المتهى» «حيث الروية المعراجية كانت مرتين لا اصل المعراج!.

٢ . ذكره الثعلبي عن ابن عباس بغير سند و كانه من رواية الكلبي عن ابي صالح عنه، واخرجه الحاكم والبيهقي عنه ورواه النسائي باختصار من رواية عوف عن زرارة بن اوفى عن ابي عباس.

٣ . تفسير القمي باسناد عن ابي مالك الازدي عن اسماعيل الجعفي قال كنت في المسجد قاعداً وابو جعفر Δ في ناحية فرفع رأسه فنظر الى السماء مرة والى الكعبة مرة ثم قال: سبحان الذي اسري...» وكرر ذلك ثلاث مرات ثم التفت الي فقال: اي شيء يقولون اهل العراق في هذه الآية يا عراقي! قلت: يقولون اسرى به من المسجد الحرام الى البيت المقدس فقال: ليس كما يقولون، ولكنه اسرى به

وأما متى سرى المعراج هنا، فلي هو المسجد الأقصى الذي في القدس؟ هناك مسجد الكوفة أقصى منه وعلّه أفضل! وبركات الله في المسجد الحرام أعم من القدس وأكمل! وعرض المعراج في هذه الآية الخطير قضاءً والخطيرة تقضي التصريح بنهاية المعراج وغايته: السدرة المنتهى في الأفق الأعلى، دون متوسط الأرض حسب الأقصى الذي في القدس! ثم ما هي ﴿آياتنا﴾ في القدس التي لم يرها الرسول 3 في البيت الحرام؟ لعلّ هي قبور الرسل الإسرائيليين؟ وليست من آيات الله، وإنما الرسل هم آيات الله وقد أراهم الله إياه إذ أخذ ميثاقهم ﴿ومن به ولتنصرنه﴾ (٣: ٨١) وأراه إياهم إذا أرسل إليهم: ﴿واسأل من أرسلنا من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾ (٤٣: ٤٥) ثم الآيات التي أراها هي آيات ربه الكبرى في عرض القضاء ﴿عند سدرة المنتهى﴾ لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴿فهذه الرؤية كانت في الأقصى التي في السماء عند السدرة لا التي في الأرض.[1]

فقد رأى أن المسجد الأقصى، أقصى المساجد في طول الكون من المسجد الحرام، ومنتهى المعراج عند السدرة المنتهى، إذ ﴿أوحى إلى عبده ما أوحى (١٠) لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴿٧﴾ بعدما ﴿فتدلى فكان قاب

من هذه الى هذه واشار بيده الى السماء وقال: ما بينهما حرم (نورالثقلين ٣: ٩٨) ومن حديث مالك بن صعصعة مطولاً ان المسجد الحرام مبدء المعراج متفق عليه. اقول: قد يعني هذه الارض ـ وطبعاً من المسجد الحرام ـ والى هذه: عمق المعراج عند سدرة المنتهى ـ و ما بينهما حرم: ما بين المسجد الحرام والاقصى الذي في السماء حرم ـ او ما بين الاقصى في السماء حرم ام ماذا؟

١ . وفيه ايضاً عن سالم الحناط عن ابي عبدالله Δ قال: سألته عن المساجد التي لها الفضل فقال: المسجد الحرام ومسجد الرسول 3 قلت: والمسجد الاقصى جعلت فداك، فقال: ذلك في السماء اسري اليه رسول الله 3 فقلت: ان الناس يقولون: انه بيت المقدس؟ فقال: مسجد الكوفة افضل منه. ومما يدل على وجود مسجد الكوفة حينذاك ما رواه القمي في تفسيره باسناده الى ابي عبدالله Δ في حديث فضل مسجد الكوفة: «.. حتى ان رسول الله 3 لما اسرى به قال له جبرئيل: تدري اين انت يا رسول الله 3؟ انت مقابل مسجد الكوفان قال: فاستاذن لي ربي حتى آتيه فاصلي فيه ركعتين..» المصدر (٣: ١٣٠) واورده ابن سعد وابويعلي والطبراني في حديث ام هاني مطولاً «الكشاف ج ٢، ص ٥٠٥).

قوسين أو أدنى ﴿٨ـ٩﴾ دنواً واقتراباً من العلي الأعلى!

هذا هو المسجد الأقصى الذي بارك حوله بركات معنوية موقتة، وأخرى سواها أمتلها، فمن الأولى ﴿ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى. عندها جنة المأوى ﴿١٣ـ١٥﴾ ومن الأخرى جنة المأوى وما يضاهيها من آيات ربه الكبرى.

فـ ﴿المسجد الذي بين ـ المسجد الأقصى الأعلى ـ سدرة المنتهى ـ جنة المأوى ﴿في التكوير و في النجم ـ والبيت المعمور[1] في ﴿الطور ﴿علّها كلها تعابير عدة عن منتهى المعراج: المسجد الأقصى، وقد يسمى الذي في السماء بالمسجد الأقصى لمحاذاته الأقصى الأولى، وقد زاره الرسول 3 في رحلته المعراجية[2] إذاً فالمسجد الذي مبتدأ به ﴿المسجد الأقصى ﴿فالذي في السماء أعلى وغايته، والذي في الأرض مر إليه وليس غايته.

وأية بركة عظمى وآية كبرى خير من الجنة المأوى، وما رآه في المسجد الأقصى الأعلى من آيات ربه الكبرى![3] ﴿لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴿

---

١. لبيت المعمور مصاديق اخرى كالكعبة المشرفة ويقابله المسجد الاقصى في السماء السابعة فهو ايضاً البيت المعمور كما في نور الثقلين ٥: ١٣٦ عن علي Δ كما و هو منزل القرآن (٥: ٦٢٤) عن الصادقΔ وفي الدر المنثور عن شعب الايمان عن النبي 3 قال: البيت المعمور فى السماء السابعة اقول: واحاديث الفريقين مجمعة على انه في السماء السابعة، فليكن هو المسجد الاقصى في السابعة، عمر قبل عروج النبي ثم زادت عمارة بعروجه، ثم ومن البيت المعمور بيت قلب الرسول3 كما مضى عن علي Δ فانه اشرف منزل للقران (راجع ج ٢٧ ص ٣٥٣ ـ ٣٥٤ من الفرقان».

٢. ثواب الاعمال عن علي Δ عن النبي 3 انه قال في وصية له:.. اني لما بلغت بيت المقدس في معراجي الى السماء... (نور الثقلين ٣: ١٢٢) ومن الملاحظ في الروايات التي تنقل مروره في معراجه بالقدس انها كلها تقول بيت المقدس ولا مرة واحدة: المسجد الاقصى.

٣. تفسير القمي في حديث المعراج من لفظ رسول الله 3 لعلي Δ. فكشط لي عن سبع سماوات حتى رأيت سكانها و عمارها و موضع كل ملك منها... واما الالسادس لما اسري بي الى السماء جمع الله لي النبيين فصليت لهم و مثالك خلقي «نورالثقلين ٣: ١٠٢» و من الآيات التي أريها الرسول3 عترته المعصومون واحد بعد واحد كما في عيون اخبار الرضاΔ قال قال رسول الله 3 في حديث

رؤية الملكوت بقلبه بالاتصال به، ورؤيه الكائنات بصره لتتّسع معلوماته.

وترى لماذا ﴿من آياتنا﴾ لا كلها لكي تستكمل الرؤية وتكمل الحياة والإحاطة... الجواب في النجم: ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ فـ ﴿من﴾ تبعيض عن كل الآيات و ﴿الكبرى﴾ هي جلّ الآيات، فقد اصطفى الله لمصطفاه بعض الآيات ومصطفاها، وكفه رؤية الكبرى عما سواها: بعض الآيات كياناً كالنبيين والملائكة المقربين، وكوناً كسائر الآيات العظيمة الكونية، منها سائر خلق الله في سائر العوالم من سكان السماوات وعمارها[1].

أترى أن غاية المعراج فقط ﴿لنريه من آياتنا﴾ لا إثبات رسالته أيضاً كآية من آيات ربه؟ ومن ثم فـ ﴿من﴾ تبعّض هذه الرؤية، في حين أن لإبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين.

إن الملكوت هي حقيقة الملك وماهيته على الكون بأسره ظل، والملكوت درجات كما الملك درجات، وكما أن أعلى الملك والملكوت درجات فعلى

المعراج عن العترة... يا محمد لو ان عبداً عبدني حتى ينقطع ويصير كالشن البالي ثم اتاني جاهداً بولايتهم ما اسكنته جنتي ولا اظللته تحت عرشي يا محمد أتحب ان تراهم؟ قال: نعم يا رب! فقال عزوجل: ارفع رأسك فرفعت رأسي فاذا انا بانوار علي وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى و محمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والحجة بن الحسن القائم في وسطهم كانه كوكب دري قلت: يا رب من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الأئمة وهذا القائم الذى يحل حلالي ويحرم حامي و به انتقم من اعدائي وهو راحة لاوليائي وهو الذي يشفي قلوب شيعتك من الظالمين والجاحدين والكافرين.. (نور الثقلين ٣: ١١٩) وفي الد المنثور (٤: ١٥٣ـ اخرج ابن عدي وابن عساكر عن انس قال: قال رسول الله 3 لما عرج بي رأيت على ساق العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله ايدته بعلي»! و منها النبيون والملائكة الذين صلوا وراءه في البيت المعمور. كما رواه القمي باسناده الى ابي جعفر Δ قال: كما اسري برسول الله 3 الى السماء فبلغ البيت المعمور وحضرت الصلاة فاذن جبرئيل واقام فتقدم رسول الله 3 فصف الملائكة والنبيون خلف محمد 3 (المصدر ١٣٠).

١. مضى تحت الرقم ٢ ص ٧.

درجة تخصه دون سواه، أو تعمه ومن معه في درجة، وصاحب العوالج أي المجرى من درجات الملكوت: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين﴾ وإبراهيم وأضرابه من دون صاحب العوالج أي درجات أنى منها، فإنه 3 ﴿بلاغ للناس﴾ كما بيناه، و ﴿بلاغ لأولي﴾ أعلى لا أقل للموقنة أما هيهات لحد ما لها من سبق.

ثم إن من الملكوت ما نرى إذ يُخلى إليها، الناس كما النار: ﴿أولم يتفكروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون﴾ (٧:١٨٥) ﴿فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه﴾ (٢٣:٨٨).

ومنها ما يخص بالمخلَصين من عباد الله الصالحين كإبراهيم: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين. فلما جن عليه الليل... ﴾ (٦:٧٦) نرى أن أقل الآفلين حالاً لا يردّ له على الفور الخالق المكوّن وحقيقة تعلقه بالله، إلا آنّاً وهرقةً على درجة إبراهيم الخالل Δ

ومنها ما يخص صاحب العوالج حيث ﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل﴾ إذ تخلّى الكون عالمه وملكوته، بما كان للرؤية والموقنة فيهما وبهما، وأي من آيات ربه المجرى عبراً وعبيرة، ثم أراه ربه نفسه بأرفع درجات الموقنة المكتسبة (في بالعلم) وتلى بالتجلي عن نفسه ﴿فلما أن روحه ونفسه كانت من ذلك المكان لما قدر أن يبلغه)[٢] وكما قال 3 ﴿فتدلّى

---

١. الاحتجاج للطبرسي عن موسى بن جعفر عن آبائه عن الحسين بن علي Δ قال:

٢. تفسير القمي باسناده الى الصادقΔ اوّل من سبق الى بلى رسول الله 3 وذلك انه اقرب الخلق الى الله.

بي حتى كان بيني وبينه كقاب قوسين أو أدنى ﴿ فلم يزل عن موضع ولم يدن ﴿ وكان بالمكان الذي ظل جبرئيل لما أسري به إلى السماء: فقدم يا محمد! قد وطئت موطئاً لم يطأ ملك مقرب ولا نبي مرسل... ﴿ فأتى ملكوت من ملكوت! وإن رؤية من رؤيته! وإن موقفه من موقفه! فلم يزل أحمد مدنوه الرسول 3 ولا جبرئيل الذي صاحبه في شطر من سراه[٤] ويوحي إليه ما أوحاه.

﴿ إنه هو السميع البصير ﴿ نبي من هو السميع البصير هنا ثم ما هي الملازمة بين السميع البصير والرحلة المواجية؟

قد يكون هو صاحب المعراج، لأنه سمع يسمع الوحي الخاص في المدة بأذن قلبه: ﴿ فأوحى إلى عبده ما أوحى ﴿ وبسمع محادثة الملأ الأعلى بسائر أذنه، كما يصر من آيات ربه الكبرى يصره: ﴿ لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴿ ويصر ربه بصيرته، ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴿ هذا وذاك أسري به،

---

١ . تفسير روح البيان ج ٩: ٣١٩ قال رسول الله 3: وفي الدر المنثور (٤: ١٥٨): اخرج الخطيب عن انس قال قال رسول الله 3: لما اسري بي الى السماء قربني تعالى حتى كان بيني وبينه قاب قوسين او ادنى لابل ادنى...».

٢ . الاحتجاج للطبرسي في آية التدلي عن موسى بن جعفر(عليهما السلام).

٣ . تفسير القمي عن الصادق Δ.

٤ . في كتاب كمال الدين و تمام النعمة باسناده الى عبدالسلام بن صالح الهروي عن علي بن موسى الرضاΔ عن آباءه عن علي Δ عن النبي 3 في حديث طويل يقول في آخره: فلما انتهيت الى حجب النور قالى لي جبرئيل: تقدم يا محمد! ان هذا انتهاء حدي الذي وضعه الله لي في هذا المكان فان تجاوزته احترقت اجنحتي لتعدي حدود ربي جل جلاله فزج بي زجة في النور حتى انتهيت الى حيث ما شاء الله عزوجل في ملكوته فنوديت: يا محمد انت عبدي وانا ربك فاياي فاعبد وعلي فتوكل فانك نوري في عبادى ورسولي الى خلقي وحجتي في بريتي» (نورالثقلين ٣: ١٢٥).
وفي اصول الكافي باسناده عن ابي عبدالله Δ قال: لما عرج برسول الله 3 انتهى جبرائيل به الى مكان فخلى عنه فقال له: يا جبرئيل! اتخليني على هذه الحال؟ فقال: امضى فوالله لقد وطئت مكاناً ما وطأ بشر وما مشى فيه بشر قبلك» (نور الثقلين ٣: ١٢٩).

حيث يسمع ما لا يسمعه غيره مبصره، ويبصر ما لا يبصره غيره يصربه.

وقد ﷺ حيث الرسول وإن كان سميعاً بصيراً ولكن ﷺ الفاعل هنا فيجب بالحصر، ولا حصر في السمع الفاعل وبصره إلا في الله، وإن دخل في ضمنها رسول الله، لأن الله سميع بصير يجعل رسوله سميعاً في مواجه بصيراً، بما يسمع من قبل الله ﷺ رب زدني علماً ﷺ ويُصرّح بأنّ الله هذه الحالة المقدسة.

ثم ﷺ السميع البصير ﷺ الله ليسنا متلهما في سواه ﷺ لم يزل الله جل وعلى ربنا والعلم ذاته، ولا معلوم والسمع ذاته، ولا مسموع والبصر ذاته، ولا مبصَر والقدرة ذاته ولا مقدور، فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع والبصر على المبصر والقدرة على المقدور... ﷺ فـ ﷺ سميع بغير جارحة وبصير بغير آلة، إنى يسمع بغيره ويبصر بغيره، ليس قولي: ﷺ الله يسمع بغيره ويبصر بغيره أنه شيء والغير شيء آخر، ولكن أردت عبارة عن نفسي إذ كنت مسؤلاً، وإفهاماً لك إذ كنت سائلاً، وأقول: يسمع بكله لا إن الكل له بعض، ولكن أردت إفهامك والتعبير عن نفسي وليس يرجع في ذلك إلا إلى أنه السميع البصير، العلم الخبير لا اختلاف الذات ولا اختلاف المعنى ﷺ[1].

فقد سمى ربنا سميعاً لجزء فيه يسمع به الصوت لا يبصر به، كما أن جزئنا الذي نسمع به لا يقوى على النظر، ولكن أخبر أنه لا يخفى عليه الأصوات ليس على حد ما سمينا نحن، فقد جمعنا الإسم بالسميع واختلف المعنى، وهكذا البصر لجزء به نبصر كما أنا نبصر بجزء منا لا ننتفع به في غيره، ولكن الله بصير

---

١. اصول الكافي باسناده الى ابي عبدالله Δ (نورالثقلين ٣: ١٣٣).
٢. التوحيد للصدوق عن ابي عبدالله Δ (نورالثقلين ٣: ١٣٤).

يحكي شخصاً مقدوراً اليه، قد جمعنا الإسم واختلف المعنى»[١].

وهكذا تكون صفات الله الحسنى كاشفة مجردة عما لك سواه من حدود وقيود، مايجب سلبها عن الله، إذ تختص بمن سواه.

بقي ولماذا وقف ربنا بالسمع البصير دون الثلاثة الاخرى: الحي ـ القيوم ـ الملك؟ علة لأنها تختص بحوامل الثلاث دونها حيث يعمل حسبها بضوبها وفوقها من السمع والبصر المجردين، ثم السمع والبصر من كيفيات العلم دون الثلاثة لأخرى الخطة بالحس، حيث لا ذوق ولاشم ولامس وراء الحس.

فمن الأسماء مايخصه لفظياً كمعناه: الرحمن ـ الخالق... ومنها مايخص خلقه فيها: الوصي ـ القائم ـ الملك ـ الاحص ـ السلام... ومنها ما يشارك ربنا في لفظه دون معناه: العلم ـ القادر ـ الحي ـ الوجود ـ السميع ـ البصير.

والطريقة العامة في أسمائه أن تُجرَّد عن معاني الخلق وصفاته إلى مايخصه إطلاقاً كمتناه شيء.

ثم هذه الرحلة للنقطة القيّم للبشير النذير التي تفوق كل زمن ومكان، رحلة مختارة من الطيب الخبير، وهي آية عجيبة من آيات الله يريه من آياته الكبرى، مهما كانت آية ـ في هامشها ـ المرسل إليهم، تفتح القلب على أعلى عجيبة في الكون، وتكشف عن الطاقات المخبوءة في كيان هذا الإنسان، والإستعدادات الخارقة للنقطة القيّم التي يتهيأ بها لاستقبال الفيض الخلقي من

---

١. المصدر عن الرضا Δ وفيه باسناده اى محمد بن مسلم عن ابي جعفر Δ قال: قلت: جعلت فداك يزعم قوم من اهل العراق انه يسمع بغير الذي يبصر ويبصر بغير الذي يسمع؟ قال: فقال: كذبوا والحدوا وشبهوا تعالى الله عن ذلك، انه سميع بصير، يسمع بما يبصر ويبصر بما يسمع، قال: قلت: يزعمون انه بصير على ما يعقلونه؟ قال: فقال: تعالى الله ـ انما يعقل ما كان يصنعة المخلوق وليس الله كذلك.

السميع الخبير له طيب خير.

محمد3

صاحب المعراج

٢

(سورة النجم ـ مكية ـ وآياتها اثنتان و ستون)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

وَ النَّجْمِ إِذا هَوى(١) ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَ ما غَوى(٢) وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى(٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحى(٤) عَلَّمَهُ شَديدُ الْقُوى(٥) ذُو مِرَّة فَاسْتَوى(٦) وَ هُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلى(٧) ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّى(٨) فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى(٩) فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى(١٠) ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى(١١) أَ فَتُمارُونَهُ عَلى ما يَرى(١٢) وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى(١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهى(١٤) عِنْدَها جَنَّةُ الْمَأْوى(١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشى(١٦) ما زاغَ الْبَصَرُ وَ ما طَغى(١٧) لَقَدْ رَأى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرى(١٨) أَ فَرَأَيْتُمُ اللاّتَ وَ الْعُزّى(١٩) وَ مَناةَ الثّالِثَةَ الْأُخْرى(٢٠) أَ لَكُمُ الذَّكَرُ وَ لَهُ الْأُنْثى(٢١) تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضيزى(٢٢) إِنْ هِيَ إِلاّ أَسْماءٌ سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ ما أَنْزَلَ اللهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَ ما تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَ لَقَدْ جاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدى(٢٣) أَمْ لِلْإِنْسانِ ما تَمَنّى(٢٤) فَلِلّهِ الْآخِرَةُ وَ الْأُولى(٢٥)

هذه السورة المكية كلها الرئيسي كسائر المكيات موضوع العقيدة في أسمى أعماقها، وأهمها موضوع الوحدانية والوحي والرسالة، وإبهامهم في عمله القرآن في عرضها مهمة المعراج بتفاصيل لم تذكر في سائر القرآن، وهي كمقدمة وسيقية تتلب في تعمل الوحي بعامتها.

«والنجم إذا هوى» (ك ١) أصل النجم هو الكوكب الطالع، ويستعمل إسماً

وصدراً بمعنى الظهور، يقال: نجم لي أمرٌ: ظهر وبدا، وقد يقصد بها كل ظاهر بارز، مادياً كالشهب والنيازك النارية التي من جانب من السماء إلى آخر جانب، أم إلى الأرض، ناحية منحى شبيهتين السماء أو الأرض، وكالأجرام النورانية التي تنتهي إلى الأرض، وكما في أحاديثنا: أن نجماً هوى في بيت الإمام علي Δ دليلاً على ولادته بغير مسقط.[1]

أو معنوياً كالقرآن النجم: النازل نجوماً على قلب الرسول الأقدس 3 فإنه من أوقع مواقع النجوم لحد لا يقسم الله به لمزيد الاحترام: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم. وإنه لقسم لو تعلمون عظيم. إنه لقرآن كريم. في كتاب مكنون. لا يمسه إلا المطهرون﴾ (٧٥/٥٦).

فنجم القرآن إذا هوى من سماء الوحي يصيح نجماً لائحاً لأهل الأرض، فكل الوحي هو كوكب نير طالع، غيب في علم الله.

وكالرسول 3 الذي أنزله الله وأهواه إلى أرض البشرية لكي يصاحب الضالين ويهديهم: ﴿فاتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكراً. رسولاً عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من

---

١ . امالي الصدوق باسناده الى ابن عباس قال: صلينا العشاء الاخرة ذات ليلة مع رسول الله 3 فلما سلم اقبل علينا بوجهه ثم قال: انه سينقض كوكب من السماء مع طلوع الفجر فيسقط في دار احدكم، فمن سقط ذلك الكوكب في داره فهو وصيي وخليفتي والأمام بعدي ـ فلما كان قبل الفجر جلس كل واحد منا في داره ينتظر سقوط الكوكب في داره، وكان طمع القوم في ذلك ابي العباس بن عبدالمطلب، فلما طلع الفجر انقض الكوكب من الهوى فسقط في دار علي ابن ابي طالب Δ فقال رسول الله 3 لعلي Δ يا علي! والذي بعثني بالنبوة لقد وجبت لك الوصية والخلافة والامامة بعدي، فقال المنافقون: عبدالله بن أبي واصحابه: لقد ضل محمد في محبة ابن عمه وغوى، وما ينطق في شأنه الا بالهوى، فأنزل الله تبارك و تعالى «والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم» يعني في محبة علي بن ابي طالب «وما غوى».

اقول: وروى ما في معناه الصدوق باسناده الى الصادق عن ابيه عن آبائه ومحمد بن العباس باسناه اليه Δ قال قال رسول الله3: وذكر مثله.

الظلمات إلى النور... (النجم ٥٣: ١٠) فهو نجم نزل، هوى يهتدي النبلي إلى المنهل.[١]

وكالرسول ليلة المعراج إذ هوى حلو ياً وحياً دون واسطة من الله.[٢]

فالنجم الهوي هنا تحمل كل هذه المعاني التابعة عن كلمة النجم دون هوادة، اللهم إلا الشهب والنيازك النارية التي لا صلة لها بهم خلال الرسول أو غوايته، وأما النجم الهوي في بيت الإمام علي Δ فقد يكون من ضمن المعنى من النجم هنا وكما في حديثنا: طالما النجم القرآن و نبي القرآن يحملان الصفة في المعنى منه، فيقسم بالقرآن الذي يحمله نبيه، له ما ضل و ما غوى، وما ينطق عن الهوى، فإن كمال الغاية نجمٌ في هذا النجم الهوي على قلب الرسول الهادي 3

ما ضلّ صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى (النجم ٥٣: ٢).

إن النجم المضيء في دار علي Δ[٣] دليل على براءته عن مثلث الرزية: الضلالة والغواية والهواية، في هامة الخلافة، و كما إن نجم فلك الرسول 3

---

١ . القمي حدثني ابي عن الحسين بن خالد عن ابي الحسن الرضاΔ قال: النجم رسول الله3 وقد سماه الله في غير موضع فقال: والنجم اذا هوى، ومثله في روضة الكافي عن أبي جعفرΔ في الآية قال: اقسم الله بقبض محمد. اقول يعني موته، فهم النجم وهويه موته.

٢ . روى ان محمداً 3 نزل من السماء السابعة ليلة المعراج ولما نزلت السورة اخبر بذلك عتبة بن ابي لهب فجاء الى النبي 3 وطلق ابنته وتفل في وجهه وقال: كفرت بالنجم ورب النجم فدعاΔ وقال: اللهم سلط عليه كلباً من كلاب، فخرج عتبة الى الشام فنزل في بعض الطريق والقى الله عليه الرعب فقال لأصحاب ليلا: أنيموني بينكم ليلا ففحلوا فجاء اسد وافترسه من بين الناس.

اقول: في الدر المنثور ٦ : ١٢١ ـ اخرجه عبدالرزاق وابن جرير عن معمر عن ابن طاووس عن ابيه عنهΔ وابو الفرج الأصبهاني في الأغاني عن عكرمة وابو نعيم في الدلائل وابن عساكر من طريق عروة عن هبار بن الأسود.

٣ . القمي والكليني باسنادهما الى أبي جعفرΔ «وما ينطق عن الهوى» ما يتكلم بفضل اهل بيته بهواه و في امالي الصدوق باسناده ابي عبداللهΔ انه قال: «ان رضى الناس لا يملك وألسنتهم لا تضبط وكيف تسلمون مما لم يسلم منه انبياء الله ورسله وحجج الله3 الم ينسبوه الى انه ينطق عن الهوى في ابن عمه علي Δ حتى كذبهم الله عزوجل فقال: «وما ينطق عن الهوى، ان هوى إلا وحي يوحى».

النفسية، الملي ليلة الوالج عن لاتق لا على بمصوده، دلي على صدقه في الأنباء التي هي بها اليهم بدهويّه، كما و أن نجم قوآنه المبين، و معه و به نجم كيانه المبين، شاهداصدق على أنه ماضل في رسالته و ما غوى، وما ينطق عن الهوى، اضافة إلى صحبته لكم أميناً عاقلاً طوال سنين: ﴿قد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون ۝(١٠:١٦)؛ لقد صحبتكم سنين، بطفولتي، وشبابي، وحكم وبين أحد سمعتموني محمد لأبين، ولم تأخذوا علي مأخذاً من ضلالة أو غواية أو هواية، ثم بعد إذ جئتكم بما يعجز عن مثله العالمون، تقولون: له ضل وغوى، وهو ينطق عن الهوى؟!.

إن للضلالة مقابل الهداية، فيها دركات، كما لهذه درجات، ولكل في دركاتها كلها بعيدة عن الهدى، دون سبيل لها إليها بحيلى أو تجلى.

والغواية مقابل الرشد؛ قد تجتمع مع الهداية، وهي غير الرشيدة منها، فالغوي قد يكون مهدياً ولكنه غير رشيد، إذ قد يجد سبيلاً إلى الحق، إذاً فالغوي أقصى ضلالاً من الضال.

والهوى هنا هي الهوى عن الحق، قد تكون ميلاً بشهوة نفس بالإنسان إلى خلق الحق، وهو الأكثر استعمالاً: ﴿لا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ۝(٤:١٣٥) وقد تكون ميلاً بغي غير معقول بالوحي، قد تخطأ وقد تصيب، وهو الأقل استعمالاً:

﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ۝(٢٨:٥٠) إذ توحي بأن اتباعها بهدى من الله هي خطأة.

فالهوى تعم الهوى وهي الهوى المذمومة عن النبي في وحيه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥٣:٤)؛

وإنها أهم صيانة وقاية الرسالة المحمدية، إنها بكاملها سماوية، لا تأخذ من

لأمّ إلا بلاغها كذبة: ف ﴿ما ينطق عن الهوى ۝ هو النفس، فإنه غلب شيطانه منذ كان فطيماً، فغلب به إذ جئ نياً، وكما قال ﷺ: «شيطاني أسلم يدي ۝ و: «جرنا وهي خامدة ۝ لا تجد في أحواله وأقواله وأفعاله، في حِلِه وترحاله، في قلبه وقالبه، لا تجد ولا قيد شعرة من هوى النفس.

و ﴿ما ينطق ۝ كذلك عن هوى غفله، منفلتاً عن وحيه، طللاً هو على المقول! فالنفي للفعل عن الوحي فيخطئ، وهو جلّ عن أن يخطئ، كيف وهو رسول ربه لأبين.

كذلك و ﴿ما ينطق ۝ عن هوى غفله الفعل بالوحي، في قرآنه المبين، فإنه وحي في وحي، في الفعله ومعانيه: ﴿إن هو ۝ فعله ﴿إلا وحي يوحى ۝

هذا ولن كان ينطق في سنته بفعل الوحي، وحياً في معانيها، وعملاً مفعلاً بالوحي في عقد الفعلها، وهذا هو الفرق الفارق بين الكتاب والسنة الفعلية، إذ يشتركان في وحي المعنى: ﴿إن هو إلا وحي يوحى ۝ في الفعله كما هو ﴿وحي يوحى ۝ في معناه، ولكن السنة في الفعلها ـ فعلـ ـليست وحياً، وإنما عملاً من صاحب السنة الرسول الأمين ﷺ ثم هي تشارك القرآن في وحي المعنى مهما اختلف درجاتهما.

إن الحصر في آية الوحي ﴿إن هو إلا وحي يوحى ۝ ينفي عن النبي أن ينطق عن أية هوى، لا هوى النفس فقط، فإن هوى الملك أيضاً ليست وحياً يوحى، فعله ﷺ محصور في وحي يوحى: وحياً خطاباً كما في القرآن، أو وحياً مزدوجاً كما في السنة، فإن الفعلها ليست إلا منه مهما كانت مقولة صوتية بالوحي، مسنودة إلى الوحي، فالرسول الأمين ﷺ كله ـ كرسول ـ وحي، ولا أقول له في مآربه البشرية غير الرسالية، أيضاً وحي، وإنما في شئونه الرسالية.

وفيما إذا سئلنا كيف تم خلقه بعد قرآنه، والجواب المستفاد من ﴿إن... ۞ بحصر خلقه وحي يوحى، والسنة ليست وحياً إلا في معناها!.

فالجواب: إن آية الوحي تحصر خلقه في وحي يوحى، لا قرآنه فحسب، وبما أن هامة الوحي هي التي، فوحي السنة أيضاً وحي يوحى، وحي بين معاني رزمة من الحروف الرزمة التي تحمل أحكاماً دليل على القرآن بدلالة لفظية، وإن كان لفظه في معناها، وإن كان القرآن أفضل منها وأعلى، لأنه بلفظه ومعناه وحي يوحى، بلى من النبي 3 فبشيء، وإنْ من عقله المثل بالوحي، فطالما يكون غلق النبي كذلك: ﴿إن هو إلا وحي يوحى ۞ وإن لم يكن في لفظ السنة وحياً، ولكن قرآنه بين خلقه ــ ﴿إن هو إلا وحي يوحى ۞ ليس فيه إلا وحي، جملة وتفصيلاً، معاني ومعاداً وترتيباً وفي كل شيء.

ترى وما هي النكتة في ﴿يوحى ۞ وفي ﴿إن هو إلا وحي ۞ كناية للآية التي؟ أقول: علها لكي لا يزعم له وحي ذاتي، وحي الضمير الخافي، وحي منه إليه، وإنما: وحي يوحى إليه من خارج الذات، فوحي الضمير لا يوحى إلى صاحب الضمير، إنما هو وحي يتكون فيه بتجمع صفاته.

ومن ثم فمن مبدأ هذا الوحي، ولا سيما في قرآنه المبين، إن ليس معلمه إلا الله:

«عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى» (٥٣ ٥) علّمه الوحي أو علم الوحي إياه شديد القوى: ربه لا جبرئيل.

ترى إذ يراد الغيب بتعلم الوحي لأخيه وحده كل معلوم نكير، على أي بلسم معلمه الأصلي وهو الله، أم بلسم الوسيط في وحي جبرئيل؟ أو صحّ له علّمه! وليس تعليمه هو وضع بحث بين مثبت ونكير! لا ريب أن المقام يقضي ذكر المعلم الأعلم في شديد القوى ﴿هو الله لا جبرئيل.

ثم جبرئيل، مهما كان وسيطاً في الوحي الفصل أو معلمه فيه، فلم يكن وسيطاً في محكمه، ولا سيما وحي المعراج، وقد عرج عنه الرسول 3وحيداً إلى سدرة المنتهى، وما فوقها، ﴿وهو بالأفق الأعلى، فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ وهذه الآيات تنص وحي المعراج ضمن ما يعم وحي القرآن كله، فصله ومحمله، فلم يكن هناك جبرئيل حتى يكون معلمه، إذ تركه 3عند السدرة وظل الفوق قائلاً: تقدم يا رسول الله 3ليس لي أن أجوز هذا المكان ولو دنوت أنملة لاحترقت﴾ هذيد الفوق هو الله وليس جبرئيل.

وإذ كان جبرئيل معلمه 3وحتى في وحي المعراج، فليس الرسول كمتعلم عبداً لجبرئيل، إذاً فماذا يُعنى من: ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ ولا موجع مسبقاً لضمير الغائب هنا إلاّ شديد الفوى، فهل أصبح جبرئيل الوسيط في الوحي معوداً للرسول 3وليس هذا الإيحاء إلاّ لذلك التعليم: فمن المستحيل هنا أن يكون شديد الفوى هو جبرئيل.

ثم لا نرى تصريحاً في القرآن ولا تلويحاً أن جبرئيل كان معلم الرسول 3 وإنما نزلاً بالوحي إلى قلبه المتحمماً طوال البعثة، بعد الوحي المحكم النازل عليه ليلة القدر دون وسيط: ﴿نزل به الروح الأمين، على قلبك﴾(٢٦: ١٩٤) وب حال فقد إلى من هو أفقه منه وكما الرسول محمد 3كان أفقه من جبرئيل وكما عنه 3: ﴿روح القدس في الجنان الصاغورة قد نزل من حدائقنا الباكورة﴾ ثم ولم يكن نزوله بالوحي الفصل لحاجة ذاتية من الرسول إلى الوسيط، وهو أقل من موسى الذي أنزلت عليه التوراة دون وسيط جبرئيل، وإنما ليثبت الذين آمنوا: ﴿قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدىً وبشرى للمسلمين﴾(١٦: ١٠٢) وإنما يحمل بالمنزل النزول

---

١. تفسير روح البيان ج ٩ ص ٢٢٤ في رواية، ورواها في المناقب ابن عباس قال: فلما بلغ الى سدرة المنتهى وانتهى الى الحجب قال جبرئيل: تقدم يا رسول الله3 ليس لي ان اجوز هذا المكان ولو دنوت أنملة لاحترقت.

التدريجي: الوحي للعمل، لا لحاجة الرسول إلى الوسيط في ولم يحتج إليه في الوحي المُجمل إذ عُرج به إلى العرش! وإنما لتثبيت البشر آمنوا على أنه بشر رسول، لا يقولوا فيه ما قالوا في المسيح Δ

نرى أن الوسيط في رسالته إلى رسول ـ وإن كان يعلم شيئاً منها أو يعلمها كلها ـ على أنه معلم الرسول؟ أم رسول إلى الرسول، ثم الملك كيف؟ قد يكون الوسيط أقوى من الرسول كجبرائيل بالنسبة لمحمد 3 وقد يكون أعلى، كالرسول بالنسبة لجبرئيل و ما شابه و للرسل أجمع، وقد يكونان على سواء، و كما قد لا يوفي الوسيط شيئاً مما أرسل به، فليكن شديد القوى هو الله لا جبرئيل.

ثم لو كان جبرئيل كمعلم الرسول 3 شديد القوى، فهلاّ يكون الله أيضاً شديد القوى؟ وهذه تسوية بين الله وخلقه في القوى، والملك بجنب ضعفاء قواه أخفّاء، اللهم إلاّ ﴿ذو قوة عند ذي العرش مكين، مطاع ثم أمين﴾ سواء أضرته بمحمد الأمين وهو الحق، أم ضرّته بجبرائيل الأمين وليس به[1] ولكل، فكيف هو مرة شديد القوى مائة، وأخرى ذو قوة كعبد الله، وبينهما من القوى ما لا يرى!

وترى في أحاديثنا أن الله تولى وصف شديد القوى دون خلقه[2] فكيف لخلقه أن يصف عما وصف به الله، وهذا من الإلحاد في أسماء الله ﴿وذروا الذين يلحدون في أسمائه﴾

---

١. راجع ج ٣٠ ص ١٦٧ ـ الفرقان تفسير الآيات «انه لقول رسول كريم ذي قوة...».

٢. علي بن ابراهيم القمي في تفسيره نقلا عن الامامΔ «علمه شديد القوى» يعني الله عزوجل، وفي نهج البلاغة مثله، وفي دعاء الندبة «فاغث يا غياث المستغيثين عبيدك المبتلى واره سيده يا شديد القوى». وفي دعاء آخر «يا شديد القوى و يا شديد الحال».
هذا ولم يوجد وصف غير الله ـ جبرئيل أم سواه ـ بهذا الوصف في اي حديث اطلاقاً ـ اللهم إلا في أقاويل جماعة من المفسرين دون اي برهان.

ثم الي في اليه الرسول فنلى، فكان منه قاب قوسين أو أدنى سلبي هو جبرئيل حتى يكون هو أيضاً شديد القوى، إذلم يبك لجبرئيل في عق للوالج مجال، ولا أن لمنو الرسول 3إليه كمال، كما و أن مقام أو أدنى مع غير الله ضلال محال لأنه فناء ولايجوز أولا يبكى الفناء في غير الله، وإنما هو لله، المنو منه والمنلى به في مجال للوقفلا المجاورة.

ثم جبرئيل كان الرسول 3يراه بعينه وهو في الأفق بصورة دحية المطلي أم سواه، دون أن يراه بقوله فقط وهو بلاشك الأعلى ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى ۞ولم يراه أحد في دعوى رؤية جبرئيل، فما كان موضوع النبوة بالرؤية حتى يبكنوه فيها، وإنما في ادعاء رؤية الله بصيرة القلب و نور اليقين ﴿أفتمارونه على ما يرى ۞، ثم وماذا يكسب الرسول 3من رؤية جبرئيل بصره أم بصيرته، وهو Δدوماً كان يشرف بحضرته 3وينزل بالوحي على قلبه ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك ۞

ثم القصة للنبي: الثالثة، ليست في تكرار رؤية جبرئيل، في حين أنهم يرون الات والعزى، ومنلة الثالثة الأخرى، وإنما هي بين ربه ولربهم، لهم يرونهم كما يبكى، وهو لا يرى ربه كما ينبغي، ولم يبك جبرئيل في وقت من الأوقات موضوع الرسالة، ومدار النفي والإثبات، ولايثبت له كيان إلاّ بعد ثبات الرسالة، فماذا يفيد الإصرار في أنه علمه الوحي، وأنه رآه مرتين عشرة كاملة تحلى أن يكون شديد القوى هو جبرئيل.

إذاً لا موقع لجبرئيل في هذه الآيات للواجبة، ولا قيد شعرة، ولا سيما أنها تزكي على القرآن المحكم، الذي كان نزوله عليه Δدون وسيط، ولا تلمح هذه الآيات إلى جبرئيل أبداً، إذاً شديد القوى هو الله.

ثم لا يخفى من القوى ما تعنيه الفلسفة في اصطلاحها، أنها قبل الفعليات، وإنما هي القدرات، ولام الاستغراق الداخلة على الجمع ﴿القوى ۞ تجعلها

تستغرق كافة القدرات الإلهية، غير المحدودة، إنها شديدة متينة وليست ضعيفة وهينة، ومن شدتها المحدوديتها، ومنها أزليتها وأبديتها، ومنها وحدتها في بين كثرتها، و كثرتها على وحدتها، فلله تظل علّم هذا الرسول 3وحيه بكل القوى، فما أتى ما يخ وحيه إلا أوحى، علّمه مالم يعلّمه أحداً من العالمين، من الملائكة والجنة والناس أجمعين، فإنه خاتمة الوحي، الي يلامكن تعليمه لأفضل الخلق أجمعين.

فقي وحي القرآن من الشدة والقوة الرباتية ملسلس في بغره من وحي، فالقرآن النازل من شديد القوى، إنه شديد في كافة القوى، مشدود بالقدرات الرباتية كلها، منصل عن كلّ وهم ووهن، عزيز بعزة الله، ومجيد بمجد الله: ﴿له لكتاب عزيز ۝ ﴿ق هو قرآن مجيد ۝

فجم القرآن الملي على قلب الرسول 3الملي، الحاوي ما يخ هيه من سماء الوحي، إنه فقط ـ وعلاماته ـ دليل من أنه كتاب الله، وأن حامله النجم المجتبى رسول الله. ماضل صاحبكم وما غوى. و ما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى. علّمه شديد القوى:

«ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى» (٥٣: ٦-٧)

المِرّة والمُرّة: الفتل، وذو مرة هو محكم الفتل. وصيغة لاخرى ﴿ذو قوة ۝ولكن المرة ضمّن فيها المرور فلي إنه من أوصاف شديد القوى المعلّم، أوصاحبكم المتعلم؟

ان شديد القوى، ولو كان جبريلاً لاصبح توصيفه مرة ثانية ودون فصل على وصفه، أو نازلاً عن وصفه: ﴿شديد القوى ۝ذي ﴿ذو قوة ۝ولكنه هو الله، لا يوصف بحكم الفتل، الوحي إلى رتبته السامقة، ولا أن له ظلاً، ولا أنه عرّ ولا أنه يستوي، لا في ذاته ولا مكانه.

فليك ﴿ذو مرّة﴾ هو ﴿صاحبكم﴾ رغم الفصل بين اللفظة والوصف، حيث الفصل هنا هو بقول فصل يذود عنه وصمات، ثم يزوّده بظلال من شمائل وحيه من معلمه شديد القوى، ثم يبدأ بأوصاف له وحالات تخلى له جوّ وحي المعراج، بعد مقام ﴿قاب قوسين أو أدنى﴾ وأولى صفاته هنا أنه: ﴿ذو مرة﴾ ذو قوة، وكما وصف بها في غيرها: ﴿إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين. مطاع ثم أمين. وما صاحبكم بمجنون. ولقد رآه بالأفق المبين. وما هو على الغيب بضنين﴾(٨١: ٢٤).

إنه لا بد من تدرّج معرفي بين المعلم والمتعلم حتى يتحقق التعليم كما يُراد، فإذا كان لله المعلم الحمد 3شديد القوى، فليك هو أيضاً ذا قوة تجعله قريباً إلى شديد القوى علمياً ومعرفياً، ولكي يتلقى ما يُلقى إليه تماماً دون فصل.

﴿صاحبكم... ذو مرة﴾: ذو قوة في عقله ورأيه، ذو قوة في مروره إلى الآفق، وإلى الأفق المبين الأعلى، فليك طائر المعراج هنا مزوّد بخليتين: قوة للطيران، وقوة للرأي، وهاتين القوتين المتبينتين:

﴿فاستوى﴾ علمه شديد القوى... ﴿فاستوى﴾ ﴿ذو مرة فاستوى﴾

إذاً فاستواء صاحب المعراج يشمل الجانبين: الاستيلاء الروحي العلمي بما علّمه شديد القوى، والاستيلاء في البنية الجسدانية لأنه ذو مرة فتله واستقامة في عقله وجسمه، فمروره الجسداني والروحاني في عرق القضاء إلى سدرة المنتهى وما فوقها من نتائج هذه التنائية السامية الربانية الموحاة إليه، اللفتة عليه، أنه في رحلته القدسية هذه المتقلقة الطير، كان بين تجاذب جذبة إلهية، وانجذاب له ذاتي بما علمه الله، وبما فتل جسمه كما فتل عقله لكي يصطدم بتلك السرعة الخارقة التي تخطف سرعة الضوء علّه يلتقي الأفق الأعلى، وكما سيمر عليك بحثه بعد قليل.

﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾(٥٣: ٧)

ولانه ذو مرة فاستوى، ولانه علمه شديد القوى فاستوى: حل له بالأفق الاعلى، فهنا استواء اول، فاستحق بما علمه شديد القوى، وله ذو مرة، واستواء ثان اذ عرج بهذا الاستعداد المطلق الى أعلى الآفاق المكنة لسائر المكانات ظاهراً وقالباً، ثم ارتقى الى افق أعلى هو مقام ﴿هم في﴾ ثم الى اعلى منهما وهو مقام ﴿او ادني﴾ وهو الأفق المبين الذي بان له فيه رب العالمين، اذ رآه بفؤاد اليقين: ﴿ولقد رآه بالافق المبين﴾ فقد ﴿علمه شديد القوى فاستوى فجاز سدرة المنتهى وكان من ربه قاب قوسين او ادنى﴾: في مثنى من أعلى الآفاق مختلف المسافة، فلم يشاركه في الأعلى الأول أحد من العالمين، فلذلك هم بالثاني، ثم الثالث هو الأفق المبين!.

والأفق هو مد البصر في الدائرة المحيطة بالمبصر بصر العين او بصيرة اليقين، فالأفق الاعلى هو الذي لا امتداد للبصائر والأبصار في اعلى الاماكن او المكانات، فقد خطأ في مواجهة 3الات خطوات الى الأفق الاعلى قيلاً لسائر المكانات، ثم الى افق ﴿هم في﴾ واخيراً الى افق اعلى منهما: ﴿فاستوى﴾ حيث لم يشاركه في تخطيه احد من الموجودين، ومتى يصير الى الأين.

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ (٥٣: ٨-٩)

(دنواً واقتراباً من العلي الأعلى)[٢] دنوٌّ معرفي الى الله، وتدلٍّ معرفي بالله في العلم[٣] وتدلٍّ بالتجلي عن نفسه ﴿فأوحى الى روحه وقلبه كلمات

---

١. الاحتجاج للطبرسي حديث طويل عن الامام زين العابدين علي بن الحسين Δ انا ابن من علىٰ... فالعلو الاول هو الأفق الأعلى الاول ثم واستعلاءه هو الثاني في سدرة المنتهى، وجوازه سدرة المنتهى هو الأفق الثالث.

٢. من فقرات دعاء الندبة.

٣. الاحتجاج للطبرسي عن موسى بن جعفر عن آبائه عن الحسين بن علي Δ في حديث قال «دنى بالعلم».

من ذلك المكان لما قرن بيانه ﴿ف﴾ لم يزل عن موضع ولم يتدل بدن ﴿٢﴾ (بلى) بوحده، ولما دنو النبي 3 من ربه وقربه منه، إبانة عظيم منزلته، وتشريف رتبته، وتنزيل نور معرفته، مشاهدة لمزيد غيبة وقربته، ومن لله له عبرة و تأنيس وبسط واكرام[٣] وكما يروى عن صاحب المعراج ايضاً ﴿لما عرج بي إلى السماء دنوت من ربي حتى كان بيني و بينه قاب قوسين او ادنى ﴿٤﴾ ﴿فهو بيني حتى كان بيني و بينه كقاب قوسين او ادنى ﴿٥﴾ وفي هذه الحالة المجردية ﴿رفع له حجاب من حجبه ﴿٦﴾ وهو الحجاب الاخير الممكن رفعه، ودون حجاب ذاته 3 للقسمة، وفي حجاب ذات الله سبحانه وتعالى، للمستحيل رفعه لكل سوى الله.

فهناك دنو، ثم تدلى، ثم وحي، وأهم من كل ذلك رؤية الله: أقرب الى اليه موقياً: دعائم لم تدع مكانة صاحب المعراج، وتتبع بانه الوحي لأعلى الدرجات للموقية بالله، حيث لا خبر عنه لا لملك مقرب، ولا نبي مرسل، فإنها من خصائص صاحب المعراج، وكما تتبع سورة النجم لمنتهاها حيث رأى من آيات ربه الكبرى:

﴿ثم في ﴿ان خرق كافة الحجب الظلمانية والنورانية، بينه وبين ربه، وخرق حجاب الصحبة مع ما سوى الله، لذ عرج عنها بقلبه كما كان عارجاً بقلبه، فلم يبق هناك لأي حجاب الهم لا حجاب نور لا نور: غير القسمة،

---

١ . تفسير القمي باسناده عن الصادق Δ اول من سبق الى «بلى» رسول الله 3 و ذلك انه اقرب الخلق الى الله و كان بالمكان الذي قال له جبرئيل لما أسرى به الى السماء: تقدم يا محمد! فقد وطئت موطئاً لم يطأه ملك مقرب ولا نبي مرسل ولولا ان روحه...

٢ . الاحتجاج للطبرسي عن موسى بن جعفر Δ في آية التدلي.

٣ . تفسير روح البيان ج ٩: ٢٢٠ رواه عن الامام الصادق Δ.

٤ .أمالي الطوسي باسناده الى ابن عباس قال رسول الله 3:

٥ . روح البيان ج ٩: ٢١٩ عنه 3.

٦. / روح البيان

منطلاً عما سولها واقعياً وباختيار صحيح لا مجال لصحة غير ذلك، والتنس بما سوى ذلك، ومثاله في دوره هذا:

﴿فكان قاب قوسين﴾ فإن الخليفين من الوجب كانا إذا ارادا عقد الخلفة الخالصة خرجا بقوسيهما فأطلقا بينهما، يعني بذلك أن لا شيء هنا يفصل بينهما، فهما متصلان في كل مقصد ومرمى.

وكما أن القوسين للخليفين يشكلان قاباً وملتقى واحداً، كذلك الرسول 3 في دوره هذا الى الله طرق قلبه بقلب قوس ربه، فلا فرق النسبة: قوس الوجوب وقوس الامكان في قلب واحد، لا يحول بينهما حائل من جانب الإمكان إلا عجزه عن اكتناه ذات الواجب، ولا حائل من جانب الوجوب إلا حجب ذات الألوهية التي لا ترفع ابداً، حجابان في قلب واحد، فهما إذاً حجاب واحد، ولم يبق هناك إلا حجاب إلا هذا التي لا ترفع، اللهم وإلا حجاب ذات النبي 3 وقد ارتفع ايضاً إذ نزل:

﴿فكان﴾ بيني وبينك إني ينازعني. فارفع بالفك أني من البين، إنه بعد أن في هذا الى الله، نزل ايضاً بالله فكان مثاله من القوسين:

«او ادنى» قد تعني قوس الامكان، وقد تعني قوس الوجوب، فصح:

﴿وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى﴾.

وكما يروى عنه 3 ﴿قوسي بيدي حتى كان بيني وبينه كقاب قوسين أو أدنى﴾.

فالدليل هو الدليل، قد يكون منوياً وقد يكون محضاً خطاباً، وصاحب

---

١ . ان الآية من اللف والنشر المرتب، فكان قاب قوسين اذ دنى، او ادنى اذ تدلى، فـ «او» هذه للترتيب، لا الابهام او التشكيك.

٢ . تفسير روح البيان لاسماعيل حقي ج ٩: ٢١٩. (الفرقان ـ م ٢٦).

المراج بد أن في إلى الله خطاً، كذلك إلى الله خطاً، متسلياً ما سوى الله ومن همه، منقطعاً متخلياً عن الكائنات إلى رب الكائنات، وهذا هو الفناء في الله، أن يصبح العبد كأنه لا شيء، لا له لا شيء و يرى ربه له الشيء وليس سواه شيء، هذا إلا الذي يدعيه من يتسمون بأرباب الكشف والشهود، إن الفناء في الله هو أن يصبح العبد إلهاً من شدة قربه لو خطأ ربه، كما يصبح القسم تراباً إذا تسلى كيلة كله، وهذا إلحاد في الله، ترفيعاً للعبد إلى درجة الألوهية، وتنزيلاً للرب إلى منزلة العبودية!

وإنما الذي تشعر العبد في سيره إلى الله لا شيء، ثم التدلي بالله وهو مقام أولي، فكما أنه أتى إلينا منا علمياً و قومياً، فلذلك نحن أقرب إليه منا إلى أنفسنا، وهذه الرحلة من المولى تتيسر لإصطحاب المراج محمد 3

لقد كان الرسول 3 ـ وهو على معراجه ـ أقرب المقربين إلى الله، لا يحجب بينه و بينه حجاب وهو في الأرض، واضعاً قدميه على كاهل الكون، تاركاً ما سوى الله تحت قدميه وبقالبه، بعد أن كان تاركاً لها بقلبه، متوكلاً ومتخلياً عن الميل إليهم، إن هذه الحالة النجدية تقتضي أن يكون هناك من ربه قاب قوسين أو أدنى، دون أن يبقى أي حجاب ومن حجب النور: من صحبته للميل إليهم ومن ممارسته حاجيات الأرض، ومن همه النفسية، حيث خرقها كلها متسلياً بها، فتدلى بعين العظمة فرأى ما رأى، ومن آيات ربه الكبرى[1] ولو أن بقيت

---

١ . علل الشرايع عن زين العابدين علي بن الحسين Δ سئل عن الله جل جلاله هل يوصف بمكان؟ فقال: تعالى عن ذلك، قيل: فلم أسرى بنبيه 3 الى السماء؟ قال: ليريه ملكوت السماوات و ما فيها من عجائب صنعه و بدائع خلقه، قيل: فقول الله عزوجل: «ثم دنى فتدلى..» قال: ذلك رسول الله 3 دنى من حجب النور فرأى من ملكوت السماوات ثم تدلى فنظر من تحته الى ملكوت الارض حتى ظن انه في القرب من الارض كقاب قوسين او أدنى.

اقول: ذيل الحديث مردود الى راويه او يؤول الى ما يناسب الدنو الى الله والتدلي بالله، وعلّ منه ان ذلك الدنو والتدلي كشف له ملكوت السماوات والارض كما كشف له عن المحجوب من غيب معفرفة الله، الممكن كشفه ـ تأمل.

هذه الحالة الفجودية في مقام ﴿أو أدنى﴾ فإن ﴿لا تنطق عن الكون وعن رسالته وعن نفسه وفي نحبه، وهذا باب من المعرفة لا يعرفه إلا صاحب المعراج، وهي التي استدعاها موسى Δ فطلب ﴿أن تراني﴾ ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني ﴿لم يبق في وسعه العروج إلى الأفق الأعلى وهو موسى، كما لا يتسع الجبل فوق ما يتحمل.

وفي هذه الرحلة النهائية من الرقي إلى الله، أوحى الله ما أوحى:

﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾: (٥٣ / ١١)

وحي خطر في وقت خطر وكما يروى عنه 3: ﴿لي وقت مع الله لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل﴾ ١ ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى بلا واسطة فيما بينه وبينه سراً إلى قلبه لا يعلم به أحد سواه﴾ ٢.

سر مستتر عن سوى الله ورسوله لم يوح إلى أحد من الروحيين، ولا الكروبيين، اللهم إلا إلى صاحب المعراج، إلى قلب محمد 3 ومن ثم إلى قلب محمدي، إلى قلوب المطهرين من عترته، الذين رباهم بتربيته، وطهرهم الله كطهارته، وأذهب عنهم الرجس إلى البيت كما أذهب عنه 3

إن هناك وحياً غفل به في قرآنه ومنه يحمله ﴿ما يغفل عن الروح. إن هو إلا وحي يوحى. علمه شديد القوى﴾ ثم وحي تلقاه غفل بعضه وأعرض عن بعض، يحمله ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ وعلى الأول يشمل الثاني في رموزه وغوصه، لأنه تخصص بصاحب المعراج، ثم ومن نحا منحاه.

﴿إلى عبده﴾ كأنه هو نفسه عبده لا سواه، إذ وصل إلى أعلى درجات المعرفة به وعوديته، وكما كان إلى الطبرسي: ﴿في أن كان الرحمن ولد

---

١. تفسير روح البيان ج ٩: ٢٢٠ عن الامام جعفر الصادق Δ.
٢. تفسير روح البيان ج ٩ : ٢٢١ عن الامام جعفر الصادق Δ.

فأنا إلى الطبرسي ﴿٣٣ : ٨١﴾.

في هذا الحي أوحى إلى عبده؟ هل هو القرآن المفصل؟ ولم ينزل ليلة المعراج وإنما طوال البعثة! أو القرآن المجمل؟ وقد نزل ليلة القدر وفي المعراج! أو علّه القرآن المحكم مع رموز غيبية، وترقيات رمزية، وفي ضمنها مفاتيح كنوز القرآن، تأويل الحروف المقطعة، التي اختص بعلمها محمد 3 دون سواه اللهم إلا من شاء من عترته المعصومين المحدثين صلوات الله عليهم أجمعين، ولقد كان في ملحقات هذا الوحي المختص بعلي Δ بإمرة المؤمنين[1] كما وإن منها آيات مفصلات في قرآنه المبين[2] لم وهذا بعد لا يعلمه إلا من أوحي إليه، ولا توحي آياته بشيء منه إلا: ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ وقد تلمح له أوحى إليه كل ما أوحاه طوال بعثته، في قرآنه وسنته، ولكنه بصورة مجملة فيها كل التفاصيل! وفي ملحقات هذا الوحي تكتنفه 3 في إعلاء إلى الجنة والنار[3]

---

١ .امالي الشيخ الطوسي قال قال رسول الله 3 : لما أسري بي الى السماء كنت من ربي كقاب قوسين او أدنى فأوحى إلي ربي ما أوحى ثم قال: يا محمد اقرأ: علي بن ابي طالب امير المؤمنين، فما سميت بهذا احداً قبله و لا أسمي بها احداً بعده.

اقول: قوله 3 ثم قال يوحي انه لم يكن من اصل «ما اوحى» وانما من ملحقاته.

٢ . القمي عن ابيه عن ابن ابي عمير عن هشام عن ابي عبدالله Δ ان قوله تعالى: «آمن الرسول بما انزل اليه من ربه...» مشافهة الله لنبيه 3 لما أسري به الى السماء.

وفي احتجاج الطبرسي عن الحسين بن علي Δ في الآية: «فكان فيما أوحى اليه» الآية التي في سورة البقرة: «لله ما في السماوات و ما في الارض ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء والله على كل شيء قدير». و كانت الآية قد عرضت على الانبياء من لدن آدم دق Δالى ان بعث الله تبارك اسمه محمداً 3 وعرضت على الامم فأبوا أن يقبلوها من ثقلها وقبلها رسول الله 3 و عرضها على امته فقبلوها.

٣ . بصائر الدجات عن الصادق Δ في إسراء النبي 3 حتى انتهى الى سدرة المنتهى، فقال السدرة: ما جازني مخلوق قبل. قال: ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فأوحى الى عبده ما اوحى، قال: فدفع اليه كتاب اصحاب اليمين واصحاب الشمال، فأخذ كتاب اصحاب اليمين بيمينه وفتحه فنظر اليه فاذا فيه اسماء اهل الجنة اسماء آبائهم، ثم طوى الصحيفة فأمسكها بيمينه وفتح صحيفة اصحاب

فهذا وأشباهه من مخلفات أنصاف ملوك المسلمين والأمر لله يبين عنّي عن كل كفر علني وان كان من حجب النور، فسبح ربي يبين الله، وبسبح باذن الله، منكشفاً له كل خلق الله اللهم إلا ما استثنى بعلمه الله.

ولقد كان في مواجهة 3 تشريف له ان يخرق حجب النور إلى مقعد الظلمة، وكما ﴿ولد ان يشرف ملائكته وسكان سماواته بمشاهدته، ويريه من عجائب عظمته مايخبر به بعد هبوطه ﴾.

ولأن هذا المقعد وذلك التدلي ثم ذلك الوحي، هذا المثلث النوراني المرتقي كان من على الفؤاد من رؤية البصيرة لا البصر، وقد كان محمد 3 حيه في مثلث الرؤية النورانية المرتقية إليه، وهذا ما لا يسع فهمه الظانون فهيب بالجاهلين ذلك كله وهد فقد ظل في رؤية المقعد التدلي والوحي:

﴿ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى(١١) أَ فَتُمارُونَهُ عَلى ما يَرى(١٢) وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى(١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهى(١٤) عِنْدَها جَنَّةُ الْمَأْوى(١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشى(١٦) ما زاغَ الْبَصَرُ وَ ما طَغى(١٧) لَقَدْ رَأى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرى(١٨)﴾ (٥٣: ١٩)

فلولا أن المقعد التدلي والوحي هناك، إلا أنها رؤية الفؤاد والبصيرة لا رؤية البصر، لم يكن هذا الاستدراك من مثل ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ و مهما رأى بصره أيضا ﴿من آيات ربه الكبرى﴾ فقد زوّد رؤية البصر بآيات الله، ورؤية البصيرة بالله!

فإن ذلك التدلي ووحيه إلهما الرؤية المرتقية الفتية، مهما كانت هناك رؤية أخرى بين النزلة عن الأولى، عند سدرة المنتهى، أو كان في هذه الأخرى

الشمال فذا فيها اسماء اهل النار واسماء آبائهم وقبائلهم، ثم نزل ومعه الصحيفتان فدفعهما الى علي بن ابي طالب Δ.

١. التوحيد للصدوق عن موسى بن جعفر في علل المعراج.

وحي آخر علّة أنى من الأول، أم ماذا؟..

ولماذا الفؤاد هنا في موقف أعلى مدارج الوعي، لا القلب، أو الصدر، أو الروح، فما هو الفؤاد؟

الفؤاد هو القلب للنفس الواعي، وهو وسط القلب وليه، ولأنه 3 رأى ربه في مقام التجلّي: بقلب موقد وقود الوعي، ملتهب بلهيب الشوق والاتصال، وبلبابه، لذلك يذكر هنا الفؤاد، لئلا ما كذب ما رآه، فهما أخطأ البصر في مجراه، أو عبيرة الاحساس والفهم والعقل والصدر والقلب في مجراها النفسية لها، ولكنما اللباب من القلب الملتهب الحسي، العالم المتقد في الوصل، إذ لا يكذب، فهذه الرؤية لا تقبل المماراة والمحاجة:

﴿أفتمارونه على ما يرى﴾ هل لم أن تحاجوه فيما يرى بصره؟ هكذا وأخرى لا تماروه فيما يرى بصيرته، بل قلبه الملتهب ﴿ولقد رآه﴾ ربّه هكذا أو أنى ﴿نزلة أخرى﴾.

ومما نستوحي من ﴿رأى﴾ مرتين و ﴿يرى﴾ أنه حصلت له الرؤية الواجبة مرتان في مواجهته، ثم هو كان يرى ربه طوال رسالته، فإن ﴿يرى﴾ تجيء بالاستمرار دون ﴿رأى﴾، والفرق بين الرؤيتين: الموقفين، أن الواجبة منهما مزوّدة زاد النفس، وليست الدائمة هكذا، فإن الحياة الرسالية وفي الأرض وبين الناس، تنفي والتجلي، الذي هو تخلّ عن كل شيء، وتعالٍ حتى عن نفسه فضلاً عن سواه، إلا لله ولله فقط.

إن صاحب المعراج رأى ربه هناك بنور اليقين، وعلى حدّ الوحي عنه 3 ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ وأنبه بوحي مرتين ﴿جواباً عن سؤال: هل رأيت ربك؟ ثم

---

١. التوحيد للصدوق باسناده الى محمد بن الفضيل قال: سألت أبا الحسن Δ هل رأى رسول الله 3 ربه عزوجل؟ فقال: نعم بقلبه رآه، أما سمعت الله عزوجل يقول: ما كذب الفؤاد ما رأى، لم يره بالبصر ولكن رآه بالفؤاد.

لا ﷺ في قلبي ﷺ وقلت: ﷺورأيتي رأيته ﷺ: أن ﷺخرق له في الحجب على سبع[1] لإرادة قوله من نور العظمة ما شاء الله أن يرى ﷺعلى حدّ الرؤية عن الإمام الرضا Δ[2] وما نور العظمة بخرق الحجب إلا نور للوهة النهائية، المتمنعة لك سوى الله.

«ولقد رآه نزلة أخرى»: وقد نحي أن الرؤية الأولى كانت عند الزلفة الأولى، وبعدما وصل إلى عرق المعراج: سدرة المنتهى، وأنه 3عرج هكذا مرتين:[3] فلكل زلفة عروج، وعلى الرؤية هنا وهناك كانت بين الزلفة والعروج، حينما كانت للوهة بالغة الدورة، والتجلي إلى النهاية... ولماذا عند الزلفة؟ إذ هي النهاية في سير المعراج في أعلى المعراج، ولأن الزلفة قد تعني نزوله عن كافة الإنيات، وخروجه عن جميع الحجابات، ولحد الطفو والانتهاء، إذ يترك وراءه كل شيء، فلا يرى لأي شيء، وإنما يرى خالق كل شيء، وقد أصبح بتمامه عيناً وبصيرة، فرآه في هذه الزلفة وبين منتهى المعراج ومبدء النزول، رآه كما يمكن إن يراه.

ويرى أن رآه ـ لو صح هنا ـ ﷺأن ﷺ وعلى إن الرؤيتين هما في مقام واحد؟... إنه رآه ﷺعند سدرة المنتهى عند هاجة المأوى. إذ يغشى السدرة ما يغشى ﷺ

فهناك أفق أعلى، ثم دنو، ثم تدلٍ، ثم وحي، وهذا الأخير تحت الرؤية عند سدرة المنتهى وما فوقها، فما هي السدرة؟ وما هو منتهاها؟ وما هي غشاوتها؟.

---

١. الدر المنثور ٦: ١٢٤ ـ أخرجه جماعة عن كعب القرظي عن بعض الأصحاب عنه 3...

٢. الدر المنثور أخرجه مسلم ولترمذي وابن مردويه عن أبي ذرقال سألت رسول الله 3 هل رأيت ربك؟ قال:...

٣. القمي باسناد متصل عن علي بن موسى الرضا Δ في الحديث.

٤. كما في أحاديث عدة، مثل ما مضى عن الصادق Δ في جواب أبي بصير عن قوله: كم عرج برسول الله 3؟ فقال: مرتين.

قد وجي ﴿عندها جنة المأوى﴾ ان سدرة المنتهى فوقها، أو تحيط بها، وإلاّ فلماذا لم يقل ﴿عند الجنة المأوى﴾.. فهذه العندية توجي تماماً بما استوحيناه.

قد وصل الرسول 3وهو حي لم يمت، وصل إلى أشرف وأعلى من الجنة المأوى، وهنالك سلبت إلاّ مقام صاحب المعراج، إذ تركه صاحبه جبرئيل على ظهر سدرة المنتهى قائلاً: ﴿يا محمد! إن هذا موقفي الذي وضعني الله عزوجل فيه، ولك أشهر على أن أتقدمه، ولكن طمس لأنت أملك إلى السدرة فقف عندها، فتقدم رسول الله 3وتخلف جبرئيل 3وقال: ﴿تقدم يا رسول الله 3سلبت لي أن أجوز هذا المكان ولو دنوت أنملة لاحترقت﴾[٢]

وقد تلمح ﴿آية أخرى﴾ ان هناك مقاماً فوق السدرة عله العرش، أو حجب النور، أوهما واحد[٣] فالرؤية الثانية كانت عند السدرة بين الزلفة، في

---

١ . علل الشرايع باسناده الى حبيب السجستاني قال قال أبو جعفر Δ : يا حبيب «ولقد رآه نزلة أخرى. عند سدرة المنتهى. عندها جنة المأوى» يعني عندها وافى به جبرئيل حين صعد الى السماء فلما انتهى الى محل السدرة وقف جبرئيل دونها وقال: يا محمد!...

وفي بصائر الدرجات عن الصادق Δ حتى انتهى الى سدرة المنتهى فقالت السدرة: ما جازني مخلوق قبلك.

وفي تفسير القمي اسماعيل الجعفي عن أبي جعفر Δ قال: فلما انتهى به الى سدرة المنتهى تخلف عنه جبرئيل Δ فقال رسول الله 3 في هذا الموضع تخذلني؟ فقال: تقدم أمامك، فوالله لقد بلغت مبلغاً لم يبلغه خلق من خلق الله قبلك فرأيت من نور ربي وحال بيني و بين السبحة، قلت: وما السبحة جعلت فداك؟ فأومى بوجهه الى الأرض وأومى بيده الى السماء وهو يقول: جلال ربي ثلاث مرات.

أقول: عل السبحة هي تنزهه تعالى عن المكان. فاللامكان حال بينه و بين ربه، أي لم يبق فصل وحجاب الاحجاب الذات اللامكان.

٢ . المناقب عن ابن عباس في حديث المعراج: فلما بلغ الى سدرة المنتهى وانتهى الى الحجب...

٣ . نور الثقلين ٣: ٩٩ عن توحيد الصدوق عن الامام موسى بن جعفر Δ سئل: لأي علة عرج الله عزوجل نبيه اى السماء ومنها الى سدرة المنتهى ومنها الى حجب النور و خاطبه و ناجاه هناك» أقول فالعرش في حديث آخر لغيرعرش المعرفة و منتهاها لغير الله.

إذاً نزل هذه الرؤية، فليس فوقها مقام أعلى حتى ينزل منها إلى السدرة، ولكي تتحقق الرؤية الثانية في النزلة عند السدرة، وكما يروى عن صاحب السدرة: ﴿فلما جاوزت السدرة انتهيت إلى عرش رب العالمين جل جلاله﴾[1] وقد ﴿على فاستعلى فكان منه سدرة المنتهى وكان من ربه قاب قوسين أو أدنى﴾[2].

هذا، ولكنا الأعلى هذا فلا يطلب وحياً ورؤية أعلى، فإنها موقفية وفي المكلة، لا شرف للمكان فقط، أو أن تلقّي الوحي وإدراك الرؤية، إنما كان عند النزلة، إذ إنه 3 في النزلة كان في واقع الرؤية ولمّا يدركها، لأنه نفى عن كونه وكيله عاقل في مقام أو أدنى، ثم عند النزلة رأى الرؤية، إنما كان عند النزلة، إذ إنه 3 في النزلة كان في واقع الرؤية ولمّا يدركها، لأنه نفى عن كونه وكيله عاقل في مقام أو أدنى، ثم عند النزلة رأى الرؤية، وتلقى الوحي أم أوحي إليه فيهما، وكما أوحي في سائر المنازلات.[3]

ثم ما هي سدرة المنتهى؟ هل هي فقط المكان الأعلى فوق السماء السابعة العليا؟ فبمجرد أنه مكان للمذاكر يسمح ليس لي ولا لأحد من سوى رسول الله 3 يدنوا منها! فلابد أن تكون مكانة عليا، وإن كانت في مكان أعلى فإن عندها جنة المأوى، فهل نقول أن الجنة إليها مكاناً ولا مكانة.

ولأن الرؤية الموقفية لاحت عندها، وليس هذه الرؤية مكان، فلتكن مكانة

---

١. الخصال للصدوق عن علي Δ أن الرسول 3 قال في وصيته له Δ: يا علي: اني رأيت اسمك مقروناً باسمي في أربعة مواطن فأنست بالنظر اليه ـ الى قوله ـ فلما انتهيت الى سدرة المنتهى وجدت مكتوباً عليها: اني انا الله لا إله إلا أنا وحدي، محمد صفوتي من خلقي، أيدته بوزيره، فقلت جبرئيل: من وزيري؟ فقال: علي بن أبي طالب Δ فلما جاوزت السدرة انتهيت الى عرش رب العالمين جل جلاله.

٢. الاحتجاج للطبرسي حديث طويل عن الامام زين العابدين علي بن الحسين Δ: أنا ابن من على..

٣. كما يدل عليه الحديث رقم (١) «ومنها الى حجب النور وخاطبه وناجاه هناك».

فيها تنكشف الحجب، فينتهي مقام ﴿فأوحى﴾ فعلى ﴿ما أوحى إلى عبده ما أوحى﴾.

نجد هنا تجلياً تاماً بين ما يطلب موقف المدرة، وما تعنيه آية المدرة.

فالمدرة واحدة المدر، وهي قطعة منه، من سدر البعير: لم يكد يبصر، والبعير يسدر من شدة الحر، والسادر المتحير، والمدر: إدبار البصر وتحيره، وكل هذه تجمعها صيغة واحدة: السدر والمدر، سميت بها شجرة المدر لكثرة غصونها في الاستظلال بسعة أوراقها، فهي من شجر الجنة: ﴿وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود﴾(٥٦: ٢٨).

وعلى أن ورقها ظل ظلاً وسطاً، ونقل عن ابن عباس مقام النبي بسدرة المنتهى: منتهى المدرة: منتهى السدرة والحجاب عما سوى الله، وغاية الزلفة عن أدراجها، وإنما سميت المنتهى لملك، ولأنها منتهى علم الملائق، ثم ليس لأحد وراءها علم، فإنه من الغيب المخصوص بالله، فلما ستر وتحجب في ذلك المقام عن سوى الله، رأى الله ببصيرة صافية دون حجاب، اللهم إلا حجاب الملك، وعلى أن المدرة ـ كذلك ـ هي البصرة، فصح للرسول 3 في منتهى البصرة لما وصل إلى منتهى الطرقة الإلهية الممكنة له دون من سواه، فاحتجب عن سوى الله، فاخترق الحجب بينه وبينه وبين الله: احتجب حتى عن نفسه فعلى، بهذا احتجب عن بصره إذ في ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾. فأوحى إلى عبده ما أوحى ﴿وعلى حد الرؤية عن صاحب المدرة: ﴿انتهت إلى سدرة المنتهى وإذا الورقة منها تظل أمة من الأمم فكنت من ربي كقاب قوسين أو أدنى ﴿ إذاً فأوراقها تظل وتحجب كافة الأمم فكنت من كائنات العلم، وقد استظل صاحب المدرة في ظلها واحتجب عن الكائنات كلها.

---

١. القمي حدثني أبي عن ابن إبي عمير عن هشام عن أبي عبدالله 3 قال قال النبي 3:

وأخرى منها ما في رواية أخرى: ﴿إن الورقة منها على الدنيا ﴾[1] فإذا ورقة منها على الدنيا، فلو أنها كلها على الآخرة والدنيا، دون أن تبقى خلاءً لأحد على الله للقسة!

و ﴿عند هاجة اللأى ﴾ضريحة على كونها فوق السماء السابعة، محيطة بها، فجلب الآيتين الطريحتين أن سعة الجنة سعة السماوات والأرض: ﴿سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض ﴾ (٣: ١٣٣) ﴿... كعرض السماء والأرض ﴾ (٥٧: ٢١) فيقط سؤال: إذا كان عرض الجنة السماوات والأرض فأين النار؟ وبما أن الجنة الآن موجودة فلتكن السماوات والأرض الآن كلاهما الجنة؟ فإن آية السدرة تجيب عنهما: إن الجنة اللأى هي عند سدرة المنتهى، فوق السماء السابعة وتحت العرش، فلتكن النار تحتها، ثم لا جنة الآن في هذه السماوات والأرض! إلا الأرزخية الأولى البرزخ، وليست هي جنة اللأى.

«إذ يغشى السدرة ما يغشى» فهناك السدرة مغشية كما هي غاشية، مغشية بحجاب الله للقسة الإلهية، وغاشية كل ما سوى الله للقسة وعلى الملك، فكما السدرة خرق كل الحجب بينه وبين الله، كذلك لم تبق مكشوفة دون حجاب، وإنما غشيها ما يغشى: الله للقسة الإلهية التي تغشى دوماً دون ذاتها.

فهناك في مقام الدنو لم يبق أيُّ حجاب إلا خرقها السدرة، اللهم إلا حجاب الله، الذاتية دوماً أمام الطارقين ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى ﴾[2] وفهم ما يشد الشاعر الفارسي عن هذه الحالة المواجية:

خيمهٔ برون زد زحدود و جهات پرده او شد تُتُق نور ذات

---

١. قرب الاسناد للحميري باسناده الى إبي عبدالله 3 عن أبيه عن جده قال قال رسول الله 3...
٢. القمي في تفسيره قال Δ: لما رفع الحجاب بينه وبين رسول الله 3 غشي نور السدرة.

تيرگى هستى از او دور گشت　　پردگى پرده آن نور گشت

كيست كز آن پرده شود پرده ساز　　زمزمه اى گويد از آن پرده باز

و يقول آخر:

نور آن دين كه مبيت حلش بود　　نار در چشم و چشش دوشش بود

فلقد أصبح كلمعبراً وحياداً دون زيغ ولا غواية فيما رأى:

في هذا المقام حصل له من الرؤية ما لم يحصل لأحد من الخلق، ولا لجبرائيل ولسرافيل، إذ ﴿لي بينهما وبين الله﴾ أربعة حجب: حجاب من نور و حجاب من ظلمة وحجاب من الغمامة وحجاب من الماء ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾.

فالبصر ما زاغ لم يلو عن جهة البصر إلى غيره ميلاً يستدل عليه به لاشتباه شيء بشيء فيما رآه، وما طغى: أن يجاوز المبصر و يرتفع عنه، فيكون مخطئاً لإدراكه، ومتجاوزاً لمكانه، فلم يقصر البصر عن الشيء فيقع دونه، ولم يزد عليه فيقع وراءه، ولم يتجاوز الحد المحدود في عمله: أن يبصر الليل أو يحاول في إبصاره أو أن يتعدى بعض الآيات الكبرى إلى كلها، وإنما ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ فـ﴿من﴾ توحي بالتبعيض، كما وأن ﴿ربه﴾ يلمح

---

١ . تفسير القمي بسند عن الصادق Δ حديث المعراج الطويل، فحجاب النور هو حجاب ذات الألوهية، وحجاب الظلمة ظلمة المحدودية والإمكان فيهما كما في الكائنات كلها، الا من دنى فتدلى، وحجاب الماء و الغمامة، عليهما حاجيات الحياة، التي تناساها صاحب المعراج كما تناسى نفسه.

بأنها الآيات الكبرى الرباني، فطيفة الجامعة هنا ﴿وقال محمد 3 يصره من آيات ربه الكبرى﴾ كما قال بصيرته ربه سبحانه وتعالى.

و لذا كانت الآيات الآفاقية الكبرى مشوقة لما رآه صاحب المعراج، فأتى بالآيات الأنفسية: الكروبيين الكرام، وأنبياء الله العظام وأولياءهم أن يكونوا ممن رآهم في المعراج، وكما وردت بذلك كله أحاديثنا.[٢]

«أَ فَرَأَيْتُمُ اللاّتَ وَ الْعُزّى. وَ مَناةَ الثّالِثَةَ الْأُخْرى. أَ لَكُمُ الذّكَرُ وَ لَهُ الْأُنْثى. تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضيزى.» (٥٣: ١٢)

فلما أظلمها قسمة بينهم وبين الله، أن أريهم الرؤية للملائكة بنات، ولكن الله تعالى لا يرى، مهما اختلفت الرؤيتان جهراً وعبرة، أو أن لهم الكر وله الأنثى، إذ يجعلون لله ما يكرهون، ولهم ما يحبون ﴿تلك﴾ القسمة في الرؤية وفي

---

١ . علل الشرايع للصدوق باسناده الى حبيب السجستاني عن أبي جعفر Δ في حديث طويل...

٢ . الصدر باسناده الى حفص بن غياث أو غيره قال سألت أبا عبدالله Δ عن هذه الآية- قال: رأى جبرئيل على ساقه الدر مثل القطر على البقل، له ستمائة جناح قد ملأ ما بين السماء والأرض، واخرج مثله أبو الشيخ عن ابن مسعود (الدر المنثور ٦: ١٢٥). أقول وهذه صورته الحقيقية الملكوتية.
وفي التوحيد للصدوق عن علي Δ في الآية: «رأى جبرئيل في صورته مرتين هذه المرة و مرة أخرى، وذلك أن خلق جبرئيل عظيم فهو من الروحانيين الذين لايدرك خلقهم إلا رب العالمين.
وفي أحاديث عدة أنه 3 أري النبيون Δ أجمع فصلى بهم و سألهم عن أشياء كما قال الله: «واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلة يعبدون» كما رواه فيمن رواه القمي في تفسيره بسنده عن ابي عبدالله Δ.
وفي تفسير القمي باسناده الى ابي بردة الأسمى قال: سمعت رسول الله 3 يقول لعلي يا علي! إن الله اشهدك معي في سبع مواطن، اما اول ذلك فليلة اسري بي إلى السماء قال لي جبرئيل: اين اخوك؟ فقلت: خلفته ورائي، قال: ادع الله فليأتك به، فدعوت الله وإذاً بمثالك معي، الى قوله: واما السادس لما أسري بي الى السماء جمع الله لي النبيين فصليت بهم ومثالك خلفي، وفي أصول الكافي بسند متصل عن أبي جعفر Δ قال: كان أميرالمؤمنين Δ يقول: ما لله عزجل آية هي اكبر مني، اقول: يعني بعد النبي 3 فحين راى من آيات ربه الكبرى فعلي Δ من اكبر آيات الله، فليكن مثاله الحقيقي مما رآه 3 مع امثلة سائر النبيين وسائر الكروبيين، واحاديثنا متظافرة أن علياً Δ كان ممن رآه انبي ليلة المعراج.

الكوكب والأفول ﴿إذاً قسمة ضيزى ﴿ظالمة جائرة، فإن ضلال يعني جار وظلم.

فإذ قد تبين أنهم آلهتكم، فلماذا تفارون الرسول إذ يقول: رأيت ربي بقلبي، ولو أن الرؤية المعلق فيها كانت رؤية بصر لي، لانتفت الصلة بينها وبين رؤيتهم أربابهم، فتجعل هنا وهناك بمجال رؤية رب الأرباب، دون الملائكة وأربابهم!

وهذه الأرباب: الأصنام الملائكة، كانت كأن لها الزعامتين معبوداتهم، وعلَّها ــ كما يظن ــ كانت تقاتل عن الملائكة التي اعتبروهم بنات الله واتخذوا يعبدون تماثيلهم، وكما توحي به ﴿ألكم الذكر وله الأنثى ﴿ إذ لا صلة لها بالإناث والأنثى و منذ الثالثة الأخرى، إلا إذا كانت تقاتل لها يعبدونها، إذاً فلها صلة بأسطورة أنوثة الملائكة، وكما يلمح من أنوثة هذه الأصنام أيضاً.

ثم الأخرى في منذ الثالثة الأخرى، علَّها صفة ذم كما في أمثالها، أي: منذ الآلهة الثالثة الذليلة المتأخرة في المعبودية، إذ كانت الأصنام طبقات كما كانوا هم طبقات طبقية عارمة في العابدين والمعبودين.

«إِنْ هِيَ إِلاّ أَسْماءٌ سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ ما أَنْزَلَ اللّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَ ما تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَ لَقَدْ جاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدى»(٥٣:٢٣)

إنَّ هذه الأسماء سلبت تحتها من معاني الألوهية شيء، لا أصالة: أن تكون آلهة مستقلين، ولا وكالة أن ينزل الله بها من سلطان، فتكون آلهة موكَّلين، وهم لا يتبعون في هذه التسميات إلا الظن: كل وهم أسطوري لا يملك أي برهان، ﴿ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴿وهم يعقدونها إلى الهوى، و إنما تهوديهم ظنونهم وما تهوى الأنفس.

أسئلة مطروحة حول:

الغزوة المعراجية المحمدية و مركبتها العجيبة

الرحلة الفضائية فى نطاق العلم: فى عمق الزمان

و المكان:

ترى هل كانت الرحلة بالروح الفسية المحمدية دون جسم؟ كما توهّمها بعض! أو جسمياً دون روح؟ كما خصّها آخرون! أو بكلا الجسم والروح كما يقول الله: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ۞ في الإسراء، و ﴿ما زاغ البصر ۞ و ﴿صاحبكم وما غوى ۞ فأوحى إلى عبده ۞ كما هنا في النجم، فيا ترى إن الرسول ﷺ صاحبنا بعضه؟ أم روحه وجسمه؟ أو أن ﴿عبده ۞ هو روحه فقط أو جسمه؟ فلماذا لم يقل: روح عبدنا أو جسمه؟ وإنما ﴿بعبده ۞ المثالي كليهما، أو أن البصر المنفي عنه الزيغ والطغيان في السدرة، هو بصر الروح؟ وليس الإبصيرة! أو بصر الجسم بلا روح؟ وهو ميت لا يبصر! أم كيف رأى ربه بنور اليقين عند السدرة التي عندها الجنة بجسم بلا روح، أو روح بلا جسم! وهي نوماً في سدرة المنتهى و قد رأى هناك من آيات ربه الكبرى بصره وهو في جسمه كما رآه هو بصيرته وهي قلبه، فإنما المعراج بكلي الروح والجسم.

فما روي عن عائشة: ﴿ما فقدت جسد رسول الله ﷺ ولكن الله أسرى بروحه ۞ يخرس هذه الآيات من عدة جهات، وأنه ﷺ نفى بها بعد الهجرة زمان، وكان الإسراء بمكة قبل الهجرة زمان من المسجد الحرام. كلا إذا ولا ذاك، وإنما عرج النبي بكله، وكما كان في الأقصى، أسري به من المسجد الحرام

١. الد المنثور: أخرجه ابن اسحاق وابن جرير عن عائشة قالت:...

إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به من الأقصى إلى أقصى السماوات وإلى سدرة المنتهى وما فوقها! لو لم تقصد من الأقصى أقصاها[1].

وعلى ما يرى لم يتسنى للمعراج ذهاباً وإياباً ووقفه هناك إلا زهاء تلك الليلة وبعضه أربع ساعات، فإن البليارات البليارات من السنين المضوئية لاجتياز فوق السماوات وإن أربع ساعات، فهل إن العلم يتحمل تصوره فضلاً عن تصديقه؟!..

أقول: المعراج، حسب المستفاد من آيات الإسراء والنجم في وجه[2]، له رحلتان: الرحلة الأرضية، والرحلة الفضائية في العرش، فالأولى هي سري النبي 3من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى: المسجد الأقصى في السماء والثانية عروجه من المسجد هذا الأقصى إلى أقصى الآفاق، وكما يومي بهما أيضاً ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ﴾ ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾ ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ ﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ﴾ ﴿عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ ﴿وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ﴾ ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾ ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾ ﴿أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ﴾ ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ﴾ ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ﴾ ﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾.

ثم لا ريب أن الرحلة الفضائية المعراجية بمقطعاتها وخلفياتها، أنها من المعجزات، ورغم عجز العلم عن تحقق عملية الإعجاز وعن فهمها أيضاً، فمن الثابت أن المعجزة لا تنافي العلم، قد يضرها العلم، وقد يعجز عن تفسيرها، إلا أنه لا يُحيلها، فإن الآية المعجزة ليست لتخرج و تبطل قوانين الكونية ـ ما وصل العلم إليها وما لم يصل ـ وإنما تخرق، طلّة عليها، لأسبابها الخفية، ومن

---

١. بحارالانوار ج ١٨ الطبعة الحديثة ص ٣٣٩ من الاحتجاج للطبرسي عن عليΔ قال: «لقد اسري برسول الله من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى في اقل من ثلث ليلة» اقول: لايعني انه وقت المعراج الارضي فحسب، وانما المدة التي شغلته حتى رجع الى مكة، وقد يُعنى من المسجد الاقصى ـ وهو أقصى المساجد و أبعدها الى المسجد الحرام ـ قد يعنى المسجد الذي هو في سدرة المنتهي، فليس الذي في القدس هو الأقصى وانما مسجد الكوفة، وان سمي أقصي فعلها لكونه مواجهاً للأقصى الذي في السدرة.

٢. أن يكون المسجد الأقصى هو الذي في القدس.

تأثيرها، وزمن الحصول على مفعولها لحد يعجز عنها من سوى الله، إلا من يجريها الله على يديه أو بسببه أم ماذا.. كآية تدل على أنه رسول من الله.

فالآية المعجزة ليست الا أسباب، أو بما تقدر عن التسبب، وإنما بأسباب خفية عن العلم، أو ظاهرة له بعيدة عن القدرة غير الإلهية، أو أنها بإرادة مسبب الأسباب، دون أسباب تؤدّيها، فليس إذاً بإمكاننا تحليل عواملها، مهما تمكنا من تحليل كيفية وقوعها، أو إمكانيتها علمياً، وقد لا نتمكن من الحصول على الإمكانية العلمية، ولكن هذا ليدل على عدم الإمكانية الواقعية أو العقلية.

لقد كانت الهيئة البطليموسية تحلي الموج الجسماني باستدارته الخرق والإلتيام، إذ كانت تعتبر الأرض مركز الكون، والفضاء الخارجي أفلاكاً جامدة مركبة من طبقات تسع، سبعة منها مدارات خاصة للسيارات السبع التي تحتفظ داخلها كما تحتفظ الكرة على صفحة الزجاج، وأما الفلك الثامن فكان مسرحاً للنجوم الثوابت، بينما كان الفلك التاسع خالياً عن النجوم.

فحسب هذه الهيئة تتكون الأفلاك التسعة على الشكلية الكلية كالزجاج: لا تقبل الخرق والإلتيام.

ولقد عُرِفت هذه الهيئة بأطوارها منذ زمن بعيد بالتلفيقات القرآنية والعلمية معاً، ثم خلّفها بعض الطرق في غزو الفضاء، إذ ما كانت تخرق سرعة أكثر من مائتي كم في الساعة، وغزو الفضاء يطلب سرعة لا أقل من حدود ١١ ك م في الثانية، حتى تسهل اختراع الأغلفة المختلفة التي تحافظ على طاقات وصواريخ تتيسر بسرعة ١١ ك م في الثانية.

ثم بقيت هناك في السرعة المواجية مشاكل تحول دون تحقيقها علمياً، كمشكلة السرعة والحرارة، فالسرعة ـ ولا سيما الخارقة المواجية ـ تخلق حرارة تتلسها لحد تضج المركبة كأنها الحرارة نفسها، وفي الفترة التي لا يبقى في عنصر كفضاء، وكذلك تحطم بالشهب والنيازك النارية، وبنيازك الهواء

تصها، فالركبة المواجية إضافة إلى تبطابجرارة فوق الصور، تخف بيليارات ن فاخفت النيارك النهاية، والمواتية، مما تقل عن حركها و تعوق دون سرعتها وتعجزها في طريقها، فهذه من ناحية.

ومن جهة أخرى، فإن الغاية النسبية لأينشتين تفيد: أن أقصى سرعة ممكنة في الكون هي سرعة الضوء: ٣٠٠٠٠٠ كم في الثانية[1] ويعرض هو ويغره على ذلك برهين علمية: أن أي جسم لا يستطيع أن يبلغ في سرعته سرعة الضوء، لأن يتبدل ضوء.[2]

فلفرض أن جسم النبي في السرعة المواجية أصبح ضوءً، إلا أن لبع ساعات: التي قدرت السوة المواجية، لاتكفي إلا لاجتياز ٧٣٢٠٠٠٠٠٠ كـم التي لا توصله إلى آخر الكواكب من المجموعة الأقرب الشمسية ☉ المجرة الأقرب، وهو (بلوتو) حيث تفصل عن الأرض ٥٥٥ ساعات ضوئية، في حين أن قطر البصر من ملايين المجرات في السماء الأولى ــ فقط ــ ملايين من الملايين الضوئية! وبعض نجومها تبعد عنا أكثر من بليون سنة ضوئية! فقط السماء الأولى ــ سماء الأعين ــ بليارات بليارات من الملايين الضوئية، فكيف بالسماوات الست الأخرى!

---

١ . يقول انيشتين: «ان كتلة تصور مجموعة من الأجسام يمكن ان يعتبر دليلا على مقدار طاقتها، وعلى ذلك يصبح قانون بقاء كتلة مجموعة ما مطابقاً لقانون بقاء الطاقة للمجموعة نفسها» (النظر النسبية الخاصة والعامة لألبرت انيشتين ـ ترجمة دكتور رمسيس شحاته ص ٤٨).
ويقول: «ان طاقة الحركة هو لنقطة مادية تتحرك لم يحددها المقدار المعروف ك ع ٧ / ٧ بل يعبر عنها بالتعبير ك ح ٣ / ع ٣ / ح ٢ وهذا المقدار يقترب مما لا نهاية له كلما اقتربت السرعة ـ ع ـ من سرعة الضوء ـ ح ـ و على ذلك يجب ان تظل السرعة دائماً أقل من ـ ح ـ مهما كبرت العجلة» (المصدر ص ٤٦) والنتيجة ان: أي جسم مادي لايمكن ان يساوي في سرعته سرعة الضوء. (الفرقان ـ م ٢٧)

٢ . يقول لينكن بارنت «ان اي جسم يبدو انه يفقد طوله كلما اقتربت سرعته من سرعة الضوء فانه يفقد طوله بمقدار ٠/٠٩٠ ثم يزداد النقص بشكل أسع حتى اذا وصل الجسم الى سرعة الضوء فانه لن يبق له جسم طولى بتاتاً.

إلا أن الفائدة الضوئية ما لبثت كثيراً إلا وقد نسفت، إلا: بما يلتي من إمكانية تحقق هذه السرعة وأكثر دون تبذل بالضوء، على ضوء تقدم الطائفات في المركبات الفضائية، كما يقول بعض العلماء، وأن الوصول بين النجوم ليست فيها المواد لو لبقي، فإنها خلال لا تغلغ و تبقى المير هناك لا تحمل حرارة زائدة كذلك.

و ثانياً بأمواج الجاذبية، إذ يفترض العلماء أن بإمكان أمواج الجاذبية أن تقطع المسافات من دون أن تستغرق أي وقت من الزمان.

يقول «كوركو» بإمكان أمواج الجاذبية قطع المسافات التي تقل بآلاف الملايين من السنين الضوئية في لحظة واحدة، فلو أن مجرة في آخر الكون تبعد إلى أمواج، فإن الجاذبية المتعلقة في الكون تغير من مواقعها فوراً، وهكذا يكون رد الفعل للجاذبية بلا زمن، ولو أن رد الفعل الجاذبي كان يحتاج في قطع المسافات إلى الزمان، لكانت نتيجة تبدل المجرة السابقة المكونة لأمواج تؤدي إلى تغير كافة المجرات أيضاً، والتبدل إلى أمواج، وذلك يعني المسافات الحقيقية التي تقع في الكون بين المجرات.[1]

فهذه السرعة ـ إذاً ـ تفوق السرعة الضوئية، وإذا كانت أمواج الجاذبية تفعل هذه السرعة دون زمن، فإن الجاذبية المحدثة 3 وفي معجزة إلهية لا تفعل سرعة أقل منها، أن يتم مواجه موجّاً في أربع ساعات؟!.

مع الغض عن ذلك أيضاً، نفترض أن سير الموج يطلب أنهراً أن يتباطأ النبي في سيره أقل من الجاذبية بكثير حتى يطلب زماناً طويلاً، إلاّ أن الثابت قرآنياً، ومن ثم علمياً أحد ما: أن الزمان خارج مظلومتنا يختلف تماماً عن زماننا، فقد يكون شهر من الزمان هنيه خارج المظلومة، لا يساوي إلا ثانية بالنسبة

---

١. محمد نبي يجب معرفته من جديد) ويعتقد العلماء ان سرعة الابتعاد تتناسب طردياً مع مقدار بعدها عنا، فكلما كانت المجرة أبعد كانت سرعة ابتعادها أكثر.

توقيت أرضنا، وذلك لاختلاف الأوضاع والمواقع في مختلف المقاومات والمجرات، كما وأن لكلٍّ من كوكب مقاومتا أيضاً قوانين خاصة.

إذاً فمشكلة السرعة و الزمان، وهما أمَّ المشاكل في هذه الرحلة الفضائية، إنهما شغلتا بأبي العلم، فضلاً عن مشاكل أخرى هي دونها فأكثر شغلاً.

مشكلة الحرارة:

اختلاف درجات الحرارة في مختلف طبقات الجوّ، إضافة إلى حرارة فوق الصور، تخلّقها السرعة الواجبة[1] بين الضوء والجاذبية، إنها تشكل خطراً على حياة صاحب المواجز، لا فحسب، بل فيتحول طاقة بين النور والجاذبية حتى يتمكن من هذه السفرة الفضائية.

وأوّل ما يحدد هذه الحرارة الخارقة هو القوة الإلهية التي تجلى التلر رداً وسلاماً على إبراهيم، إضافة إلى أن محمداً 3 ركب مركبة مخلّقة فيها كل المعدات تلك السفرة العجيبة ــ علَّة: الرقي، على حدّ ما سمعناها، وقد تدل أوصافها الروية على هذه الإعدادات، التي لا تتيسر لك سوى لله، ولأنها معجزة لله و كما أثرنا مسبقاً أن أهم ما يزيد في درجة حرارة الركبة هو الأصطدام بالفضاء، فوجود اللاء في مسيرها بإرادة لله، يلغي مشكلة الحرارة، و كما يلغي مشكلة السرعة الخارقة التي تطلبها الرحلة المواجبة، فعلى غرض اللاء في مسيرها، وأنها تتجنب بجاذبية القوة الإلهية، و معدَّة بجهازات مكافحة، تُنفى كافة العوائق الضرر المصورة، دون الرحلة المواجبة.

إن للمسير اللاأيساعد بآلف الأضعاف على سرعة الركبة، والحفاظ على وقتها الحرالي، وهذا اللاءُ موجود فعلاً في الكواكب، وكما يقول بعض العلماء

---

١ . فإن السرعة من أهم لعوامل لايجاد الحرارة، لحد تجعل من الجسم أبسط الذرات (ئيدروجين) لكلي الحرارة الزائدة.

بأن المركبات الجوية وصواريخها سوف تتمكن أن تسرع زهاء سرعة النور ومافوقها بحدٍّ تتمكن أن تحول عن القضاء المسلحة ﴿١﴾.

فإذ يتمكن الإنسان المغلوب أن يصنع مركبات هكذا، فلماذا عن يخلق الإنسان الغني الغني!.

ولا بأس هنا باستيطان بقية المشاكل المشروحة وجيزة كالتالي:

مشكلة الجاذبية:

هذه المشكلة إنما هي بالنسبة لما يسرع أقل من ثمانية كم في الثانية سرعة دوران الأرض حول محورها، وإذ تخطا المركبات البشرية هذه المشكلة، بما تسرع أكثر من ٨ كم فصاعدا على المركبة الإلهية التي تسرع كأمواج الجاذبية أو دونها إضافة إلى تجانب آخر بين صاحب المعراج وبين سجله وظله.

كما و أن مشاكل: انعدام الوزن[٢] وتخلي الغلاف الجوي[٣] والمخلص من

---

١ . ماذا أعلم ـ تأليف Jean pelandini ص ١٣١: يقول: وان المفكر الاخصائي الشهير الالماني (دكتور اوجن سانكر) هكذا يتنبأ، ان مكانيك الطيران لصواريخ (يوني) او (فوتوني) مما يشهد لتغيير مفهوم المسافة والزمان والفضاء والسرعة.

ثم يستمر المؤلف قائلا: ان نظرية النسبية بالنسبة لصواريخ التي سوف تخرق الجو بسرعة الضوء او ما فوق الضوء، انها تجعلنا نفكر في تسخير عوالم جدد، فبموجب هذه النظرية نتأكد اننا سوف نجتاز مسافات بعيدة هي بالقياس الى أرضنا لا نهاية: بأن نعد الصاروخ بقدر خاص من المواد المحترقة المحركة، المناسبة للصاروخ، فنصل الى حدود الكون.

٢ . حيث الوزن هنا ليس الا نتيجة الجاذبية الأرضية، فالبعد الكثير عنها يفقد الوزن، ولكن المركبة العراجية تحل هذه المشكلة واحرى مما حلتها (ابولو) وغيرها.

٣ . يتشكل الغلاف الجوي من خليط من الغازات المحيطة بالارض، ويحدث فيه خلط مستمر للهواء نتيجة التيارات الصاعدة والهابطة، ويمتد غلاف الارض فيما وراء ٩٦٫٥ ك.م، ويعتبر هذا الغلاف الجوي للأرض المركب من عدة عناصر، بمنزلة مظلة واقية للارض من الشهب والنيازك النارية وسواهما، كما انه من موانع الرحلات الفضائية، لانه يؤدي الى الاحتراق لو لم تكن سرعة المركبة متوازية مكافحة، ولكن مركبة المعراج، فيها كافة المعدات والمكافحات!.

الشهب[١] واعلام الأوكسيجين[٢] والأشعة فوق البنفسجية، والأشعة السينية[٣] والأشعة الكونية[٤]، هذه الشلالات كلها تمحو و تتلف، بعد ما عرفنا المركبة المعراجية وراكبها، وجاذبها، ومحركها، وفوق كل ذلك القدرة الالهية اللامتناهية.

ومن ثم نخلص إلى إن المركبة المعراجية هي الجاذبة الإلهية، دون أية وسيلة؟ كما قد توحي بها آية الإسراء: ﴿أسرى بعبده﴾ وآيات النجم خلوصاً على الترجيح بأنّه مركبة تحمله، وإن لم تنفِ ما يدل على مركبة أخرى.

أو أنه جبرئيل أو ميكائيل وإسرافيل[٥] لحدٍ ما، إلى سدرة المنتهى، ثم منها إلى ما فوقها لم تكن إلاّ جاذبة وطبقة إلهية، كما لم يكن بينه وبين الله أحد حتى قصه في مقام التدلي؟.

أو أنه أولج الجاذبة بما قدر الله كما قد يشير إليها الحديث: ﴿فأتى

---

١ . و كما تكافح هذه المركبة بصلابة غلافها الشهب وما فوقها.

٢ . والاوكسيجين الضروري لصاحب المركبة موفرة في داخلها، وحينما يخرج صاحب المعراج فليس من الصعب ان يختصه الله بما يبقي حياته خارجاً عن المركبة، كما و ان المركبة ليست ضرورية لهذه وتلك كما قدمناه.

٣ . وأما الاشعة فوق البنفسجية وهي الاجزاء غير المرئية من أشعة الشمس، البالغة الخطورة، وكذلك الاشعة السينية (X) النابغة من الشمس أيضاً، هاتان الاشعتان مهما كانت أخطارهما، فليستا شيئاً يخب المركبة المعراجية، بعد أن تكافحهما المراكب الفضائية البشرية.

٤ . وهي لم تعرف مصدرها، وتكافح في أخطارها بما كافحتها المركبة المعراجية، فكل هذه المشاكل الست تنحل بعدما عرفنا مركبة المعراج وراكبها وجاذبها ومدى سيرها ـ والله أعلم.

٥ . نورالثقلين ٣: ٩٨ ـ ح ٦ ـ احتجاج الطبرسي عن ابن عباس عنه 3: وحملت على جناح جبرئيل.. وفيه عن الصادقΔ ان جبرئيل احتمل رسول الله 3 حتى أتى به الى مكان من السماء.. وفي تفسير العياشي عن أبي عبدالله Δ لما أسري بالنبي3 أتي بالبراق ومعه جبرئيل و ميكائيل واسرافيل... وفي تفسير القميΔ عنه Δ جاء جبرئيل و ميكائيل واسرافيل بالبراق الى رسول الله 3... اقول: والأحاديث في حمل جبرائيل اياه أكثر.

بالمعراج... فعرج به إلى السماوات سماءً سماءً ﴿ فوضع له مرقاة من ذهب و مرقاة من فضة وهذا المعراج حتى عرج به جبرئيل والنبي إلى السماء. فالمراد بالمرقاة الذهبية والفضية هي أمواج الجاذبية أو باب المعراج للسماوي: ﴿ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون ﴾(الحجر: ١٤-١٥): الباب التي عرج فيها الرسول 3 بالجاذبية التي عرج بها و معه جبرئيل، فهي مرقاة جبرئيل وأمثاله من عارجي السماء دوماً، لا فتح لغيرهم من العارجين.

أو أنه ﴿البراق﴾ في الرحلة الأولى من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم غيرها إلى السماوات[٢] أو أنه الحامل في رحلتيه[٣] إلى موقف جبرئيل في السماء، ثم عرج الرسول وحده بما عرج.

ثم ترى ما هي مواصفات البراق، التي تحمله عشرات الأحاديث؟ ولكي تتضح بها مشاكل المعراج نقفة أخرى:

(براق) اسم لم نعهده لأي حيوان أو آلية مركبة من صنع الإنسان؟ مما يلمح أنه مركبة سماوية و من صنع السماء، و ﴿قد بها جبرئيل من السماء ﴾[٤] ﴿خلق لأجله 3 وهما في جنة عدن فأسرته ﴾[٥].

كما ويتبين أنه من البرق، تدليلاً على كونه في لمعانه وسرعته كالرعد والبرق.

---

١. الر المنثور ٤: ١٥٦ ـ أخرجه ابن سعد وابن عساكر عن الواقدي عن أبي بكر بن عبدالله بن أبي سبرة وغيره من رجاله عن رسول الله 3.

٢. كالجاذبة الإلهية والمحمدية بما هيأة الله لها أم ماذا؟

٣. الدر المنثور ٤ : ١٤ عنه 3 «ثم أوتيت بدابة.. فحملت عليه فانطلق بي حتى أتى بي السماء..» وفي تفسير البرهان ٢ : ٤٠٢ عن الصادقΔ عنه 3 فلما صرت عليه (البراق) صعدت الى السماء.. وروءيت الجنة.

٤. الدر المنثور ٤ : ١٤٠ عنه 3: «فأتاني جبرئيل بدابة بيضاء...».

٥. تفسير البرهان ج ٤: ٤٠٥ عنه 3.

و من وظائفها التي تؤديها إلى أبواب الجنة أنه: «أَشَدُّ مِنْ 3 كما ضوء الشمس [1] فكان «شعاع كشعاع الشمس [2] و «لو أن الله تعالى أذن لملك الدنيا والآخرة في جرة واحدة [3] أو «كلمح البصر [4] لإمكانية السرعة القصوى لهذه الركبة المواجهة، ولو «كانت خطاه بمدّ بصره [5] فإذا كان مدى بصر الانسان بالعين العادية وهو الأجسام التي ترى في السماء الدنيا، آلافاً من السنين الضوئية، فما هو إذاً مدى بصر هذه الركبة المجيبة، التي كان «له عينان في رأسها [6] «يبلغ رؤية الأرض منهما وضعة جلية [7]

كما وأنها كانت مزودة بآليات موجية وضوئية مختلفة الألوان والكيف: إذ «كان فيها أربعون وعاءً من النور [8] «وكانت مزمومة بسبعين ألف زمام [9]: علّها الأزمة الموجية والضوئية أم ماذا؟! دون الأزمة الأخرى التي تزم بها الحيوان! فإن «جسمها كان بين جسم البغل والحمار [10] فلو أن برذون كان حيواناً، فليكن سبعين ألف ضعف حيوان، ويحتاج إلى زمام واحد؟

ثم هو «حلّى له ألف ألف لون من نور [11] و «عليه ألف ألف حلة من

---

١. الدر المنثور ٤ : ١٥٧ عنه 3...

٢. تفسير البرهان ٤ : ٤٠٤ ـ ابن الفارسي عنه 3...

٣. تفسير البرهان ٢: ٤٠٤ في صحيفة الرضا Δ قال رسول الله 3...

٤. في ٤٠٥ البرسى عن ابن عباس عنه 3 سأل جبرئيل ما سير هذه الدابة فقال: إن شئت أن تجوز بها السماوات السبع والارضين السبع فتقطع سبعين الف عام و سبعين الف مدة كلمح البصر.

٥. روضة الكافي عن الباقر Δ خطاه مد بصره ـ وفي ذلك روايات كثيرة.

٦. تفسير البرهان ٢ : ٤٠٠ عن العياشي عن الباقر Δ.

٧. البحار ج ١٨ ص ٣٥٧ نقلاً عن علل الشرائع.

٨. البحار ج ١٨ ص ٣٥٥.

٩. البحار ج ١٨ ص ٣٧٨ نقلا عن كتاب الخرائج و عن روضة الكافي عن الباقر Δ.

١٠. العياشي عن عبدالصمد بن شيبة قال ذكر عند ابي عبدالله Δ بدو الاذان ـ الى أن قال في قصة المعراج ـ : ثم وضع في محمل له الف الف لون من نور ثم صعد به حتى انتهى الى أبواب السماء...

نور ﴿.

و ﴿كانت له على وكر الطير ﴿[٢] مما يشير إلى أن التي صلى فيها ولم يركب عليها، فـ ﴿ركبها ﴿في جملة من أحاديثنا، تشير بالدخول فيها، وهكذا يجب أن تكون الركبة الواجبة، محفة تحافظ على صاحبها من عوادي وتطاولات هذه المسرعة الخارقة الجوية، ومع ملؤن محفة من نور!.

وقد تكون المحفات النورية في هذا المحل هي المحلات الوجيهة أو المطوية أم ماذا؟ التي تحافظ على علاقة الخارجي، وتشرع الركبة ـ علّها ـ للاتين أضعف سرعة الضوء أم ماذا؟ في ساعة واحدة أضيئية تتيسر هذه الركبة ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٨٠ر١ كيلومتراً وإذا كانت المساعة المطوية آلف أضعف المساعة الأضيئية، فإن المساعة التي جلتزها الركبة لساعة واحدة أضيئية آلف أضعف هذا العدد الهائل أم ماذا؟

وطالما يكون سير هذين سرعة الضوء وأولج الجاذبية، ليس علينا أن نقدر أي تقدير هذا المسير، فالعلم عند الله العلي القدير.

ومما يساعد على سرعتها أنها ﴿كانت لها جناحان يخوانها من خلقها ﴿[٣] ﴿واذنان مضطربتان ﴿[٤] فالجناحان للطيران، والاذنان للحفاظ على توازنها في المسير، أم ماذا؟ ﴿وفيها حلق وسلاسل كلما ارتفعت زلت ﴿وعلّها للعدة المناسبة لمحفظ الارتفاعات والأجواء.

---

١ . العياشي عن عبدالصمد.. سمعت أبا عبدالله∆ يقول جاء جبرئيل رسول الله بالبراق.. عليه الف الف محفة من نور...

٢ . سعد السعود ص ١٠٠ ـ ١٠١ و بحار الانوار ج ١٨ ص ٣١٧.

٣ . البحار ج ١٨ ص ٣٨٧ نقلا عن الخرائج.

٤ . روضة الكافي عن أبي جعفر∆ في وصف البراق: مضطرب الاذنين.

٥ . البحار ج ١٨ ص ٣٥٥.

ولقد كان فيها إذ دخلها النبي 3ملكان سلما عليه ورحبا به فأجاب ودعيا له 3ودعاهما ﷺ عليهما سائلها أم ماذا؟

فيا لها من مركبة مقطعة الغيظ، عجت بالرسول البشير النذير 3إن كان من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أو كان إلى السماوات المسجد الأقصى في أقصى الاحتمالات، إذ إن بإمكانها طي السماوات دنياً وبقي في جرية واحدة، طالما كانت الرحلة للحاجة مدّبرها.

وإنا لنقضي عجباً من صنعها وآيتها الوحيدة والفريدة! ترى أن شعاعاً كشعاع الشمس، وأربعون نوعاً من النور، وملايين لمن ومحقة من نور، وسبعون ألف زملاً، هذه العدة العجيبة التي نحملها، ألليس بالإمكان أن يعرج بمركبتها صاحب المعراج؟ وهو يملك أرقى من هذه الأدوات! وهو يعرج بإرادة الله! ألليس هذا بالحق؟ وهذا الإنسان المتغلب المتواني يعد نفسه سرعة أرقى من سرعة الضوء!

ثم لو أغضضنا النظر عن هذه المركبة وملحقاتها، فهذه الرحلة الفضائية، لو أغضت على العلم تحليلاً، فالقدرة اللاّنهائية لإلهية تحلّلها، مادامت خارجة عن الإستحالة الذاتية، وكما أن القرآن يذكر طرفاً من المعجزات الخارقة للعادة وغيرها من الآيات المعجزات، التي قد يعجز العلم عن تحليلها، دون أن يحيلها، فقد يحلّلها وقد لا يحيلها إذ لا يحيلها:

من ذلك عرش بلقيس، إذ أحضره الذي عنده علم من الكتاب: ﴿قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين.. قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي﴾(٢٧ : ٣٨ ـ ٤٠) وبما أن ارتداد الطرف يتحقق بأقل من ثانية، فقد ارتداده قد يكون أقل منها بكثير.

---

١. اليقين في امرة أمير المؤمنين ص ٨٣ ـ ٨٧.

فإذا كان بإمكان الذي عنده علم من الكتاب أن يبرع هكذا، فكيف الذي عنده علم الكتاب كله!

ثم وأهم من سير الشمس، سير اليوم الزمني في المعراج، كما شرحناه فيها، فواحد الزمن عند الله يعدل مسيرة خمسين ألف سنة، وهذا الواحد حسب الأرض هو المتناسب للحركة الأولى المادة الأم، ولعلّها أقل من ثانية بآلات اليوم، ثم الملايين الملايين من هذه الوحدات في بعض العوالم الأخرى، قد تكون بمقدار الواحد الأرضي، أن تمشي أنت في سوق عكاظ لتشهد، ولا يكون حسب الأرض إلا ثانية أو أقل، فالرحلة للمواجهة التي كانت زهاء أربع ساعات حسب الأرض وهي ١٤٤٠٠ ثانية إنها قد تكون ١٤٤٠٠ شهراً أو يزيد حسب العوالم، فإذا تسير الركبة المواجهة في كل آن من هذه الأشهر قدر خمسين ألف سنة، يصبح الموج أبطأ من سرعة أمواج الجاذبية، بملايين أضعاف ما تطلبه هذه المسافة.

فالاختلاف بين الزمن الأرضي وبين سواها من العوالم المعلومة شيء ثابت، قدر اختلاف موازين الحركات والأوضاع والمقادير المحكمة فيها.

وكما أن هناك بين الزمن الأرضي، أو الدنيوي عامة، اختلافاً عكسياً مع الزمن البرزخي، فقد يساوي عمر الحياة الإنسانية هنا ساعة من نهار أو بعض يوم أو يوماً أو عشرة أيام حسب زمن البرزخي، كما ستوجيه من آيات عدة[1].

وبعد كل ذلك، إذا كانت الركبات الفضائية والطوابير، تهدي بقيادات بشرية، من داخلها أو مركبات أخرى، أو من الأرض[2]، فالركبة تستشرف

---

١. راجع ج ٣٠ ص ١٠٣ «زمن لبث البرزخ».

٢. كالصاروخ الانكليزي «جيند يويك» jindivick فانها طائرة دون قائد، هي سرعتها ٨٠٠ ك. م في الساعة.

رحلتها الجوية كما يهديها قائدها في الأرض، وهي مصيبة في أهدافها المخططة المرسومة لها في الفيافي الأرضية، إذاً فما ظنك بالمركبة المواجية التي تقودها قدرة الله، خلال السماوات والأرض، التي تقود البلايين البلايين من المركبات الكوكبية، بمجراتها السماوية وبسرعات تفوق الزمن والمكان، كما في أمواج الجاذبية، تُرى أن جاذبية الخالق، وجاذبية وإعجاب محمد 3 ألفي من الجاذبية التي نحلّي على الزمن والمكان؟!

خلاصة عن الرحلة المعراجية:

هذه المركبة المواجية مزودة بما يكافح عوائق السرعة والحرارة والزمن وسواها، إضافة إلى أن مسيرها بإرادة الله، وبالطبع في النص من أجزائه هذا المسير خلو من الأجزاء المواتية، فالمصادفة المواتية التي تقلل من حركة المركبة وتزيد في حرارتها، هي عيبة في مسير هذه المركبة، وقد يكون مسيرها بسرعة زهاء سرعة أمواج الجاذبية، إضافة إلى اختلاف مقاييس الزمن بين الأرض والعوالم الأخرى، التي قد تطول شهراً من الزمن السماوي ثانية أرضية أو ألفي.

فهذه هي مركبة المعراج، وعلى أنّ مسيره كذلك يختلف عن سائر المسير بقدرة القدير المسير، فقد يكون باباً من السماء نفض هكذا عروج لا نفتح لغير صاحب المعراج، وقد نوحي له: ﴿ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون. لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ۝(١٥:١٥) فإنها البلبلة التي يفتعلها الله ﴿فتحنا ۝دون الاحتمال مهما بلغ من العلم! فالعروج فيه بمسير عقول الناكرين فيلجأون إلى خرافة السحر إن اجتازوا واقعه.

إذاً فلم تبق مشكلة علمية أمام سواها، تعوق الرحلة المواجية، فتشكك دون تصديقها، أو تكون حجة لغيره في تكذيبها.

القرآن وتسخير الفضاء

عشرات من آيات الله البيّنات توحي بإمكانية الرحلات الجوية وآفاقها، بين آونة بها بغية الإستطلاع على المملكة السماوية لازدياد المعرفة بالله، وبين مبشرة بإمكانية تحقق لو ضمت بحثاً عنها في طيات آياتها التي تحدث عنها، مما أذهلت البشرية وأقلقت الآمال في تغيير القضاء، فصبت تجاهد للوصول إلى هذه البغية منذ مئات من السنين فاختارت تتوجى منها، ومن مختلف أنواع الطير دروساً، تتابع على أثرها في محاولة بعيدة المدى، الرحلات المختلفة إلى أعماق الفضاء، وقد وفقت حتى الآن لشيء ما، بعد المطارات، فالطوابق، والمركبات والأقمار الصناعية التي تدور على سطح القمر، وتحاول الوصول إلى الكواكب الأبعد فالأبعد، واحدة تلو الأخرى.

فغزو الفضاء بشارة سماوية قبل أن تكون فكرة أو محاولة أرضية لو واقعاً منها، وكما ستبشرها من الآيات التالية:

﴿من آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير ﴾ (٤٢: ١٠) يعني جمع الوالب المبثة في الأرض والسماوات، إذا يشاء الله، و ﴿هم ﴾ توحي على أنها تقدير بل مجموعة من هذه الوالب عالمة من هنا وهناك، فهي تتحقق الجمعين لانسان الأرض و انسان السماء، وطبعاً بالغزو المتقابل.

وكما ورد في آيات غزو الفضاء: ﴿قل انظروا ماذا في السماوات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾ (١٠: ١٠١).

وليس مجال النظر المأمور به هو السماوات من بُعد فقط، حيث النظر اليها من قربها هو البالغ الأهمية في مجال المعرفة وإستحكام الايمان، مهما كان النظر من بعد علمياً كذلك مطلوبه.

وقد تدل آيه الزمر، على غزو الفضاء في أعماقها: ﴿وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون ﴾ (١٢: ١٠٥)، فالمرور،

ولاسيما بصيغة المضارعة: ﴿يرون﴾ ما يوحي غالباً أن البشرية ستظل الرؤية على الأجواء البعيدة، وآيات عظيمة في السماوات، كما في الأرض، مهما كان واقع الرؤية بين نزول الآية هو الرؤية البصري والقلبي من بُعد، ولكننا ـ حسب تنبُّؤ الآية ـ وصلنا الحدّ الرؤية على القرب، ثم سوف نرى على سائر الآيات والمكونات السماوية.

وقد مرّت وتمرّ عليكم آيات نحو القضاء في مجالاتها الأشمل والأرحب تفصيلاً.[1]

---

١ . وقد بحثنا حول ـ ضمن مابحثنا ـ في كتابنا ـ القرآن والعلوم التجريبية.

محمد3

يُنفى من مكة المكرمة

١

«وَ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَ يَمْكُرُونَ وَ يَمْكُرُ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْماكِرينَ»(٨: ٣٠)

ملك في دار الندوة، مجلس الشورى لطغاة قريش حيث اجتمع فيه أربعون منهم أو يزيدون، تشاوروا في أمر الرسول 3كيف يعالجون موقفه العلني صداً عن دعاياته المستمرة المتخاذلة المتجاذبين التي تزايد بالغ يشكل خطراً حاسماً على قلى الإشراك.

وحصيلة الآراء الأولى هي ثلاث: يثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ☯

ثم توافقت على ❁يقتلوك ☯ ثم التتبعة الحاسمة لذلك القصيم: ❁يخرجوك ☯

حيث نهد الله عما مكروه من قتلهم إياه فخرج إلى غار الثور وبات علي Δ على فراشه، ثم هاجر 3بعد ثلاثة أيام إلى المدينة.

وتلك الهجرة الهاجرة هي مفصلة التاريخين كل يتبين وتدبر عما فيها من خوارق عادات، حيث خرج أمام المهاجرين آخذاً بيده كفاً من تراب، رامياً إلى وجوههم بقوله: شاهت الوجوه ــ كما فعله في بدر الكبرى ــ متوجهاً إلى غار ثور، وحفاظاً عليه قطعاً لاحتمال كونه فيه رغم ظاهر الأثر من أقدامه المباركة دون العنكبوت أن يبدل ستاراً ضخماً على باب الغار مايخيّل إلى الناظر أنه تلبي سنين!

وهكذا ❁إن لا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ

مما في إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها.. ﴿٩: ٤٠﴾.

في ذلك المشهد الفذ لم يقطع الغيار إلا ما كان يخص النبي ﷺ من الرسول صاحبين بين أصحابه صلى الله عليه وآله ينام على فراشه ضحّياً بنفسه حفاظاً على نفس الرسول صلى الله عليه وآله لذلك الفضيلة وهو الإمام علي أمير المؤمنين ﷺ وقد نزلت بشأنه آية الشراء: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد﴾ ﴿٢: ٢٠٧﴾ بصورة مستقلة.

وصاحب صاحبه في الغار حالة الخوف من مكر المكر، ولا تنزل بشأنه إلا ﴿إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا.. ﴿٩: ٤٠﴾.

فقد باتت علي ﷺ على فراش الرسول صلى الله عليه وآله والغار هاجم، وصاحبه أبو بكر إلى الغار والغار ناجم، ثم نجد علياً ﷺ مقيماً بمكة لأداء الفضيلة دونما تخوف، ولا نجد صاحبه في الغار إلاّ مشفقاً ومعه الرسول صلى الله عليه وآله وقد يأتي نبأ الموقفين بين يأتي على تفسير آية الغار.

هنا الرسول صلى الله عليه وآله وعلي ﷺ يتعاقبان ولا يضحي علياً ﷺ إلاّ أن تسلم نفس الرسول صلى الله عليه وآله بهذه التضحية، وقد روي عنه نظم في ذلك النظم:

وقيت بنفسي خير من وطىء ... ومن طاف بالبيت العتيق والحجر الحصا

محمد لما خاف أن يمكروا به ... فوقّاه ربي ذو الجلال من المكر

وبت أراعيهم متى يسرون في ... وقد وطّنت نفسي على القتل والأسر

وبيت رسول الله في الغار آمنا هناك وفي حفظ الإله وفي ستر

أقام ثلاثاً ثم زمَّت ركائب لخبير بفوز الحظ أينما ثوى[1]

ولقد ظل الرسول 3والذين معه في أخريات سنيِّه بمكة أشد أيام الأذى بعد أبي طالب سبعين أيام، وتلاحموا على قلة بدار الندوة بدأت الهجرة المباركة بمؤامرة بشعة لخاطره الجريح وقلبه الجريح منذ دخوله الغار ﴿إن الله معنا﴾ ومن ثم ﴿وكأين من قرية هي أشد من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم﴾(٤٧:١٣).

ثم لما والذين هاجروا معه: ﴿والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون. الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾(١٦:٤٢).

ولكيلا يحزن على تلك الهجرات في هجرته المباركة ﴿يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون﴾(٢٩:٥٦) ﴿واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً﴾(٧٣:١٠).

لقد اجتمعت قريش في دار الندوة مرتين بين اجتماعاتهم الليلية، مما المتهاء مرة للمعاهدة على حصره 3والذين معه في شعب أبي طالب[2] وأخرى إلى

---

١ . قال عبيد الله بن أبي رافع وقد قال علي Δ يذكر مبيته على الفراش ومقام رسول الله 3 في الغار ثلاثاً.. وفي الدر المنثو بتفاوت يسير عن الحاكم عن علي بن الحسين عنه (عليهم السلام).

٢ . بحار الأنوار ١٩: ١ ـ ٤ ص : اجتمعت قريش في دار الندوة وكتبوا صحيفة بينهم ألا يواكلوا بني هاشم ولايكلموهم ولايبايعوهم ولايزوجوهم ولايتزوجوا إليهم ولا يحضروامعهم حتى يدفعوا إليهم محمداً 3 فيقتلونه وإنهم يد واحدة على محمد يقتلونه غيلة غيلة أو صراحاً، فلما بلغ ذلك أبا طالب

جمع بني هاشم ودخلوا الشعب وكانوا أربعين رجلاً فحلف لهم أبو طالب بالكعبة والحرم والركن والمقام إن شاكت محمداً شوكة لاثبتن عليكم يا بني هاشم و حصن الشعب وكان يحسه بالليل والنهار فإذا جاء الليل يقوم بالسيف عليه ورسول الله 3 مضطجع ثم يقيمه ويضجعه الجهد. وكائمن دخل مكة من العرب لايجسر أن يبيع من بني هاشم شيئاً و من باع منهم شيئاً انتهبوا ماله، وكان أبو جهل والعاص بن وائل السهمي والنضر بن الحارث بن كلدة وعقبة بن أبي معيط يخرجون إلى الطرقات التي تدخل مكة من رأوه معه مرة نهوه أن يبيع من بني هاشم شيئاً انتهبوا ماله، وكان أبو جهل والعاص بن وائل السهمي والنضر بن و من باع منهم شيئاً انتهبوا ماله، وكان أبوجهل والعاص بن وائل السهمي والنضر بن الحارث بن كلدة وعقبة بن أبي معيط يخرجون إلى الطرقات التي تدخل مكة من رأوه مرة نهوه أن يبيع من بني هاشم شيئا ويحذرون إن باع شيئاً منهم أن ينهبوا ماله و كانت خديجة رضي الله عنها لها مال كثير فأنفقته على رسول الله3 في الشعب، ولم يدخل في حلف الصحيفة مطعم بن عدي بن نوفل ابن عبدالمطلب بن عبد مناف وقال: هذا ظلم وختموا الصحيفة بأربعين خاتماً ختمها كل رجل من رؤساء قريش بخاتمه وعلقوها في الكعبة وتابعهم على ذلك أبو لهب وكان رسول الله3 يخرج في كل موسم فيدور على قبائل العرب فيقول لهم: تمنعون لي جانبي حتى أتلوا عليكم كتاب ربكم وثوابكم الجنة على الله وأبو لهب في أثره فيقول: لا تقبلوا منه فإنه ابن أخي وهو كذاب ساحر، فلم يزل هذا حالهم وبقوا في أثره فيقول: لا تمنعون لى جانبي حتى أتلو عليكم كتاب ربكم وثوابكم الجنة على الله وأبولهب في أثره فيقول: لاتقبلوا منه فإنه ابن أخي وهو كذاب ساحر، فلم يزل هذا حالهم وبقوا في الشعب أربع سنين لا يأمنون إلا من موسم إلى موسم ولايشترون ولا يبعايعون إلا في الموسم وكان يقوم بمكة موسمان في كل سنة: موسم العمرة في رجب و موسم الحج في ذي الحجة فكان إذا اجتمعت المواسم تخرج بنو هاشم من الشعب فيشترون ويبيعون ثم لايجسر أحد منهم أن يخرج الى الموسم الثاني وأصابهم الجهد وجاعوا وبعث قريش إلى أبي طالب قصيدته اللاّمية فلما سمعوا هذه القصيدة أيسوا منه و كان أبو العاص بن الربيع ـ وهو ختن رسول الله 3 ـ يأتي بالعير بالليل عليها البر والتمر إلى باب الشعب ثم يصبح بها فتدخل الشعب فيأكله بنوهاشم وقد قال رسول الله3 في الشعب أربع سنين بعث الله على صحيفتهم القاطعة دابة الأرض فلحست جمع ما فيها من قطيعة وظلم وتركت «باسمك النَّهم» ونزل جبرئيل على رسول الله 3 فأخبره بذلك فأخبر رسول الله 3 أبا طالب فقام أبوطالب ولبس ثيابه ثم مشى حتى دخل المسجد على القريش وهم مجتمعون فيه فلما أبصروه قالوا: قد ضجر أبو طالب وجاء الآن ليسلِّم ابن أخيه فدنا منهم وسلم عليهم فقاموا إليه وعظَّموه وقالوا: قد علمنا يا أبا طالب إنك أردت موصلتنا والرجوع إلى جماعتنا وأن تسلِّم ابن أخيك إلينا، قال: والله ما جئت لهذا ولكن ابن أخي أخبرني ولم يكذبني أن الله تعالى أخبره أنه بعث على صحيفتكم القاطعة دابة الأرض فلحست جميع ما فيها من قطيعة رحم وظلم وجور و ترك إسم الله فابعثوا إلى صحيفتكم فإن كان حقاً فاتقوا الله وارجعوا عما أنتم عليه من الظلم والجور وقطعية الرحم وإن ان باطلاً دفعته إليكم فإن شئتم قتلتموه وإن شئتم استحييتموه فبعثوا إلى الصحيفة وأنزلوها من

إتيانه أو قتله أو إخراجه ثم اجتمعوا على قتله.

ولقد بلغني أنه جبرئيل و ميكائيل جحية علي Δ ليلة المبيت في الأخوة المحمدية العلوية (عليهما السلام) وقد روى عنه Δ قوله في قصة المبيت:

الكعبة وعليها أربعون خاتماً فلما أتوا بها نظر كل رجل منهم إلى خاتمه ثم فكُّوها فإذا ليس فيها حرف واحد إلا «باسمك اللهم» فقال لهم أبوطالب: يا قوم اتقوا الله وكفوا عما أنتم عليه فتفرق القوم ولم يتكلم أحد ورجع أبو طالب إلى الشعب.

في بحارالأنوار ١٩: ٣٩ روى انهم ضربوا عليا وحبسوه ساعة ثم تركوه وأورد الغزالي في إحياء العلوم أن ليلة بات علي بن أبي طالب Δ على فراش رسول الله 3 وأوحى الله تعالى إلى جبرئيل و ميكائيل أني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بحياته؟ فاختار ل منهما الحياة وأحباها فأوحى الله تعالى إليهما: أفلا نتما مثل علي بن أبي طالب Δ آخيت بينهو بين محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه فكان جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبرئيل ينادي بخّ بخّ مَن مثلك يابن أبي طالب؟ يباهي الله بك الملائكة فأنزل الله عزَّوجلّ «ومن الناس من يشتري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد».

١ . وفيه ۴۶ ك قال أمير المؤمنين Δ في جواب اليهودي الذي سأل عما فيه من علامات الأوصياء فقال فيما قال: وأما الثانية يا أخا اليهود فإن قريشاً لم تزل تخيل الآراء وتعمل الحيل في قتل النبي 3 حتى كان آخ ما اجتمعت في ذلك يوم الدار: دار الندوة، وإبليس الملعون حاضر في صورة أعور ثقيف فلم تزل تضرب أمرها ظهراً لبطن حتى اجتمعت آراءها على أن ينتدب من كل فخذ من قريش رجل ثم يأخذ كل رجل منهم سيفه ثم يأتي النبي 3 وهو نائم على فراشه فيضربونه جميعاً بأسيافهم ضربة رجل واحد فيقتلوه فإذا قتلوه منعت قريش رجالها ولم تسلمها فيمضي دمه هدراً، فهبط جبرئيل Δ على النبي3 فأنبأه بذلك وأخبره بالليلة التى يجتمعون فيها والساعة التي يأتون فراشه فيها وأمه بالخروج في الوقت الذي خرج فيه إلى الغار فأخبرني رسول الله 3 بالخبر وأمرني أن اضطجع في مضجعه وأقيه بنفسي فأسرعت إلى ذلك مسروراً لنفسي بأن أقتل دونه فمضى 3 لوجهه واضطجعت في مضجعه وأقبلت رجالات قريش موقنة في أنفسها أن تقتل النبي 3 فلما استوى بي وبهم البيت الذي أنا فيه ناهضتهم بسيفي فدفعتهم عن نفسي بما قد علمه الله والناس، ثم أقبل على أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى يا أميرالمؤمنين.

وفيه ۵۲ عن زرارة ومحمد بن مسلم عن أحدهما (عليهما السلام) أن قريشاً اجتمعت فخرج من كل بطن أناس ثم انطلقوا إلى دار الندوة ليشاوروا فيما يصنعون برسول الله 3 فإذا هم بشيخ قام على الباب وإذا ذهبوا إليه ليدخلوا قال: أدخلوني معكم قالوا: و من أنت يا شيخ، قال: أنا شيخ من مضر ولي رأي أشير عليكم فدخلوا وجلسوا وتشاوروا وهو جالس وأجمعوا أمرهم على أن يخرجوه فقال:

(فأسرعت إلى ذلك مطيعاً له مسروراً) فالكتاب والسنة ـ كلمة واحدة ـ متجاوبان في أفضلية الموقف المتوقّع لمبيت الإمام علي Δ على موقف أبي بكر في الغار، حيث الدليل هو الصحبة في المكان، إنما هو الصحبة في الحفظ على الصاحب[1].

«وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا قالُوا قَدْ سَمِعْنا لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هذا إِنْ هذا إِلاّ أَساطِيرُ الْأَوّلِينَ» (٨: ٣١)

هنا ﴿سمعنا﴾ تعني سمع الأذن دون القول بسمع القلوب والعقول ـ رغم ما حققوه بـ ﴿قد﴾ كأنهم واعون ما سمعوا ـ إنما هو سماع الهزء بما

ليس هذا لكم برأي. إن إخرجتموه أجلب عليكم الناس فقاتلوكم، قالوا: صدقت ما هذا ومحمد رجل حلو اللسان أفسد عليكم أبناءكم وخدمكم وما ينفعكم أحدكم إذا فارقه أخوه و ابنه أو إمرأته ثم تشاوروا فأجمعوا أمرهم على أن يقتلوه، يخرجون من كل بطن منهم بشاهر فيضربونه بأسيافهم جميعاً عند الكتفين ثم قرأ الآية «وإذ يمكر بك...».

وفيه في قصة المبيت قول الرسول 3 لعلي: إن الروح هبط علي بهذهالآية آنفاً يخبرني أن قريشاً اجتمعت علي المكر بي وقتلي وأنه أمرني أن آمرك بالمبيت على ضجاعي ـ أو قال: ـ مضجعي لتخفي بمبيتك عليه أثرى فما أنت قائل وصانع؟ فقال علي Δ: أو تسلمن بمبيتي هناك يا نبي الله 3 من سلامته فكان علي Δ أول من سجد شكراً لله وأول من وضع جبهته على الأرض بعد سجدته من هذه الأمة بعد رسول الله 3 فلما رفع رأسه قال له: إمض لما أمرت فداك سمعي وبصري وسويداء قلبي ومرني بما شئت أكن فيه كمسرتك واقع منه بحيث مرادك وان توفيقي إلا بالله وقال: وإن ألقي عليك شبه مني أو قال: شبهي،قال:إن يمنعني نعم، قال: فأرقد على فراشي واشتمل ببردي الحضرمي ثم إني أخبرك يا علي أن الله تعالى يمتحن أولياءه على قدر إيمانهم ومنازلهم من دينه فأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل وقد امتحنك يا ابن عم وامتحنني فيك بمثل ما امتحن به خليله إبراهيم (عليه السلام) والذبيح إسماعيل Δ فصبر صبراً فإن رحمة الله قريب من المحسنين، ثم ضمه النبي 3 إلى صدره وبكى إليه وجداً وبكى عليٌّ Δ جشعاً لفراق رسول الله 3 واستتبع رسول الله 3 أبابكر وهند بن أبي هالة...

١ . المصدر ٥٥ ما جماعة عن أبي المفضل معنعناً عن مجاهد قال: فخرت عائشة بأبيها ومكانه مع رسول الله 3 في الغار فقال عبدالله بن شداد بن الهاد: وأين أنت من علي بن أبي طالب Δ حيث قام في مكانه وهو يرى أنه يُقتل؟ فسكتت ولم تحر جواباً.

يسمعون كذريعة لقيلهم القبيلة : ﴿لو نشاء... ﴿وإذا تتلى عليهم آيات الله البينة عليهم بأساطير الأولين، وتزعّمهم ـ زعمهم ـ عن الأساطير، يُحيلون على أنفسهم أن يقولوا مثل هذا زعم إمكانيتهم ذاتياً لقوله كما يقولون[1] وكأنهم يرفضون أن يعارضوا هذه الأساطير بأساطير أمثالها إذلا يعرفونها مما يعارض أساطيرها، وهذا من الأساطير!

فـ ﴿لو ﴿هنا صدّى للسؤال: قولوا مثل هذا كما أن ﴿نشاء لقلنا ﴿هم طرح الإبانة لهذه الآيات البينات، وما أنعسه مواجهة لآيات الله، وما أضله البسطاء الذين لا يعقلون!

وهنا يبقى سؤال، هل إن إبطال هذه الآيات أحرى المعاني في محكمة العقل كما تدّعون، أو الوسط فيما تستأنسون ـ زعم أنه من الأساطير ـ ذلك الإبطال حتى تتخطوا عن عبء هذه الدعوة للملاحقة ويتخلص الآخرون؟ إذاً فهذه وتلك هي من المعاني المعاونة الخواء المعاونة الواء، وليس الدعوى بمجردها مهما كانت براقة، بالتي يواجه بها البرهان. فهي هيه من أساطير الأولين، دون آيات الله البينات التي تملك على صدقها كافة البراهين، وإنما المكوث عن ردهم فيما ادعوا مظلوم بطلان دعواهم دونما تبيّن، حيث الدعوى المجردة ولا سيما هذه المطاطة الفاشلة ليس بالتي ترد على آيات الله البينات التي هي بأنفسها أدلة لإبانتها صدراً وصادراً.

ذلك، وقد وصل العناد من هؤلاء الأنكاد الأوغاد الحد المظلم الأنفسهم من الله المهلك إن كان هذا هو الحق:

---

١ . في الدر المنثور ٣: ١٨٠ عن السدي قال: كان النضر بن الحارث يختلف إلى الحيرة فيسمع سجع أهلها وكلامهم فلما قدم إلى مكة سمع كلام النبي 3 والقرآن فقال: قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين، وفيه عن سعيد بن جبير قال: قتل النبي 3يوم بدر صبراً عقبة بن أبي معيط والنضربن الحارث وكان المقداد أسر النضر فلما أمر بقتله قال المقداد يا رسول الله 3: أسيري فقال رسول الله 3: كان يقول في كتاب الله ما يقول، قال: وفيه أنزلت هذه الآية.

«وَ إِذْ قالُوا اللّهُمّ إِنْ كانَ هذا هُوَ الْحَقّ مِنْ عِنْدِکَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِيم»(٨: ٣٢)

دعاء غريب يصور حالة راسية من العناد ضد الحق المبين إيثاراً للهلاك على الإذعان بالحق، حيث فقدت جبلتهم بالكبرياء الجاحدة، وأخذتهم العزة بالإثم فحسبهم جهنم وبئس المهاد.

هنا ﴿إن كان هذا﴾ لا تخص بمثل إليه خلق، فقد تعني كافة المعنيين القائلين هذا القائل، سواء أكان في مسرح الآيات الرسالة الإسلامية ـ كلٌ ـ أم سواها، أم في مسارح خطة في حق الإسلام كرسالة لآخر بعد الرسول ﷺ أيهم ـ كلٌ ـ دون أيّة هوادة يرجمون عذاب الله على صدق آية من الله لا هوى فيها، وهذه هي الخلة الأخيرة الشيطانية التي يخلوهم بها الشيطان.

ذلك، وجواباً عن أمثل هذه التطحلات الزور والغرور من أحابيل الغرور:

«وَ ما كانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ وَ ما كانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ»(٨: ٣٣)

فكون الرسول ﷺ فيهم ـ رغم أنهم ناكروه ـ إنما صيانة لهم عن عذاب الله مقترحاً وسواه، وصيانة أخرى على طول الخط ـ كل فيهم الرسول أم لم يكن فيهم ـ ﴿وهم يستغفرون﴾ فـ ﴿يعذبهم﴾ محلٌ لسلب محدَّد بـ ﴿أنت فيهم﴾ ولكي ﴿يعذبهم﴾ سلب طلق ﴿وهم يستغفرون﴾ سواء أكنت ﴿أنت فيهم﴾ أم لم تكن.

فلك هي الرحمة المحمدية الطلية أن الله لا يعذب الكافرين به ما هو فيهم، ثم يعذب عن ذلك ﴿وهم يستغفرون﴾ فقد ﴿كان في الأرض أمانان من عذاب الله سبحانه رفع أحدهما فدونكم الآخر فتمسكوا به، أما الأمان الذي رفع فهو

رسول الله 3وأما الأمن الباقي فالإستغفار... ﴾[1]. فقد كان عمله إلى حياته خيراً لنا[2] لقرن الأمين.

وفي الذنب التي ﷺ فهم ﴿هو على الذنب المثال لقتلهم؟ وقد قتل جمع منهم في غزواته!

إنه عذاب الإستئصال كما لم يقعوا به ما كان 3فيهم، ثم ﷺ لهم إلا يعذبهم الله ﴿ ثم إلى عذاب القتل عذاب الرزخ والقيامة.

ذلك، قد يقعون بعد ارتحال النبي 3عنهم وهم لا يستغفرون، بعذاب الإستئصال وما أشبه، الواقع على سائقة الأمم المتخلفة عن شرعة الله.

وليس عذاب القتل ينافي كونه 3رحمة للعالمين، فإن فتح أجل للمكذبين القاتلين ينافي أجل الرحمة الأصيلة المحمدية حيث يستأصل دعوته، وإنما هي الرحمة التي لا تشمل رحمته على الذين آمنوا.

أجل، إنها رحمة ربانية ـ إكراماً لمحمد 3 ـ تشملهم فتمهلهم لا يأخذهم الله

---

١ . نور الثقلين ٢ : ١٥٣ وحكى أبو جعفر محمد بن علي الباقر (عليهما السلام) أنه قال: كان... قال الله جلّ من قائل «وما كان الله ليعذبهم...».

٢ . المصدر ١٥١ في روضه الكافي عن أبي عبدالله∆ قال قال رسول الله 3: إن لكم في حياتي خيراً وفي مماتي خيراً، قال: فقيل يا رسول الله 3 أما حياتك فقد علمنا فمالنا في وفاتك؟ فقال: أما في حياتي فإن الله عزَّوجلّ يقول وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم:وأما في مماتي فتعرض علي أعمالكم فاستغفر لكم.

وفي الدر المنثو ٣ : ١٨١ ـ أخرج الترمذي عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله 3: أنزل الله علي أمانين لأمتي «وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون» فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة.

وفيه ١٨٢ ـ أخرج أحمد والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي سعيد قال قال رسول الله 3: إن الشيطان قال: وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك مادامت أرواحهم في أجسادهم، قال الرب: وعزتي وجلالي لا أزال أغفرلهم ما استغفروني، وفيه عنه 3 قال: من أكثر من الإستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً و من كل ضيق مخرجاً ورزقة من حيث لايحتسب.

عجلة يذهب لإستقبال لإستقبال، مهما يؤخذون بسائر الذهب هديةَ صدهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام هدهم يقتل وسواه عما يعبدون، فليس لصدهم عن ذلك الذهب ما يدعونه من كونهم ورثة إبراهيم وسدنة البيت الحرام، أم لأنهم أولياء الله، فإنهم أعداء الله و أعداء البيت الحرام ومخصوصه، وليس البيت الحرام بيراثاً حتى لو كان بيراثاً من إبراهيم، إن هو البيت العتيق عن كل اختصاص وجه خاص، اللّهم إلا لأولياء الله المتقين.

ذلك فقد يذهبهم الله دون هذين الشرطين دون عذاب لإستئصال ﴿وأنت فيهم ۞ ﴿وهم يصدون عن المسجد الحرام ۞

«وَ ما لَهُمْ أَلاّ يُعَذِّبَهُمُ اللّهُ وَ هُمْ يَصُدّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ ما كانُوا أَوْلِياءَهُ إِنْ أَوْلِياؤُهُ إِلاّ الْمُتّقُونَ وَ لكِنّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ» (٨: ٣٤)

فليس فقط لأنهم أمون ﴿ألا يذهبهم الله ۞وهم لا يتقون، ﴿وما لهم ألا يذهبهم الله ۞ولست أنت فيهم ولا هم يستغفرون الله ﴿وهم ۞على كفرهم وتكذيبهم بآيات الله ﴿يصدون عن المسجد الحرام ۞وغاية يُبقي لهم ذلك الصد.

ذلك! ﴿ ۞ الحال أنهم ﴿ما كانوا أولياءه ۞الله، ولا كانوا أولياء للمسجد الحرام من قِبَل الله ﴿إن أولياءه ۞الله، والمسجد الحرام ﴿إلاّ المتقون ﴿ولكن سواهم عن المسجد الحرام، فـ ﴿إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ۞(٩: ٢٨).

فالصدّ عن المسجد الحرام للمشركون بالله، هم أصل المقتضَد الموجب وشرعة التوحيد لا يُبيح لهم ذلك الصدّ بل ويذهبهم الله بأيدي المؤمنين حرباً كما يذهبهم بما يشاء كيف يشاء حفظاً على الحرمة التوحيدية عن ذلك الصد الظالم المشئوم.

ذلك ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون ۝ أنهم ﴿ما كانوا أولياءه ۝ و ﴿لا يعلمون ۝أنهم معذورون و ﴿إن أولياءه إلا المتقون ۝

أجل، ﴿ألا إن أولياءه هم الذين خطوا إلى بحبوحة الدنيا إذا خطر الناس إلى خطامها وتشغلوا بآجلها إذا تشغل الناس بعاجلها، فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم، وتركوا منها ما علموا أنه سيتركهم، ورأوا إستكثار غيرهم منها إستقلالاً، وتركهم لها فوتاً، أعداءُ ما سلم الناس، وسِلْم ما على الناس، بهم عُلِم الكتاب وبه علموا، وبهم قام الكتاب وبه قاموا، لا يرون مرجوّاً فوق ما يرجون، ولا مخوفاً فوق ما يخافون ۝(الحكمة ٤٣٢).

ذلك، وبين يدي إعداءِ الله أولياءَ عن المسجد الحرام، فماهم فيه فاعلون؟:

«وَ ما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلاّ مُكاءً وَ تَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ» (٨: ٣٤)

ذلك اللعينة هي صلاتهم بالله إفتراكاً به، وبالي الله صداً عن المسجد الحرام كفراً به، وهذه صلاتهم عند البيت ﴿مكاءً وتصديةً ۝فصفيراً وتصفيقاً مما من اللهو واللغو للتلهين لمسارح الغض واللحق، وفي أنفس مكان من أمكنة الوحي والعبادة، وذلك ثالث منحوس من مستحقات الذنب: تكذيب بآيات الله، وصدٌّ عن المسجد الحرام، ومكاءٌ وتصديةٌ فيه ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ۝

«إِنّ الّذينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ لِيَصُدّوا عَنْ سَبيلِ اللّهِ فَسَيُنْفِقُونَها ثُمّ تَكُونُ

---

١. المصدر ١٨٣ ـ أخرج الطستي عن ابن عباس أن نافع بن الأرزق قال له أخبرني عن قوله عزوجلّ «إلا مكاءً وتصدية» قال: المكاء صوت القنبرة والتصدية صوت العصافير وهو التصفيق وذلك أن رسول الله 3 كان إذا قام إلى الصلاة وهو بمكة كان يصلي قائماً بين الحجر والركن اليماني فيجيء رجلان من بني سهم يقوم أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله ويصيح أحدهما كما يصيح المكاء الآخر يصفق بيديه تصدية العصافير ليفسد عليه صلاته.

عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمّ يُغْلَبُونَ وَ الّذينَ كَفَرُوا إِلى جَهَنّمَ يُحْشَرُونَ» (٨: ٣٦)

وهذه طبيعة الحال الحسنة لمن يكون أنهم يصرفون كل طاقاتهم و يبذلون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله صداً للمؤمنين بالله غضباً وصداً للمستضعفين المتحيرين عن الحق، أو الحائرين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، فكيانهم كله هو الصد عن سبيل الله.

ذلك فسينفقونها فيما يهوون ويشتهون ثم تكون عليهم حسرة في النار، لاحظ حسرة إلى ثم يُغلبون غلباً بعد الحسرة وقله بعد الكثرة هنا وفي الآخرى، ثم مصيرهم إلى النار والذين كفروا إلى جهنم يحشرون.

«لِيَمِيزَ اللّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ» (٨: ٣٧)

... إلى جهنم يحشرون مع بعضهم البعض متميزين عن أهل الجنة ليميز الله الخبيث من الطيب في ذلك الحشر كما تميزوا يوم الدنيا عن الطيبين ويجعل الخبيث بعضه على بعض ظلمات بعضها فوق بعض فيركمه جميعاً في ذلك الحشر الشديد ثم فيجعله في جهنم...

محمد يُنفى

عن مكة المكرمة

٢

«إِلاّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذابًا أَليمًا وَ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَ لا تَضُرّوهُ شَيْئًا وَ اللّهُ عَلى كُلّ شَيْءٍ قَديرٌ» (٩: ٣٩)

وهنا تهديد مديد بعد تهديد، متواصلاً في آيات عدة ليهوا الجهاد عدةً وعُدّة، فـ ﴿إلا تنفروا ۞ للجهاد ﴿يعذبكم عذاباً أليماً ۞ هنا وفي الأخرى، فهنا تُغلون فتُغلون أما لُبنة،[1] وهناك تخونون، وهما هنا ﴿يستبدل ۞ بكم ﴿قوماً غيركم ۞ ممن لا ينهضون في الجهاد ثم ﴿لا تضروه شيئاً ۞ فإن الله ليس يُتعب في الملك فإنما أنتم تُغلون ﴿والله على كل شيء قدير ۞.

فـ ﴿انفروا خفافاً لله إلى قتال عدوكم ولا تثّاقلوا إلى الأرض فتقروا بالخفض وتوعوا بالذل ويكون نصيبكم الأخس، إن أخا الحرب الأرق لا ينام وممن نام لم يُنَم عنه ۞.[2]

وهنا على ﴿قوماً غيركم ۞ هم المعنيون بـ ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ۞ (٥: ٥٤).

«إِلاّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الّذينَ كَفَرُوا ثانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُما فِي الْغارِ إِذْ يَقُولُ لِصاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنّ اللّهَ مَعَنا فَأَنْزَلَ اللّهُ سَكينَتَهُ عَلَيْهِ وَ أَيّدَهُ

---

١ . الدر المنثور ٣: ٢٣٩ عن ابن عباس في الآية قال: إن رسول الله 3 استنفر حياً من أحياء العرب فتثاقلوا عنه فأنزل الله هذه الآية فأمسك عنهم المطر فكان ذلك عذابهم.

٢ . نور الثقلين ٢: ٢١٧ عن نهج البلاغة عن الإمام علي أمير المؤمنين Δ.

بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْها وَ جَعَلَ كَلِمَةَ الّذينَ كَفَرُوا السّفْلى وَ كَلِمَةُ اللّـهِ هِـيَ الْعُلْيـا وَ اللّهُ عَزيزٌ حَكيمٌ» (٨: ٤٠)

لقد تظل بآية الغار هذه متعلقون كثيرين بين موجبين لفضيلة غالية لـ صاحبه في الغار ☜ لحد يسلمون عليه في زيارتهم إياه بـ «السلام عليك ياصاحب الغار ☜ تثبيتاً مبيّناً لصحبته الوحيدة بين صحابة الرسول 3 ذلك طلس الجلي وطمس العلي، وكأنه هو صاحبه دون من سواه، وآخرين سألين عنه آية فضيلة مايلين إلى أن آية الغار عار على صاحب الغار دون إفتخار، وغبار إباه في الكفار.

ولكي يتجلى على ضوء النهية آراء علينا أن نرتقها ثم نقف على ضوء الآية ماقد ناله سواء أكان صاحبه في الغار أم عليه.

ذلك ومن ظلات الموجبين ما يقوله صاحب الأمر على الله ظل وجهه ويود عليه رأساً على عقب[1]، ومن مظلات السالبين التالين المتألبين

---

١. نو الثقلين ٢ : ٢٢٠ في كتاب كمال الدين وتمام النعمة باسناده إلى سعد بن عبدالله القمي عن الحجة القائم Δ حديث طويل يقول فيه Δ: يا سعد! وحين أدَّعى خصمك أن رسول الله 3 ما أخرج مع نفسه مختار هذه الأمة إلى الغار إلا علماً منه أن الخلافة له من بعده وانه هو المقلَّد أمور التأويل والملقى إليه أزمة الأمة وعليه المعول في لم الشعث وسد الخلل وإقامة الحدود و تسرية الجيوش لفتح بلاد الكفر، فلما اشفق على نبوته اشفق على خلافته وإذ لم يكن من حكم الإستتار والتواري أن يروم الهارب من الشر مساعدة من غيره إلى مكان يستخفي فيه ـ وإنما أبات علياً Δ على فراشه لما لم يكترث له ولم يحفل به لاستثقاله إياه وعلمه فهلا نقضت دعواه بقولك: أليس قال رسول الله 3: الخلافة بعدي ثلاثون سنة، فجعل هذه موقوفة على أعمار الأربعة الذين هم الخلفاء الراشدون في مذهبكم، وكان لايجد بداً من قوله لك: بلى، قلت له حينئذٍ: أليس كما علم رسول الله 3 أن الخلافة من بعده لأبي بكر، أنها من بعد أبي بكر لعمر و من بعد عمر لعثمان ومن بعد عثمان لعلي Δ، فكان أيضاً لايجد بداً من قوله لك: نعم ـ ثم كنت تقول له: فكان الواجب على رسول الله 3 أن يخرجهم جميعاً على الترتيب إلى الغار ويشفق عليهم كما اشفق على أبي بكر ول يستخف بقدر هؤلاء الثلاثة بتركه إياهم و تخصيصه أبا بكر و إخراجه مع نفسه دونهم، وفي الدر المنثور ٣ : ٢٤٠ ـ أخرج ابن عساكر عن علي بن أبي طالب Δ قال: خرج رسول الله 3 وخرج أبوبكر معه لم يأمن على نفسه غيره حتى

حضر صاحب الغار أتحزن في الغار و ﷺ أغنه الرعة وهو لا يبكي، فلما رأى رسول الله 3 حاله قال له: تريد أن أريك أصحابي من الأنصار في مجالسهم يتحدثون فأريك جعفر وأصحابه في البحر يغوصون؟ قال: نعم، فمسح رسول

دخلا الغار، وفيه عن ابن عمر قال قال رسول الله 3 لأبي بكر: أنت صاحبي في الغار وأنت معي على الحوض وفيه عن ابن عباس عن أبي هريرة مثله، وفيه عن أنس أن رسول الله 3 قال لحسان: قلت في أبي بكر شيئاً؟ قال: نعم قال: قل و أنا أسمع، فقال:

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد ... طاف العدو به إذ صاعد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا ... من البرية لم يعدل به رجلا

فضحك رسول الله 3 حتى بدت نواجذه ثم قال: صدقت يا حسان، وفيه عن ابن عساكر عن علي بن أبي طالب Δ قال: إن الله ذم الناس كلهم ومدح أبابكر فقال: إلا تنصروه... وفيه أخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك قال: لما كانت ليلة الغار قال أبوبكر الصديق يا رسول الله 3 دعني فلأدخل قبلك فإن كانت حية أو شيء كانت في قبلك؟ قال: أدخل، فدخل أبوبكر فجعل يلمس بيديه فكلما رأى حجراً قال بثوبه فشقه ثم ألقمه الحجر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع وبقي حجر فوضع عليه عقبه وقال: أدخل فلما أصبح قال له النبي 3 فأين ثوبك، فأخبره بالذي صنع فرفع النبي 3 يديه وقال: اللّهم اجعل أبابكر معي في درجتي يوم القيامة، فأوحى الله إليه أن الله قد استجاب لك.

وفيه أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله 3: أبوبكر أخي وصاحبي في الغار فاعرفوا ذلك له فلو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبابكر خليلاً، سدوا كل خوخة في هذا المسجد غير خوفة أبي بكر.

وفي الدر المنثور ٣ : ٢٤١ ـ أخرج البيهقي في الدلائل وابن عساكر عن ضبة بن محصن العبري قال قلت لعمر بن الخطاب أنت خير من أبي بكر؟ فبكى وقال: والله لليلة أبي بكر ويوم خير من عمر، هل لك أن احدثتك بليلته ويومه؟ قال قلت: نعم يا أميرالمؤمنين، قال: أما لليلة فلما خرج رسول الله 3 هارباً من أهل مكة خرج ليلاً فتبعه أبوبكر فجعل يمشي مرة أمامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن شماله فقال له رسول الله 3ما هذا يا أبا بكر؟ ما أعرف هذا من فعلك! قال يا رسول الله 3 اذكر الرصد فأكون أمامك واذكر الطلب فأكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك، قال: فمشى رسول الله3 ليلته على أطراف أصابعه حتى حفيت رجلاه فلما رآه أبوبكر قد حفيت حمله على كاهله وجعل يشد به حتى أتى خم الغار فأنزله ثم قال: والذي بعثك بالحق لاتدخله حتى أدخله فإن كان فيه شيء نزل بي قبلك فدخل فلم يرشيئاً فحمله فأدخله وكان في الغار خرق فيه حيات وأفاعي فخشى أبوبكر أن يخرج منهن شيءً يؤذي رسول الله3 فألقمه قدمه فجعلن يغربنه وتلسعه الأفاعي والحيات وجعلت دموعه تنحدر ورسول الله 3 يقول له يا أبابكر لاتحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته لأبي بكر فهذه ليلته وأما يومه فلما توفي رسول الله 3...

لله 3 يده على وجهه فقال للأصل يضحكون وقال لجعفر ولأصحابه في البحر يغوصون فأخبر في تلك الساعة أنه ساحر ☜ وأنه ﷺ ما ذكره فيها بخير ☜ حيث قرء الآية ﷺ فأنزل الله سكينته على رسوله ☜ خلاف القراءة المتواترة المثبتة في القرآن.

وهنا مقالة هي عدل بينهما تجلي كلاً من هذين الموقفين علياً Δ وأبا بكر في مكانه الذي تفضيلاً جليلاً فوقف المقتل على صاحب الغار ولا

---

١ . المصدر في روضة الكافي مسنداً عن أبي عبدالله 3 قال:سمعت أبا جعفر Δ يقول: إن رسول الله 3أقبل يقول لأبي بكر في الغار: اسكن فإن الله معنا وقد أخذته...

٢ . المصدر في تفسير العياشي عن عبدالله بن محمد الحجال قال: كنت عند أبي الحسن الثاني Δ ومعي الحسن بن جهم فقال له الحسن: انهم يحتجون علينا بقول الله تبارك و تعالى: «ثاني اثنين إذ هما في الغار» ومالهم في ذلك فوالله لقد قال الله: «فأنزل الله سكينته على رسوله» و ما ذكره فيها بخير،قال: قلت له أنا: جعلت فداك وهكذا تقرؤنها؟ قال: هكذا قد قرأتها، وفيه عن الرضا Δ في الآية «هكذا نقرءها» فقد تكون مبدلة عن الأولى، أم كذلك يعني نقرءها تفسيراً وهكذا تنزيلها تفسيراً لا اصلاً لفظياً، وإلا فتطرح لمخالفتها لنص القرآن.

وفي البحار ١٩ : ٥٥ عن مجاهد قال: فخرت عائشة بأبيها ومكانه مع رسول الله 3 في الغار فقال عبدالله بن شداد بن الهاد وأين أنت من علي بن أبي طالب حيث نام في مكانه وهو يرى انه يُقتل فسكت ولم تحر جوابا، وفيه (٨٠) زرارة قال أبو جعفر (عليهما السلام) «فأنزل الله سكينته على رسوله» ألا ترى أن السكينة إنما نزلت على رسوله «وجعل كلمة الذين كفروا السفلى» فقال: هو الكلام الذي يتكلم به عتيق، رواه الحلي عنه.

٣ . البحار ١٩: ٨٠ عن تفسير الإمام الحسن العسكري Δ إن الله تعالى أوحى إلى النبي يا محمد 3 إن العلى الأعلى يقرأك السلام ويقول لك: إن أبا جهل والملأ من قريش قد دبروا يريدون قتلك وآمرك أن تبيت علياً في موضع وقال لك: إن منزلته منزلة إسماعيل الذبيح من إبراهيم الخليل يجعل نفسه لنفسك فداء وروحه لروحك وقاء ـ وآمرك أن تتصحب أبا بكر فإنه ان آنسك وساعدك ووازرك وثبت على ما يعاهدك ويعاقدك كان في الجنة من رفقاء وفي غرفاتها من خلصائك، فقال رسول الله 3 أرضيت أن أطلب فلا أوجد وجد فلعله أن يبادر إليك الجهال فيقتلوك؟ قال بلى يا رسول الله 3 رضيت أن يكون روحي ونفسي فداءً لأخ لك أو قريب.. وهل أحب الحياة إلا لخدمتك والتصرف بين أمرك ونهيك ولمحبة أوليائك ونصرة أصفياءك ومجاهدة اعداءك، لولا ذل لما أجبت أن أعيش في هذه الدنيا ساعة واحدة فأقبل رسول الله 3 على علي Δ فقال له: يا أبا الحسن قد قرأ علي كلامك هذا الموكلون باللوح المحفوظ وقرأوا علي ما أعد الله لك من ثوابه في دار القرار ما لم يسمع بمثله السامعون

يظلمون قليلاً، فإلى تحقق الخبر المعني من آية الغار بكل تجرد وحرية، وكما يستفاد من سياق الآية دون وصلي ودخلي من رؤية مذهبية أم رواية لا تتصل بالآية:

﴿إلا تنصروه﴾ أنتم المنافقون وسائر ضعفاء الإيمان في خصوص الاستنفار لحرب الروم، أم وفي عامة المجالات على مدار الزمن الرسالي الإسلامي، ﴿فقد نصره الله﴾.. ومن هنا المحور الأصلي في مسرح السورة الرباعية هو الرسول 3 مهما لحق به لاحق وصحبه صاحب ﴿فقد نصره الله﴾ مضياً هو مستمر على طول الرسالة، نصرة حقة حقيقية منقطعة النظير، اللهم إلاّ ما كان للرسولين موسى وعيسى (عليهما السلام)، ولكن موسى كان ولياً نجّاه الله من أليم بيد عدوه، والمسيح Δ رفع إلى السماء، وأما محمد 3 فقد هاجر إلى يثرب دولة الإسلام عالية مرفوعة الأعلام حتى فتح مكة المكرمة.

﴿نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا﴾ حيث عزموا على قتله فخرج أمامهم ولم يصروه بما نصره الله، فهو المنصور المخرَج بهذه الخارقة الرباعية دون سواه، وهو ﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار﴾ ولماذا ﴿ثاني اثنين﴾ دون ﴿أول

ولا رأى مثله الراءون ولا خطر مثله ببال المتفكرين ـ ثم قال رسول الله 3 لأبي بكر: أرضيت أن تكون معي يا أبابكر تُطلب كما أطلب وتعرف بأنك تحملني على ما أدعيه فتحمل عني أنواع العذاب؟ قال أبو بكر: يا رسول الله أما أنا لو عشت عمر الدنيا أعذب في جميعها أشد عذاب لا ينزل علي موت مريح ولا منهج متيح وكان ذلك في محبتك لان ذلك أحب إلي من أن أتنعم فيها و أنا مالك لجميع ممالك ملوكها في مخالفتك وهل أنا ومالي وولدي إلا فداءُك؟ فقال رسول الله 3 : لاجرم أن اطلع الله على قلب ووجد ما فيه موافقاً لما جيَّ على لسانك جعلك بمنزلة السمع والبصر والرأس من الجسد ومنزلة الروح من البدن كعلي الذى هو مني كذلك وعلي فوق ذلك لزيادة فضائله وشرف خصائله، يا أبا بكر إن من عاهد ثم لم ينكث ولم يغير ولم يبدل ولم يحسد من قد أبانه الله بالتفضيل فهو معنا في الرفيق الأعلى، وإذا أنت تمضى على طريقه حيبها منك ربك ولم تُتبعها بما يُسخط ووافيته بها إذا بعثك بين يديه كنت لولاية الله مستحقاً ولمرافقتنا في تلك الجنان مستوجباً... ثم قال رسول الله 3 لعلي Δ يا علي أنت مني بمنزلة السمع و البصر والرأس من الجسد والروح من البدن، حببت إلي كالماء البارد إلى ذي الغلة الصادي ثم قال له : يا با حسن تغش ببردتي...

اثنين ﴿وهو أوّل في الفضيلة، أوّل في الهجرة، وأوّل في كلّ منقبة!

﴿ثاني اثنين ﴿حال من ذلك الضمير المجرَّ المجرور 3وصاحبه هنا وهو الأول علّة لأن أبابكر دخل الغار قبله إذ كان في موقف حراسته، وعلى طالب هو بطبيعة حاله يقدمه في موقف الخطر ليتلقى داخل الغار وليبلغه عنه هجمة، ويظل له إلى أتيه بادرة ظاهرة على باب الغار، أم لأمر آخر، ومهما يكن من أمر فـ﴿ثاني اثنين ﴿هنا هو الرسول 3حيث هو الضمير المخرَج دون صاحبه، إذاً فالإحتجاج بـ﴿ثاني ﴿هنا أن أبابكر هو ثاني الرسول إعجاج في الاحتجاج هو غشية العمية المذهبية للمستظاحبه في الغار ثم ولا يخفى

﴿ثاني اثنين ﴿أحدهما فإن عبارته عبارة كـ: أحد اثنين وما أشبه، فإنما رتب دخولهما في الغار زمناً، فالأول هو الحاوي الداخل أولاً والثاني هو المحوي الداخل ثانياً.

---

١. بحار الأنوار ١٩: ٩٣ إن الطبري في تاريه ٢: ١٠٠ وأحمد بن حنبل رويا في كتابيهما أن هذا الرجل المشار إليه ما كان عارفاً بتوجه النبي 3 وأنه جاء إلى مولانا علي∆ فسأله عنه فأخبره انه توجه فتبعه بعد توجهه حتى ظفر به وتأذى رسول الله 3 بالخوف منه لما تبعه و عثر بحجر فلق قدمه، قال الطبري في تاريخه:فخرج أبوبكر مسرعاً ولحق نبي الله 3 في الطريق فسمع جرس أبي بكر في ظلمة الليل فحسبه من المشركين فأسرع رسول الله 3 يمشي فقطع قبال نعله فغلق إبهامه حجر وكثر دمها فأسرع المشي فخاف أبوبكر أن يشق على رسول الله 3 حين أتاه فانطلقا ورجل رسول الله 3 تسيل دماً حتى انتهى إلى الغار مع الصبح فدخلاه وأصبح الذين كانوا يرصدون رسول الله 3 فدخلوا الدار.

وفي الدر المنثور ٣: ٢٤٠ ـ أخرج ابن مردويه و أبونعيم في الدلائل عن ابن عباس قال: لما خرج رسول الله 3 من الليل لحق بغار ثور، قال: وتبعه أبوبكر فلما سمع رسول الله 3 حسَّه خلفه خاف أن يكون الطلب فلما رأى ذلك أبوبكر تنحنح فلما سمع ذلك رسول الله 3 عرفه فقام له حتى تبعه فأتيا الغار فأصبحت قريش في طلبه.

وفي تفسير البرهان ٣: ١٢٧ ـ ابن طاوس في طرائفه قال: و من طريق العامة ما ذكره أبوهاشم بن الصباغ في كتاب انور والبرهان يرفعه إلى محمد بن إسحاق قال قال حنان: قدمت مكة معقراً وأناس من قريش يقدمون أصحاب رسول الله _3 فقال ما هذا لفظه : فأمر رسول الله 3 علياً فنام على فراشه و خشي من أبي بكر أن يدلهم عليه فأخذه معه إلى الغار.

وهنا وقفان اثنان يصاحبان الرسول 3وقف الليل ينام على فراشه استعداداً للقاء بدياسحيث الغار هاجم، ووقف النهار يبلي وأنهار حيث الغار ناجم، ووادر الأمن وكوادره قائمة بحراق الطريق لا حزن ولا خوف فـ ﴿إن الله معنا﴾ وعداً منه مفعولاً للحفاظ عليه 3وعلى صاحبه في الغار، فلماذا ـ إذاً ـ يحزن هو أو يحزن صاحبه، اللّهم إلا ريبة في تحقق وعده الله!

﴿إذهما في الغار﴾ وأما كون ثاني اثنين في الغار فما أخرجه البزار كغواه، فما الذي أدخل ـ إذاً ـ صاحبه في الغار؟ فلئن سلك، ولأثر النقول عن أصحاب له تفيد بأنه ذهب إلى الغار بعد الرسول 3حيث سأل عنه علياً Δ أم سواه فأخبره أنه توجه فوجأ النبي 3بهمة إنجاده إلى الغار فظن علّه حارساً حيث اختبر أولاً في الغار، أم فقده إلى الغار إحتياطاً على قصد الكيد بقي خارج الغار فيستخبر فيخبر بخبره 3خوفه من المشركين وكما يروى.[1]

ومهما يكن من شيء فلئن لا يتبين إلى إجابة الدعوة أم سلبيتها طالب الغار أن يصاحب الرسول 3إلا إلى أجل كونهما في الغار، إعتباراً أن الرسول 3هو الأصل في كل العمل، وصاحبه في الغار علّه إنما صاحبه صاحبة الحفاظ عليه Δولكن بأي وجه؟ لا أدري! أم صاحبه لعناية أخرى؟ كالحفاظ

---

١. في تفسير الفخر الرازي ١٦: ٦٤: انه تعالى سماه «ثاني اثنين» فجعله ثاني محمد 3 حال كونهما في الغار والعلماء أثبتوا أنه كان ثاني محمد في أكثر المناصب الدينية ـ ثم أطال بقوله: فإنه أرسل إلى الخلق وعرض الإسلام على أبي بكر آمن آبوبكر.. فهو ثاني اثنين في الدعوة إلى الله، وأيضاً كلما وقف رسول الله 3 في غزوة كان أبوبكر يقف في حذمته ولا يفارقه فكان ثاني اثنين في مجلسه، ولما مرض رسول الله 3 قام مقامه في أمامة الناس في الصلاة فكان ثاني اثنين، ولما توفي دفن بجنبه فكان ثاني اثنين هناك أيضاً، أقول وقد غفل الرازي الراضي عن اجتهادة الإضطهاد عن أن ثاني اثنين هو الرسول دون صاحبه فأين المقام الثاني لصاحبه اللهم إلا له 3 وهل يرضى الأولية ـ إذاً ـ لصاحبه وهو ثانيه؟! ثم «إذ يقول لصاحبه» من هو القائل لصاحبه إلا ثاني اثنين، فإذا كان هو أبابكر فهو القائل لصاحبه الرسول 3 ـ إذاً ـ لاتحزن.. فتنقلب الآية بأسرها محولة لسرد فضيلة غالية لأبي بكر و الرسول 3 على هامشه!.

على عهده لمايجب للرسول 3 إلاحقاً.

ثم وكيف لزمه النبي 3 إلى الغار ولم يتركه؟ علّه خوفاً أن يلزمه المشركون فيخبروه فيخبرهم بطعنه وقتلهم كما يروى[1]، أم لبلغه البالغ في الهجرة وكما عللها به 3 مراراً وتكراراً فراراً عن بأس المشركين وعجز المقام بمكة تحللاً لوارد الطارق، فيقول له 3 لاتعجل[2] قد كان يجب للخروج فصل على

---

١. كما ذكره الطبري في حديث الهجرة بقوله: وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله 3 في الهجرة فيقول له رسول الله 3: لاتعجل (تاريخ الطبري ٢: ٩٧).

٢. وفي تفسير البرهان ٢: ١٢٦ روى الحسين بن حمدان الخصيبي باسناده عن جعفر بن محمد الصادق (عليهما السلام) عن أبيه محمد بن علي الباقر عن أبيه علي بن الحسين (عليهم السلام) قال: لما لقنه جابر بن عبدالله الأنصاري رسالة جده رسول الله 3 إلى ابنه الباقر Δ قال له علي بن الحسين يا جابر أكنت شاهداً حديث جدي رسول الله 3 يوم الغار؟ قال: لا يابن رسول الله 3 قال: إذاً أخذتك يا جابر، قال: حدثني جعلت فداك سمعته من جدك فقال:إن رسول الله 3 لما هرب إلى الغار من مشركي قريش حيث كبسوا داره لقتله وقالوا: اقصدوا فراشه حتى نقتله فيه فقال رسول الله 3 لأمير المؤمنينΔ إن مشركي قريش يكبسونني في هذه الليلة ويقصدون فراشي فما أنت صانع يا علي؟ قال له أمير المؤمنينΔ: أنا يا رسول الله3 اضطجع في فراشك واخرج واستصحب الله حيث تأمن على نفسك فقال له رسول الله3: فديتك يا أبا الحسن أخرج لي ناقتي العضباء حتى أركبها وأخرج إلى الله هارباً من مشركي قريش وافعل بنفسك ما تشاء الله خليفتي عليك فخرج رسول الله3 وركب الناقة وتلقاه جبرئيل فقال يا رسول الله 3 أمرني الله ربي أن أكون صاحبك في مضربك وفي الغار الذي تدخله ان تنيخ ناقتك إلى باب أبي أيوب الأنصاري فسار 3 فتلقاه أبوبكر فقال يا رسول الله 3 أصحبك؟ ويحك يا أبا بكر ما أريد أن يشعر بي أحد، قال : فأخشى يا رسول الله 3 أن تستحلفني المشركون على لقائي إياك ولا أجد بداً من صدقهم، فقال له ويحك يا أبابكر فما صحبتي ليلتي بنافعتك، فقال له أبوبكر: ولكنك تستغشني أن أنذر به المشركين، فقال له : سر إذا شئت فتلقاه الغار فنزل عن ناقته العضباء وأبركها بباب الغار ودخل ومعه جبرئيل وأبوبكر وقامت خديجة في جانب الدار باكية على رسول الله 3 وأميرالمؤمنين وانضجاعه على فراش رسول الله 3 ليفد به بنفسه ووافى المشركون الدار ليلاً فتسوروا عليه ودخلوا قصداً إلى فراش رسول الله3 فوجدوا أميرالمؤمنين 3 مضطجعاً فيه فضربوا بأيديهم إليه وقالوا: يابن أبي كبشة لم ينفعك سحرك ولا كهانتك ولا خدمة الجان لك، اليوم نسقي أسلحتنا من دمك، فنفض أميرالمؤمنين Δ أيديهم عنه فكأنهم لم يصلوا إليه وجلس في الفراش وقال ما بالكم يا مشركي قريش أنا علي بن أبي طالب، قالوا له واين محمد يا علي؟ قال: حيث يشاء الله، قالوا: ومن في الدار؟ قال: خديجة، قالوا: الجيبة الكريمة لولا تبعلها بمحمد يا علي

أسلم مورد ثقة تحت حفظ الرسول 3من الله، ولكي الإمام بات على فراشه تحمّلاً لِما كان يُحاك عليه 3ثم خلّى خليفة عنه 3في أداء ديونه، وحراسة أهله، وتهيئة الجو لهجرته معهم بسلام المهاجرين، ومن الطبيعي أن تزداد المضايقات على المؤمنين بغياب صاحب الدعوة، ولا سيما على الذي خلّفه خلفه، وقائماً على فراشه، وبقائه الحفاظ على أهله وسلامة المؤمنين.

ذلك وإلا فالبيت، فاعتقاد المشركين أن البائت هو الرسول 3هو، لما صبروا على طلبه إلى النهار أم لم يقف متأخرون الليل حتى وصل 3إلى الغار، فكانت سلامة صاحب الرسالة مضمونة بذلك البيت المبيَّت وحي الله إخاقة إلى سلامة المضمون بأمر الله وكما قال الله: ﴿من الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد ﴿٢:٢٠٧﴾!.

فقد وجد صاحبه في الغار رفيقاً أميناً متيناً للهجرة بعهد النبي 3فزاده بعدُ صلى الغار حفاظاً عليه 3وتقاسم معه أن يتركهما بين أعدائه ويهاجر قبله إلى المدينة؟! ذلك موقف منهم!.

وعلى أيّ حال لم نحلل طلب الغار في صاحبه 3في الغار لأي اختار إن لم نحلل له على علم، إنما هو حتى الآن أول اليقين في الغار بصاحبه 3 للهجرة.

وهنا ﴿إذهما في الغار﴾ مرة ثانية له 3حيث المشكك عملت سوءاً تخصصاً على باب الغار خمَّن المشركون عنه عند الباب لتشفي بينهم.

﴿إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾ ــ ﴿نصره الله إذ أخرجه... إذ

وحق اللات والعزى ولولا حرمة أبيك أبي طالب وعظم محله في قريش لأعلنا أسيافنا فيك، فقال أمير المؤمنين Δ يا مشركي قريش اعجبتكم كثرتكم وفالق الحب وبارىء النسمة ما يكون إلا ما يريد الله ولو شئت أن أفني جمعكم كنتم أهون علي من فراش السراج، فلا شيء أضعف منه، فتضاحك القوم المشركون وقال بعضهم لبعض: خلوا علياً لحرمة أبيه واقصدوا الطلب لمحمد ورسول الله في الغار وجبرئيل وأبو بكر معه فحزن رسول الله 3على علي وخديجة...

مما في الغار إذ يقول.. ﴿فهنا النصرة الإلهية الثالثة للرسول لاحظ من قوله لصاحبه ﴿لا تحزن ﴿فبدلاً أن يقول لصاحبه لا تحزن حيث هو الذي القول عن بأس المشركين، فهو ناظر على خوف الخلق، يُطَمئن الله قلب الرسول 3 ربطا عليه لعله يقول هو الأصلي في الحزن المبدأ فيه القلق: ﴿لا تحزن ﴿فهذه نصرة ثالثة له ﴿ثاني اثنين ﴿ قابلها نكتة لأول اثنين، حيث حزن بوادره وخلجاته لعله فيخشى على ظهور الأمر للمشركين المتحرين عنه.

وهنا صاحبه في الغار يحزن هكذا تلهّفاً وتقلباً لعله يهديه التي 3 وهو نبي عن تبكير منكر ـ رغم أن هذا الخروج ضَنَ من خوارق العادات ما تهو العقول، و تُطَمئن أصحاب العقول، قد خرج على عين لا تشهد وما رأوه، وفور دخوله الغار معه نسجت العنكبوت على باب الغار سترا أنهّاه المشركون إلى سيئين[1]، وهما ضرتان أوليان، أفقدهما بقي خوف منهم وحزن ولاسيما

---

١ . الدر المنثور ٣: ٢٤٠ ـ أخرج ابن سعد عن ابن عباس و علي وعائشة بنت أبي بكر و عائشة بنت قدامة وسراقة بنت جعشم دخل حديث بعضهم في بعض قالوا: خرج رسول الله 3 والقوم جلوس على بابه فأخذ حفنة من البطحاء فجعل يدرها على رؤوسهم ويتلوا يس والقرآن الكريم ـ الآيات ومضى، فقال لهم قائل: ما تنظرون؟ قالوا محمداً، قال: والله مربكم، قالوا: والله ما أبصرناه وقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم وخرج رسول الله 3 وأبوبكر إلى غار ثور فدخلاه و ضربت العنكبوت على بابه بعشاش بعضها على بعض وطلبته قريش أشد الطلب حتى انتهت إلى باب الغار فقال بعضهم أن عليه لعنكبوتاً قبل ميلاد محمد، وأخرجه أبو نعيم عن محمد بن إبراهيم التيمي أن النبي 3... وفي بحار الأنوار ١٩: ٣٣، لما دخل رسول الله 3 وأبوبكر الغار أرسل الله زوجاً من الحمام حتى باضا في أسفل الثقب والعنكبوت حتى نسج بيتاً فلما جاء سراقة بن مالك في طلبهما فرإى بيض الحمام وبيت العنكبوت قال: لو دخله أحد لانكسر البيض و تفسخ بيت العنكبوت فانصرف وقال النبي 3 : اللهم أعم أبصارهم فعميت أبصارهم عن دخوله وجعلوا يميناً وشمالاً حول الغار وقال أبوبكر لو نظروا إلى أقدامهم لرأونا...

وفي تفسير البرهان ٢: ١٢٥ ذكر الطبرسي في اعلام الورى في حديث سراقة بن جعشم مع النبي 3 قال: الذي اشتهر في العرب يتقاولون فه الاشعار ويتفاوضونه في الديار انه تبعه وهو متوجه إلى المدينة فساخت قوائم فرسه حتى تغيبت قوائم فرسه و هو بموضع حدب وقاع صصف فعلم أن الذي أصابه أمر سماوي فنادي يا محمد أدع ربك يطلق لي فرسي وذمة الله أن لا أدلّ عليك أحداً فدعا له

[illegible]

وليس هذا النهي منصباً فقط عليه ∆كما يقول الله ﴿لاتحزن عليهم ☯ إنما هو الحزن الخطأ عليه 3ولذلك عدّ ﴿إذ يقول لصاحبه لاتحزن ☯ من ضربة الإبانية، فلقد كان حزناً قد يشكّ عليه 3خطأً فنهاه الله أن ينهى صاحبه عن الحزن وقايةً عما قد يحصل من ملاحقة عنيفة وصرخة من صاحبه!وهنا نقف حائرين من ذلك الحزن الحزين، فإن كان لنفسه أم الرسول

فوثب جواده كأنه أفلت من انشوطة وكان رجلا داهية وعلم بما رأى أنه سيكون له نباءٌ فقال: اكتب لي أماناً فتب له وانصرف، قال محمد بن أسحاق: أن أبا جهل قال في أمر سراقة أبياتاً فأجابه سراقة نظماً:

أبا حَكَم واللات لو كنت شاهداً ... لأمر جوادي أن تسيخ قوائمه
عجبت ولم تشكَك بأن محمداً ... نبي و برهان فمن ذا يكاتمه
على فف الناس عني فإنني ... أرى أمره يوماً ستبدو معالمه

أقول: وقصة سراقة مروية بعدة طرق ومنها ما في الدر المنثور من حديث أبي بكر في اتجاهه مع رسول الله 3 إلى الغار: فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا منهم إلا سراقة على فرس له فقلت يا رسول الله3 هذا الطلب قد لحقنا فقال لا تحزن أن الله معنا حتى إذا دنا فكان بيننا وبينه قدر رمح أو رمحين أو ثلاثة فقلت يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا وبكيت، قال: لم تبكي؟ قلت: أما والله لاأبكي على نفسي ولكني أبكي على فدعا رسول الله 3 وقال: اللهم أكفناه بما شئت فساخت فرسه إلى بطنها في أرض صلد ووثب عنها وقال: يا محمد إن هذا عملك فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه فوالله لأعمين على مَن ورائي من الطلب وهذه كنانتي فخذ منها سهماً فانك ستمر بابلي وغنمي في موضع كذا و كذا فخذ منها حاجتك فقال رسول الله 3 لاحاجة لي فيها ودعا رسول الله 3 فاطلق ورجع إلى أصحابه ومضى رسول الله 3 وأنا معه حتى قدمنا المدينة...

١. ومن حزنه ما رأه كما رواه في الدر المنثور ٣: ٢٤٠ أخرج أبو نعيم عن السماء بنت أبي بر أن أبا بكر رأى رجلاً مواجه الغار قال يا رسول الله 3 انه لرآنا، قال 3: كلا إن الملائكة تستره الآن باجنحتها فلم ينشب الرجل أن قعد يبول مستقبلهما فقال رسول الله 3: يا أبا بكر لو كان يراك ما فعل هذا.

أم هما فغير محور، حث الحزن على الخطأ الذي ضمن لله أن لا يكون عدم إيمان واطمئنان بالله الذي ضمن الحفاظ على حياته بتلك المعجزة الخارقة للعادة، ولكنه لم يبكِ حزناً فقط في قلبه، إن هو ظاهر جلي وصريح حيث يُسمع فيتكلّم خطراً على حياة الرسول 3 ولذلك لم يبكِ في قول صاحبه: ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾ ضرورة له تالية، فلو إن ذلك حزن قلبي فقط صاحبه ضرورة له 3 غالية؟ كلا إن هو الحزن الخوف يلحق صراخ يُسمع المضيفين عنه 3 للالتحاق إياه، فهي نهيه عن حزنه وطمأنته إن الله معنا، وإن الله قلب قلبه بذلك، ضرورة ربانية تالية حفاظاً على حياته 3 بالتالي، ثم ﴿فأنزل الله سكينته عليه﴾ نتيجة هذه الرابطة الثلاث من ضرورته، كما وأن الثلاث الأخرى من مخلفات الضرورة الأصلية وهي إنزال السكينة عليه 3

ثم كما أن ﴿صاحبه﴾ لا تصاحب صحبة الخليقة للنبي 3 من الناحية الروحية، كذلك ﴿معنا﴾ لا تعني مساواة المعية بينهما، فإنما هي معية في دفع الخطر الناجم لأصالة النبي 3 وعلى هامشه لزاماً للحفاظ عليه صاحبه في الغار، فهي إذاً معية الحفاظ لصاحب الرسالة.

وأما ﴿صاحبه﴾ فلا تعني له منقبة متميزة على سائر أصحاب الرسول 3 فكأن غيره لم يكونوا من صحبه، إنما هو ﴿صاحبه﴾ تعني إفراد النسبة المضافة إليه.

إن لـ ﴿صاحبه﴾ مسارح عدة تختلف في مؤداها، فـ ﴿صاحبه﴾ في السفر، غير ﴿صاحبه﴾ في التجارة، وغيرهما في الرسالة، وغيرها في الموقف، وغيرها في الإيمان، حيث تختلف الملابسات تحمل معها مختلف المصاحبات.

وهنا ﴿صاحبه﴾ في الغار ليس إلاّ من صاحبه فيه دون استئذان منه أو طلبه 3 ودون سائر المواقف الشريفة، فرق إذاً ﴿صاحبه﴾ في الغار، هو

صاحبين كل صحبه في كل البرزخ الصحبة الروحية الرسالية؟ هنا لم تدل ﴿يقول﴾ ما كنا نعرف أن صاحبه في النار كان إنساناً، حيث يصاحب الإنسان غير الإنسان من الملائكة وحوان، و من مُلكه ﴿صاحب الموت﴾ (٤٨: ٦٨) أم أياً كان من صاحب يصحب جسمه دون روحه.

فلقد عرفنا أن ﴿صاحبه﴾ إنسان لكل ﴿يقول﴾ فمن أين نعرف أنه صاحبه في القسائل الروحيتين الأصحاب، وتلك الصحبة ليست لتثبت له أهل الإيمان فضلاً عما علاه من صالح الإيمان فضلاً عن أصلحه، وقد قيل: ﴿تحزن﴾ و﴿أنزل الله سكينته عليه﴾ على طالح الإيمان.

فحين سمع الله يقول في الكهف ﴿قال لصاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً﴾ فهلاّ يحيل إلينا أن ﴿صاحبه في النار﴾[2] ما كان يصاحبه إلا كصاحب الشرك المؤمن في آية الكهف، و تعلمها آية الأعراف وظلالها: ﴿أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير﴾

فهل إن ﴿صاحبه﴾ في الكهف تجلى الشرك مؤمناً بمجرد الصحابة؟ أم إن ﴿صاحبهم﴾ في الأعراف وسواها تجلى الرسول 3 مشركاً؟

فمجرد الصحبة بين اثنين لا يجشرهما في محشر واحد و مصير فارد من الإيمان أو الكفر أم أياً كان من الشركاء، فإنما الفرز البين هو الصحابة في الجوار بدنياً أم في المثلى، ثم الصحبة الروحية هي بحاجة إلى دهان، في كفر

---

١. كـ «ما ضل صاحبكم و ما غوى» (٥٣: ٢) «وما صاحبكم بمجنون» (٨١: ٢٢) و «ما بصاحبكم من جنة» (٣٤: ٤٦) و «وصاحبهما في الدنيا معروفاً»(٣١: ١٥) و «حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى» (٦: ٧١) حيث تعني مصاحبة المؤمن الكافر، النبي مع المشركين، والولد المؤمن مع الوالدين المشركين، أو إي مؤمن مع أي كافر.

٢. همان.

إعلم أم أياً كان ثم ولا نجد في القرآن كله يعبر عن صحابة لا كـ ﴿الذين معه أشداء على الكفار ورحماء بينهم﴾ حيث تعني المعية في حمل هذه الرسالة السامية على عاتق الرسول ﷺ لا يصاحب صيغة الصاحب إيةُ مثقبة ولا مزرعة، إلا عا يصاحب الصاحب من صاحبه من مثقبة أو مزرعة، وكل منهما بحاجة إلى دليل.

ولكننا هنا نُطالَب كما أطالب الله تلك الصحبة في البداية، فحتى نقف من حكاية الصحبة ما هي منزلة تلك الصحبة؟.

ليس هنا في دور الإيضاح إلاّ ﴿اثنين﴾ الأول اثنينهما ﴿الغار﴾ وقد عرفنا موقفها أن ليست لأبي بكر إمتداداً له، إن لم يكن مزرعة عليه وهو مُزرعة! فلنقف أمسك عن أيتسلية أو إيجابية، ولكي نقل معنا إلى الدور الثاني ﴿فأنزل الله سكينته عليه﴾ وهي حصيلة تلك الصحبة المتميزة الإيجابية للرسول ﷺ قد ﴿فأنزل الله سكينته عليه﴾ إنحضره في هذه الآية عما هو نصر الله في رسالته ودعوته وكل مواقفه السلبية والإيجابية طالما هذه الرسالة، فـ ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ (٤٧: ٧) وهنا التوقيع ﴿فأنزل الله..﴾ لا يصح لي بحال تبرير صاحب الصحبة الإيجابية في هذه الآية.

وترى بعد أن ﴿عليه﴾ تعني في رحمة بينية ﴿صاحبه﴾ من هنا؟ وهذه مزرعة الرسول ﷺ أن يُحرم من السكينة الخاصة به أولاً يغص بها صاحبه في الغار!.

وهنا، كون الرسول ﷺ محور الصحبة الإيجابية، والسكينة هي محور تلك الصحبة، والضمائر الثلاثة هي بطبيعة الحال راجعة إليه، هذه ما أنبه أدلة قاطعة لا مردها أنه ﷺ هو صاحب السكينة هنا دون صاحبه.

---

١. فمثال الكفر «فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر» (٥٤: ٢٩).

و ﴿إذ يقول لصاحبه لا تحزن﴾ هي ثالثة الثلاثة له 3 ثم ﴿فأنزل الله سكينته عليه﴾ هي رابعة مرتفعة على هذه التي مضت، متوجة أصيلة لها كلها ثم و ﴿أيده بجنود لم تروها﴾ خامسة و ﴿جعل كلمة الذين كفروا السفلى، سافلة وكلمة الله هي العليا﴾ هي السابعة، وهذه الثلاثة الأخيرة هي من مخلفات السكينة، وهذه السبعة من زوايا ﴿فصر مثله﴾ هي التي تشكل هندسة الثلثة الزاوية المنطقة القيظ هذا البيت النبوي، فلو إختصت السكينة بصاحبه في الغار لاختصت بمسار الثلثة المتقدمة عليها و المتأخرة عنها!.

ثم هناك بين مختلفات في ﴿فأنزل الله سكينته عليه﴾ أنها تنقض الرسول 3 كالسنة الأخرى، والمتمم السبعة الأخرى، ولأن الرسول 3 هو محور الدائرة حوله الآية بكل بنودها!

أم تعمها! وضمير الفرد لا يحمل الرجوع إلى اثنين، فلا موقف لذلك الإحتمال أصلاً أم هو إلى صاحبه ـ كما يهواه من أصحاب صاحب الغار شذر ذر لأنه الراجع الأقرب[1] ـ فصبح تلك السكينة الغالية التي هي حصيلة متوقعة على ﴿لا تحزن﴾ خطة صاحبه دون همه 3 وليست أقوية الرجع بعودها صالحة لعود الضمير إليه، وهنا الوراث القطعية قائمة على أن الرجع هنا هو محور الثلثة الزاوية دون صاحبه، ثم لأقرب ذكراً هو الرسول لكل ﴿صاحبه﴾ حيث هو اللفظ إليه.

ذلك، ومتى لم اختصت به السكينة في السكينة النازلة على المؤمنين مع

---

١ . انهم احتالوا وحاولوا نزول السكينة عليه في قالات وروايات، منها ما في الدر المنثور ٣: ٢٤٥ ـ أخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك قال دخل النبي 3 وأبوبكر غار حراء فقال أبوبكر للنبي 3 لو أن أحدهم يبصر موضع قدمه لأبصرني وإياك فقال: ما ظنك باثنين الله ثالثهما يا أبا بكر إن الله أنزل سكينته عليك وأيدني بجنود لم تروها، ورواه مثله عن ابن عباس وأبي ثابت دون اسناد إلى النبي 3.
أقول: ولأن الكاذب ينسى فقد نسي الناقل أن الغار هو غار ثور دون حراء، ثم ما هذه السكينة النازلة على أبي بكر لم تك تُسكنه عن إضطرابه؟.

الرسول 3هلا تدل ـ إذاً ـ على مزيد طلب الغار عبارتها على غيره من المؤمنين.

ذلك، رغم أن ذكر صاحبه لا يعني إلاّ بيان ملابسة صاحبة لاطمئنانه 3في الغار عن كل الأخطار، لقد بقي صاحبه الحزين على حزنه الخطير الخطير ولنظر ثانية إلى تلك التوضيح الإلهي أن السكينة هنا تنزل على صاحبه دون غيره، فالنتيجة ـ إذاً ـ هي كالتالية:

﴿إلا تنصروه ﴿١﴾ الرسول 3 ﴿فقد نصره ﴿٢﴾ الرسولَ ﴿الله ﴿إذ أخرجه ﴿٣﴾ ﴿الرسولَ ﴿الذين كفروا ثاني اثنين ﴿٤﴾ : الرسولَ ﴿إذهما في الغار إذ يقول ﴿٥﴾ الرسولُ ﴿لصاحبه ﴿٦﴾ ﴿لا تحزن إن الله معنا ﴿ثم وهذه التالية هي قاعدة عليا من نصرته 3 ﴿فأنزل الله سكينته عليه ﴿٧﴾ إياه، إذاً فـ ﴿وأيده بجنود لم تروها ﴿تعني أيضاً إياه وكذلك الأمر فيما يتلوه كـ ﴿وكلمة الله هي العليا ﴿المتمثلة في محمد 3دونه!

ذلك، رغم أن ملحة الضرة الرابعة هنا، العنية من ﴿تنصروه الله ﴿هي السكينة النازلة عليه 3فوق سكينته تكويناً لوقته المتوقف من عدم تخوفه وحزنه وهو الغار في ذلك القرار!

فقد نصره الله أولاً بالعصمة السالفة، ثم كل نصرته بهذه السكينة عصمة على عصمته، نصرة فذة بعد نصرة بعيدة عن كل المهزلة في حق الدعوة الرسالية.

ذلك ومن واجهة أخرى قد تعني ﴿إن لا تنصروه ﴿كافة المنتمين عن نصرته على مدار الزمن الرسالي، فأنتم أنتم الخاسرون دونه 3 ﴿فقد نصره الله ﴿مسيلة على نفسه ورسالته النفسية ودعوته المزامنة الأطرف به وبقرآنه المبين وتنزيله المتين.

ومن نصرته والمؤمنين ﴿لقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة﴾ (٣: ١٢٣) و ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين﴾ (٩: ٢٥) ومن أخريات هذه السورة المتتالية المتعادية ما كان بفتح مكة ﴿ينصرك الله نصراً عزيزاً﴾ (٤٨: ٣).

ومن ثم ﴿أيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى﴾ حيث سفلت حيلهم بحقه، ﴿وكلمة الله هي العليا﴾ حيث علت بهجرته ثم غلت بفتح المدينة بدرجة من هذه الهجرة المهاجرة.

ولننظر هنا إلى ﴿المكية﴾ في وصف القرآن على من تنزل كأصل، ثم من نقل كأصل على من؟.

هنا نجد بين يقين المؤمنين بالرسول ﷺ تشملهم المكية على هامش الرسول ﷺ ﴿ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾ (٩: ٢٦) وهم الذين ظلوا مع الرسول ﷺ وما ظنوا من هؤلاء الثمانين بين اثني عشر ألفاً أو يزيدون، فكما هنا نخص المكية بالمؤمنين الثابتين دون المهزومين المنهزمين، علّها كذلك هنا لا تنزل على صاحبه المؤمن إذا لم يكن له ثابت الإيمان الذي يبقى له إذا زال المكية، فإنما تنزل المكية السالبة على الرسول ﷺ على سكينته الرسولية الذاتية وهي العصمة.

فهنا الرسول سكينة يعيشها عصمةَ العصمة الرسولية، ثم سكينة تنزل عليه مزيداً لتلك العصمة، كما للمؤمنين التي سكينة الإيمان المطمئنين معها بالطمأنينة، ثم تنزل عليهم المكية لتزدادوا إيماناً على إيمانهم.

هذه سكينة مزيد العصمة على عصمة ﷺ وهي الصورة الرابعة البارزة للرسول ﷺ حصيلة الموقف الثلاثة الأولى، وهي قلب مسجَّى الصورة ومن حصائلها المختلفة عنها بعدما هي مختلفة عن الثلاثة الأولى الثلاثة أخرى هي ﴿وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا﴾.

قد أيده في موقف عدة بجنود لم تروها، إذ أخرجه الذين كفروا إذ هما في الغار، و إذ يقول لصاحبه لا تحزن، وإذ دخل المدينة حيث أيده في حروب كبر وحنين وما أشبه، ثم ﴿جعل كلمة الذين كفروا السفلى ﴾ مهما حاولوا أن يجعلوه العليا، وكلمة الله هي العليا، مهما حاولوا أن يجعلوه السفلى، وهنا كلمة الله هي كلمة الرسالة القرآنية المحمدية المحاطة بكلمات الله التامة المطلقة.

فترى بعد أن عشرة من هذه السبع عقلاً عن عقل الثورة وعملها تحت ضاحبه في الغار؟ ولا نشك أن الحزن الذي على صاحب الرسالة لعدم تنبيه عنه بإذن الله إلى تخفيف حزنه عشرة له في حق ﴿نصر الله﴾ فالثورة الربانية الخفية يظلم الحال في العهد المكي أخذت تنمو وتظهر زاهرة باهرة منذ هجرته إلى أن توفاه الله وإلى يوم القيامة الكبرى.

إذاً فجوع ضمير الطالب في ﴿عليه﴾ إليه إلى مقطوع أدبياً ومعنوياً من جهات عدة لا ينكرها ولا واحدة منها إلا معاند متعصب يريد ليحمل رأيه مذهبياً على نص القرآن!.

ذلك ثم في الفتح ﴿فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾ (٢٦) وذلك حيث ﴿علم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً﴾ (٤٨:١٨).

وقد يزيد المؤمنون بالسكينة حيث يزدادون عن الرسول إذكراً، وهم معه إيماناً، ﴿ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم﴾ وهي لا تنفي مباشرة الرسول ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم﴾ (٤٨ : ٤) ـ ﴿علم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً﴾ (٤٨:١٨).

ثم هنا ـ ولادة بينة ـ نجد اختصاص الرسول بالسكينة، ومعه صاحبه الحزين في الغار، وهو أخوج إلى السكينة، وقد ذكر معه وبنا لاث، فسكينة المؤمنين ليزدادوا إيماناً على إيمانهم إكراماً لإيمانهم بجانبه، وسكينة الرسول

ليزداد عصمة على عصمه إكراماً لطمأنته، وأما صحبه في الغار فالسكينة تنزل عليه لا رسولياً ولا إيمانياً إذ لم تكن السكينة إيمانية تبعثه عن حزنه الخزين المهتاج، المحتاج إلى تلك التي للمؤمن.

فهنا السائل، لماذا لم تشمله السكينة النازلة على الرسول 3وهو المحتاج في حزنه إليها دون الرسول ؟ إنه لرعونته هو دون الرسول الذي نزلها عليها وطمأنته لأنه ــ على حزنه ــ لا يحتاج إلى السكينة والرسول على طمأنته يحتاجها! فهو ــ إذاً ــ أغنى من الرسول 3على حاجته إليها!.

أم هو كما الرسول 3وعلى مستواه في الحاجة إليها! فلماذا لم تشمله معه!.

أم هو دون الرسول 3ــ وهو طبيعة الحال لكل من هو مع الرسول ــ؟ فإذا كان مؤمناً ماكثاً فلتشمله السكينة كما شملت سائر المؤمنين مع الرسول ؟وما قوله القائل إنما السكينة تنزل على أبي بكر حيث كان يحتاجها دون الرسول 3 إذ لم يكن يحتاجها، ما هي إلا غائلة مائلة يحتاجها إلا ﴿المؤمنين ﴾ثم الرسول 3على رسالته هو بحاجة إلى سكينة الرسولية طول حياته، ثم وما هو الفارق بين مسرح الغار والحديبية، حيث هما خطران على الطريق، والغار أخطر على النبي 3فتنزل عليه السكينة فيها بأحرى وأجدر، وإذا لا جدارة لصاحبه في الغار، وكانت للمؤمنين في حنين وفتح مكة، فتنزل السكينة عليهم فيها دون صاحبه في الغار!.

وبين ثنايا هذه الثلاث فلم يبق إلا أنه على إيمانه لم يكن يملك الجدارة الإيمانية التي تُنزِّل السكينة على صاحبه، فضلاً عن السكينة الرسالية، فقد علم ما في قلوب المؤمنين معه 3فأنزل السكينة عليهم ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم، وعلم ما في قلب صاحبه 3في الغار، فلم ينزل سكينة عليه لكان حزنه الخزين الذال على ضعف في إيمانه!.

فقد كان مؤمناً حينذاك لأكثر تقدير ــ ولكنه لم يكن يملك الجدارة الإيمانية

وهل نزول السكينة عليه مع الرسول 3أو بعده.

فهل إن في آية الغار ـ بدءً ـ افتخار لصاحب الغار، أم هي عليه عار في الفعل لأصل إيمانه ـ إذاً ـ أم لبداية الإيمان ظرفاً للسكينة؟! ولو أننا اختصصنا السكينة به في الغار تغاضياً عن نص الآية، لما كان لصاحب الغار ـ بعد ـ مكسب من صحبة الرسول 3في الغار.

فآية الغار هي خير مسؤول الإجابة عن موقف صاحب الغار، كما وآية البيت هي خير مقرر لموقف الإمام علي Δ في تضحيته العالية الغالية عن الرسول 3 ﴿من الذين يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد﴾ (٢: ٢٠٧) وفي بدءً أن الحضور عند الرسول 3بأمان أضر في خدمته، أم الحضور في فراشه الخطر بغيابه؟[1].

ذلك، وإلى فقرة أخرى في مقاطع الآية لتكون على بصيرة أكثر من مؤداها: ففي ولماذا كان صاحبه حزيناً؟ أإشفاقاً على النبي 3فلماذا نهاه وهو موقف طمأنة الإيمان؟ ثم كيف يحزن هو دونه 3إن كان حزنه على نجم الغار وقضى الله خلاصه من بأس المشركين بما أخرجه هكذا وأخرجهم خائبين.

وفي البناء على قوله في هاجم الغار لا يسلم منه لأي حزن إلاّ طمأنينة وطمأنينة، ثم في صاحبه في الغار يحزن في نجم الغار وهو مأمون بما أمنهما الله!.

وبين يدي علي Δ أن كنت حيث ذكر الله أبا بكر قال: ﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار﴾ قال: ويلك كنت على فراش رسول الله 3وقد طرح علي رداءه فأقبل قريش مع كل رجل منهم هراوة فهاشموكها فلم يبرحوا رسول الله 3فأقبلوا علي يضربوني حتى يظنوا جهلي وأوقعوني بالحديد وجعلوني

---

١. البحار ١٩: ٧٦ يج روي أن ابن الكوا قال لعلي Δ.

في بيت ولستوقوا الباب بقي.. ﴿

وترى فتيل رسول الله 3كان أخطر أم الغار؟ طبعاً هو القتال، وإلا فلماذا الفرار منه إلى الغار، فقد كان موقف علي Δمن الرسول 3موقف التضحية بنفسه ولا أمل ولم يحزن، وموقف أبي بكر هو موقف الأمل وقد حزن!.

وتعليق على صاحبه 3في الغار أنه ما كتب فضيلة أم قد كتب رذيلة ما تراجع عنه 3من قوله له في قصة الغار لا تحزن بينما أنه 3أما أعلمتني: ﴿كيف تبلغ عني وأنت صاحبي في الغار ﴿. فلو كانت صحبته في الغار منقبة فلتظلّ منقبة رسالية في إبلاغ الرسالة، ولكن حزنه إنهما في الغار كان دليلاً على فضل إيمانه وخوفه فيما لا خوف فيه، فكيف يؤمن على إبلاغ رسالته في جو الإشراك المخيف؟.

هنا نسأل: هل إن من لا يصلح لحمل رسالة وبلاغ جزئية من الرسول 3يصلح لحمل بلاغ هذه الرسالة بعده 3؟.

وترى بعدُ ﴿إن لا تنصروه فقد نصره الله.. ﴿ تفيد بكافة المؤمنين عن فهم علي أمير المؤمنين Δوسائر فقهاء الصحابة، وتجيد صاحب الغار؟ و ﴿نصر الله ﴿خص نصرته في الغار بالله!.

وهذا الخطاب العتاب يخص عن تلك نصرته 3من البطانة والمرتزقة في قلوبهم مرض، دون وسطاء الإيمان فقلاً عن فقلائهم، وقد تتلى آيات تالية في جمع عشرة أن المعنيين بهذه الخطابات هم أولاء الأنكاد الموصوفين بالنفاق وعدم الإيمان، فحتى البطانة المُبرّءهم خارجون عنهم فقلاً عن سائر المؤمنين وسطاء وفقلاء! فقد قال الله عن فقلائهم: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد

---

١. هذه وأمثالها من حجج داحضة واهية أوردها الفخر الرازي في تفسيره إنتصاراً لصاحب الغار!.

لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ﴿٩: ١٠٠﴾.

وبذلك كان من شيء فقد يشمل هذا الخطاب أبابكر شخصه مع سائر المؤمنين، إذ لم يستثن من ذلك الخطاب العام، وإنما استثني في موقف القتال عن صالحي المؤمنين الجديرين بنزول السكينة عليهم، فالروايات الواردة بهذه المثابة للتميزة لصاحب الغار مختلقة تناقض الآية بصدرها وذيلها، أم موالفة من أفضل صاحب الغار.[1]

أم ورد هذه الصحبة الصاحبة في الغار له 3 مضرة، وليس الميت على قوله 3 لمضرة لكم ولا تضروه ﴿إلا تضروه﴾ تحقق السلب على كافة المؤمنين و منهم أصفياء أتقياء هم كانوا له أفضل في كافة الموقف كما يعلمهم الله في مواطن كثيرة.

وهل إن جهادهم معه 3 في سبيل الله قليلين و مقرونين بجنب سليس مضرة له، والاستيواح معه في أن القتال إلى الهجرة المهاجرة عن بلد المشركين هو له مضرة.

وهل إن لا يعلم به على كل المؤمنين كما كان لعلي Δ ليس له مضرة، ثم لأن معه في الغار له مضرة، وقد تواتر الأثر عن أهله المعصومين (عليهم السلام) وسواهم أنه أول من آمن كما عنه (عليه السلام) نفسه: ﴿لم يسبق أحد قبلي إلى دعوتي﴾ (النهج ـ ١٣٩) وله Δ هو صاحبه بحق الصحبة الصالحة الصادقة.

فهنا صاحبان لرسول الله 3 صاحبه في الغار حالة النزول، وصاحبه الغار

---

١. منها ما افتروه على علي Δ كما في الدر المنثور ٣ : ٢٤١ ـ أخرج خيثمة بن سليمان الاطرابلسي في فضائل الصحابة وابن عساكر عن علي بن أبي طالب Δ قال: إن الله ذم الناس كلهم و مدح أبابكر فقال «إلا تنصروه فقد نصره الله...» وروى مثله عن سفيان بن عيينة و الحسن.

الكرار غير الفرّار، وأين صاحب من صاحب؟!

ولقد تواتر عن النبي 3في وصف صاحبه الذي يحق صحبته للسولية والرسالية قوله ﷺ«علي صاحب رايتي»[١] و ﷺ«صاحب لوائي»[٢] و ﷺ«صاحبي»[٣] و ﷺ«صاحب حوضي»[٤] و ﷺ«لكل نبي صاحب سر وصاحب سري علي».[٥]

ذلك، كما وهو ﷺ«الصديق الأكبر» ﷺعلى لسان النبي 3فيما تواتر عنه.[٦]

ذلك، وإنما هي غيرة ربانية مقدسة الغيارى كل غيرة بشرية تخفى دون الأمين ﷺإذ يقول صاحبه لا تحزن ﷺ«نحن الغار لا يحزن والملائكة حوله 3 الآن في ظله يحزن؟ فهل إن حزنه محظور إلهي تركه غيرة له 3منه وهو غيور بالملكية الربانية أولاً، ثم بها غيرة عليها ثانياً، أم إن إخصاصه 3 بالملكية وحرمان صاحبه في الغار عنها غيرة منه له 3!وهو عليه كثيرة وحسرة، والرسول 3منهما حيث بينهما ﷺ«لا تحزن» ﷺ.

وأما ﷺ«إن لله معنا» ﷺحيث يُتملك بها بعينه إلههما المشتركة بينهما، إنها بطبيعة الحال معية الرحمة الخاصة؟ فوقف الغار يضد هذه المعية أنها تنفي معية الحفظ على نبيها عن الغار، وكل الأحياء مشتركون معهما في هذه

---

١. ملحقات إحقاق الحق ٤ ١٦٦، ١٦٨، ٣٦٣.

٢. المصـــدر ٤: ١٦٩ ـ ١٧٠، ٢٢٧، ٢٦٥، ٢٦٩، ٣٦٧ و ٦: ٥٤، ٥٨٨ و ٧: ٣٨٤ و ١٥: ٥٤٦، ٤٤١ و ٢٠: ٣١٩ ـ ٣٢٢، ٢٧٣، ٣٣٢، ٣٠٩، ٣١١، ٤٠٧.

٣. المصدر ٤: ١٧١ ـ ١٧٧، ٢٩٧، ٣٤٢، ٣٦٣ و ١٥: ١٦٩، ٣٤٨.

٤. المصدر ٤: ١٠١، ١٧٠، ٢٧٠ ـ و ١٥: ٣٠٩ و ٢٠: ٣٠٨ ـ ٣٠٩، ٤٠٧ و ٤: ٢٧٧ و ٢٠: ٢٣٠.

٥. المصدر ٤: ٢٢٦ و ١٥: ٢٢٦ ـ ٢٢٧ و ٢٠: ٣١٢ ـ ٣١٣.

٦. المصدر ٤: ٢٦ ـ ٣٥، ٢٠٣، ٢٠٩، ٢١٧، ٢٨٤، ٣٣١، ٣٤١،٣٤٦، ٣٦٨، ٣٧١، ٣٨٦ و ٦: ١٦٠ و ٧: ١٣١ و ١٥: ٢٨١، ٣٤٢، ٣٤٥، ٣٠٠، ٤٨٩، ٥١٢ و ١٦: ٥١٤ و ٢٠: ٢٢٤، ٢٢٧ ـ ٢٢٩، ٢٥٩ ـ ٢٦٣، ٢٩٨، ٣٣٣، ٣٤٠، ٣٧٤ ـ ٣٧٩، ٤٥٤ ـ ٤٥٩، ٤٦٦، ٤٧٢.

المعية، وإن كانت المعية الرسول 3متميزة عن سائر المعيات، كما ﴿هو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير﴾(٤ ٥٧) تشمل علمة المعيات لكل الخليقة علماً وقدرة وقيومية، رحمانية ورحيمية، رغم أن التجلي درجات في هذه المعيات الربانية.

فالمعية الربانية غير المؤمنين هي الرحمانية العامة، وهي للمؤمنين على درجاتهم معيات رحيمية على درجاتها ولا يظلمون فتيلاً ثم المعية الخيفة على الأنفس، الشاملة للكلّ مؤمنين وسواهم، لا تنفي مساواتهم فيها كرامةً، فإن إيقاعه تظل على الظالمين إملاءً هي مهلة: ﴿أملي لهم إن كيدي متين﴾ وهي مع خطل المؤمنين كرامة خطة كـ ﴿إني معكما أسمع وأرى﴾.

فـ ﴿إن الله معنا﴾ لا تعني إلا أصل المعية الرحمانية المشتركة واقعياً بينهما، أو والرحيمية الرسالية الرسول 3وأخرى ما تتلبس صاحبه في الغار، وقد لحظ الرسول 3في هذه المعية أنه محافظ عليه تحت ظله ورعاية الله الخطة به فماذا إذاً يحزن؟.

هذا وملامح هذه الفترة الربانية مبينة من ملامح الآية كالتالية:

١ ﴿إذ أخرجه الذين كفروا﴾ حيث خرج بخارقة العادة الربانية، وستر على باب الغار بستارة العنكبوت حيث أوحاها إلى ما قبل ولادته 3وثبّت من شك فاصاً عنه.

٢ ﴿إذ هما في الغار﴾ ٣ إذ يقول لصاحبه لا تحزن ﴿حيث عز حينذاك بمكيدة ربانية غالبة استمرت طيلة حياته الرسولية، واستمر رسالته إلى يوم الدين.

٣ ﴿فأنزل الله سكينته عليه﴾ وهي فترة تالية منه ظل جانبه 3كقلب لما اختفى بها من فترة، وقد تكون هذه المكيدة المتميزة لكل ﴿سكينته﴾ هي

هي النصرة الموعودة بـ ﴿نصره الله﴾ و ﴿إذ﴾ لا تأتي من عمل هي خارج وحاله وإنما تنزل هذه النصرة كما وأن ﴿أيده و.. ﴾ من مخلفاتها، فهي هي بعد خطة صاحبه في الغار سلباً عنه النصرة الموعودة له!!!

[٤] ﴿أيده بجنود لم تروها﴾ من ملائكة وما أشبه حيث غلوا بينهم وبينه عند خروجه عن بيته وفي الغار وعند هجرته، وكذلك في حرب بدر وحنين والأحزاب وما أشبه.

[٥] ﴿وجعل كلمة الذين كفروا السفلى﴾ وهي كلمتهم الخبيثة بدار الندوة حيث أجمعوا على قتله باغتياله ليلاً في فراشه.

[٦] ﴿وكلمة الله هي العليا﴾ على مدار الزمن دون حاجة إلى جعل، والرسول 3 بقرآنه المبين ورهطه المبين هو من كلمات الله العليا والله عزيز حكيم ﴿

ذلك فلم يكسب صاحبه في الغار من تلك الصحبة فضيلة إن لم نقل عليه رذيلة، فإنه هو الذي لحقه 3 إلى الغار دون اختيار منه 3 ثم حزن لحزنه 3 عنه واحتسب ذلك التي ضرة له وما هي لمضرة إلا إذا كان حزنه خطأ عليه، ثم أنزل الله سكينة عليه 3 دون صاحبه وهو ضرة له 3 أخرى إيجابياً، ثم سلبياً أن صاحبه ما كان في حق الإيمان بدرجة يليق أن تشمله السكينة الربانية وهو أحوج إليها منه 3

هذه مسارح سنة لنصرته ﴿فقد نصره الله﴾ دون انفضاض فيها صاحبه في الغار ولا انفضاض اللهم إلا عن فوق عار لمكان ﴿لا تحزن... فأنزل الله سكينته عليه ﴿

وعد ربانى

سورة النصر ـ مدينة ـ وآياتها ثلاث

«بِسْمِ اللّهِ الرّحْمنِ الرّحيمِ. إذا جاءَ نَصْرُ اللّهِ وَ الْفَتْحُ(١) وَ رَأَيْتَ النّاسَ يَدْخُلُونَ فى دينِ اللّهِ أَفْواجًا(٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اسْتَغْفِرْهُ إِنّهُ كانَ تَوّابًا»(٣)

آيات هذه السورة تحمل بشارة النصر والفتح، وقد سبقتها بشارات عدة، وهنا نريد فيه معنى الفتح: ﴿ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ۞ وفيه ما يطلبه الفتح: ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توّاباً ۞

بشارات تتضافر و تتواصل، في حين أن الرسول 3هاجر مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، وهاجمت المشركين دائبة، وأيامهم دائمة، ورجاء الرجوع إلى مكة بعيد، ومتى لأداء الحج... وأن فتح مكة وتتاطر الوفود للدخول في دين الله من أهم الأهداف الرسالة المحمدية، ولأنها أم القرى، المركز الرئيسي للدعوة الإسلامية.

قال ابن كثير في التفسير: ﴿المراد هنا فتح مكة قولاً واحداً، فإن أحياء العرب كانت تتلوم: تنتظر، بإسلامها فتح مكة، يقولون: إن ظهر على قومه فهو نبي، فلما فتح الله مكة دخلوا في دين الله أفواجاً، فلم تمض سنتان حتى استوثقت جزيرة العرب إيماناً، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مُظهر للإسلام ولله الحمد والمنة ۞

هذه الرواية تلاءم مع ظاهر النص في السورة ﴿إذا جاء... ۞ فلم يقل ﴿قد جاء ۞ إنها بشارة بمستقبل الفتح والنصر لا واقعه، فلقد كانت في هذه البشارات للملاحقة حجة الرسالة المحمدية، إذ تحمل ملامح الغيب، وتهيئ قلوب المؤمنين بهذه الرسالة السامية، إذ تبشرهم بمستقبل العز و الإجلال، وفيها تبكيت وتسكيت للكافرين إذ يسمعون الوحي يقرع أسماعهم بقوارع

الفتح، وكما تواترت به الروايات عن الرسول الأعظم 3 [1]

هذه هي كلمات الآيات تتوطد في بشرى الفتح إعلاناً وإيراداً بقطع ورؤياً، وإلى حيث كان الفتح واقع ولمّا يقع: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ تظل بعني مستقبلاً قطعاً وكأنه أمر مضى، ستنزل في السنة السادسة من الهجرة، قبل الفتح بسنتين، وفي نص السورة ذكر رؤيا الرسول 3 وأن الله صدقها: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله

---

١. أخرج الطبراني عن ابن عباس قال: لما أقبل رسول الله 3 من غزوة حنين أنزل عليه «إذا جاء نصر الله والفتح» الخ.. قال رسول الله 3: يا علي بن أبي طالب ويا فاطمة بنت محمد! جاء نصر الله والفتح.. سبحان ربي وبحمده واستغفره إنه كان توابا، و يا علي انه يكون بعدي في المؤمنين الجهاد، قال: علام نجاهد المؤمنين الذين يقولون آمنا؟ قال: على الأحداث في الدين إذا عملوا بالرأي ولا رأى في الدين، إنما الدين من الرب أمره ونهيه، قال علي: يا رسول الله أرأيت إن عرض علينا أمر لم ينزل فيه قرآن ولم يقض فيه سنة منك؟ قال: تجعلونه شورى بين العابدين المؤمنين ولا تقضونه برأى خاصة، فلو كنت مستخلفاًأحداً لم يكن أحد أحق منك لقربك في الإسلام وقرابتك من رسول الله 3 وصهرك، وعندك سيدة نساء المؤمنين، وقبل ذلك ما كان من بلاء أبي طالب إياي ونزل القرآن وأنا حريص على أن أرعى له في ولده (الدر المنثور ٦: ٤٠٧).

أقول: لاتخفى دلالة هذا الحديث على أحقية الإمام علي Δ بالإمرةعلى القولين: انه 3 استخلف أو لم يستخلف، إذ أبدي رأيه فيمن هو أولى، فهل يا ترى ان لو كان السقيفة حق الاستمارة في الإمرة، فمن هو أولى بالاتباع؟ الرسول 3 أم أصحاب الشورى، وبعد أن أبدى الرسول رأيه!

وأخرج ابن أبي شيبة ومسلم وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن عائشة قالت: كان رسول الله 3 يكثر من قول: سبحان الله وبحمده وأستغفر الله وأتوب إليه، فقد رأيتها: إذا جاء نصر الله والفتح ـ فتح مكة ـ ورأيت الناس، الخ...

وفي تفسير علي بن إبراهيم القمي قال: نزلت بمنى في حجة الوداع وإذا جاء نصر الله والفتح، فلما نزلت قال رسول الله 3: نعيت إلي نفسي، فجاء إلى مسجد الخيف فجمع الناس ثم قال: نصر الله امرءاً سمع مقالتي وبلغها من لم يسمعها، فرب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب امرىء مسلم: إخلاص العمل لله والنصيحة لأئمة المسلمين، واللزوم لجماعتهم، فإن دعوتهم محيطة من وراثهم، أيها الناس إني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا ولن تزلوا، كتاب الله وعترتي وأهل بيتي، فأنه قد نبأني اللطيف الخبير انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض كأصبعي هاتين ـ وجمع بين سبابتيه ـ ولا أقول كهاتين ـ وجمع بين سبابته والوسطى ـ فتفضل هذه على هذه (نورالثقلين ٥: ٦٩٠ ح ١٠)

آمين . محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً ﴿٢٨:٤٨﴾، ولقد كانت هامة الفتح من غير احتمال ومخيلة في الرؤيا، ولكن لله حقنها وفاءً بجهود نبي... نبي رؤياه هذه في بين كان المشركون قد منعوهم منذ الهجرة من دخول مكة حتى في الأشهر الحرم التي كانت العرب تحلّها في الجاهلية، وضع السلاح فيها، وتعظم القتال في أيامها، والمدّعى للمسجد الحرام حتى أصحاب الفيل كانوا يتجمعون في ظلال هذه الحرمة، وبلغ الرجل قاتل أبيه أو أخيه فلا يرفع في وجهه سيفاً، ولا يصده عن البيت الحرم، ولكنهم خالفوا هذه السنة وصدوا الرسول 3 والمسلمين طول سنوات.

«هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام و الهدى معكوفاً أن يبلغ محله..» (٢٥:٤٨).

بشارات الفتح على وقوعها تلاحق وتلاحق هنا و هناك، تثبيتاً للمؤمنين، ودحضاً لشكوك الريبة التي في قلوبهم مرض: ﴿في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسرّوا في أنفسهم نادمين ﴿٥٢:٥﴾.

ولقد كان المؤمنون يرجون هكذا فتح وفضل، يرددون رجاءه ويتراءى لهم نهاراً: ﴿أخرى تحبونها نصرٌ من الله وفتح قريب وبشّر المؤمنين ﴿١٣:٦١﴾.. ولقد قضى الرسول 3 برده إلى معاد، مولده ومولده، لأنه فرض عليه القرآن: أم الكتاب الذي يجب أن يتلى من أم القرى: ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ﴿٨٥:٢٨﴾

بشارات تتخلل في طيات الهجرة، إلى أن قرب الوعد وتلك سورة الفتح بعد سورة الفتح وآيات الفتح، ثم تحقق الفتح وتلك آياته وآيات بعدها تندّد بمن كانوا يعدون أنفسهم الحق لمجيء الفتح، وأن يخرجوا من المتشكك ومن

طالح الأعمال ولم يعلموا: ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاءً حسناً إن الله سميع عليم. ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين. إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين﴾ (٨: ١٧ ـ ١٩).

«إِذا جاءَ نَصْرُ اللّهِ وَ الْفَتْحُ»(١):

لقد كانت النبي الأكرم فتح بعد الهجرة، ليست معنيّة هنا إلا أعظمها وأهمها، كلّه الفتح المبين إلا، وإنه فتح مكة المكرمة، إذ لم يكن دخول الناس في دين الله أفواجاً إلا بعد الاستيلاء وذلك سمّي فتح الفتوح، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم حينه: لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية.

وهذا وعد طيب للذين ينصرون دين الله أن الله هو ناصرهم في دينهم من قريب أو من بعيد: ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾.

نصرة في الظاهر الحرية والانتصارات العزيزة معاً، وكما نراه في حرب بدر كيف غلبت جنود المسلمين وهم ٣١٣ شخصاً على قلة من العدة والعدة، على عشرات من المشركين على كثرتهم وعددهم.

نصر وفتح:

---

١ . الدر المنثور ٦: ٤٠٦، أخرجه الطيالسي وابن أبي شيبة وأحمد والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن أبي سعيد الخدري قال:...
والأحاديث مستفيضة أن سورة النصر كانت سورة النعي، وكما أخرج الخطيب وابن عساكر عن علي∆ قال:نعى الله لنبيه 3 حين أنزل عليه: إذا جاء نصر الله والفتح، سنة ثمان بعد مهاجر رسول الله 3 فلما طعن في سنة تسع من مهاجرة تتابع عليه القبائل تسعى فلم يدر متى الأجل ليلاً أو نهاراً، فعمل على قدر ذلك، فوسع السنن وشدد الفرائض، وأظهر الرخص، ونسنح كثيراً من الأحاديث وغزا تبوك وفعل فعل مودع (ص ٤٠٧).

غير أنه يعقبه الفتح سلبي لأن الله يريدهما دوغا شرط، ولا لأن النبي والمؤمنين يريدونه دوغا تأييد إلهي، إنما هما بشهادة التاريخ، فإعداد إلهي.

غير أنه بالرغم حجته وظهور دعوته، وفتح الله القلوب للقرآن، فتحها الله بالرسول الأعزل إذ أقبلت عليها بأفواه الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، ولولا هذا الفتح الأول لم يكن الثاني: دخول الناس في دين الله أفواجاً من غير.

ثم غير أنه وضح أن: أن لا غير للمسلمين تحت راية الحديبية على الوثنيين الحيلة بيد التوحيد، فطرهم الإسلام أو الاستسلام، إسلاماً عن حجة سبقت واستسلام عن حجة داحضة بالغة، دون أن يكون هناك إكراه في الدين:

« لا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَىِّ» وإنما الإكراه في الاستسلام: قبول الإسلام ظاهرياً لمن ليس يقبله، رغم براهينه الساطعة: ﴿وجحدا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾.

.. فهذه تهمة ووقاحة من أعداء الإسلام: أنه دين السيف والقوة، وليس دين الحجة، لا لشيء إلا أن رسول الإسلام دافع عن نفسه وأنفس المؤمنين بالقوة، ابتداءً من الهجرة، بعد أن ذاق وذاق المسلمون المهاجرون ألو ان الأذى والبلاء طوال ثلاثة عشر سنة في مكة المكرمة.

إنه دافع كما يجب إنسانياً وفي الشرائع الإلهية، وكما النبيون أجمع أمروا بالجهاد، فمنهم من وجد أنصاراً كموسى وداود وسليمان وشعيب ويوشع وأضرابهم(عليهم السلام)، إذ حاربوا حروباً دامية[1]، ومنهم من لم يجد أنصاراً رغم استعداده للحرب

---

١ . كما في سفر الاعداد ٣١: ٧ ـ ١٧ والتثنية ٢: ٢٤ ـ ٣٤ و ٢٠ ـ ١، ٢، ٥، ٨، ١٠ ـ ١٤ و ٢١: ٢٤ وسفر الخروج ١٧: ٨ ـ ١٦.. وأغلب الفصول من كتاب يوشع و أول تواريخ الأيام الفصل ٢٧ والتكوين ١٥: ١٨.

كالسيد المسيح Δ.[1]

«وَ رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دينِ اللّهِ أَفْواجًا»(٢):

فهل إنهم كل الناس؟ هذا خلاف الواقع الملموس، وإن كان يوافق عموم اللفظ! أم إنهم الذين عرفوا الدعوة فحقَّ لهم أن يصدقوها؟ فكذلك الأمر، أم إنهم المؤمنون فحسب؟ وهذا لا يلائم عموم اللفظ ﴿الناس﴾!

أقول: رباط الدخول في الإسلام بالفتح يوحي أنهم الذين عرفوا الإسلام ثم كملت معرفتهم بالفتح، بما أنه كان من ملاحم الغيب، وقد صدق به وعد الله، ثم الذين آمنوا منهم هم الناس، والذين لم يؤمنوا وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم فهم النسناس، فقد ﴿سئل الحسن بن علي Δ من الناس؟ فقال: نحن الناس، وأشياعنا أشباه الناس، وأعداؤنا النسناس، فقبله علي Δ بين عينيه وقال: الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾:

﴿فى دين الله﴾ هل إن سائر الأديان الإلهية ليست دين الله؟ فكيف يُعتبر دخول غير المسلم في الإسلام دخولاً في دين الله، الموحي أنه خروج عن غير دين الله، أو دين غير الله؟

الجواب: أن الداخلين في الإسلام حينذاك كانوا بين مشرك لم يكن في دين الله، وبين كتابي لم يكن يلتزم بدين الله، إذ إن الإسلام لله والتسليم له يقتضي رفض السابق وإن كانت من شريعة الله، والاعتناق باللاحق بما أمر الله، فـ ﴿إن الدين عند الله

---

١ . السيد المسيح والحرب:

وفي لوقا (١٢: ٤٩ ـ ٥٠) : «جئت لألقي ناراً على الأرض ـ فماذا أريد لو اضطرمت. ولي صيغة أصطبغها وكيف أنحصر حتى تكمل، أتظنون أني جئت لأعطي سلاماً على الأرض؟ كلا! أقول لكم: بل انقساماً».

وفي لوقا (٢٢: ٣٦): «فقال لهم: لكن الآن من له كيس فليأخذه و مزدود كذلك، ومن ليس له فليبع ثوبه ويشتري سيفاً».

هنا وهناك يأمر المسيح بالحرب والدقاع، ثم في الآية ٤٩ يأمر بالضرب: «فلما رأى الذين حوله ما يكون قالوا: يا رب! أنضرب بالسيف؟ وضرب واحد منهم عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى..».

الإسلام☯ ولا معنى للإسلام بعد نزول شريعة القرآن إلا اعتناقه ورفض ما سواه، مهما كانت من الشرائع السابقة.

وإضافة إلى كل ذلك فإن الشريعة الأخيرة الخالدة كانت هي الهدف الرئيسي من الرسات قبلها، فلم تكن السابقة عليها إلا كتهيئة لها، فحقٌ لها أن تعتبر كأنها هي الدين لا سواه، وأن رسوله هو الرسول لا سواه.[1]

❁أفواجاً☯: جماعات كثيرة تترى متسابقين، فقد كانت القبيلة تدخل بأسرها، بعدما كانوا يدخلون واحداً واحداً واثنين اثنين.. وعن جابر بن عبدالله ❁أنه بكى ذات يوم فقيل له: ما يبكيك؟ فقال سمعت رسول الله3 يقول: دخل الناس في دين الله أفواجاً وسيخرجون منه أفواجاً☯.

هكذا دخول في الإسلام دليلٌ قاطع لا مردّ له، على مدى وضوح البراهين الإسلامية لحدّ تتسابق أفواج الناس لتصديقه، ثم ليس خروج من يخرج إلا للمغريات التي تغرّهم، والمُضِلات التي تضلهم، أو خروجاً عامداً للتضليل و كما كان دخوله للإدغال والتدجيل.

«فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ وَ اسْتَغْفِرْهُ إِنّهُ کانَ تَوّابًا»(٣)

هنا يتحدد شأن الرسول الأقدس3 ومن معه، بإزاء تكريم الله لهم، وإكرامهم بتحقيق نصره على أيديهم: أن شأنه ومن معه هو الإتجاه إلى الله، أن يسبحوا الله بحمده ويستغفروه في لحظة الإنتصار.

التسبيح بالحمد على ما أولاهم منَّه: أن جعلهم أمناء على دعوته، حراساً لدينه، وعلى ما أولى البشرية كلها من رحمة بنصره لدينه، وفتحه على رسوله، ودخول الناس أفواجاً في هذا الخير الفائض العميم، بعد العمى والضلال والخسران القديم.

التسبيح بالحمد، لاالتسبيح والحمد، كلّ على حِدَة، ولا كلّ دون سواه، لأن التسبيح

---

١ . راجع كراسنا «وحدة الدين واختلاف الشرائع» و كتابنا «المقارنات».

يعني الناحية السلبية من صفات الله تعالى، والحمد: الناحية الإيجابية:

الصفات السلبية والثبوتية.

فلو حمدناه دون تسبيح وتنزيه عما هو منزه عنه، لكنا مخطئين في حمده من جهات عدة، منها: أن الحمد يحلى للإقبال، والتابعات من الذوات ومن الصفات والأفعال حسب ادراكاتنا ليست إلا حسب مقدرتنا من الإدراك، وهي محدودة من ناحية، وهي مشبهة له تعالى بخلقه من أخرى ﴿ سُبْحانَ اللّهِ عَمّا يَصِفُونَ(١٥٩) إِلاّ عِبادَ اللّهِ الْمُخْلَصِينَ(٣٧:١٦٠) . فإنهم لايصفونه إلا كما وصف به نفسه.

ولو سبّحناه دون تحميد لخُيِّل إلينا أنه المنفي الذات والصفات والأفعال لأنسنا الدائب بالذوات والصفات والأفعال التي نعيشها، فإذ نسلبها عن ذاته تعالى فكأننا سلبنا عنه كل كيان موجود.

فبما أنه ﴿خارج عن الحدين: حد الابطال وحدّ التشبيه☯، علينا أن نسبحه بحمده:

١ ـ نسبّحه وننزِّه عنه تعالى ذوات الكائنات وصفاتهم وافعالهم، بحمدنا في ذاته وفي صفاته، وافعاله وهنا تصبح كافة الكائنات من صفاته السلبية.

٢ ـ ونسبحه عن تفسير أسمائه الحسنى وصفاته العليا بالمعاني التي نعرفها ونأنسها ونتصف نحن بها، فلا نعني من أنه تعالى: ﴿عليم قدير حي☯ ما نعنيه من مفاهيم و معاني فينا، بل تسبيحاً بحمده: أنه لا يجهل ولا يعجز ولا يموت، عليم لا كعلمنا، وقدير لا كقدرتنا، وحيٌّ لا كحياتنا.

فنحن ومعنا كافة الخلائق، حينما نحمد ربنا ونصفه، لاندرك جهة ثبوتية له تعالى، وإنما سلبيات نأنسها، ولكن السلب قد يكون بلغة السلب ويعني واقع السلب، كما في الصفات السلبية: ﴿لا مركب ولاجسم ولامرئي ولا له زمان ولا له مكان ولا له حد

ولا له أول ولا له آخر ولا..☯.

وقد يكون السلب بلغة الإثبات: ❁عليم قدير حي..☯ ويعني واقع الإثبات: تسبيح بالحمد، دون أن ندرك منه إلا سلب ما يحق سلبه عنه: ❁اللاعلم واللاقدرة واللاحياة☯ في حين أننا نسلب عنه صفاتنا هذه أيضاً: ليس له علمنا ولا قدرتنا ولا حياتنا☯ إذ إنها صفات لا تتناسب وذاته القدسية.

❁ **فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اسْتَغْفِرْهُ»**... التسبيح بالحمد والاستغفار هما تقديسه والاعتراف بربوبيته كما يحق، ثم التماس الغفران منه.

و ❁استغفره☯: فهل هو من العصيان والنبي3 معصوم من العصيان، مطهّر من الأرجاس كلها كما طهَّره ربه! ❁**إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا»** ... كلا لا عصيان في ساحة النبوة القدسية حتى يكون الإستغفار عنه، ولا يختص الإستغفار بحالة العصيان لكي نضطر إلى التأويل، فإنما الإستغفار من الغَفر وهو الستر، فهو التماس الغفر والستر، إما عن عار و عورةِ العصيان، والنبي معصوم عن العصيان! واما عما سواه من ملابسات لايخلو عنهاَ أي إنسان:

١ ـ من التقصير أو القصور في حمد الله وشكره، فجهد الإنسان ـ أياً كان ـ ضعيف محدود، وآلاء الله دائمة الفيض والهملان: ❁وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها☯.. فمن هذا التقصير يكون الاستغفار، وإن كان من القصور الذاتي، دون عصيان الرسول الأقدسΔ كما يقول: ❁ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك☯.

٢ ـ والاستغفار من الخلط بالناس الذي يلزمه الغبار على القلب، وإن كان واجباً رسالياً من حيث التوجيه، ولكنه يلازمه غفلة مّا عن ساحة الربوبية، ولذلك نراه ليلة المعراج حينما عرج عن الكائنات واستغفل عنها، أصبح من قرب ربه معنوياً ❁**فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى. فَأَوْحي إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحي».**

٣ ـ والاستغفار طلب الغفر والستر من بأس الأعداء: شياطين الجن والإنس، وقد

غفر الله لنبيه كذلك بما فتح له مدينة التوحيد: مكة المكرمة، كما وعده وجعله من أهداف الفتح: **«إِنّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحًا مُبينًا. لِيَغْفِرَ لَكَ اللّهُ ما تَقَدّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ ما تَأَخّرَ..»:** ليستر لك الله من ذنبك عند المشركين، إذ كانوا يتربصون بك الدوائر ليقضوا عليك، فستر الله وغفر عنه بأسهم بما فتح له أم القرى.

٤ ـ والإستغفار لملابسات نفسية كثيرة دقيقه لطيفة المدخل: من الزهو الذي قد يساور القلب، أو يتدسس اليه من سكرة النصر بعد طول الكفاح، وفرحة الظفر بعد طول العناء، وهو مدخل يصعب توقّيه في القلب البشري... وقد غفر الله له حين الفتح هذا الزهو وستره عليه.. فتراه إذ يدخل مكة فاتحاً منتصراً، مكة التي آذته وأخرجته وحاربته ووقفت في طريق الدعوة تلك الوقفة العنيدة.. تراه يدخلها منحنياً لله شاكراً على ظهر دابته، ناسياً فرحة النصر وزهوته، عفواً رحيماً لاينتقم.. فالمغفرة هنا تضمن عدم الطغيان على المقهورين المغلوبين، ليرقب المنتصر فيهم ربهم، فهو الذي سلطه عليهم، تحقيقاً لأمر يريده، على عجزه 3 فالنصر نصره تعالى، والفتح فتحه، والدين دينه، وإلى الله تصير الأمور.

«وَ اسْتَغْفِرْهُ إِنّهُ كانَ تَوّابًا»: يتوب ويرجع على عباده بالرحمة والمغفرة، لا يكل عباده المتوكلين عليه إلى أنفسهم، وكما في دعاء الرسول3 ﷺربنا لاتكلنا إلى أنفسنا طرفة عين أبداً﴿.

أجل، وإن الإنسان ـ أياً كان ـ لا يستغني عن توبةربه عليه و تأييده له... فعبثاً يحاول الانطلاق والتحرر وهو مشدود إلى ذاته، مقيَّد برغباته، مثقَل بشهواته.. عبثاً يحاول ما لم يتحرر عن نفسه ويتجرد في لحظة النصر والغُنم من حظّ نفسه ليذكر الله وحده.

وهذا هو الأدب الذي اتسمت به النبوة دائماً، يريد الله أن ترتفع البشرية إلى آفاقه، أو تتطلع إلى هذه الآفاق دائماً.

«انه كان تواباً»: راجعاً إلى عبده بالرحمة بعدما يرجع إليه العبد بالمعذرة، فتوبة

العبد محفوفة بتوبتين من الله: توبة أولى هي أن يوفقه الله للتوبة لكي يتوب **«ثم تاب عليهم ليتربوا»** وتوبة ثانية من الله هي قبول توبة العبد: **«إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ۝** (٤: ١٧)

٥ ـ والإستغفار بمعنى الدفع عن حملة العصيان، لا رفعه بعد وقوعه، كما المغفر في الحرب لأجل الدفع عما ربما يوجه إلى الجندي من الأخطار، كذلك الرسول الفاتح علّه يحمله ما نقموا منه على الإنتقام، وهو مسموح له اعتداءً بالمثل، إلا أن موقف الرسالة يجب أن يكون موقف الرحمة للعالمين، فليستغفر الرسول ربه حالة الفتح، لكي يسدده عن حملة الإنتقام ويغفر له ما يحمله على ذلك.

٦ ـ والإستغفار علّه هنا للمؤمنين الفاتحين، إذا النص ۞واستغفره۝ لا ۞استغفره لذنبك۝.

٧ ـ واستغفاره عن ذنبه وغفران الله له عن ذنبه كما في آية الفتح، لايعني إلا الحفاظ عليه من بأس المشركين، فإن الذنب لغوياً هو الذي يستفظع عقباه، فإن كانت عقبى الدنيا فالذنب من أفضل الطاعات، وإن كانت عقبى الآخرة فالذنب من أشر المعاصي، ولقد غفر الله تعالى ذنب الرسول: عقبى الدنيا الهاجمة عليه من قبل المشركين، غفره له بفتح مكة، إذ لم يجرءِ المشركون بعد ذلك أن يؤذوه أو يقاتلوه.

محمد 3

على خلق عظيم

سورة القلم ـ مكية ـ وآياتها اثنتان وخمسون

بِسْمِ اللّهِ الرّحْمنِ الرّحيمِ

«ن وَ الْقَلَمِ وَ ما يَسْطُرُونَ(١)ما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ(٢)وَ إِنّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ(٣)وَ إِنّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظيمٍ(٤)فَسَتُبْصِرُ وَ يُبْصِرُونَ(٥)بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ(٦)إِنّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدينَ»(٧)

[illegible] النبي الأقدس محمد 3 أن هنكوه وهتوه وكل شيء فعلوه مساً بكرامته، وإهانة على الصريح بأعظم المقامات الرسالية والإلهية، خصها به 3 أن جاء بما جاء به النبيون وزيادة، كأنه النبيون أجمع، وكتابه الكتب وزيادة..

تبدأ السورة بقسم الرسول رمزياً بـ ﷺ على نفي ﷺ النبي ﷺ كل النوة تخصه وهو مختص بها! وشاهداً عليه هنا الخطاب الأخص: ﷺ ما أنت... ﷺ ومن تفسير أهل البيت نقل باقر العلوم Δ إن ﷺ من أسمائه المذكورة في القرآن[1] وبما له إجماع الطيب: أن النوة تخصه لحد أصبحت من أسمائه، فهو كيله النوة، وكله نبأ النبي، لا يحل من الأرض إلا الجسد، وهو أيضاً تبلى ذراً لحد أصبح أقل من أرواحنا وعقولنا، ومن أرواح الملائكة!

ولم يخاطب في القرآن أكثر ما يخاطب بـ: النبي، الرسول، فهما ﷺ كل النوة وهي الرفعة، إنها مرتبة خاصة من الرسالة، فليس كل رسول نبياً.

---

١ . نور الثقلين ٥ : ٣٨٧ في الخصال عن الباقر Δ قال: ان لرسول الله 3 عشرة أسماء، خمسة في القرآن وخمسة ليست في القرآن، فأما التي في القرآن: محمد و أحمد و عبدالله ويس ون».

وإذ قد رى أحاديث عدة أن ﷺ هو في الجنة جعله الله مداداً يكتب به ما هو كائن إلى يوم القيامة ﷺ وهو الكتاب المكنون الذي منه النسخ كلها ﷺ فهي ترجع إلى موقف النبي 3 في علمه المكنون، كأنه النهر المداد الذي نسخت عنه كتابات الوحي كلها، وهي النسخة الوحيدة، والكرامة الوحيدة التي اختص بها بين العالمين من النبيين والملائكة وكافة الموحدين!

فـ ﷺ هو النبي، وهو النهر المداد، فهو النبيون أجمع، وقرآنه هو الكتب أجمع.

﴿وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ قسماً بالقلم: آلة الكتابة أياً كانت، وعاسطر به من وحي على لوح قلب البشر، وعلى حد تعبير الرسول 3 قسم في الآية: ﷺ لوح من نور وقلم من نور يجري بما هو كائن إلى يوم القيامة ﷺ، وقسماً بأقلام أنوار الوحي كلها، وأقلام الإلهام التي تكتب الإيمان والتأييد في قلوب المؤمنين: ﷺ أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ﷺ وأقلام الرحمة الرحمانية العامة للعالمين، وكالأقلام الصوتية والصوتية، وأقلام التصوير في الأرحام، وأقلام القضاء والتقدير، وأمثالها من أقلام تسطر ما يصدر عن مصدر الوحي: تكويناً وتشريعاً، تكليفاً وسواه.

ثم الدرجة الثالثة من القلم هي أقلام الكُتّاب منا، وهي من أكبر النعم الإلهية، والكتابة عنصر أساسي في النصوص بهمة القيادة الصالحة الرشيدة، يقسم الله هنا بعض ما يقسم ـ بقلمين الأقلام، فمن؟ في الأمة التي لم تكن آنذاك تعبأ إلى العلم من هذا الطريق، وكانت الكتابة فيها محتقرة نادرة! وفي الدور المقرّ فيه الرسالة الإسلامية: في هذه الأمية الكبرى وما يقوم عليها من مناهج الحياة إلى أرجاء البسيطة!

فقد تولى مليح قيمة الكتابة، وإلحاحٌ بغي تهمة الكتابة وإلا كتب عن

---

١. الدر المنثور ٦: ٢٥٠ عنه 3 في قوله تعالى «ن والقلم و ما يسطرون».

محمد لأبي: ﴿وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون ۞ فهو تهمة الإستكتاب والإستنساخ واجب مبنيٌ هذه الرسالة السامية، فأمينه قبلها، هي من خصائله، وإن كان أخذ يكتب و يقرأ منذ الرسالة إلى أن تخلى نحبه!

قسماً بهذه العطية الربانية التي ما لها من فوق، وهي تشهد لوفور عظك ورجاحته على عقول المبطلين:

« ما أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ» إن النوة الحمدية وهي أعظم النعم الروحانية الإلهية، إنها برهان على أن العقل كله، فكيف يُقرى عليك بالجنون، فهما كانت النوة بذاتها خفية، ولكن آثارها المنورة بالأعلام الأنبل وسولها، تدل عليها، فلي يا ترى إن على الوحي بحثٌ؟ ومن رشحاته تلى العقول الناقصة، وتتكامل العقول الراجحة! وعلى أقواله يوقف البحث عن المبين، والكشف عن الأبين!.. ﴿ما أنت بنعمة ربك ۞ بسببها أو صاحبها: ﴿بمجنون ۞ فنعمة الوحي لاتصاحب الجنون ولا تسبّبه.

فلي هذا من حكم العقل السليم: أن نعمة النوة تسبب الجنون أو تصاحبه، فلي يا ترى إن الفحل عن وحي السماء يبغ الجنون ويسبّب العقل؟ فمانسبة الجنون إلى صاحب الوحي إلا نسبته إلى الوحي! فلي لله أيضاً مجنون؟ وما هذا المُراء إلا كالقول: إن صاحب الليل فقير، وحامل العلم جاهل!

عجباً من هؤلاء الذين كانوا يرون محمداً ذي النوة أعقل العقلاء، فلما فضل عقله بخالق العقل وحياً قالوا: إنه لمجنون، ولكي ينفّروا الناس عنه.

إن العجب ليأخذ كلَّ من هو عن سيرة الرسول شيئاً، من توهّم هذا عنه: ﴿مجنون ۞ وهم الذين عرفوه رجاحة العقل بينهم حتى حكموه في رفع الحجر الأسود ذي النوة بأعوام، ولقّبوه بالأمين، ولكما الحق يعمي ويصم ويقف بالنوية دون حسب.

﴿إنك لأجر غير ممنون﴾: غير مقطوع عنك ولا ممنون عليك، رغم المنة الإلهية في نعمة النبوة على النبيين وعلى الخلق أجمعين، ولكن أجرك وهو فوق أجور الملائكة لا يمن به عليك، ولأنك صبرت على الأذى، واستقبلت كل بلاء في سبيل الدعوة بخلق عظيم، وليس عدم المنة عليه لأنه يستحق أجر الرسالة ذاتياً، وإنما هو إكرام له لئلا يعد الأجر للأب فانقطاع الأجر بقطعه، والمنة عليه بقبضه، وأجر الرسول غير الممنون من الجهتين، كرامة تختصه دون سواه من حملة الرسالات الإلهية، وإنه ابتلاء خطير كفوض غامض غامر، على كل حامل وحفوة ومهمة يرميها المتربصون، فلو حُرِم عظم المتربصين، قد زُوِّد بعظم رب الطيلسان بالا مثيل له في ملإ الطيلسان، فله ظل هو أجره، وحمامة بيضاء محمودة هي أجره وهما بيضاوان عنه في في كافة مراحل حياته.

﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ لأنك تخلقت بأخلاق الله العظيم وتأدبت بآدابه: فما أحسنه وأجمله أن تكون خلق الرسول محمد عظيماً عند الله، ولا عظيم فيمن سواه ظل إلا وهو صغير بجنبه! وما أجمله 3 أن يستظله ربه في خلقه، ولأنه ربّاه: ﴿فأدّبه فأحسن أدبه﴾ فلما أكمل له الأدب وانتهى به إلى ما أراد، قال له: ﴿إنك لعلى خلق عظيم﴾ إذاً خلق الرسول هو منتهى ما أراد الله من أول الطريق، ولا كمال بالإمكان أن يزيد أراد.

فالرسول محمد 3 بكماله كله، هو منتهى الرحمة والنعمة الإلهية، الملك إبتلاؤها لكل سواه وما أجمل ما وصفه به سليمان Δ: ﴿وكُلٌّ مَحَلَّيم﴾: وكله في محمد: غاية المحمودية[٢]!.

---

١. نورالثقلين ٥: ٣٨٩ ـ عن الكافي عن الامام الصادق Δ قال: رواه فضيل بن يسار عنه Δ و روى اسحاق بن عمار اضافة «وانتهى به الى ما اراد».

٢. راجع كتابنا (رسول الاسلام في الكتب السماوية).

ولتعامية خلقه العظيم ولأنه أفضل أو تمام ما أتى به النبون، يقول 3 ﴿إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ﴾

﴿إنك لعلى ﴾لا يقول إن لك خلقاً عظيماً، قد يملك الإنسان أو أنتم يقنعه، إن ﴿إنك لعلى خلق عظيم ﴾ ف ﴿على ﴾توحي بعلوه على خلقه العظيم، علواً مؤكداً لا يزول، كما توحيه حرفا التأكيد ﴿إن ـــ ل﴾قد درجت الخلق العظيم ذاته لحد لا تفصل عنها، بعصمة وعناية خطة ربانية، فلقد كان خلقه القرآن مزيجاً بقلبه المنير، ظاهراً في أعماله بقلبه وقالبه، فهو هو القرآن الناطق ﴿أنا القرآن والسبع المثاني. وروح الروح لا روح الأولى ﴾ فحبب لا تكون خلقه عظيماً وقد تجلى الله سلوه بأنوار أخلاقه كما يحق للمكلف، وقد بعث ليتمم مكارم الأخلاق، فليك هو على قلتها قلى تتمها للناس، فلم يبق بعد هذه البعثة لأخلاقية مضغة أخلاق أبداً إذ أبان لنا عن مصارفها كلها.

وبما أن ملاة الخُلق من الخَلق، فلنكن كما الخلق، كأنها من كيان الإنسان، مخلوقاً معها، وليست إلا سبعية الجسم بين عنايتين إلهيتين، فطرة الخلق، وتأييد الله لك بتتا الفطرة في استواة من الخلق الطيبة، ثم علوه 3 على هذا الخلق، كأنه يجعله أعمق من ذاته وأنقى، كأنه هو الخلق العظيم لا غيره.

وإن سيرة الرسول الأعظم، الجميلة تجلب قلماً والتلك القريب شهادة من الله، في ميزان الله، لعبد الله: أول الطابين ﴿إنك لعلى خلق عظيم ﴾ تردد هذه الشهادة الإلهية في الملأ الأعلى بين النبين والملائكة، في كلمة لا يُوقف مُداها وصداها إلا قائلها ومن ألقيت عليه!

وهل ترى أن محمداً يقف قوله في هذا التلك الجميل؟ كلا! ولأنه على خلق عظيم، أو ترى له تتأرجح شخصيته و تضطرب تحت وقعه، وينتهج به، وينسحق تحت ضغطه المهائل يفرض عن نفسه ويطمئن لها وإليها فيهوله؟ كلا! ولأنه على خلق عظيم، فمن هذا الإنسان الذي يستطيع حمل هذه الرسالة

الطبعة ويفصل أعبائها ووزرها، إلا محمد العظيم، الذي هو على خلق عظيم؟ أجل: لمحمد وحده الذي يرقى إلى هذا الرقي والأفق المبين.

ثم نجد هذه الكلمة اللفظة دلالة باهرة على تمجيد عنصر الأخلاق في منزل الله، وأصالته، كأنه الملاك من الحقيقة الإسلامية، ولذلك يقول: ﴿بعثت لأتمم مكارم الأخلاق﴾ كأنما الرسالة المحمدية لا تعني إلا تتميم مكارم الأخلاق.

ليست هذه مبالغة، طالما الأخلاق تشمل الفضائل الفكرية والأعمالية والأقوالية، ومن ثم: فردية وجماعية، تحيين الإنسان ونفسه، وبينه وبين ربه، وبينه وبين مجتمعه، فلي بحث البيون إلا لهذه، طالما اختصت الله الأخلاق الحسنة بزاوية خاصة منها هي تحيين الغيرة؟ وهي السجايا الفاضلة: الذكية بالضمير، ومن ثم: الطاهرة بالضمير.

فالأخلاق هي علم، وآخر خلق، والأول هو المعني من غاية البعثة المحمدية تكميلاً.

﴿فستبصر ويبصرون. بأيكم المفتون﴾ مهما كنت بصيراً بحالك النفسية، وبأن كل الحق وكل على، وأن مناوئيك كل الجنون وكلهم مجانين، فلست لأنت تبصر دونهم: ﴿فستبصر ويبصرون﴾: في المستقبل مع غض، يبصرون كما تبصر ﴿بأيكم﴾ الحق ﴿المفتون﴾ المبتلى بالجنّة، وبأيكم الحق للتحلي عما يحجبه، للتفتح عما يثرحه ويكشفه، فوف يكون الإبصار ملياً يوم الدنيا لك بصيراً، وعالياً يوم البرزخ إذ يكشف الغطاء، وأعلى يوم النشر إذ لا يبقى خفاءٌ ولا تبين هناك.

إن ضُلّالهم المجنونة ليست عن جنون خلقي يرفع التكليف، إنما عاجتّوا أنفسهم وختم الله على قلوبهم: ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾

﴿إن ربك هو أعلم عن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ فما أجلى

ن يحسب المهتدي الضالّ ضالاً، ويحسب غير المثقف مهتدياً، ما أحلى ن يعلم الجاهل عن المهتدي، مهما أخطأ أحياناً في فهمها أو وضعهما، وما أعظم علم الله بهما وبكل شيء، إذ لا يغيب عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء!

«سورة عبس ـ مكية ـ وآياتها اثنان و أربعون آية»

عَبَسَ وَ تَوَلّي(١) أَنْ جاءَهُ الْأَعْمي(٢):

ن هذا العبس القطرير؟

العُبس هو قطوب الوجه ن ضيق الصدر لشيء كان. والقطوب المعنيّ بقوله: ﴿وماً عوساً قطريراً﴾ (٧٦: ١٠) ويقرب الإعتبار فإن العُبس المنبيء على هَلب السَنَب ن البعير والفرس، وعبس الشيخ على وجهه، وقد وصف الله أعداءه المعاض لكتابه بالعبوس ﴿ثم فكر. ثم عبس وبسر. ثم أدبر واستكبر. فقال إن هذا إلا سحرٌ يُؤثَر. إن هذا إلا قول البشر. سأصليه سقر﴾ (٧٤: ٢١ ـ ٢٦).

فمن هذا العبوس، ضيق الصدر، النفور الخُلقي كالبعير البليس والفرس على هلب السَنَب؟ الذي يحمله صَلْيَ سقر لأنه عبس وبسر ثم أدبر واستكبر؟..

وَمن هذا العبوس القطرير الذي يعبس في وجه المؤمن الأعمى الفقير؟ في حين يصغى لسيل القلوب من الكافر الأفاك الأشر؟

وَمن هذا الأعمى الذي يتلهى عن يسعى إلى الحق وهو يخشى الله، ويصغى لك لتلهى عن الله، وهو يسعى ليعيث الفساد في الأرض وفي الحرث والنسل.

وَمن هذا النبي البعيد البعيد الذي يردعه الله بهذا العتب عن فعله المخيف ويسوقه إلى الذكرة التي في صحف مكرَّمة. مرفوعة مطهَّرة. بأيدي سفرة كرام بررة؟

هل يجرؤ مسلم أن يقول القولة الجاهلة الفاتكة: أنه الرسول الأعظم محمد ﷺ وهو على خُلق عظيم! والعظيم عبد الله غاية العظمة، في خُلُقه فما للخلق العظيم أصبح كالأمم اللئيم؟ فما لك شرح الله صدره يضيق صدرهُ لما شرحه الله به يضيق لك يستعلمه شيئاً من القرآن الإكراماً لأولي الخلق الحاملين

القرآن؟

إن هذه الأخبار هنا أنه الرسول 3وحشاه لم يراعوا كيان الرسالة المحمدية حق رعايتها ولاشيئاً منها، أم جهلوا أو تجاهلوا مدى التهديد الشديد في هذه الآيات بشأن النبي عبس وتولى أن جاءه الأعمى، وهم لم يقولوها إلا عن الهوى، ولم يستندوا فيها إلى ركن وثيق من كتاب أو سنة، إلا تخلاً عن هذا وذاك عن الدين لاتشتهي أقوالهم ولا تغني من جوع.

في حين أن الرواية عن أهل بيت الرسالة المحمدية تكذّب هذه الواقعة بشأن الرسول 3مصدقاً لمطلع الرسالة القرآنية، والقرآن هنا وفي سواها من آيات.

فعن الإمام جعفر الصادق Δقوله: «كان رسول الله 3إذا رأى عبدالله بن أم مكتوم قال: مرحباً مرحباً، والله لا يعاتبني الله فيك أبداً وكان يصنع به من اللطف حتى كان يمسك عن النبي مما يفعل»[1].

فالرسول الأقدس يقسم بالله أن المسيء هو المعاتب بشأن الأعمى، ثم حفيده الصادق Δيقول: «إنها نزلت في رجل من بني أمية إن عند النبي 3فجاءه ابن أم مكتوم، فلما جاءه تقذر منه وعبس في وجهه وتجهم قطه وأعرض وجهه عنه»[2].

وفي رواية أخرى عنه Δ: «نزلت في عثمان وابن أم مكتوم، وكان ابن أم مكتوم مؤذناً لرسول الله 3وكان أعمى فجاء إلى رسول الله 3وعنده أصحابه وعثمان عنده فقطّبه رسول الله 3على عثمان، فعبس عثمان في وجهه وولى عنه»[3].

---

١. البرهان ٤: ٤٢٨ ـ ٢، الطبرسي عنه Δ.
٢. البرهان ٤: ٤٢٨ ـ ١، الطبرسي عنه Δ.
٣. البراهان ٤: ٤٢٧ ـ ١، علي بن ابراهيم عنه Δ.

إذاً لا يُعبأ بما يقوله أو يُلقى أنه للرسول 3[1] خلاف الآية وما رويي، إذ يبقى والكتاب للسلبي، والقرآن الحاكي عن كتاب الرسول وخلقه العظيم، والآيات في هذه السورة منها.

فالآيتان الأوليتان تتلوان العبوس والتولي عن غائب: ﴿عبس وتولى﴾ جاءه ﴿والقرآن موجّه بالذات إلى الرسول 3 فهو المخاطب في آياته الكريمة كلها إلا بدلي قطع، وفيما إذا خوطب غيره فإغاظة وإساءة، إذ إنّ وحي القرآن سلبي إلا إليه: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾ (٢٦: ١٩٣ ـ ١٩٥).

لا يقال: عبست وتوليت أن جاءك الأعمى، وإنما ﴿عبس وتولى﴾ فمن هذا الذي يشكو إلى الله تولّى عنه، فلو هو يفرّ من وحي إليه بالقرآن؟ وإذا كان هو النبي 3 فلِمَ يشكوا إليه عن نفسه للقسة تشكّاً منه إليه؟

ثم في هذا التفاتاً من الغيبة إلى الحضور، فللمخاطَب ثانياً هو الغائب أولاً، وليست الغيبة في البداية إلا لأنّ العمى هو البعد البعيد، لا يستحق الخطاب لبعده بعوسه عن ساحة القرب، يشكوه ربه إلى نبيه، ثم يخاطبه بعتاد وعتاب

---

١. كما في الدر المنثور ٦: ٣١٤ ـ ٣١٥، وليس شيء منها عن المعصوم، وحاصلها بإلقاء المكررات «أن النبي 3 كان عنده رجل أو رجال من عظماء المشركين يدعوهم إلى الاسلام فجاءابن ام مكتوم ـ وهو مؤذن الرسول ـ يسترشده و يستقرئه شيئاً من القرآن قائلاً يا رسول الله علمني مما علمك الله، فأعرض عنه وعبس في وجهه وتولى وكره كلامه وأقبل على الآخرين، فلما قضى رسول الله 3 نجواه وأخذ ينقلب إلى أهله أمسك الله ببعض بصره ثم خفق برأسه ثم أنزل الله «عبس و تولى» عن عائشة وأنس و أبي مالك والحكم وابن زيد و ابن عباس والاعتذار مما يظنونه من عبس النبي Δ أنه 3 كان مستخلياً بصنديد من صناديد قريش وهو يدعوه إلى الله وهو يرجو أن يسلم إذ أقبل ابن أم مكتوم، فلما رآه النبي 3 ره مجيئه وقال في نفسه: يقول هذا القرشي إنما أتباعه العميان والسفلة والعبيد، فعبس فنزل الوحي، كما عن مجاهد.
هذا الاعتذار يتنافى والقرآن القائل: «وما عليك ألا يزكى» إذ لو رجا إيمانه لكان مكلفاً بالتصدي له،ويتنافى وخلق الرسول من إكرامه المؤمنين، فليضرب بهذه الأخبار عرض الجدار.

قل: ﴿ما يدريك...﴾ إضافة إلى نسبته إلى الكفر أو الكهان ﴿قل لإنسان ما أكثره ﴿ولم يبق هنا من الكهان إلا العرس والوليد.

ومن وجهة النظرة العامة إلى القرآن فيما يوجّه الرسول 3أو يكلّفه، رى من المستحيل أن يكون الطبيب هو الرسول 3 فسبق آية العبس آية الخلق العظيم: ﴿إنك لعلى خلق عظيم ﴿(٦٨ : ٤) ولزمه آية خفض الجناح للمؤمنين: ﴿واخفض جناحك للمؤمنين. وقل إني أنا النذير المبين ﴿(١٥ : ٨٨ ـ ٨٩) أغضب الرسول ربّك أم لله وهو ﴿أول العابدين ﴿(٤٣ : ٨١) وربك الخلق العظيم، تكذيباً لما قوّه رب العالمين: ﴿إنك لعلى خلق عظيم ﴿ كي ذلك تصديقاً وإكراماً للطفة التام المستقيم، فيعبس في وجه مؤذّيه الفقير المضرور لأنه استقرأه آياً من الذكر الحكيم، فيظن عنه تولياً عما أمر أن يعيشه طوال حياته للبشرية: ﴿وقل إني أنا النذير المبين ﴿

إن العبوس لم يكن من شيم النبي 3مع الأعداء المبلغين فضلاً عن المؤمنين المستبشرين، وقد أمر أن يصبر نفسه معهم: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعدُ عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ﴿ ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً ﴿ (١٨ : ٢٨).

ولا يطردهم: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين ﴿(٦ : ٥٢)

ولا يخفض جناحه لمن اتبعه من المؤمنين ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴿(٢٦ : ٢١٥).

ولا يكون فظاً غليظ القلب ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴿(٣ : ١٥٩).

وأن يعرض عن المشركين: ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إنا كفيناك المستهزئين﴾(الحجر: ٩٤ـ٩٥).

هذه وما إليها من أوامر ونظيمات ربانية، وإنها من أوليات الشروط الرسالية من جانبها، أفلي يتركها الرسول فيعطل بذلك الطريق الفيض بهذه القلادة والخلة فيرده فيكون من الظالمين التاركين لأوليات شروط الدعوة؟

أن الحق والعدل أن يُعلَّق الرسول العظيم 3 وبطله بهكذا نوداً عن فوع من فوع الشجرة الملعونة في القرآن: وكما زاده كبراً ولبس اختلاق هذه الروايات إلا من النصب الأعمى والامبلاة بالدين وعدم الإلتزام بشأن الرسول الكريم الذي ان يجلبه من هيبة إلى بيان واحترام فكيف بواجب هذا الدين بكل شقوة واحترام؟ فلم لا نسأله عن شيء من القرآن، أو لأنه لا يملك من زخارف الحياة شيئاً؟! أو لمجرد أنه جاءه كما الآية تشير: ﴿أن جاءه الأعمى﴾ ﴿كلا إنها تذكرة﴾ فلتتذكر مجيئه وظل في نفسه: يقول هذا الوحي إنما أتباعه العميان المغفلة والعبيد فهبل نزل الوحي كما عن مجلسنا! وهو 3 كان يجلس طوال حياته ورسالته حيرة الفقراء المؤمنين كما أمره الله، وبطبعه

---

١ . في كتابنا «علي والحاكمون» تجد الكثير من هذه الاختلافات في تفضيل الخلفاء الثلاثة على الرسول الأقدس 3 نرويها عن مسانيد إخواننا السنة:

ففي نزهة المجالس أن اسم أبي بكر نقش على خاتم النبي بخط الله تعالى.

هذه وأمثالها تفضيلا لأبي بكر على النبي 3 قبل النبوة وبعدها، فيالها من فضيحة فاتكة هائلة!

ثم نرى الخليفة عمر لا يحب الباطل والله والنبي يحبان الباطل!

فمن الأسود بن سريع قال أتيت النبي 3 فقلت: قد حمدت ربي بمحامد ومدح وإياك، فقال: إن رب يحب الحمد فجعلت أنشده فأستأذن رجل طويل أصلع فقال لي رسول الله 3 اسكت، فدخل فتكلم ساعة ثم خرج فأنشدته ثم جاء فسكتني النبي 3 فتكلم ثم خرج ففعل مرتين أو ثلاثاً، فقلت يا رسول الله من هذا الذي أسكتني له، فقال: هذا عمر لايحب الباطل.

نرى أمثال هذه المختلقات الزور بين الروايات عن عالم من الجهل سوء الأدب، ومنها ما وردت في أن العبوس هو الرسول دون عثمان! حفاظاً على عثمان الأموي وإزراء بالرسول الألمعي 3! فيا له مراماً ما أبعده وزوراً ما أغفله!

الرسالي!..

﴿عبس وتولى﴾ عثمان الأموي الارستقراطي المغرور ﴿أن جاءه الأعمى﴾ جاءه ابن أم مكتوم مؤذن النبي 3ذلك المؤمن الفقير المضرير، جاءه بأمر النبي ليصلي محمد ويجلس مجلسه إذ قدمه الرسول 3على عثمان في مجلسه:

فقد جاء إلى النبيّ ليستقرأه آياً من الذكر الحكيم، وعنده صناديد قريش وإلى جانبه عثمان، فأكرمه النبي وأجلسه بجانبه وأخّر عثمان، فثقل صدره منه وعبس في وجهه وتنكر وجمع قطبه عنه، سخطاً على عمله وقوله، ورداً على حكم الله ورسوله، فنزلت الآيات بالتنديد الشديد على عثمان، وردعته أشيراً عن فعله المشؤوم، إرجاعاً إلى تذكرة: في صحف مكرمة، بأيدي سفرة كرام بررة ﴿والرسول الأقدس من أكرم السفرة والبررة، وقد حدث ما حدث بحضرة الشريف.. لذلك نرى الآيات تقول عثمان بدلما تندد به: ﴿قتل الإنسان ما أكفره..﴾

هكذا يبدأ الرسول دعوته ورسالته، وبكلمة جامعة لا تحيص عنها: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ لا موضع هنا للأمجاد العائلية، والتفاضل المالية، والطبقات الزمنية، والإدعاءات الجوفاء، فتي ترى في سورة هذه تلمح أبا لهب عم النبي وهو من أعرق قريش، تجد سلمان الفارسي يحل من الكرامة ما يغبطه بها العالمون: ﴿سلمان منا أهل البيت﴾ لا تقولوا سلمان الفارسي بل قولوا سلمان المحمدي﴾

ولذلك نراه 3يكرم عبدالله ابن أم مكتوم بدلما هتك عثمان أكثر مما كان يكرمه قبله: ﴿فما نزلت الآية دعاه فأكرمه و استخلفه على المدينة

مريتن ﴿ ﴿وكانت عائشة تكرمه بأمر النبي 3: تطلع له الأترج وتطعمه إياه بالعسل ﴾[٢]

كي ذلك إكراماً لك أهله إن عقل وإلا فلا أهلاه عثمان جبراناً للمهاجرين.

وَ ما يُدْريكَ لَعَلَّهُ يَزَّكّي(٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْري(٤)

ما يدريك أيها الأعمى القلب، إلى هذا الأعمى البصر يتزكى أكثر مما تزكى، بما يستوعبه ويستطعمه النبي الأقدس 3أو على الأقل ـ يتذكر بما يذكره النبي فتنفعه ذكراه في أن يتزكى بها، يتزكى موفياً تزكيه عملياً، فما يدريك أن يتفوق هذا البصير الكفيف، أن يظهر هذا الرجل الضرير البصير الذي جاء الرسول راغباً فيما عنده من البصر الموهوب!

ما يدريك أن يشرق هذا القلب البصير بما هو أنور يقبس من نور الله، فيزداد نوراً على نور فيستطيل منارة في الأرض تستظل نور السماء؟.. أفهكذا تواجه المؤمن البصير؟!

أَمّا مَنِ اسْتَغْنى(٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدّي(٦) وَ ما عَلَيْكَ أَلاّ يَزَّكّي(٧)

هنا تكمن ابرة الخطاب وتشد لهجة العتاب أن كيف تقسم هكذا قسمة ضيزى بين من استغنى ولا يتزكّى وبين جاءك يسعى وهو يخشى ﴿كلا إن الإنسان ليطغى. أن رآه استغنى ﴾(٩٦: ٦ـ٧) فهؤلاء الطواغيت المستغنون المتأنون المتعتون المترفون ﴿ولئن علمهم أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾(٢: ٦) المترفون لا يتزكون وليسوا بصدد التزكي عن الله.. فهؤلاء الحمقى الطواغيت أنت لهم تصدى!

إن التصدي أن يقابل الشيء مقابلة الصدى، أي الصوت، الراجع من الجبل.

---

١ . الدر المنثور ٦: ٣١٥ ، اخرجه ابن سعد وابن المنذر عن الضحاك.

٢ . الدر المنثور ٦: ٣١٥، أخرجه الحاكم وصححه وابن مردوية فى شعب الايمان عن مسروق.

﴿فأنت لهتصدى ﴿ما عليك ألا يزكى ﴿ما كلفت أن تزكيه، إذ لست رسولاً، ولكنه فإذا هو لا يزكى فهو إثمه وعدم إثمه، فليس هذا الشخص البالغ بمجرده حجة أن يزكى، فليس عليك بأس ألا يزكى، لاسيما إذا كان الشخص له شبهة إبطال قيم الإيمان والعيش في وجه الجوب المتشدد في الإيمان.

أو ماذا عليك ألا يزكى؟ ماذا يضرك بعد ألا يهتدي رغم المحاولات في هدايته، في حين أن العيش في وجه المؤمن هو عليك وعلى كرامة الإيمان! أو: لا يهمك أنه ليس بصدد التزكي، وإنما تهمك المحاولة المخلصة![1]

فهذه حالة الإجابة وجاء اللفظة التي لا يرجى خيرهم وهو أعمى، ثم سلبك أن يسعى وهو يخشى.

وَ أَمّا مَنْ جاءَكَ يَسْعي(٨) وَ هُوَ يَخْشي(٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهّي(١٠)

من جاءك ساعياً إلى رسول الله، جاءك ليجلس مجلسك بجوار من الرسول، يسعى إلى الخير ليستزيد منه، إلى منار الله ليستنير منه، وإلى مدينة العلم ليستعلمه ويستقرئه.

جاء يسعى، مسرعاً في مشيه رغم عماه، ومشرعاً إلى الاستزادة انبعاث كل الحرص، مطبقاً أمر الله في سعيه وسرعته: ﴿سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة﴿(٣:١٣٣).

من جاء بهذا النمط الطيب ﴿وهو يخشى﴿ يستحق الوقوع على الأخص

١. هذه احتمالات ثلاث في «ما» أن تكون نافية أو استفهامية، وعلى الأول أن تكون أخبارية أو تنديدية أنه لاتفرق عندك تزكيته وعدمها.

لعله وسرعته في سعيه، ويخشى الكفار أن يخدعوه أو يغلبوه، ولكنه لا يبالي بكل ذلك لأنه يخشى الله، دون رياء ولا تصنع ودون أدنى رياء، وإنما يسعى إلى الرسول، ويقرب إليه متحبّباً إليك يا عثمان! بأمر الرسول، يسعى بدافع التشبه و: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ (٣٥: ٢٨) والقرآن تذكرة لمن يخشى دون من يطغى: ﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى. إلا تذكرة لمن يخشى﴾ (٢٠: ٢-٣) ﴿سيذكر من يخشى﴾ (٨٧: ١٠).

﴿تلهى﴾ تلهى عنه تلهى: تتشاغل وتتهتم عن يطغى ولا يزكّى، أنت تلهّى عن يسعى ويخشى وزكّى، تلهّى عنه عابساً في وجهه ولياً عنه إلى الطواغيت، أعبساً في وجه الإيمان وتلهياً عنه إلى وجه الطغيان؟

هنا سؤال ذوي الضمائر الصافية، هل من المعقول ـ إذاً ـ أن يكون الطابع الخلقي وجهه عن الأعمى، الناهي عنه إلى الطواغيت، المضي لهم ولا يُرجى إيمانهم، أنه الرسول الذي هو خير الطابع وهو على خلق عظيم؟! فبذلك تتهدم دعائم رسالته وأسس دعوته.

لا! إنه من أرقى النبل ولُطفهم أدباً وأجملهم بالأدب الإنساني والإنساني، إنه فرع من الشجرة الملعونة في القرآن.

﴿كلا﴾ ليس هذا هو الأدب، ليست هذه هي التربية الإسلامية، ليس الإسلام بالذي يقرّك على هذه الحالة الرديئة، وليس الرسول بالذي يسكت عن التذكرة، وليس بالذي يقبل على الأعمى في مجلسك..

﴿كلا﴾ بداً لخلقك اللئيم البعيد البعيد عما جاءت به الصفة الكريمة بأبي سفرة، كرام برره.

إنّ عليك أن ترجع إلى رسالة السماء، إلى كتب السماء، إلى الكرام البررة؛ لتخرج من هذه الظلمات؛ لتخرجك من الظلمات إلى النور؛ إلى صراط العزيز

الحميد.

﴿كلا﴾ يكون هذا هو النبي البار الكريم، وعلى حد قوله ﴿لن يعانيني الله فيك أبداً﴾.

﴿كلا﴾ فإنه تذكرة للغافلين، وتنبيه للجاهلين.

كَلاَّ إِنَّها تَذْكِرَةٌ(١١) فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ(١٢) فى صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ(١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ(١٤) بِأَيْدى سَفَرَةٍ(١٥) كِرامٍ بَرَرَةٍ(١٦)

﴿كلا﴾ إنها تذكرة رسالات السماء، بأبي سفراء السماء: رجالات الوحي، يقدمهم الرسول الأغر محمد 3 ميثاقاً ووثاقاً، وهو آخرهم مجتبى.

هذه الدعوة المقدسة مكرمة مطهرة، مستغنية عن كل أحد وعن كل سند، وإنما لك يريدها لأنها دعوة السماء، ولأنها كريمة في كل اختبار، عزيزة يحتمي بها المؤمنين، ولا يُتلقى بها عن الوثنيين.

﴿إنها تذكرة﴾ في الذكر الحكيم هي تذكرة لك ألقى السمع وهو شهيد.

﴿فمن شاء ذكره﴾ ذكر ما تذكره به الآيات[1] تذكرة حاصلها الكل لك شاء أن يتذكر. تذكرة لما سجله الله تعالى في كتاب الفطرة والعقل، فإنها تخاطب الفطرة والعقل، وليست جديدة لاصلة لها بأعمق ذواتنا وما تطلبه حوياتنا، وإنما أن تذكّرنا بما غفلنا واستغفلنا، عارض على قلوبنا، وستر على عقولنا ﴿إثارة العقل مكنوف بدافع الهوى﴾.

فمن الآيات ما تحوفها عقولنا إذا تذكرنا بها ما نسيته، ومنها ما لا تتذكرها لأنها لا تنافيها، فالكل ـ إذاً ـ تذكرة.

---

١. ضمير المذكر في «ذكره» لا يرجع إلى «تذكرة» فإن الذاكر لا يذكر التذكرة وإنما يتذكر به أمراً آخر كان عنه غافلاً، فـ(ه) يرجع إلى حاصل التذكرة وهو الأمر الآخر، ذكره أي ما تذكره التذكرة.

«إنها تذكرة. فمن شاء ذكره. فى صحف مكرمة. مرفوعة مطهرة»:

والصحيفة هي السجل من الشيء دون خفاء وخبء، وإنها صحف القرآن في القرآن وفي صحف النبيين أجمعين، فإن القرآن يحمل الوحي المطلق النازل عليهم من قبل، وفيه زيادات خالدة، وإنه بينة ما في الصحف الأولى: ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ۝﴾(٢٠: ١٣٣) أتتهم في خاتمة الوحي، في القرآن.

وإنها مكرمة عند الله وعند ملائكة الله ورسل الله وعلى أولي العلم وهو شهيد، مكرمة عند من يكرم عقله وضميره ويعرف إكرام نفسه في الحياة.

هي مرفوعة عن وحي الأرض، فإنها وحي السماء، مرفوعة عن تدخُّل الأرض وتحريفها، مرفوعة عن أن تنالها أيدي المس والتحريف والنسخ والتزييف.

وهي مطهرة من هيمنة الباطل ولغو القول والريبة والدنس ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝﴾(٤١: ٤٢) ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ. وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ۝﴾(٨٦: ١٣-١٤) ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ۝﴾(٤: ٨٢).

وجماع القول في تكلم الصحف أنها لا ينقصها شيء من الكمال والجلال والجمال، فهي البالغة الدامغة على من عصاه، هذه ذاته وطبيعته اللامتناهية.

ثم في وسائطها الملائكية والبشرية أنهم كرام بررة، لا يؤدونها إلا جلاءً وفوراً وسروراً.

﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ. كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝﴾ سفرة ربانيون وسماويون وأرضيون، أسلمهم الله تلقي التبليغ من جبريل أمين الوحي وملائكة الأحوال، إذ نزل بها على قلب الرسول الأقدس محمد ﷺ خاتمة الوحي وأفضله: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ

لأمين على قلب ﴿٢٦: ١٩٤﴾ ﴿إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين. مطاع ثم أمين ﴿٨١: ٢١﴾.

وإذ وحي الملائكة الأعوان منه إلى سائر النبيين ما نجده خطأ ووزراً خالداً في الذكر الحكيم...

وأنهم سفرة: رسلون سافرون، دائبوا الحركة في التبليغ، وجوه سافرة: بشّاشة، وصدور سافرة، وقلوب سافرة، وألسنة ناطقة بالحق سافرة، كبارهم السفور في الحق لا يحتشون عن أمرٍ إمروا بلاغه، يعيشون حياتهم السفارة الإلهية كما الله أراد.

فالسفارة هي الكشف والحركة والنقل بالكشف، فهم يكشفون الستر عن الحقائق بما أوحي إليهم، وينقلون مناكب الأرض لتحقيق هذه السفارة الإلهية، جماعة كشافة وهم كرام برررة.[1]

إنهم كرام برررة في رسالاتهم وإبلاغهم، وليسوا ظلماً خبثاً، وأكرمهم وأبرّهم في إبلاغ الوحي هو الرسول الأمي الأبطحي محمد 3 كما الأكرم في الملائكة هو جبرائيل روح القدس زعيمهم العظيم.

فليتخ نحوهم ونحوه في مواجهة المؤمنين أمثل طريقة الطيب القول الكريم ليخرج عن عوسه ولؤمه تخلقاً بخلقه العظيم، وليذكر بذكراهم المستخفين الكافرين.

فهذه هي المرحلة الثانية في توجيه إلى عظم الطيب ومن تخلى هو له، من

---

١ . وقد يقال أن السفرة من السافرة بمعنى الكتبة ولكنه بعيد إذ أن الكتبة هنا أما هم كتبة الأعمال الكرام الكاتبون ـ ولا يناسب المقام من عدة جهات ـ أو أنهم كتبة الوحي فليسوا هم الملائكة ولا النبيون، والكتبة غير المعصومين ليست لهم تلك الأهمية البالغة التي تخصهم بالذكر دون المرسلين.
وقد يحتمل أن السفرة بمعنى المصلحين، ولا بأس أن يعنى مع النبي الظاهر، المرسلين فإنهم هم المصلحون الكرام البررة.

الطواغيت، بعد تأنيبه أولاً، توجهاً له إلى الطف الكرمة ﴿بأبي سفرة كرام برة ﴾وأكرمهم هو الرسول الأقدس 3الذي أدّبه الأدب بحضرة الشريف.

ثم تأنيب تلك يقظه وأمثاله بالكفران ونسيان نعم الرب المنان، وبقي من لم ينسى ولا يترك.

قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ(١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ(١٨) مِنْ نُطْفَة خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ(١٩) ثُمَّ السَّبيلَ يَسَّرَهُ(٢٠) ثُمَّ أَماتَهُ فَأَقْبَرَهُ(٢١) ثُمَّ إِذا شاءَ أَنْشَرَهُ(٢٢) كَلاَّ لَمَّا يَقْضِ ما أَمَرَهُ(٢٣)..

﴿قتل الإنسان ﴾ إخبار أنه مقتول هواه و غيابه، قتله همه الأمارة بالسوء، قتل روحه وضميره وقلبه، فالملك العليا فيه مقهورة مية مقبورة، وملك الجوارح والطغيان فيه حية ماثلة، وكما عرفناه من إن عقل، و أخرى منه في من لم ينسى ولا يريد أن يترك، تمادياً بالتصدي والتصدّي له، كلٌّ على حدّة وهذا هو الطبيب هنا في وجه الأعمى، فلي هو ـــ بعد ـــ رسول الله 3وهو على خلق عظيم!!

هذه هي اللغة التي يستجرها الإنسان إلى همه بأخلاقه وأعماله اللوثة، وعلى حد تعبير الإمام Δ ﴿قتل الإنسان ﴾[1]

أجل إنه إخبار من الله بهذه اللغة، وليس دعاءً وكيف يدعو الله! اللهم إلا عن ألسنة السفرة الكرام البررة يدعون هكذا إنسانٍ بالقتل، أن يقتله الله ختماً على قلبه وبصره ﴿فأصار أغواه أزاغ الله قلوبهم ﴾

«وَ لا تَطْرُدِ الَّذينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداة وَ الْعَشِيِّ يُريدُونَ وَجْهَهُ ما عَلَيْكَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَ ما مِنْ حِسابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظّالِمينَ» (٦:٥٢)

---

١. نورالثقلين ٥: ٥١٠ ح ١٠ في كتاب الاحتجاج للطبرسي عن أميرالمؤمنين علي Δ.

وفي كتاب يطرد أولئك الطاردين الذين يدعون ربهم بريدون وجهه؟ وما أنبل إخلاصه وعبادته! وضح وهو أنى محمداً في كل شيء يقول في جواب القول: ﴿أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ۞ ﴿وما علمي بما كانوا يعملون. إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون. وما أنا بطارد المؤمنين ۞(٢٦: ١١٤)ـ ﴿وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقوا ربهم ولكني أراكم قوماً تجهلون. ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم إني إذاً لمن الظالمين ۞(١١: ٣١).

لكي ﴿لا تطرد ۞ ليست إلا ﴿نذير مبين ۞ـ ﴿لم أترك ليحبك ربك ۞وما أنبه.

دليلاً على أنهم أخرجوا موقف من المؤمنين القول لهذا يعني نبيه إلا أنا أنذر وأنبي ياجارة، ليبأسوا عن طرده إياهم علهم لا يطردونه في عدم طردهم.

ذلك! وهل نزلت في أصحاب الصفة حيث كان رسول الله 3 يعلمهم بعضه فقال فيهم ما قال فيهم قال الله فيهم ما قال[1]؟ والسورة كلها مكية! قد نفى

---

١. الدر المنثور ٣: ١٣ـ اخرج الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن عمر بن عبدالله بن المهاجر مولى غفرة أنه قال: في اسطوان التوبة كان اكثر نافلة النبي 3 اليها و كان إذا صلى الصبح انصرف اليها وقد سبق اليها الضعفاء والمساكين واهل الضر وضيفان النبي 3 والمؤلفة قلوبهم ومن لامبيت له إلاّ المسجد، قال وقد تحلقوا حولها حلقاً بعضها دون بعض فينصرف اليهم من مصلاه من الصبح فيتلوا عليهم ما آنزل الله عليه من ليلته ويحدثهم ويحدثونه حتى إذا طلعت الشمس جاء أهل الطَول والشرف والغنى فلم يجدوا اليه مخلصاً فتاقت انفسهم إليه وتاقت نفسه إليهم فأنزل الله «واصبر نفسك...» فلما نزل ذلك فيهم قالوا يا رسول الله 3 لو طردتهم عنا و نكون نحن جلساءك واخوانك لانفارقك، فأنزل الله: «ولاتطرد...» إلى منتهى الآيتين.

وفي نور الثقلين ١: ٧٢٠ روى الثعلبي بإسناده عن عبدالله بن مسعود قال: مرالملأ من قريش على رسول الله 3 وعنده صهيب وخباب و بلال و عمار وغيرهم من ضعفاء المسلمين فقال: يا محمد ارضيت بهؤلاء من قومك، افنحن نكون تبعاً لهم؛ أهؤلاء الذين من الله عليهم، اطردهم عنك فلعلّك إن

روايات نزولها بحق أصحاب الصفة بمجرد الجري والتطبيق كما في كثير من أسباب النزول.

ولقد عرض عمر عليه Δ طردهم رداحاً قائلاً: لو فعلت يا رسول الله 3 حتى نخلو ما يريدون بقولهم وما يجيبون إليه من أمرهم فأنزل الله ﴿وأنذر به الذين يخافون أن تحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون﴾ إلى قوله تعالى ﴿أليس الله بأعلم بالشاكرين﴾ فاعتذر عمر عن مقالته. أجل ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا عليك من حسابهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين﴾ إلى ﴿وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين﴾ وإلى ﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم﴾ إلى ﴿وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين قل إني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم والله أعلم بالظالمين وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي إليه تحشرون وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير﴾ (٦ : ٥٢)، ولم يخل بخاطره

طردتهم اتبعناك فأنزل الله: «ولاتطرد...» وفيه عن تفسير القمي في الآية فانه كان سبب نزولها انه كان بالمدينة قوم فقراء مؤمنون يُسمون اصحاب الصفة و كان رسول الله 3 امرهم أن يكونوا في صفة يأوون اليها و كان رسول الله 3 يتعاهدم بنفسه و ربما حمل إليهم ما يأكلون وكانوا يختلفون الى رسول الله 3 فيقربهم ويقعد معهم ويؤنسهم و كان إذا جاء الأغنياء والمترفون من اصحابه انكروا عليه ذلك ويقولون له: أطردهم عنك، قد لزق برسول الله 3 يحدثه فقعد الانصاري بالبعد منهما فقال له رسول الله 3 تقدم فلم يفعل فقال له رسول الله 3: لعلك خفت أن يلزق فقره بك؟ فقال الأنصاري أطرد هؤلاء عنك فأنزل الله: «ولا تطرد..» أقول: لأن الأنعام كلها مكية فليس نزول بعض آياتها بما حصل في المدينة إلاَّ تطبيقاً وجرياً، أو أنها نزلت مرتين.

وفيه عن تفسير العياشي عن الأصبغ بن نباتة قال: بينما علي Δ يخطب يوم الجمعة على المنبر فجاء الأشعث بن قيس يتخطا رقاب الناس فقال يا أمير المؤمنين حالت الحدا بيني وبين وجهك قال فقال علي Δ: مالي وللضياطرة ـ العظيم من الرجال لا غناء عندهم ـ أطرد قوماً غدوا أول النهار يطلبون رزق الله وآخر النهار ذكروا الله فأطردهم فأكون من الظالمين»؟.

١ . الدر المنثور ٣ : ١٣ أخرج ابن جرير و ابن المنذر عن عكرمة قال: مشى عتبة بن ربيعة وقرظة بن عبدعمر بن نوفل والحارث بن عامر بن نوفل و مطعم بن عدي بن الخيار بن نوفل في اشراف الكفار من عبد مناف إلى أبي طالب فقالوا: لو ان ابن أخيك طرد عنا هؤلاء الأعبد فإنهم عبيدنا وعسفاءنا كان اعظم له في صدورنا واطوع له عندنا وأدنى لاتباعنا إياه وتصديقه فذكر ذلك أبوطالب للنبي 3 فقال عمر بن الخطاب: لو فعلت... «فلما نزلت اقبل عمر بن الخطاب فاعتذر من مقالته...».

للملك أن يطردهم والولاية للفقراء عليه هي مطرودة.[1]

ملك ولا تجد في سائر القرآن ﴿يريدون وجهه﴾ إلاّ في هاتين فما هي إرادة وجههما؟

هذه تعني ﴿وجهه﴾ أدباً كلا لإخلاصين: إلى الظاهر وإلى الفعل، أنهم ﴿يريدون﴾ أن يتجه إليهم ربهم بلحظة رحمة، كما يتجهون إليه بلحظة عودية.

ملك وكما يتجهون إلى الله موقناً بعوديته وعودياً بوقته، وهما إلى وصوله، لكي يتجه إليهم الله أن يقربهم إليه زلفى بما يقومون، ويقربهم عما سواه كما يقومون.

﴿ولا تطرد... حيث يدعون ربهم بالغداة والعشي، أوقات الملك للفروض، أم إلى النهار على طول الخط ﴿يريدون وجهه﴾

---

١ . الدر المنثور ٣: ١٣ عن خباب قال جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفرازي فوجد النبي 3 قاعداً مع بلال وصهيب وعمار وخباب في أناس ضعفاء من المؤمنين فلما رأوهم حوله حقروهم فاتوه فخلوا به فقالوا: انا نحب أن تجعل لك منا مجلساً تعرف لنا العرب به فضلنا فان وفود العرب ستأتيك فنستحي أن ترانا العرب قعوداً مع هؤلاء الأعبد إذا نحن جئناك فأقمهم عنا فإذا نحن فرغنا فلتقعد معهم إن شئت، قال: نعم قالوا فاكتب لنا عليك بذلك كتاباً فدعا بالصحيفة ودعا علياً ليكتب ونحن قعود في ناحية إذ نزل جبرئيل بهذه الآية: «ولا تطرد...».
وفيه في نقل سعد بن أبي وقاص فوقع في نفس النبي 3 ما شاء الله أن يقع فانزل الله» وليت شعري كيف يشاء الله في نفس النبي ما هو ينهاه عنه.
فيف يفترى على رسول الهدى انه مال إلى بغية المشركين وامر علياً أن يكتب بها ميثاقاً و «ما ينطق عن الهوى» ـ «ان اتبع الا ما يوحى إليّ»!.
اذلك جبر لكسر الشيخين، فان عمر تطلب سؤلهم من رسول الله 3 فنزلت الآية، وأبوبكر وقرهم في عيون المؤمنين كما في صحيح مسلم عن عائذ ابن عمران ابا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال ونفر فقالوا: والله ما اخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها، قال: فقال أبوبكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم فأتى النبي 3 فأخبره فقال: يا ابا بكر لعلك اغضبتهم لئن كنت اغضبتهم لقد اغضبت ربك، فأتاهم ابوبكر فقال: يا إخوتاه اغضبتكم؟ قالوا: لا ـ يغفر الله لك يا أخي...

﴿ما عليك من حسابهم ﴿ أولاء المؤمنين ﴿ من شيءٍ ﴿ ــ إن حسابهم إلاَّ على ربي لو تشعرون ﴿(٢٦: ١١٣) ــ ﴿ وما من حسابك ﴿ أنت الرسول ﴿ عليهم من شيء ﴿ فتطردهم فتكون من الظالمين ﴿ ما عليك من حسابهم من شيء ﴿ فتطردهم فتكون من الظالمين ﴿ لا محاسبة عليك وعليهم لو كانت أعمالهم منافقة تخفي قلوبهم وهم في ظاهر الإيمان الصالح.

إذ لا محاسبة في الدين تخفي قلوبهم بحسابها لو أنهم غير صالحين وهم من أصلح الصالحين.

ذلك! فلا يجوز طرد المنافقين إذ ﴿ ما عليك من حسابهم من شيء ﴿ وطردهم مع سلوك الطاردين هو من خبايا الإيمان كما أن طردهم من زوايا الإيمان!.

هنا محطُّ التحذير هم ﴿ الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشي يريدون وجهه ﴿ فالمسألة المسألة، تحكم بقلقهم وعدم طردهم ولا سيما ظلَّاماً من أولئك المتجبرين، مؤمنين كانوا أم غير مؤمنين.

فما دامت ظاهر الإيمان فيهم لائحة، لا دور لطردهم بطلب وبغير طلب، اللَّهم إلاَّ بما غلب عليك من استحقاقهم لطردهم وأنت تفهم، فهنا ﴿ ما عليك من حسابهم من شيء ﴿ ﴿ إن حسابهم إلاَّ على ربي لو تشعرون ﴿ فلو كانوا من المطرودين لكان لله هو الذي يأمر أو يسمح بطردهم وهو ينهاك عن طردهم ويأمرك بالصبر معهم!.

هكذا ينهى الرسول 3 عن طردهم أولاء ويؤمر بتقريبهم إليه رغم هؤلاء، إذاً به الذين يخافون أن يُحشروا إلى ربهم دون هؤلاء المتكبرين المتجبرين إلى ربهم مهما كانت الدعوة عامة، ولكن السابقين إلى قولها الدور الأولى دون إلى بقية عنهم إلى من يتمنَّون الإدلاء، ولا سيما هؤلاء الذين يفرقون بين الفقراء والأغنياء وهم أغنياء، يريدون ليحملوا رسول الله على ملء ذلك التمييز البغيض البعيد عن صلب الدعوة.

أجل، وإن في تقديم هؤلاء المتزهّدين الفقراء المؤمنين، في تفكيرهم عليهم تفضيل الفضول على الفاضل وذلك يناقض صميم الدعوة الإسلامية.

لقد نزل أولئك الكبراء يبكي تحتّث ويكبرياء على هؤلاء المستضعفين الفقراء الذين كان يجتمع رسول الله 3 بمجلسه وقربه، فطفحوا فيهم وعلوا ما بهم من فقر، وإن وجودهم في مجلسه 3 وبذلك القرب الحبيب سيسيء شعور هؤلاء السادة وعدم إقبالهم إلى الإسلام، فحتى لله عليهم بما حتى ﴿أهؤلاء من الله عليهم من بيننا﴾ ولا تطردهم... ﴿ما عليك من حسابهم ﴿ من شيء ﴿ وما من حسابك ﴿ عليهم من شيء ﴿ فتطردهم فتكون من الظالمين﴾ لا تطرد هذه القيم الراقية في محطة الإيمان، إن والله والكبرياء منحطة عن الإيمان.

﴿لا تطردهم... ﴿ فليتق التافهون المستكبرون القائلون ﴿أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ﴿ عجب بالإمكان أن يمنّ الله من بيننا بالخير والكرامة الروحية عند الرسول هؤلاء المستضعفون الذين كانوا بالأمس خدامنا، فلو كان خيراً ما سبقونا إليه، فإنانيتهم المختلة للخير أبداً، وكانت هذه فتنتهم، وبليتهم:

﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾

﴿وكذلك ﴿ التمديد للبلاء العظيم لا ابتداء ﴿فتنا بعضهم ببعض ﴿ حيث تقف الكفار الأغنياء بالمؤمنين الفقراء، ومن الغاية المستهدفة هذه الفتنة الربانية ﴿ليقولوا ﴿ هؤلاء الكافرون ﴿أهؤلاء ﴿ الفقراء المستضعفون المؤمنون ﴿من الله عليهم ﴿ بالإيمان والكرامة ﴿من بيننا ﴿ ونحن أشقى منهم بلا كرامة، وهم أشقى منا بلا كرامة، أم ولا أثر من النبوة بيننا وبينهم!

والجواب الحاسم: ﴿أليس الله بأعلم بالشاكرين ﴿ وهم الفقراء السابقون

إلى الإيمان، فالمؤمنون عليه من الله سبيل منّة وفضل وجود، إنما هو شكره نعمة الرسالة وهم كافرون.

فالفتنة في أصلها هي فتنة الذهب الخليط بالنار لاستخراج الخبيث، وهذه غاية صالحة تربوية تحبيباً وتخليصاً مما يُسمى ﴿أن ليس للإنسان إلاّ ما سعى﴾.

وهنا في شأن النزول فتنة الآية حيث تقول الرسول 3 بها وتقول كل بالآخر، وكان المنطق في هذه الفتنة هم الأشراف، ومن مظالم الرسول 3 ﴿ومن ذلك فإذا صلينا فلك فأخر هؤلاء الذين فلك فليصلوا خلفنا﴾.[1]

وترى ﴿ليقولوا﴾ هي غاية مقصودة لربنا في هذه الفتنة المباغتة للمؤمنين إنها مقصودة بجنب كونها إختبارية للمؤمنين بطبيعة حال الفتنة، فقد يريد الله بما يقع عباده ليعلم صالح الإيمان من طالحه الذي علماً، ولكي يعرف الناس أقدارهم أنفسهم ويعرفوا بها، وحيلة التكليف كلها فتنة.

ذلك! وفي فتنتين الفقراء والأغنياء ترى الآخرة الساحقة من السقطين الأغنياء المترفين، مهما يبقط من الفقراء من يهمهم بأمر الطامعون في زخرفة الحياة الدنيا.

ذلك مهما كان لكل من الفقر والغنى فتنة لكلٍّ من الفقراء والأغنياء:

﴿فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعّمه فيقول ربي أكرمن. وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن. كلاّ..﴾ (٨٩: ١٧) فإنها فتنة وأفتنها فتنة الكرامة والنعمة حيث يبقط فيها خلق كثير والفقر المدقع، ومن ثم حالة الوسط بينهما ظلها أيسر الفتن.

---

١. الدر المنثور ٣: ١٤ عن ابن عباس في الآية قال: هم أناس كانوا مع النبي 3 من الفقراء فقال أناس من أشراف الناس: نؤمن...

والحكمة الزوجية الربانية تقضي لإخلاق بين الطيبات الطاهرات ليخلص في هذا البيت خلق، ويخلص كمال، إتماماً للبلية الربانية بعد إيلامهم بسائر التكاليف والمسؤوليات الفردية والجماعية.

ولقد بقي في هذه الفئة قوله الجبيب أغنياءَ القلوب عن رسول الله 3وقوَ قوٌ من المستكبرين الأغنياء الأغنياء المستنكفين عن الإيمان يقولون ﴿أَهؤلاء ☯ المتقاطرون من النعم البائسين الكاملين ﴿مِّن بَيْنِنَا ☯ بنعمة الإيمان وكرامته ونحن أحق بها منهم، قوله هازئة لاحظ واقعاً من الاهتمام بالإيمان، ولو كان لما كان من عطايا الإيمان، فإن عقل الإيمان لا يوقف شيئاً لسائر العقل بل هي رذل أمام عقل الإيمان.

كما وأن من مظالم البائس البئيس ﴿لَّوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ☯ (٤٦:١١).

محمد 3

هل له عصيان

حتى يعنى عنه

؟!؟

«لَوْ كانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَ سَفَراً قاصِداً لاَتَّبَعُوكَ وَ لكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشّقّةُ وَ سَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَوِ اسْتَطَعْنا لَخَرَجْنا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَ اللّهُ يَعْلَمُ إِنّهُمْ لَكاذِبُونَ»(٩:٤٢)

العرض هو المطلوب الزائل دون إصالة ذاتية، فهو مقابل المال الأصلية: ﴿تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة ۝(٤: ٩٤) ﴿يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا ۝(٧: ١٦٩) ﴿تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ۝(٨:٦٧).

والعرض القريب هو المنال التناول، قريباً في زمان ومكان ومكانة دون أي جهد وأي مصعوبة.

فـ ﴿لو ۝ أن ذلك الجهاد ﴿كان عرضاً ۝ غنيمة ﴿قريباً ۝ يتناول أيديهم طمعاً فيه ﴿وسفراً قاصداً ۝ قريباً سهلاً يسيراً فيه غنيمة وغلبة لكان يُقصد بطيبة النفس ﴿لاتبعوك﴾ قصداً ۝ حيث الأدنى من القصد أقرب الإتباع، إذا ﴿قاصداً ۝ يُقصد وكأنه بنفسه يقصد، إذاً ﴿لاتبعوك ۝ في جهاد العدو ﴿ولكن بعدت عليهم الشقة ۝ في هذه السفرة إلى تبوك الروم شقة في المسافة وشقة في المشاق حيث شاع بالمدينة أن الروم قد اجتمعوا يريدون غزو رسول الله 3 في عسكر عظيم، وأن هرقل قد سار في جنوده وجلب معهم لخم وجذام وعاملة، وقد قدم عساكره البلقاء، ونزل هو حمص فأمر رسول الله 3 الناس بالتهيؤ إلى تبوك...

فهذه الثقة مساقةً وصاقةً خلوية عن عرض قريب وعرض غريب كانت تغنهم عن هذه الغزوة، وهنا للتدبّهم هم جمع منهم لا كلهم أو كثير منهم لكان: ﴿يحلفون بالله ۝ إذا رجعتم إليهم: ﴿يحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم ۝ فهم الرين في قلوبهم عرض من المنافقين وأمراضهم، و ﴿إلا تعروه ۝ تعهم عن صالحي المؤمنين المتعررين إياه على أية حال.

هؤلاء الملكى لا تكاد ﴿يهلكون أنفسهم ۝ إعذاراً لا أولى، وتخلفاً عن الفوض واستحفاظاً العذاب ﴿والله يعلم أنهم لكاذبون ۝ في مقالهم: ﴿لو استطعنا لخرجنا معكم ۝ أمثالها.

وهذه السلسلة من آيات الجهاد هي منقطة القير في مسارحه، إذ كانت غزوة تبوك هي من أشد الغزوات عليهم وأحدّها فيهم، حيث ﴿ثبت عليهم الثقة ۝ على البعد من جهات عدة تمنع هؤلاء عن تلك المهمّة.

ولقد ركزت آيات السورة منذ الثامنة والثلاثين حتى الأخيرة ــ وهي أكثر من ثلثي آياتها ــ ركزت على حث الجهاد والتنديد بالتكاسلين عنه من المنافقين والرين في قلوبهم عرض، مما بين شدة وطأتهم وتواطئهم ضد الإسلام، وتباطئهم عن مشاركة الجهاد.

فهؤلاء هم المتدبّهم طيلة هذه الآيات ومنها ﴿إلا تعروه ۝ دون كافة المؤمنين كما قد يزعمه أصحاب صاحب الظل، تبجيلاً لطاحهم وتخجيلاً لسائر الأصحاب، فما أجهلهم في ذلك التفسير الغير الغير، إزراءً بكافة المؤمنين من فيهم من أفاضلهم كالإمام علي أمير المؤمنين ﷺ ومن أشبه.

ولأن شؤون نزول الآيات ليست لتحددها بحدودها السابقة، فهي إذاً مطلقة مطلقة، مطبقة على كافة الموارد المشابهة من الحروب الفعلية المطلبية، فكلما كان الخطر أعظم فالمسؤولية لنهضه أهم وأفخم على مدار الزمن الرسالي، دون اختصاص بالزمن الرسولي.

لذلك لا تجد في ذلك للسرح الطلاق ولا لمحة لخصوص غزوة تبوك، مع العلم أن الله صرح بسرح بعض وجبين والأحزاب وما أشبه، على أن هذه السرح بها أيضاً ليست تقف بخطة مواقفها، حيث التاريخ يتجدد دوغا وقفة أبداً، فتجدد للمؤولين أمام حوادثها وكوارثها على طول الخط.

﴿لو كان عرضاً قريباً ۞ وسفراً قاصداً ۞ لاتبعوك ۞ ولكن بعدت عليهم الشقة ۞ الشقة الشاقة البعيدة التي تتطلب دونها الهمم الساقطة وتعطل العزائم الخائرة.

فكيف هم أولاء الذين يتهاونون في ساعد الطريق وسلمته إلى الآفاق الفائقة، ويميلون إلى نقطة الأوطان الدانية الفانية، عاكفين على هوامش الحياة وغرائزها: ﴿سيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم ۞ وهم مستطيعون واقعياً، ولا يستطيعون بأعذار غادرة ملوّثة، كذبٌ ماكر حاكٌ يدل على ضعف خلق، مهما خيّل إليهم أنهم أقوياء، كلا وإنهم ضعفاء أغبياء ﴿والله يعلم إنهم لكاذبون ۞ كما وأنى لله يعلمون.

لقد حاولوا ماكرين ليأذن لهم الرسول 3 ليكونوا مع القاعدين المغرورين ظناً منهم ظناً منه أنهم صادقون في اعتذارهم حسب الرسوم من عدم ظاهر الإعذار من يدعي ويبرز الإيمان، ولكنه كان عالماً فيما لله عنه 3

﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾(٤٣:٩)

هنا يُستلفَت نظر الدولة الرسولية ﴿لم أذنت لهم حتى... ۞ قرينة بـ ﴿عفى الله عنك ۞ دون أن يبرز قرينة منه 3 ولسنا نظن هو بدء عصيان قرينة ﴿عفى الله عنك لم أذنت لهم ۞ أم لبس عصياناً بعض طابع، حيث لم يقرن بقرينة؟.

قد تعني ﴿عفى﴾ ﴿عفو﴾ ﴿سابقاً﴾ ﴿سابغاً﴾ على إنه ما لم يسابقه في : ﴿علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم﴾ (٢: ١٨٧) فإنه عفو عن حكم الصيام ليلاً أن الله قد عنى بما عنى حكم صيام الليل، فليس ـ إذاً ـ عفواً عن عصيان رضاً، وإنما هو عفوٌ ضاً، وكما الإستغفار والتوبة حيث يجعل الدفع إلى الرفع، فقد عنى الله عنه على إنه إياه لملك الإذن، ثم أنبه دون تأديب ﴿لم أذنت لهم﴾ وبيّن سبب التأنيب ﴿حتى تعلم... ﴾ ولكنه تولى عوفهم إياه فلم يك ـ إذاً ـ إنه عصياناً.

وما أحسنه تعبيراً أدبياً أدبياً يحافظ على كرامة الرسول 3 أن يبدأ بالعفو قبل ظاهرة المعاتبة، مما يدل على أنها معاتبة ودّية أدبية، دون أية معاقبة أم مسٍّ من كرامة العصمة.

كما وأن ﴿حتى تعلم﴾ تبيّن أن ذلك لم يكن محظوراً في أصله، وقد يتبين من آيات تالية أن في حضورهم محظوراً، إذ ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلاّ خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين﴾[1]

ومن عفوه تولى عنه 3 أنه تولى عوفهم خلال هذه الآيات البينات، فتأول ـ إذاً ـ خطأ إنه لهم، حيث التبينة من عدم إنه حصلت بهذه الآيات، وتبينة إنه أنهم كانوا خبالاً وفتنة لو حضروا، فلا عبرة إذاً لتكلّفات فارغة عن الخبر لو أم وكأن ﴿هذا مما تزل إليك أعني واسمعي يا جارة﴾

---

١. نورالثقلين ٢ : ٢٢٣ في عيون الأخبار باسناده إلى علي بن محمد بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا Δ فقال له المأمون: يابن رسول الله 3 أليس من قولك أن الأنبياء معصومون؟ قال: بلى، قال: فما معنى قول الله عزَّوجلّ ـ إلى أن قال ـ فأخبرني عن قول الله عزَّوجلّ «عفا الله عنك لم اذنت لهم» قال الرضا Δ : هذا مما نزل... كذلك قول الله عزَّوجلّ «لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين وقوله «ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً» قال: صدقت يابن رسول الله 3.

خطاب الله تعالى نبيه وأراد به أمته ﴿ فمن ذا الذي أذن لهم من الأمة حتى يصرف ذلك الخطاب تأويلاً إليهم دونه؟! وهو ـ فقط ـ قائد الثورة المسلحة، وليس لأحد من يأذن لأحد دون إذنه.

وغاية ما هنالك أنه 3 أذن عاجلاً دون تثبّت، فلم يتبين له الذين صدقوا ويعلم الكاذبين، فإن لم يأذن كانوا يقعدون كما أذن، فكان يعرفهم أنهم كاذبون.[٢]

ذلك، فلم يبكِ إذنه ـ إذاً ـ بإذن الله، مهما كان محذوراً لم يبكِ في إذنه عصمةً له، ولكنه كيف يلائم إذنه هذا ـ إذاً ـ مع ﴿فاحكم بين الناس بما أراك الله﴾ (٤:١٠٥) و ﴿ما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى﴾ (٥٣:٣-٤) وأضرابهما من الحجج على عصمته المطلقة؟!

إن الرسول 3 على عصمته المطلقة قد عُوتب من الله تعالى فيقول عزّ من قائل يعلم ـ ونعلم معه الأمة ـ أن صلى مكفياً بعضه: ﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً﴾ (١٧:٧٤).

وهكذا نجد كافة الظلم من تأنيب الله رسوله 3 وسائر الرسل، أنها لصالح الرسالة، كيلا يزعم زاعم أن يقول ما يقول من عند نفسه، دون صدام بينها وبين عصمته المطلقة.[٣]

وقد يجيب الإمام علي أمير المؤمنين Δ عن سؤال الزنديق بمثل هذا الجواب الأنبياء بقوله: ﴿أما هذا الجواب الأنبياء وما يتعلق الله في كتابه فإن ذلك من أدل

---

١. هامان

٢. الدر المنثور ٣ : ٢٤٧ ـ أخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله «عفا الله عنك» قالوا: إستاذنوا رسول الله 3 فان أذن لكم فاقعدوا وإن لم يأذن لكم فاقعدوا.

٣. الدر المنثور ٣: ٢٤٧ ـ أخرج عبدالرزاق في المصنف وابن جرير عن عمرو بن ميمون الأودي قال: إثنتان فعلهما رسول الله 3 لم يؤمر فيهما بشيء، إذنه للمنافقين وأخذه من الأسارى فأنزل الله: عفا الله عنك...

الملائكة على حكمة الله عزّوجلّ الباهرة وقدرته القاهرة وعرفه الطاهرة، لأنّه علم أنّ ولايتي للأنبياء تنكر في صدورهم، وأنّ منهم من يتخذ بعضهم إلهاً كالذي كان من النصارى في إبن مريم، فذكرها لملائكته على تخلّفهم عن الكمال الذي تودّد به عزّوجلّ، ألم تسمع إلى قوله في صفة عيسى Δ حيث قال فيه وفي أمه: ﴿كانا يأكلان الطعام﴾ يعني من أكل الطعام كان له غائط ومن كان له غائط فهو بعيد عما ادعته النصارى لابن مريم.[1]

ذلك، فليس ليقين الله عصمة الخلقة الملازمة على أحد من عباده، والعصمة الرسالية لا تعني إلاّ تلقياً رسالياً وإبلاغاً وتطبيقاً رسالياً، ومن البلاغ الرسالي تبيين أنهم ليسوا إلاّ رسلاً لا يستقلون عن الله ولا يستغلون رسالة الله، فلا بد إذاً لهم من هفوات تدليلاً على قصورهم الذاتية، ثم لله بيانها لملك ولكي لا يبقى غلو في شرعته.

فلو أن الله عصمهم كما هو طلق يقيناً رغماً أنهم آلهة، ولو أنه لم يبين قصورهم الذاتي لم يتبينوا أنهم ليسوا بآلهة، ولا ما هو الحق فيما قصروا.

إذاً فهفوات النبيين فيما دون الحسين هي ضرورات ذوات أبعاد.

فكما أن حكمة الربانية أن يعصم رسوله بعصمة طليقة في شرعته، كذلك الحكمة من وجهة أخرى حفاظاً على الرسالة من الغلو فيها أن يُلْفظ الله طرفة بعد طرفة، ثم يعكف على طول الخط وفي كل طرفة، تدليلاً على ﴿لئن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً﴾ ﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذاً لاتخذوك خليلاً﴾ ﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً﴾ ﴿إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً﴾ ﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذاً لا يلبثون خلافك إلاّ قليلاً﴾ ﴿سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلاً﴾ ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾ ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾ ﴿ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلاّ خساراً﴾ ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر كان يؤوساً﴾ ﴿قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً﴾ ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلاً﴾ ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً إلاّ رحمة من ربك إن فضله كان عليك كبيراً﴾ (١٧: ٧٤-٨٧) وليس فيه فضل الأمم حيث بيّن الله لهم موارد هفواتهم، وأنها ما كانت عصياناً له تعالى إلاّ خطأً قصوراً دون تقصير.

ذلك وكما أبطأ عنه الوحي ردحاً حتى ظن المشركون أن ربه ودّعه وقلاه

---

١. بحارالأنوار ٩٠ : ١١٢ باب رد المتناقض في القرآن.

تعالى: ﴿والضحى. والليل إذا سجى. ما ودعك ربك وما قلى﴾ فكما الضحى صالحة للحياة، كذلك الليل إذا سجى، وهكذا سجى إلى انقطاع الوحي، كضحى الوحي، هما صالحان لهذه الرسالة، مهما اختلفت صورة عن صورة، حيث المبرة واحدة تغني تنزّي هذه الرسالة السامية لأنّ يُقال بالرسول أنه يتلك وحي نفسه، أو أنه مصدر وحي من عقليته البشرية.

كما وأن ﴿ما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون﴾ (٢٩: ٤٨) نموذج آخر من هذه الحقيقة، فرغم أن التلاوة وخط الكتاب هما من الفضائل، قد يصبحان خارجة عنها إلى الرذائل، حيث ﴿إذاً لارتاب المبطلون﴾.

وبعد كل ذلك فقد كان الرسول 3 مأذوناً أن يأذن لمن شاء من المؤمنين: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله غفور رحيم﴾ (٢٤: ٦٢).

فظاهر إقرار هؤلاء المنافقين من ناحية، وظاهرة الاستئذان ـ وهي حسب هذه الآية إمارة أخرى على الإيمان ـ من أخرى، قد سمحت له أن يأذن لهؤلاء بمجرد استئذانهم، دون أن يقف كذبهم حتى عوتبهم الله إياه.

فلما لم يكن للمسلم بيناً له عن الكاذب، فلم له أن يحملهم دون موقفه على الكذب كلاّ، ولكن الحكمة في ذلك المسرح الخطير كانت تقضي أن يُجلى إفهم خطرة تبيّنه، وقد كفى الله أمره أن عوتبهم إياه فوقهم في هذه الإدانة القرآنية.

إذاً فـ ﴿لم أذنت لهم﴾ بعد ﴿حتى يتبين لك﴾ وقبل ﴿حتى يبين﴾ فضلاً عن التأنيب بالا ينفي وهو في نفسه غير محظور، أم إن إفهم من محظور

ومحور، محظور إذم يبين كذبهم، ومحور إذ ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ۝ ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة ۝ وفيكم سماعون لهم ۗ والله عليم بالظالمين ۝ لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ۝ ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ۝ ألا في الفتنة سقطوا ۗ وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ۝ إن تصبك حسنة تسؤهم ۖ وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون ۝ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا ۚ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ۝ قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ۖ ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا ۖ فتربصوا إنا معكم متربصون ۝ قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم ۖ إنكم كنتم قوما فاسقين ۝ وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون ۝ فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم ۚ إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ۝ ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون ۝ لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمحون ۝ ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون ۝ ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون ۝ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل ۖ فريضة من الله ۗ والله عليم حكيم ۝ ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن ۚ قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم ۚ والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم ۝ يحلفون بالله لكم ليرضوكم ۚ والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين ۝ ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالدا فيها ۚ ذلك الخزي العظيم ۝ يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم ۚ قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون ۝ ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب ۚ قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ۝ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ۚ إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين ۝ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ۚ يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم ۚ نسوا الله فنسيهم ۚ إن المنافقين هم الفاسقون ۝ وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها ۚ هي حسبهم ۚ ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم ۝ كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا ۚ أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ۖ وأولئك هم الخاسرون ۝ ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات ۚ أتتهم رسلهم بالبينات ۖ فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ۝ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ۚ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ۚ أولئك سيرحمهم الله ۗ إن الله عزيز حكيم ۝ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ۚ ورضوان من الله أكبر ۚ ذلك هو الفوز العظيم ۝ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ۚ ومأواهم جهنم ۖ وبئس المصير ۝ يحلفون بالله ما قالوا ۚ ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا ۚ وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله ۚ فإن يتوبوا يك خيرا لهم ۖ وإن يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة ۚ وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير ۝ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ۝ فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون ۝ فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ۝ ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب ۝ الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم ۚ سخر الله منهم ۖ ولهم عذاب أليم ۝ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ۖ إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ۚ ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله ۗ والله لا يهدي القوم الفاسقين ۝ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر ۗ قل نار جهنم أشد حرا ۚ لو كانوا يفقهون ۝ فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا ۚ جزاء بما كانوا يكسبون ۝ فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا ۚ إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين ۝ ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره ۖ إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ۝ ولا تعجبك أموالهم وأولادهم ۚ إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ۝ وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين ۝ رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ۝ لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم ۚ وأولئك لهم الخيرات ۖ وأولئك هم المفلحون ۝ أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ۚ ذلك الفوز العظيم ۝ وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله ۚ سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم ۝ ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ۚ ما على المحسنين من سبيل ۚ والله غفور رحيم ۝ ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون ۝ إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ۝ يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم ۚ قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم ۚ وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ۝ سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم ۖ فأعرضوا عنهم ۖ إنهم رجس ومأواهم جهنم ۚ جزاء بما كانوا يكسبون ۝ يحلفون لكم لترضوا عنهم ۖ فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ۝ الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ۗ والله عليم حكيم ۝ ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر ۚ عليهم دائرة السوء ۗ والله سميع عليم ۝ ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ۚ ألا إنها قربة لهم ۚ سيدخلهم الله في رحمته ۚ إن الله غفور رحيم ۝ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ۚ ذلك الفوز العظيم ۝ وممن حولكم من الأعراب منافقون ۖ ومن أهل المدينة ۖ مردوا على النفاق لا تعلمهم ۖ نحن نعلمهم ۚ سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم ۝ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ۚ عسى الله أن يتوب عليهم ۚ إن الله غفور رحيم ۝ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ۖ إن صلاتك سكن لهم ۗ والله سميع عليم ۝ ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم ۝ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ۖ وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ۝ وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم ۗ والله عليم حكيم ۝ والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل ۚ وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى ۖ والله يشهد إنهم لكاذبون ۝ لا تقم فيه أبدا ۚ لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ۚ فيه رجال يحبون أن يتطهروا ۚ والله يحب المطهرين ۝ أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم ۗ والله لا يهدي القوم الظالمين ۝ لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم ۗ والله عليم حكيم ۝ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ۚ يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ۖ وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ۚ ومن أوفى بعهده من الله ۚ فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ۚ وذلك هو الفوز العظيم ۝ التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله ۗ وبشر المؤمنين ۝ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ۝ وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ۚ إن إبراهيم لأواه حليم ۝ وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ۚ إن الله بكل شيء عليم ۝ إن الله له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت ۚ وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ۝ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم ۚ إنه بهم رءوف رحيم ۝ وعلى الثلاثة الذين خلفوا ۚ حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ۚ ثم تاب عليهم ليتوبوا ۚ إن الله هو التواب الرحيم ۝ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ۝ ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ۚ ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح ۚ إن الله لا يضيع أجر المحسنين ۝ ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون ۝ وما كان المؤمنون لينفروا كافة ۚ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ۝ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ۚ واعلموا أن الله مع المتقين ۝ وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا ۚ فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون ۝ وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون ۝ أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ۝ وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا ۚ صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون ۝ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ۝ فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو ۖ عليه توكلت ۖ وهو رب العرش العظيم ۝

في الآيات التالية بيّن الله له كيف الاستئذان في الجهاد أنه لا يستأذن إلا من الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون.

كلام حول العصمة:

العصمة بين طليقة ذاتية وعرضية، فالأولى خاصة بالله لا تعدوه إلى سواه، ثم العرضية بين رسالية إلى أم سائر المعصومين (عليهم السلام)، وهي محدودة بقضية الرسالة تلقياً للوحي وإبلاغاً وتطبيقاً فردياً وجماعياً، ولا تحصل إلاَّ في ظرف العصمة البشرية وما أشبه، وهي درجات حسب درجات الرسالات، وليست على أية حال طليقة، وإنما هي في خط البلاغ الرسالي السليم.

ثم عصمة بشرية ليست من معطيات العصمة الربانية، وتسمى العدالة وهي أيضاً درجات. والعصمة البشرية التي هي محط الرسالة لابد و أن تحصل بجهاد متواصل من صاحبها مهما صاحبها تأييد رباني من قبل و من بعد، ويعبر عنه بالاصطفاء: ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ۝ (٣: ٣٣) ﴿إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي ۝ (٧:١٤٤) ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس ۝(٢٢:٧٥) فهذه وما أشبه هي الرسل، ثم الخلفاء المعصومين ولاسيما الخاتم النبيين: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا.. ۝(٣٥: ٣٢) أم غير خلفاء: ﴿يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ۝ (٣: ٤٢) أم في حق الملكية غير الرسالية: ﴿قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم ۝ (٢: ٢٤٧)، وهكذا الاجتباء: ﴿ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء ۝ (٣: ١٧٩) كذلك، وفي إبراهيم: ﴿شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم ۝(١٦: ١٢١) وفي آدم ﴿ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ۝ (٢٠: ١٢٢) وفي يونس ﴿فاجتباه ربه فجعله من الصالحين ۝(٦٨: ٥٠) وفي يوسف: ﴿وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ۝(١٢: ٦)، وفي الرسل الإبراهيميين: ﴿من آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم ۝(٦: ٨٧) وعلى أية حال فـ ﴿الله يجتبي إليه من يشاء

وهي إليه من ينيب ﴿٢٢:١٣﴾.

وكل من الإصطفاء والإجتباء يعني طلب الأصفى والأجى، لابد من صفاء أصفى وجباء أجى حتى يصطفي الله ويجتبي.

وترى كيف يصطفي بجتبي ملك الحي ﴿آتيناه الحكم صبياً ﴿١٩ إنه يصطفيه لما يعلم أنه سوف يقوم بصالح الجدارة لإبلاغ الرسالة، فهو الذي يصنع الرسل لحمل أمانات وحيه وإبلاغ رسالاته بما يعلم فيهم من جدارات سابقة، سابقة أو لاحقة.

فقد قال في موسى: ﴿واصطنعتك لنفسي ﴿٢٠:٣٩ و ٤١﴾.

فقد صنعه الله على عينه منذ حمله وولاده ورضاعه ليألف لحمل رسالته، ﴿ثم جئت على قدر يا موسى ﴿٢٠ يا جاءت واجتهت وجئت وجُئت ﴿واصطنعتك لنفسي ﴿٤١ هكذا بين جهادك وتأييد ربك.

فرسل الله (عليهم السلام) هم صنائع الله ولكن دون فرض جزاف وترجيح دون مرجح، فقد يحملهم من تكاليف الدعوة ومشاق العناية ما يصلح لحدهم الرسالي.

والسؤال أن صناعتهم من الله هي التي تقدمهم على من سواهم، فما هي الجاحة لهم على من سواهم؟ والرد بأن الله إنما يشاء في كل دور من الأدوار الرسالية أن يُصنع رسول أم رسل، لا يصلح أن يصنع هكذا كل الخليقة، فإنما يصطفي من يعلم جدارته وهو يحمل ما يحمّل من رسالته.

لا ترجيح ـ إذاً ـ دون مرجح بل هو ترجيح بمرجح، ثم الله يصنع المرجح في علمه كما يصلح لحمل رسالته، وصورة علمه ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴿.

فقد يصطفي من هو بالغاً أصفى وهو بقي أصفى كرسول الله محمد 3 وأخرابه، أم يصطفي من يعلم أنه سوف يكون أصفى فيصفّيه الله لحمل رسالته تظل، وهما مشركان في واجب الرسالة بكل جدارة معنية دون تلكّؤ عنها ولا تلفّت إلى غيرها.

ومما يحض بالله تظل فيهم أن يصطفيهم من أطاب طاهرة وأرحام مطهرة لم تنجسهم الجاهلية بأرجاسها، ولم تلبسهم من مدلهمات ثيابها.

ذلك، وحصيلة البحث حول العصمة الرسالية، أن تحمّل الحملة الأمانة الأعظم لحمل رسالة الله، لابد له من تحمل، إما إلهي فقط؟ ﴿أن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ أم خلقي فقط؟ وهو خارج عن مقدوره إذا عنت له أبعادها، فلذلك أولاً يبين أمرين أن يصطفي الله من يعلم أنه سوف يحمل كل أعباء رسالته دون إبقاء، ثم هو يؤيده في رسالته وعندها وبعدها، حيث العصمة البشرية لا تكفي بوجودها عصمة عن كافة الأخطاء، ومن تأييده تعبئة الرسل منذ ولادتهم حتى نزول الوحي إليهم، وهم على طول الخط مجتهدون قدر جهدهم وغاية سعيهم ووسعهم.

فالشروط التي تهيء لنزول الوحي ليست كلها مختارة لأي إنسان، فلابد في الخارجة عن الاختيار من صنع ربّاني يهيّئ لي صالح الوحي الرسالي وليس ليسيّر، كما وليست ميسرة كلها. فأن ليس للإنسان إلا ما سعى، فالرسالة بمقدماتها وأصلها وبلاغها هي أمرين أمرت من صنع ربّاني فيما الأصنع لغيره فيه، وصنع إنساني هو بين رحمة ربانية وجدارة إنسانية، فليست الرسالة إذاً لرسل الله ترجيحاً دون مرجح.

وأما المذاصنع لله لاستعداد الحصول على جدارة الرسالة لبعض دون بعض، فأرسل بعضاً إلى آخرين؟ فذلك قضية الابتلاء والامتحان: ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما

يجمعون ﴿٢٣:٣٢﴾.

فلو أنه خلقهم درجة واحدة وصنفهم كما يصنع الناس لبلى لإمتحانهم وليس الملك يتفاضلون مع ما خلق الله لهم من إعداد الغير والإجبار، فما دام الإختيار لا يجمعون في درجة واحدة من الجدارة مهما خلقوا في درجة واحدة من الإعداد والإستعداد.

ذلك، والإمتحان في توقُّف العدل الوصول إلى الكمال الفئة أعلى من عدمه، فلو أن الناس استووا في تلك العدل الفئة لم يكونوا ليستووا في جدارة نزول الوحي إليهم اللَّهم إلا خروجاً عن الإختيار، وفي ذلك بطلان الإختيار والتكليف.

«لا يَسْتَأْذِنُکَ الّذينَ يُؤْمِنُونَ باللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجاهِدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ وَ اللّهُ عَليمٌ بِالْمُتّقينَ(٤٤) إِنّما يَسْتَأْذِنُکَ الّذينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ ارْتابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فى رَيْبِهِمْ يَتَرَدّدُونَ» (٤٥:٩)

ضابطة ثابتة لا تخلف، فالذين يؤمنون بالله واليوم الآخر لا يتخلفون لإتقان في أداء فريضة الله بما أمرهم الله وأكدهم، فهم لا يتكاسلون في تلبية داعي الله قولاً في سبيل الله، بل هم سراع إليها خفافاً وثقالاً، طائعاً لأمره ويقيناً بلقائه وإبتغاء مرضاته دون حاجة إلى حثٍّ بما حثهم الله عقلاً عن الإستئذان.

أفبعد أمر الله المؤكد بالجهاد بالأموال والأنفس يستأذن رسول الله في ذلك الجهاد، عقلاً عن استئذانه في تركه، إذاً فمجرد استئذانهم للقعود قعودهم عن الإيمان حين يكون الإستئذان للجهاد بنفي عدم الإيمان ﴿والله عليم بالمتقين﴾ إياه، والمتقين دون حاجة إلى استئذان منهم وعدم استئذان، فإنما ذلك البيان إعلان الرسول والذين معه ليوفوا المتقين في الحين النزول.

ولقد كان أكابر المهاجرين والأنصار يقولون: لا نستأذن النبي 3 في الجهاد

فإن ربنا ردنا إليه مرة بعد أخرى، فلماذا ـ إذاً ـ الاستئذان؟ وكانوا يحبون لو أمرهم الرسول 3 بالقعود لتقاعسوا عليهم، فرأى علياً Δ لما يأمره الرسول 3 بأن يبقى في المدينة يثبط ذلك عليه حتى يقول رسول الله 3 أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى.

والاستئذان المنفي هنا لا يخص بالقعود، إنما هو الظاهر في الخروج، مما يرجح أن جماعة منهم يستأذنونه للخروج فأذن لهم، كما وأن ﴿ائذن لي ولا تفتني﴾ هو من آخرين استأذنوه للبقاء، فيصح كل ﴿ثم إنك لهم﴾ على الأمرين، إذن في الخروج وإذن في البقاء والجهاد في سبيل الله سلباً من مسلح الإذن سلباً وإيجاباً.

أجل ﴿لا يستأذنك.. إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ سواء أكان لاستئنافهم للجهاد أم تركه، وهو أحرى لدلالته على كفرهم بالله واليوم الآخر، فالاستئذان في هذا الشرح لأي كان ومن أي كان، إنما هو لأولئك الذين خلت قلوبهم من الإيمان فهم يتلمسون المعاذير وهم في ريبهم يترددون، لاستئذاناً للخروج وآخر للقعود.

ذلك الاستئذان كان للقعود وإن استأذنوه بعد الخروج: ﴿فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين﴾(٩:٨٣).

وفي ﴿لا يستأذنك﴾ تلميحة أنهم لم يستأذنوه ـ قط ـ في القعود، إنما وفي الخروج مع المجاهدين أيضاً ليزيدوكم خبالاً، ولكي لا يحور في ﴿ثم أذنت لهم﴾ هم الذين يستأذنونه لعدم الخروج حيث ﴿لو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة...﴾

وهنا ﴿لا يستأذنك﴾ علم حادث له 3 إذ لو كان يعلمه لكان لاستئنافهم إياه علماً له بكذبهم، فلا يريد أن لم يكن مأذوناً في إذنهم حين أذن لهم ولا يعلمه

﴿فأذن لهم شئت منهم ۞

إنهم أولاء لأكاد البعد ﴿إن تاب قلوبهم ۞في الحق ﴿فهم في ريبهم يترددون ۞ بين الخروج والبقاء، وكلاهما منهم خيانة وكيد على الجماعة المسلمة ﴿ومن تردد في الريب سبقه الأولون وأدركه الآخرون وقطعته سنابك الشياطين ۞، هذك علامة أولى لكشفهم في استئذانهم ثم ثانياً:

«وَ لَوْ أَرادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدّوا لَهُ عُدّةً وَ لكِنْ كَرِهَ اللّهُ انْبِعاثَهُمْ فَثَبّطَهُمْ وَ قيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقاعِدينَ» (۹:۴۶)

إن إرادة الخروج، العازمة الحاسمة، تهيئها الطبيعة الواعية إعداد عُدّة له وإن بسيطاً، وهم لم يُعدوا له أية عُدّة، إلا كما عدة التخلف عنه ﴿ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم ۞ كسّلهم وضعّف رغبتهم في الانبعاث كيلا يخرجوا فإن خروجهم مروج فيهم، فخروج عن صالح الحرب إلى طالحها، فقد تطلّب منهم شرعة التكليف أن يخرجوا، ثم ثبطهم شرعة الله بما تبطلوا في أنفسهم ﴿وقيل اقعدوا مع القاعدين ۞ قيلة من رؤوس النفاق حيلة، وقيلة من الشيطان الرجيم غيلة، ثم لله لم يعنهم عن هذه القيلة الحيلة الغيلة، وعن عقودهم بها، حيث ﴿إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً ۞(۱۹: ۸۳) ﴿وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم بين أيديهم وما خلفهم ۞(۴۱:۲۵) ذلك و:

«لَوْ خَرَجُوا فيكُمْ ما زادُوكُمْ إِلاّ خَبالاً وَ لَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَ فيكُمْ سَمّاعُونَ لَهُمْ وَ اللّهُ عَليمٌ بِالظّالِمينَ» (۹:۴۷)

﴿لو ۞ إحالة واعية بما عزموا على عدم الخروج وبما تبطهم لله وقيل اقعدوا مع القاعدين ﴿لو خرجوا فيكم ۞أنتم المؤمنين الصالحين ﴿ما زادوكم إلا خبالاً ۞ فساداً وتخريباً ﴿ولأوضعوا ۞ لأسرعوا فيها وفي أي

---

١. نهج البلاغة عن الإمام علي أمير المؤمنين Δ.

فساد ﴿فلا كم ﴿ تخللاً فلداً كلداًبين صفوفكم لإيقاعه حل أنهم:
﴿يفونكم الفتنة ﴿ : أن يطلوكم إياها، كأن لا بغية لهم بخروجهم فيكم إلاّ
إياها ﴿وفيكم سماعون للكذب ﴿ لُقناً لكل كلام دوغا تثبّت عنه كالبسطاء من
المؤمنين والذين لسلموا ولمّا يصل الإيمان في قلوبهم، ﴿والله عليم بالظالمين ﴿
الظالمين والضالّين، ذلك:

«لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَ قَلَّبُوا لَکَ الْأُمُورَ حَتّى جاءَ الْحَقّ وَ ظَهَرَ أَمْرُ اللّهِ وَ هُمْ کارِهُونَ» (۹:۴۸)

و ﴿ن قل ﴿هنا مه يوم أحد حيث تخلف عبدالله بن أبي بسلول بثلث
الجيش خذلاناً للنبي 3وإخلالاً للدين معه ﴿وقلوا لك الأمور ﴿ التي كانت
وَانيَة طلائع الحرب حيث عملوا دعايات مضادة لطابين صفوف المؤمنين
﴿حتى جاء الحق وظهر أمر الله ﴿نصرة بعد التكسة ﴿وهم كارهون ﴿مجيء
الحق وظهور الأمر، متغيبين عليه دوائر السوء، عليهم دائرة السوء ولكنهم
لا يعلمون.

«وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لی وَ لا تَفْتِنّی أَلا فِی الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَ إِنّ جَهَنّمَ لَمُحیطَةٌ بِالْکافِرینَ» (۹:۴۹)

هؤلاء لأنكاد لأغبال، ومنهم جد بن قيس حين يقول له الرسول 3: يا
جد هل لك في جهاد بني الأصفر؟ قال: أتأذن لي يا رسول الله فإني رجل
أحب النساء وإني أخشى إن أنا رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر، فقال رسول
الله 3وهو معرض عنه: قد أذنت لك، فأنزل الله ﴿ومنهم من يقول ائذن لي
ولا تفتني ﴿ ﴿ألا في الفتنة سقطوا ﴿ بأيسهم للفتنة الماثلة، فلم يفتهم

١. الدر المنثور ٣: ٢٤٧ ـ أخرج ابن أبي حاتم و ابن مردويه عن جابر بن عبداله قال سمعت رسول الله 3 يقول لجد بن قيس...

التي 3 نزلت لإتيان نسوتهم تزغيباً في بنات بني الأصفر خلاف ما يرى.[١]

وبالجملة من شهد رسوم رسمهم كأن الفتنة فيه هلوية وهم فيها سافلون، فهم هنا في جحيم الفتنة التي أججوها بنات أيديهم ماقون، ثم هم فيما أججوه خالدون ﴿وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾

واستغفر لذنبك

«فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاّ اللّهُ وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِکَ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ وَ اللّـهُ يَعْلَـمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَ مَثْواكُمْ» (١٩:٤٧)

توجيه إلى المعلمة الأولى التي تتبنى الدعوة الإسلامية منذ نزولها وعلى طول الخط، تنويهاً على كل ماضي من ولاية المؤمنين وإن الكافرين لا ولي لهم ﴿فاعلم﴾ تثبتاً على ما علمت وعرفت، ثم زيادة في العلم والمعرفة: ﴿أنه﴾ المشار له، وشأنه كله: ﴿لا إله إلا الله﴾ تحرير المشار توجي بحصره في سبيل الدعوة في علم التوحيد الذي يشمل الروح كلها، ويشمل العقل والصدر والقلب والفؤاد واللب كلها، ثم يتخطاها إلى واقع الحياة الإنسانية كلها، دون أن يجمد على المسلك ويثبت على قول ﴿لا إله إلا الله﴾ ولا إيمان به دون علم، ولا علم به دون إيمان، وإنما العلم اليقين ثم عين اليقين عالمان من درجات، وهي كلها مندرجات في ﴿فاعلم... ﴾ العلم المطلق لا مطلق العلم، وإنما المطلق الذي يمازج روح الإنسان بجوانحها، ثم يظهر في جسم الإنسان بجوارحه، وبالجملة التوحيد من ذاته وبذاته، فلولها خطل الفكر: ﴿لا

١ . وفيه أخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس أن النبي 3 قال: اغزو تغنموا بنات بني الأصفر فقال ناس من المنافقين انه ليفتنكم بالنساء فانزل الله هذه الآية.

إله ﴿وآخرها خطأ الإيمان: ﴿لا إله﴾.[١]

لا تنفي ﴿فاعلم﴾ أنه كان جاهلاً بالتوحيد قبل الأمر، ولأن العلم لا يحصل بالأمر، ولولا العلم بحقه لم ينزل عليه الوحي: ﴿فاعلم﴾ سواه، وإنما تنفي فيما تنفي الثبات والزيادة بمثلها.

(فاعلم)... وتزود بهذا العلم البارع في سبيك الفوغاء والتوكل (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات).

وترى هل أذنب الرسول 3 في حياته الرسالية أو قبلها ذنب الصبيان حتى يؤمر بطلب الغفران؟

في الحق إن الذنب لا يعني الصبيان إياً كان ومن أي كان، وإنما هو ذنب الظل وتبعته الطبيعية وعقبة الخلقة، في الدنيا أو الآخرة، فذنب الآخرة هو الصبيان الذي ذنبه الذنب، وذنب الدنيا هو الدعوة إلى الله الذي ذنبه دون المساء من اللغة العاديين المعتاد، إذ يتجهون الوثوب بأصحاب الدعوة الإلهية هتكاً وفتكاً وطرداً وقتلاً، وكلما كانت الدعوة أنقى فذنبها التبعة أطول، فالإستغفار عنه لتكن: أن يطلب الغفران والستر عما يعوق الدعوة أو يفك بالداعية، كما غفر الله ذنب محمد عام فتح مكة: إن حسم مواد الشرك والضلالة فحسمت عنه عوائق الدعوة.

فكل نبي أو صاحب دعوة إلهية تبعة عن الدعوة هي ذنبه العارضي، كما كان لآل فرعون على موسى: ﴿ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون﴾ (٢٦: ١٤) وما ذنبه لهم إلا قتله الخطأ للقبطي للقائل الإسرائيلي ولا يجرم وكز الكافر للقائل دفاعاً عن المؤمن القائل ﴿فوكزه موسى فقضى عليه﴾ أي صاعقه قتله.

---

١ . علل الشرايع للصدوق باسناده الى ابن شبرمة عن جعفر بن محمد 3 قال لأبي حنيفة: أخبرني عن كلمة اولها شرك وآخرها ايمان؟ قال: لا ادري! قال: هي «لا اله الا الله» اولها كفر وآخرها ايمان. (الفرقان ـ م ٨).

فالذنب منه طاعة ومنه معصية، فوقع في الجنة وفرق في السعير، دون ما يزعمه الكافرون الذين يشبهون بآيات الذنب كهذه فيهتكون حرمات الرسالة: إنهم عاصون، ولا مايكل إلى سوادهم زعم العصيان فيأخذون في تأويلاتهم وتوجيهاتهم بُغية وبيرقان نفض وعبرة، ولكي يذودوا عن ساحة الرسول، ما القرآن ينسبه إليه من عصيان!.

فحيناً يحاول هؤلاء وهؤلاء تغيير الذنب أو تأويله، إلا أن يثوبوا إلى ما يعنيه في الأصل فيثوب الكافرون، ويعلم المؤمنون له بالنسبة للرسالات من أعظم الطاعات، فالرسالة ذنب، والدعوة إلى الله ذنب، والجهاد في سبيل الله ذنب: فإنها تخلّ دوائر السوء، وأنقاب الوقائع ممن يعارضون دين الله، فأصحاب الدعوة هم بحاجة إلى الإستغفار من ذنوبهم: أن يعملوا لغير الله وستره على ما تستغرق دعواتهم من أخطاء تحسم أصول الدعوة، وتحلّم الداعية، إن يستغفروا الله بعد أن يعلموا أن لا إله إلا الله ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم ﴿

والتقلب هو القلب الإنتقال وزمان الانتقال وطالته، كما المثوى هو الإستقرار في هذا المثل: انقلاباً في زمان أو مكان:

من منقلب القلب من الأحلاب والنوائب إلى الأرحام، ومنها إلى الحياة الثانية الدنيا ـ وفيها من يقظة إلى نوم ثم يقظة من حركات الكسب: الطلب إلى متلوي الاستقرار: المنازل ـ ثم من الحياة الدنيا جملة إلى البرزخ بمنقلبها ومثلوبها، ثم منها جملة إلى الحياة الآخرى: المثوى التي لا بعدها مثوى، بما فيها من منقلبات الحساب سهلة وصعبة إلى متلوي الجزاء: إلى نار الجنة للأولى.

في مثوى هنا وهناك منقلب كما في منقلب مثوى، إلا المثوى الآخرى في نار الخلود الجنة للأولى:

لأن الله يعلم منقلبكم ومثواكم) في حياة التقلب الإيمانية، وفي حياة

الجزاء، إنها منقلب لا يبور، و مثواه أنّ زادكم في سيركم إلى الله ـ وحكم رسول الله ـ هو العلم: (لا إله إلا الله) فهو هو القادر على غفر ذنوبكم أياً كان: من ذنب عصيان رضاً بحصوله، أو دفعاً كيلا يحصل، أم ذنب طاعة تستتبع دوائر السوء من حمائق الطغيان، أم إغلاقة على قلوبكم من صحبة لهم، غواة في هذا الربع من الدنيا التي يشاركم فيها الرسول إلا ذنب العصيان اللهم إلا دفعاً عن وصمة العصيان، عصمة إلهية للرسول.

ولأن انشغال الرسول 3بهؤلاء الطغاة الطاغين وصحبتهم عن الدعوة، إن في ذلك تبعات جليلة الخطر تطرأ على قلبه المنير فيغشى على قلبه، فليستغفر ربه ليزيل عنه وصمات هذه التبعات، مهما كانت بعد الدعوة في واجب الرسالة، فلا تشغل بحق الله، لا سيما من يحادون الله، لله لتشغل عن الخلوة بالله، وإن كان ذلك بأمر من الله، فليستغفر الله عن هذا الذنب الطارئة تائبة، كما يستغفر عن ذنب الرسالة، ولقد صح عن الرسول 3قوله: ﴿إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله كل يوم مائة مرة﴾[1]. فهل له عن مائة عصيان ولا يبتلى به أفق الصالحين فكيف بأولي الطابرين؟!.

فلا يغشى على قلبه ما يَرِينُ عليه من عصيان، إنما هو تماحيق على صدره من خطاه الرسالي بحمائق الطغيان، فيستغفر الله ليزيل عن قلبه المنير أثر الإغلاقة فيخلو ربه كما كان.

هذا، ثم ويزيد الله عليه ذنباً هو اللهم لو العصيان، فليستغفره المؤمنين بعامة كما يستغل ذنبي الرسالة، فليستغفره لهم في هذا المثلث يجد في رفع وإزالة التبعات بحصول الذنب أياً كان، ثم هنا رابع هو الفرض ولكن لا يحصل، أن يذود الله عنه وعن المؤمنين وصمات الذنب العصيان، عصمة له وتأييداً لهم ألا

---

١. اخرجه في الدر المنثور عن جماعة عن الاغر المزني قال قال رسول الله 3.

يذنوا هكذا، وكما نجده كثيراً في آيات الاستغفار عن الذنب[1].

«وَ يَقُولُ الّذينَ آمَنُوا لَوْ لا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَ ذُكِرَ فيهَا الْقِتالُ رَأَيْتَ الّذينَ فى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْکَ نَظَرَ الْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلى لَهُمْ» (٢٠:٤٧)

﴿يقول الذين آمنوا﴾ وهم المؤمنون بخلاف المنافقين، حيث القلق يلازم الايمان، مهما كان الايمان درجات قد يشوب إلى بعضها الشرك الخفي: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ (١٢:١٠٦)، فـ ﴿الذين في قلوبهم مرض﴾ هنا هم من المؤمنين، إذ لا مجال للمنافقين أن يدخلوا في زمرة المؤمنين، ولا أدنى درجات الايمان، حيث المطلقين الايمان والقلق لا تتلب أية مواصلة بخلاف الاسلام الذي يجمع كثلة الايمان وكتلة القلق، مهما اخرج المكر.

﴿يقول...﴾ لولا أنزلت سورة﴾ تبين له نزول أية سورة؟ وقد نزلت قبل هذه السورة سور كثيرة مكية كلها، والمدنية عديد منها!

ولعلها السورة المحكمة التي لا قتال فيها؟ هكذا لا، حيث الأكثرية الساحقة من المكية محكمات، ولا في الكثير من آياتها وكلها، كما المدنية النازلة قبل القتال!

ولعلها السورة المحكمة الذكر فيها القتال كسورة القتال؟ أنهم قالوا قبل نزولها ﴿لولا أنزلت سورة﴾ بشأن القتال، تشوقاً إلى القتال، وبعد ذا كانوا محرومين عن النزال في ساحات القتال، في معارك الجد والكرامة، طيلة العهد المكي، حتى إذا التقوا في المدينة... فإذا هم أمام هذه، فوقف عن جد الايمان على سلامة من قلوبهم، ووقف على ضعف الايمان ومرض في قلوبهم!

---

١. تفصيل البحث عن مراحل ومصاديق الذنب تجده في سورة الفتح انشاء الله تعالى.

﴿فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال﴾ وهي سورة: القتال رأيت:

﴿رأيت الذين في قلوبهم مرض﴾ مرض النفاق والشقاق، من بقية المؤمنين، ممن لم يقولوا: ﴿لولا أنزلت سورة﴾ ومن المؤمنين الضعفاء، الذين في قلوبهم مرض الخوف والخلل، ولمّا يستقر جوهر الإيمان في قلوبهم، ولما يستمكن الإيمان في أعماقهم، وأما سائر المؤمنين الأقوياء فهم يتحينون الفرص لخوض المعارك في سبيل الله، ويلتمسون قتالاً في الله ليل نهار...!

﴿فإذا أنزلت.. رأيت ... ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت﴾ إنهم خائفون أشد الفزع، لا يتحملون بحياء أمام الخطر المحدق بالمسلمين، ولا يتحملون أذىً في سبيل الله والحفاظ على كرامتهم كمؤمنين، وكأنهم أخذتهم غشية الموت وغمرة الموت، فلا حياة لك تنادي منهم، ولا حياة لك تنادونزول سورة القتال، ولا وفاء لك وعد الخوض القتال، ثم ولا إيمان أصلاً للمنافقين إذ لم يشاركوا وحي ضعف الإيمان في نزول سورة القتال! ﴿فأولى لهم﴾

أولى للمنافقين نفاقهم هذا من وفائهم، وكأنهم خلقوا للنفاق، فلا يرجى منهم أي وفاء: و ﴿أولى لهم﴾ من هذه الفضيحة العلن، ومن هذا الخزي الوقاحة وقول معروف﴾ أن يتركوا النفاق إلى الوفاء كما الأبي جبلي في كره: ﴿أولى لك فأولى﴾ (٧٥: ٣٥) أن يترك الكفر إلى الإيمان، أم يبقى على كفره كأنه خلق للنار!

ثم وأولي المؤمنين قالوا: ﴿لولا أنزلت سورة﴾ ولكنهم كذبوا فـ ﴿أولى لهم﴾

﴿طاعة وقول معروف﴾: طاعة الله إذا أنزلت سورة تحمل فرض القتال أم ماذا، وقول معروف سابق، تمهيداً لنزول سورة القتال صادق كسائر المؤمنين، أم قولاً صادقاً سواء إذ ليسوا من أهلهم أمينين أن يثبتوا على هذه الفضيلة ﴿فأولى لهم طاعة وقول معروف﴾ كما أولى للمؤمنين الصادقين إيمانهم في قولهم ﴿لولا أنزلت سورة﴾ فلما أنزلت صدقوا الله! فأولى لهم المؤمنين

وقسي للكافرين ﴿طاعة وقول معروف ﴿من الفضيحة العلن، لكل حسب شلّة الوعن أو الشك.[١]

تبليغ

باستمرارية الرسالة

«يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ» (٦٧:٥)

آية التبليغ هذه هي من معركات الآراء بين الفريقين المسلمين، هل هي تبليغ ما أُنزل إلى الرسول 3كلّه؟ أم بعض مما أُنزل إليه وخشي لا نوهه؟ أم هي نحلى أمر التبليغ والآية لاحقة الأمر بعد الرسول 3؟[٢]

وهذه الآية قصها، ودون الخلل إلى ملابسات نزولها ـ العدة ـ تدلنا إلى المعنيّ منها صراحة صراحة، بين تكون القرائن مجردة عن ملابسات متوثّقة قضايا مذهبية وزوايا الحسية، فكمالك مستقى بذاته في ألوهيته، كذلك كتابه مستقى في كلامه في وحيه.

فرى ماذا يُعنى هنا من ﴿ما أُنزل إليك ﴿وهي من أخريات ما نزل في الملئة وقبض الرسول 3يديه عن تبليغ الرسالة الإسلامية بكل أصولها وفروعها، فلم يبق إلاّ أن يتخلى إلى جوار رحمة ربه، تاركاً يديه عن كل ما

---

١ . هذه المحتملات ـ وكلها صحيحة تتحملها الآية ـ تدور حول رجوع ضمير الغائب في «اولى لهم» الى فريقي المؤمنين، المعنيين بقوله تعالى «ويقول الذين آمنوا» والى الكفار والمنافقين ـ ثم «اولى لهم» مبتدء خبره طاعة وقول معروف ـ او خبر مبتدأ محذوف كـ «هذا» اولى لهم ـ واذ احتملت الآية معاني عدة لا تنافر بينها وكلها سليمة ـ فلا ضير ان تكون كلها معنية، وكما ترونه في اسلوبنا في هذا التفسير.

٢ . ذكر الفخر الرازي وجوها عشرةعاشرها الذي لم يرض بها تماماً هو انها نزلت بحق الامام علي Δ رغم أن الوجوه التسعة قبلها لا تناسب دلالة الكتاب والسنة، بل هي وجوه مخترعة لتسد عن الوجه الوجيه لمَنزِل الآية.

كل عليه؟ اللهم إلاَّ...

عناية كي ﴿ما أنزل إليك ۝ ومنها تحوّل الآية إلى تهديد السلب بالسلب: (وإن لم تبلغ ما أنزل إليك فما بلغت ما أنزل إليك) فضيع فضيع الواضح وضح النهار أن كي تترك شيئ تترك لما ملك، ولم يبق لذلك الغير من غيره هذا البتير الذي وين الجاهلين.

ثم وتزاه أمر بتبليغ كي ما أنزل إليه دفعة واحدة؟ ولم ينزل إليه دفعة واحدة حتى يبلغها دفعة واحدة! كيف وقد نزل ما نزل إليه نجوماً تدريجية: ﴿وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً ۝(١٧: ١٠٦) ــ ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتّلناه ترتيلاً ۝(٢٥: ٣٢).

ومن ثم فما هو الحكم النازل عليه منذ بزوغ رسالته حتى الآن لم يبلغه؟ والأحكام القرآنية معروفة، كلما نزلت آية أو آيات كان يقرءها مباشرة ودون مكث، فلم يكن مكثه إلاَّ حسب مكث نزولها ليس إلاَّ وكما أمر دون أي تباطؤ.

إذاً فهو بعض ما أنزل إليه، فما هو ذلك البعض الذي لو لم يبلغه لم يبلغ شيئاً من رسالته؟ فإن ﴿رسالته ۝ تعني كلها دون البعض منها وإلاَّ لكانت العبارة ﴿لم تبلغ ما أنزل إليك ۝ أو ﴿لم تبلغه ۝ وليس ﴿إن لم تفعل فما بلغت رسالته ۝ كلٍّ، فقد كانت رسالته هذه مربوطة النياط بتبليغ ﴿ما أنزل إليك ۝ وهو النازل الخاص إليه الذي يتضمن في جملته كل النازل عليه من رسالة الله من حيث الحدود والمرتبة.

فما هو ﴿ما أنزل إليك ۝ الذي ﴿إن لم تفعل فما بلغت رسالته ۝ وهو تعبير مقطع النياط في سائر القرآن يحمل حكماً مقطع النياط يبلغه ذلك البتير النذير تحقيقاً لبلاغ رسالة الله هذه الخالدة إلى يوم الدين؟

ومن سمات ﴿ما أنزل اليك﴾ هنا السمة تلويحاً فوق كل تصريح أنه ﴿من ربك﴾ دون ﴿الله﴾ أو ﴿رب العالمين﴾ مما يلمح تلميحاً صارخاً أن ﴿ما أنزل اليك﴾ يجمع في حضنه كل الربوبية الربانية الخطة بهذه الرسالة السامية! فهو في وحدته يحمل رسالات الله! فـ ﴿إن لم تفعل﴾ تبليغ ﴿ما أنزل إليك من ربك﴾ وأنت في حالة الارتحال إلى ربك بين آونة وأخرى ﴿فما بلغت رسالته﴾ المتمثلة فيما ربك به ربك رسولية ورسالته.

ذلك لأن ﴿من ربك﴾ تجمع تلك الربوبية الرسولية والرسالية الفذة المتفطنة القيام على كل نبيّ ورسول، وهي الشرعة الخالدة القرآنية التي ينذرها ويبشر إلى يوم الدين كما ﴿ذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾

أترى هذا أيها الوحيد؟ وقد بلغت به الرسالة وختم النص الأخير، أم هو من سائر الأصول الاسلامية؟ هكذا الأمر! فضلاً عن فروع من الفروع أم وسائر الفروع! إضافة إلى أن الفروع غير مترابطة لحد لا يصح بعض دون أخرى وهكذا الأصول.

هنا نتأكد أن ﴿ما أنزل إليك من ربك﴾ ليس لا من هذه الأصول ولا من هذه الفروع، حيث الرسول 3 على حياته الرسالية بلاغاتها كلها فور نزول كلٍّ منها دونما تأخير إطلاقاً ﴿والله يعصمك من الناس﴾ حيث نجدها هنا ولأول بينة في القرآن كله، هذه لا تتلب أهم الأصول وهو التوحيد وقد أعلنه منذ البداية حتى النهاية إعلاناً وإعلاماً دائماً دونما تخوّف من جوّ الإشراك، ولا الرسالة الجديدة الجادّة التي لات تحارها الشرعة الكتابية مع سائر الطوائف ملحدين ومشركين، فضلاً عن الفروع الأحكامية المخاطب بها المؤمنون بهذه الرسالة!

وهذه عساكر من البراهين الجدّية لتبين أن ﴿ما أنزل إليك من ربك﴾ تعني الوجوه غير الوجيهة المردودة في بعض الكتابات التفسيرية التحكمية،

إنما هي حفظ الرسالة المحمدية باستمرارها إلى يوم الدين، فهي هي الخلافة المعصومة حفظ العصمة لكفل الرسالة، لأنها استمرارية حالة هذه الرسالة السامية، فهما صرح القرآن بخلوده ـ في آيات عدة كما مرّ، كل ممكن التصريح بالخلافة المعصومة الحاكمة بالقرآن خيلاً.

وترى ﴿ما أنزل إليك من ربك﴾ هو النازل عليه بلغة القرآن أم بلغة السنة؟ علّه بلغة القرآن وعلى ضوء السنة في آيات الولاية الرسالية[1] وروايتها، حيث الأهمية الكبرى لمادة تلك البلاغ تقضي أن تذكر في القرآن والسنة بصيغ مختلفة، ولكنها لمّا تبلّغ بصورة رسمية وعلنية لا تقل الأولى، فالجمع بين نصوص الولاية بتغيير بليغ في تلك الحشد العام للعالم أهميته للغاية لغير هذا البشر الفريد.

وبذلك نرى في خطبة البلاغ تركيزاً بارزاً على هذه الآيات وتلكم الروايات،

---

١ . وتلكم الآيات امثال آية: ٥ ـ التطهير ٢ ـ والمباهلة و ٣ ـ : آية الولاية «انما وليكم الله» وآية: ٤ ـ الطاعة: «اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» وآية ٥ ـ المودة في القربى وآية: ٦ ـ ميراث الكتاب «ثم اورثنا الكتاب» مكية ٧ ـ وأولوا الأرحام، وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل، ٨ ـ وآية «ومن الناس من يشرى...» ٩ ـ ويوم يعض الظالم ١٠ ـ واني جاعلك للناس اماماً ١١ ـ ويتلوه شاهد منه ١٢ ـ ومن عنده علم الكتاب و ١٣ ـ آية النصب «فإذا فرغت فانصب» وهي بين مكيات ومدنيات تدل بمختلف الدلالات على خلافة العصمة بعد الرسول 3 ومن الأحاديث حديث الثقلين والوزارة والباب والأخوة.

والمصرحة من هذه الآيات هي آية الولاية «انما وليكم الله..» النازلة في نفس المائدة وآية الطاعة وآية الميراث وآية النصب، ثم من بينها آية الولاية تبييناً لمعناها انها الأولوية وكما يظهر من «ألست أولى بكم من أنفسكم..».

فآية التبليغ تحمل واجب البلاغ العام الجماهيري ببيان واضح ناصح عن هذه الخلافة المعصومة حيث الأفضلية الروحية قد لا تكفي سداً لثغر الإغتصاب فقد يقال إن القيادة الزمنية أمر غير القيادة الروحية وهما وإن إجتمعا في شخص الرسول 3 ولكنهما بعده قد يقتسمان، ولكن الولاية بمعنى الأولوية الطليقة الشرعية الشاملة للقيادة الزمنية والروحية تكفي بياناً عن هذه المهمة الكبرى، فآية ميراث الكتاب والعض وذا القربى مكيات وبقية الثلاث عشر مدنيات.

تبليغاً بليغاً فإنّ الشور، بالغ الصدق الحقيق، وأهم الآيات في مادة التبليغ هي آية النصب في الاستراح وآية الولاية في عق الملئة، وآية وراثة القرآن المصطفين المصومين المحدثين بالصفة العليا بعده 3 ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ۞(٣٥: ٣٢) ف ﴿اصطفينا ۞ جمعاً الاصطفاء الإلهي يجمع جموع الاصطفاءات في وراثة الكتاب، ثم سائر الخيرات يسبقهم في كافة الخيرات على كافة السابقين في مئات الزمان، ومن ثم ذلك هو الفضل الكبير، يجلي كل الاصطفاءات والسباقات دونها بعد اصطفاء الرسول الله 3 فاخرون من الملة، مايزون دون الصفة في ائمتهم وخلفائهم فضلاً عن الهاشم ولم تزل هذه الصفتين الامامية اصبحت الآية كاذبة ولا سمح الله! وهم مجمعون على انهم ائمة الاثني عشر ومنهم الصديقة من الطاهرة في الصفة Δ فإن سائر الآيات إنما تثبت الأفضلية الروحية، وقد يغيب عنها بأن القيادة الزمنية قد تفضل عن الروحية، وبالغ آية الولاية تبين لمحلها الأولوية كما الرسول أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

إذاً ف ﴿بلغ ۞ أمر ليبلغ ما أنزل عليه في المهدين: المكي والمدني كتاباً وسنّةً، فمن المكي ﴿فإذا فرغت فانصب. وإلى ربك فارغب ۞ ومن المدني آية الولاية ﴿إنما وليكم الله... ۞ وكما سمع الرسول 3 في تبليغه العام يوم الغدير يجمع بين هاتين ما نزل عليه في المهدين، شارحاً لهما كما يجب بشأن الأولوية الزمنية والروحية لأئمة أهل البيت عليهم السلام.

فليس ذلك لأن آيات الولاية وروايتها لم تزل تدل على هذه العلامة الرسالية، فقد دلت وصحت وصَحّ الدهر! ولكن ﴿بلغ ۞ تعني يُحيي الإيضاح البارع الذي لا يقبل تأويلاً، والإيضاح على رؤوس الأشهاد في حشر عامٍّ هامٍّ تمد إليه الأعناق، ويقف هامة البلاغة خطر وعام ولا يقدر على إخفائه أحداً ولا تأويله أي مسلم، فلقد نصوص الخاصة من السنة التي قد تخفى، أم

آيات قد نزلت في شأن السورة، وقد أمر بتبليغها تمهيداً لما يوم الغدير. وآية لاصطفاء لورثة القرآن.

كل ذلك تمهيداً على كتابة الوصية بذلك البلاغ حتى يتم الفصل إلى الكتب، ولكن هيهات ما حيل!

فلقد خصص الله النبيَّ ﷺ ﴿ما أنزل إليك﴾ أنها البلاغ الذي أداه فكأنما لم يكن الرسول مبلغاً لرسالة الله، فهو إما بلغ رسالة الله بأمرها أم بلغها ولم يبلغ ليستولي بها فيمن يعنيها وبرسالة الله.

فكما أن الفاسق الصالح دون من يطبّقه صالحاً هو غير صالح، والفاسق غير الصالح مع من يطبقه من الصالحين غير صالح، لا بدَّ لإصلاح المجتمع من صالح الفاسق وصالح من يطبقه ويحكم به.

كذلك القرآن حيث يحمل الشرعة الأخيرة الخالدة لا يصلح شرعة أبدية إلا الرسول ﷺ من يحمل أعباءه وينهض بهذه الدعوة به وتطبيقاً له.

فدور الرسول ﷺ من حياته هو دور الوحي قرآناً وسنته كأصل وضابطة، وأما النبي الصالح المعصوم لذلك القانون المعصوم، بياناً لكل ما تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة، فهو بحاجة إلى دور الخلافة المعصومة طوال قرونها المظلمة حتى تضم كالى العصرة إلى كمال القانون، ومن ثم في زمن الغيبة ـ فالواجب المحتوم من الأعلى إلى الأعلى من رسل الأمة في شورائهم الصالحة، هم مُدَراء الشرعة الذين يحق لهم أن يحكموا بالكتاب والسنة، ثم وفي دولة صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه يرجع دور الحكم إلى مدار العصمة كما كان زمن الرسول ﷺ والأحد عشر الأئمة من بعده عليهم السلام.

وهذه الأدوار المتتالية التي رسمها يوم الغدير ﴿ما أنزل إليك﴾ هي التي تكمّل الدين وتتم النعمة حيث ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم

نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴿ وهي التي تُبين الذين كفروا من بعض أو اقتفى ذلك الدين الذين.

لا يعني يوم التبليغ يوم تأخير الأمر Δ فقط فإنما هو كفاتحة بداية وانطلاق لتثبيت الإستمرارية للسولية والرسالية فمن يحملها وما يحملها من القرآن المصوم والنوّاب المصومين عليهم السلام.

فحقاً يظل دون غاية مجازفة أو مبالغة ﴿ إن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ فحق الرسالة وحاقُّها كما استمرارتها على يدِّ الرسول المصوم 3 دعوةٌ بالكتاب المصوم.

وهنا يحق القول ﴿ اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾

ذلك، وكلما كان الدين والقوانين أتم وأنقى، كانت الملائمة المصونة للحفظ عليه أوجب وأحرى، فكيف بدين رسولنا الأعظم Δ أن يُهمل الأمة بعد بلا راعٍ يرعاها حق رعايتها رسالياً بأخلاقه الحقة.

فلقد كان 3 إذا يخرج في غزوة أو غيرها يخلِّف مكانه وعكانه رجلاً يدير رحى المجتمع الإسلامي حتى يرجع، كما خلف علياً Δ قائلاً: ﴿ إن المدينة لا تصلح إلاَّ بي أو بك ﴾

فمن كل هذا ديته وهالته قوانينه ومسيرته في حياة الرسولية المحدودة فما ظنك به في حياة الرسالية بعده وإلى يوم القيامة؟ فهل يُهمل الأمة حبلى بعد إنحلاله تضرب بهم عواصف الضلالة دون حماية له يعتد في قيادهم الروحية والزمنية، مع أن الضرورة إلى ذلك أشد والحاجة إليه آكد!

ذلك، وترى العصمة المصونة للرسول 3 حتى يبلغ ما أُنزل إليه هي العصمة

عن بأس للتربص وقد فقت عصمة التوحيد من في قلبي واستسلمت جموع الإشراك أمامه طوعاً أو كرهاً!

أو ترى أن ضمان العصمة هو فقط عن بأس أهل الكتاب؟ وقد أسست دولة الاسلام في المدينة والرسول ﷺ يشهد فقتها وشوكتها وهو في أخريات أيام حياته الرسولية؟!

وما احتفظ الآية بعصمتها بآيتي التعديد بأهل الكتاب ـ ولاسيما في ترتيب التأديب التي تحتفظ عن ترتيب النزول ـ لسبب إحتفاظها هكذا مما يبرهن على أنه كان يحفظ منهم في ذلك البلاغ، فإن دل ذلك على شيء فإنما هو إنباءهم أن هذه الرسالة خاتمة بكتابها ومن يشر بها من الفئة العليا المعصومة في ﴿اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً﴾.

فهما لم يكن ترتيب النزول قاصداً أحياناً حيث ينزل حسب الحاجات والطلبات غير المترابطة أحياناً، فترتيب التأديب قاصدٌ دون ريب، وعلينا الدور للحصول على تلك القصود الربانية في ترتيب التأديب، وهو هنا كما بينا من بين الرابط بينها وبين الآيتين، وما أبلغه رابطاً وأفصحه ترتيباً.

ذلك، وكيف يحفظ أهلَ الكتاب في أخريات أيامه وهو في قمة القوة والشوكة التي كان يهابها الملوك والرؤساء، ولم يكن يحفظ المشركين الذين هم ألدّ منهم وأخطر منذ بزوغ رسالته.

وما ذلك لإحتفاظ الخاص بآيتي أهل الكتاب إلاّ لأنهم هم الذين كانوا يأملون ختام هذه الرسالة بختام حياة الرسول ﷺ ويعملون لإتمامها بكل كفاية أكثر مما يحتمله المشركون.

ذلك، فالعصمة الموعودة هنا ليست إلاَّ عن هؤلاء النفر الناقمين من ولي الأمر بعد 3مهما شملت عصمته عن كل المخلوقين بصورة طليقة ما كانت من في ظل كما ورد في أسباب النزول.

إذاً فماذا تراه كان يخافه الرسول 3إن بلغ هاتيك الرسالة بلاغ ﴿ما أنزل إليك من ربك﴾ إلاَّ الملاقاة المرقومة المدودة إليها أعناق جموع نفوسهم.

فطبيعي النفر في ﴿والله يعصمك من الناس﴾ إلاَّ هؤلاء النسنفر الناقمين من تحتم له ولاية الأمر والإمرة بعد الرسول 3حيث كان يخطِّئ تهويمهم وتحويمهم على أصل الرسالة تكذيباً له 3وهو بين ظهرانيهم، ولا يعني الكفر هنا إلاَّ الكفر بذلك البلاغ الرسالي الخطير.

أجل، إن الرسول 3ما كان يخاف أن يُقتل في يوم من أيام رسالته، ولا في العهد المكي المسمح المسمح، فلم كان يخاف في قمة القوة والسيادة أواخر العهد المدني!.

فـ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلاَّ الله وكفى بالله حسيباً﴾(٣٣:٣٩) تسلب كل مخافة في الدعوة الرسالية عن كل الرسل، فضلاً عن سيد المرسلين وخاتم النبيين وأفضل الخلق أجمعين، وفي قمة القوة والسلطة الروحية والزمنية!.

ومن إن كان يخشى النفر أحياناً لم نر يخشاهم على حياته، إن كان يخشاهم على رسالته أن تهلك أو يشك بها كما في قصة زواجه بزوجة زيد بعد أن قضى منها وطراً، لأنه خالف سنة جاهلية عريقة، ولكنه خشي أمر الله على خشيته لذلك الذي هي في الحق خشية على رسالة الله.

وأما هنا فقد استفهم ـ دون إهمال ـ أمر ذلك البلاغ فجأة أو جديد جدٍّ أو طمأنته عن بأس النفر حتى نزل ﴿والله يعصمك من الناس﴾ فقام يوم

التعبير بذلك للإبلاغ، إنه كان يخشى إن بلغ هذه الرسالة العظمة الموجهة للمعبودة إليها الأعتى أن يكذبه قومه آنئذ بجهالاً منهم إياه إستخلافه في إبلاغ الخلافة فيتصدعون بها على دعوته الرسالية فيكفرون ويكفر معهم آخرون، فيتزلزل أركان رسالته الطلية الخالدة بينما هو يخاطبهم إلى جوار رحمة ربه.

ذلك، ولأن الأمر: ﴿بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ ما كان محدداً وقتاً كان في ترجيحاً موقتاً لأهم الأمرين أن يطالا تأجيلاً ذلك البلاغ خطراً أم يتلوا أعقابهم بعد ذلك أم لا يكون هكذا إمراً وبيده من بعد عمره بيراً حتى نزلت آية البلاغ مرة ثالثة بهذه التأكيد القيمة الخاتمة الجامعة، طمأنته إياه عصمته عن بأس الناس فقد نزلت في الأولى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ وزيد عليها في الثانية ﴿إن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ ثم في الثالثة ﴿والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾.

---

١. ابن الفتال الشيرازي في روضة الواعظين عن الامام الباقر في حديث مفصل قال الله لرسوله فأقم يا محمد 3 علياً علماً وخذ عليهم البيعة وجدد عهدي وميثاقي لهم الذي واثقتهم فإني قابضك إلي فخشي رسول الله 3 من قومه وأهل النفاق والشقاق ان يتفرقوا ويرجعوا إلى الجاهلية لما عرف من عداوتهم ولما ينطوي عليه انفسهم لعلي من العداوة والبغضاء وسئل جبرائيل أن يسأل ربه العصمة من الناس وانتظر أن يأتيه جبرائيل بالعصمة من الناس من الله عزوجل فأخر ذلك إلى أن بلغ مسجد الخيف فأتاه جبرائيل وأمره بعهد عهده و يقيم حجته علياً للناس ولم يأته بالعصمة من الله عزَّوجلَّ الذي اراد حتى بلغ كراع الغميم بين مكة والمدينة فأتاه جبرائيل وأمره بالذي أمر به من قبل ولم يأته بالعصمة فقال يا جبرائيل اني لأخشى قومي أن يذبوني ولايقبلوا قولي في علي فرحل فلما بلغ غدير خم قبل الجحفة بثلاث أميال أتاه جبرائيل على خمس ساعات مضت من النهار بالزجر والانتهار والعصمة من الناس فقا يا محمد: ان الله عزَّ وجل يقرئك السلام ويقول لك : «يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك وإن لم تفعل فمابلغت رسالته والله يعصمك من الناس» فأمر رسول الله 3 عندما جاءته العصمة ـ وذكر قصة البلاغ يوم الغدير على تفصيله إلى أن قال 3 في خطبة الغدير: معاشر الناس ما قصرت عن تبليغ ما أنزله الله تعالى إلي وأنا مبين لكم سبب نزول هذه الآية: ان جبرائيل هبط إليّ مراراً ثلاثة يأمرني عن السلام ربي وهو السلام ان أقوم في هذا المشهد فأعلم كل ابيض واسود أن علي بن ابي طالب اخي ووصيي وخليفتي وهو الامام بعدي الذي مني محل هارون من

ذلك، ولقد طفقت الأمة الاسلامية بأسرها من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ومن المفسرين وسائر الطبقات على نزول هذه الآية بشأن إبلاغ الأمر لعلي أمير المؤمنين Δ لحد سمع ابن مسعود[1] يقرئ قراءتها زيادة «ان علياً مولى المؤمنين» فما خلق الله بعض البطلة أنها كانت في الآية فأسقطت ولم تسقط إلاّ عقليته الإسلامية!

ولقد ورد نزولها فيه Δ بشأن خطبة الغدير من الآيات صدراً من اخواتها[2]

موسى إلاّ أنه لانبي بعدي، هو وليكم بعد الله ورسوله ـ إلى آخر اخطبة الطويلة وقد طالت في الرمضاء زهاء ساعتين في ذلك الملإ العام من المسلمين.

١ . الحافظ ابن مردويه ص ١٠٨ اخرج باسناده ابن مسعود انه قال: كنا نقرأ على عهد رسول الله 3: يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ـ إن علياً مولى المؤمنين ـ وان لم تفعل فما بلغت رسالته واله يعصمك من الناس، وقد رواه في الدر المنثور ٣: ٢٩٨ والشوكاني في فتح القدير والأربلي في كشف الغمة عنه عن زر عن ابن مسعود.

يذكرها المغفور له العلامة الاميني في ١: ٢١٤ـ ٢٢٣ هكذا:

٢ . نزلت هذه الآية الشريفة يوم الثامن عشر من ذي الحجة حجة الوداع (١٠ هـ) لما بلغ النبي 3 غدير خم فأتاه جبرائيل بها على خمس ساعات مضت من النهار فقال: يا محمد 3 إن الله يقرءك السلام ويقول لك : «يا أيها الرسول بلّغ ما انزل إليك من ربك» في علي «وإن لم تفعل فما بلغت رسالته..» وكان اوائل القوم ـ وهم مائة الف أو يزيدون ـ قريباً من الجحفة فأمره أن يرد من تقدم منهم و يحبس من تأخر عنهم في ذلك المكان وان يقيم علياً Δ عَلماً للناس ويبلغهم من انزل الله فيه وأخبره بان الله عزَّوجلقد عصمه من الناس، وما ذكرناه من المتسالم عليه عند اصحابنا الامامية غير انا نحتجَّ في المقام بأحاديث أهل السنة في ذلك فاليك البيان:

١ ـ الحافظ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في كتاب الولاية عن زيد بن ارقم قال: لما نزل النبي 3 بغدير خم في رجوعه عن حجة الوداع وكان في وقت الضحى وحرٍّ شديد أمر بالدوحات فقمَّت ونادى الصلاة جامعة فاجتمعنا فخطب خطبة بالغة ثم قال إن الله تعالى انزل إلي: «بلغ ما أنزل إليك من ربك والله يعصمك من الناس وقد أمرني جبرائيل عن ربي أن أقوم في هذا المشهد وأعلم كل ابيض وأسود ان علي بن ابي طالب اخي ووصيي وخليفتي والامام بعدي فسألت جبرائيل يستعفي لي ربي لعلمي بقلة المتقين وكثرة المؤذين لي واللائمين لكثرة ملازمني لعلي وشدة إقبالي عليه حتى سموني أذناً فقال تعالى: «ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم» ولو شئت ان اسميهم وأدل عليهم لفعلت ولكني بسترهم قد تكرمت فلم يرضى الله إلا بتبليغي فيه فاعلموا معاشر الناس ذلك، فان الله قد نصبه لكم ولياً وإماماً وفرض طاعته على كل احد ماض حكمه جائز قوله،

ورواته من الصحابة مائة وعشرون صحابياً ومن التابعين لهم وتلوهم تابعياً، وطبقات رواته من أئمة الحديث وحفاظه مائتان وستون نسمة والذين فيه من الفريقين ستة وعشرون، مما يجلي نزول هذه الآية بشأن غير الأمير Δ من عقد التواريخ الإسلامية، فالصحيح عن النزول به إلاَّ لك لم يقم بهذه الآية و ﷺ لله لا يهدي القوم الكافرين ☯ ولقد بلغت من عصمة الله رسوله 3 من بلّغ الناس في ذلك البلاغ المبين إلى أن هنأ الامام علياً Δ في ولايته للشيخين وهما أولى الرؤوس في الفتنة من إمرته Δ يذكرها إخواننا عن سبعين مصدراً

ملعون من خالفه، مرحوم من صدقه، اسمعوا واطيعوا فان الله مولاكم وعلي إمامكم، ثم الإمامة في ولدي من صلبه إلى القيامة لاحلال إلاَّ ما احله الله ورسوله ولاحرام إلاَّ ما حرمه الله ورسوله فما من علم إلاَّ وقداً حصاه الله فيَّ ونقلته إليه فلا تضلوا عنه ولا تستنكفوا منه فهو الذي يهدي إلى الحق ويعمل به، لن يتوب الله على أحد انكره ولن يغفر له، حتماً على الله ان يفعل ذلك أن يعذبه عذاباً نكراً ابد الآبدين فهو افضل الناس بعدي ما انزل الرزق وبقي الخلق، ملعون من خالفه، قولي عن جبرائيل عن الله فلتنظر نفس ما قدمت لغد.

افهموا محكم القرآن ولا تتبعوا متشابهه، ولن يفسر ذلك لكم إلاَّ من أنا آخذ بيده و شائل بعضده، ومعلمكم: أن من كنت مولاه فهذا علي مولاه وموالاته من الله عزَّوجلَّ انها انزلها علي، ألا وقد اديت، ألا وقد بلغت، ألا وقد اسمعت، ألا وقد أوضحت، لا تحل إمرة المؤمنين بعدي لأحد غيره، ثم رفعه إلى السماء حتى صارت رجله مع ركبة النبي 3 وقال: معاشر الناس! هذا أخي ووصيي وواعي علمي وخليفتي على من آمن بي وعلى تفسير كتاب ربي، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه والعن من أنكره واغضب على من جحد حقه، اللهم إنك انزلت عند تبيين ذلك في علي: اليوم اكملت لكم دينكم» بإمامته فمن لم يأتم به وبمن كان من ولدي من صلبه إلى يوم القيامة فأولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون، ان ابليس أخرج آدم Δ من الجنة مع كونه صفوة الله بالحسد فلا تحسدوا فتحبط أعمالكم وتزل أقدامكم، في علي نزلت سورة «والعصر إن الانسان لفي خسر».

معاشر الناس! آمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزل معه من قبل ان نطمس وجوهاً فنردها على ادبارهم أو نلعنهم كما لعنّا اصحاب السبت، النور من الله فيَّ ثم في علي ثم في النسل منه إلى القائم المهدي Δ معاشر الناس سيكون من بعدي ائمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لاينصرون، وان الله وأنا بريآن منهم، انهم وانصارهم واتباعهم في الدرك الأسفل من النار وسيجعلونها ملكاً اغتصاباً فعندها يفرغ لكم ايها الثقلان ويرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران ـ الحديث، ثم نقل قصة الغدير هذه عن بقية الثلاثين مصدراً.

ولا ينيلك منى خيرا إذ ظلمتك يا علي أصبحت ولاتي ومولى كل مؤمن ومؤمنة.[١]

---

١ . لقد روى حديث التهنئة فيمن رواه الحافظ أبوبر عبدالله بن محمد بن أبي شيبه بإسناده عن البراء بن عازب، والامام احمد في مسنده ۴: ٢٨١ عنه والحافظ أبو العباس الشيباني بالاسناد عنه والحافظ أبويعلى عنه والحافظ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسيره ٣: ۴٢٨ بالإسناد عن ابن عباس والبراء بن عازب ومحمد بن علي والحافظ احمد بن عقدة في كتاب الولاية بالاسناد عن سعد بن ابي وقاص والحافظ أبو عبدالله المرزباني عن ابي سعيد الخدري والدار قطني وابن بطة عن البراء بن عازب والباقلاني المرزباني عن ابي سعيد الخدري والدار قطني وابن بطة عن البراء بن عازب والباقلاني في التمهيد في اصول الدين ١٧١ والخروشي النيسابوري في شرف المصطفى عنه وابن مردويه في تفسيره عن ابي سعيد الخدري والثعلبي في تفسيره وابن سمان الرازي عن ابن عازب والبيهقي عنه والخطيب البغدادي بسندين صحيحين عن ابي هريرة ٢٣٢ ـ ٢٣٣ وابن المغازلي في المناقب والعاصي في زين الفتى والسمعاني في فضائل الصحابة عن ابن عازب والغزالي في سر العالمين ٩ والشهرستاني في الملل والنحل والخوارزمي في مناقبه ٩۴ وابن الجوزي عن ابن عازب وفخر الدين الرازي في تفسيره الكبير وابن الأثير الشيباني في النهاية ۴: ٢۴۶ والتنزي في الخصائص العلوية وابن الأثير والكنجي الشافعي في كفاية الطالب ص ١۶ وسبط بن الجوزي وعمر بن محمد الملا في وسيلة المتعبدين والطبري في الرياض النضرة والحموييني في فرائد السمطين و ٩ النيسابوري وولي الدين الخطيب في مشكاة المصابيح ۵۵٧ وابن كثير في البداية والنهاية ۵: ٢٠٩ ـ ٢١٠ والمقريزي المصري في الخطط ٣: ٢٢٣ وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة والقاضي نجم الدين الأذرعي في بديع المعاني ٧۵ والميبدي في شرح الديوان والسيوطي في جمع الجوامع والسهمودي في وفاء الوفاء باخبار ار المصطفى ٣: ١٧٣ والقسطلاني في المواهب اللدنية ٣: ١٣ في معنى المولى والبخاري وابن حجر العسقلاني في الصواعق المحرقة ٢۶ والسيد علي بن شهاب الدين الهمداني في مودة القربى والسيد محمود الشيخاني القادري في الصراط السوي في مناقب آل النبي والمناوي في فيض القدير ۶: ٢١٨ وباكثير المكي في وسيلة المآل في عد مناقب الآل والزرقاني المالكي في شرح المواهب ٧: ١٣ وحسام الدين محمد بايزيد السهارنيوري في مرافض الروافض والبدخشاني في كتابيه مفتاح النجا في مناقب آل العباد و نزر الأبرار بما صح في أهل البيت الأطهار والشيخ محمد صدر العالم في معارج العلى في مناقب المرتضى والعمري الدهلوي والسيد محمد الصنعاني في الروضة الندية شرح التحفة العلوية والكهنوي في مرآت المؤمنين في مناقب اهل بيت سيد المرسلين ومحمد محبوب العالم في تفسير شاهي والسيد احمد زيني دحلان في الفتوحات اللاسلامية ٣: ٣٠۶ والشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي المدني في حياة علي بن أبي طالب ٢٨ عن ابن عازب.

فما أظلمه من ينكر نزول آية التبليغ بشأن تأمير الأمير Δ يوم الغدير وقد أخذت الآية نصها عبر الرواية بشأن نزولها على ذلك، أوليس منكر ذلك كفراً بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ؟! و ﴿إن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾.

لقد طالت المحاولات الفاشلة من الامام علي Δ أن تجد لها الآية والرواية المصرح بها في رواية الغدير عن دلالتها الواضحة على الولاية المطلقة للإمام علي Δ بإمرة المؤمنين، ولكنها في حقل الجهل جامدة خامدة لا توجد إلا تضع محاولها والمحتال فيها.

وعجيب ينكر أو يتجاهل ما أخذت الأئمة الإسلامية بنقله من المؤرخين[1] والمحدثين[2] والمفسرين[3] للمتكلمين والمؤمنين.

---

١. فمن المؤرخين البلاذري في أنساب الأشراف وابن قتيبة في المعارف والامامة والساسة والطبري في كتاب مفرد وابن زلاق الليثي في تأليفه والخطيب البغدادي في تاريخه وابن عبد البر في الاستيعاب والشهرستاني في الملل و النحل وابن عساكر في تاريخه و ياقوت الحموي في معجم الأدباء ١٨: ٨٤ وابن الأثير في أسد الغابة وابن ابي الحديد في شرح النهج وابن خلكان في تاريخه واليافعي في مرآت الجنان وابن الشيخ البلوي في ألف باء وابن كثير في البداية والنهاية وابن خلدون في مقدمة تاريخه والذهبي في تذكرة الحفاظ والنويري في نهاية الأرب في فنون الأدب والعسقلاني في الاصابة وتهذيب التهذيب وابن الصباغ في الفصول المهمة والمقريزي في الخطط والسيوطي في جمع من كتبه والقرماني في أخبار الدول و نور الدين الحلبي في السيرة الحلبية وغيرهم.

٢. ومن المحدثين الكبار الامام الشافعي كما في نهاية ابن الأثير والامام احمد بن حنبل في مسنده ومناقبه وابن ماجه في سننه والترمذي في صحيحه والنسائي في الخصائص وأبويعلي الموصلي في مسنده والبغوي في السنن والدولابي في الكنى والأسماء والطحاوي في مشكل الآثار والحاكم في المستدرك وابن المغازلي في المناقب وابن مندة الأصبهاني بعدة طرق في تأليفه والخطيب الخوارزمي في المناقب ومقتل الامام السبط Δ الكنجي في كفاية الطالب ومحب الدين الطبري في الرياض النضرة وذخائر العقبي والحموييني في فرائد السمطين والهيثمي في مجمع المواهب اللدنية والمتقي الهندي في كنز العمال والهروي القاري في المرقاة في شرح المشكاة وتاج الدين المناوي في كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق وفيض القدير والشيخاني القادري في الصراط المستقيم في مناقب في حديث خير الخلائق وفيض القدير و الشيخاني القادري في الصراط المستقيم في مناقب آل النبي وباكثير

ملك ورواه الغير من الصحابة مائة وعشرون[٢] ومن التابعين أربعة وثمانون[١]

المكي في وسيلة المآل في مناقب الآل والزرقاني في شرح المواهب وابن حمزة الدمشقي في كتاب البيان والتعريف وغيرهم.

١ . ومن أئمة التفسير الطبري والثعلبي والواحدي في أسباب النزول والقرطبي وأبو السعود والفخر الرازي وابن كثير والنيشابوري وجلال الدين السيوطي والخطيب الشربيني والآلوسي وكثير غيرهم.

٢ . وأولئك هم حسب حروف الهجاء: ١ ـ أبوهريرة ٢ ـ أبو ليلى الأنصاري ٣ ـ أبوزينب بن عوف الأنصاري ٤ ـ أبو فضالة الأنصاري ٥ ـ أبو قدامة الأنصاري ٦ ـ ابو عمرة بن عمرو بن محصن الأنصاري ٧ ـ أبو الهيثم بن التيهان ٨ ـ أبو رافع القبطي ٩ ـ ابو ذويب خويلد بن خالد بن محرث الهذلي ١٠ ـ أبوبكر بن أبي قحافة ١١ـ أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي ١٢ ـ أبي بن كعب الأنصاري١٣ ـ أسعد بن زرارة الأنصاري ١٤ ـ أسماء بنت عميس الخثعمية ١٥ ـ أم سلمة ١٦ ـ أم هاني بنت ابي طالب١٧ ـ أبو حمزة انس بن مالك الأنصاري ١٨ ـ براء بن عازب الأنصاري الأوسي ١٩ ـ بريدة بن الحصيب أبو سهل الأسلمي ٢٠ ـ أبو سعيد ثابت بن وديعة الأنصاري ٢٣ـ جبلة بن عمرو الأنصاري ٢٤ ـ جبير بن مطعم بن عدي القرشي ٢٥ ـ جرير بن عبدالله بن جابر البجلي ٢٦ ـ أبوذر جندب بن جناذة الغفاري ٢٧ ـ أبوجنيدة جندع بن عمروبن مازن الأنصاري ٢٨ ـ حبة بن جوني أبو قدامة العُرَني ٢٩ ـ حُبش بن جنادة السلولي ٣٠ ـ حبيب بن بديل بن ورقاء الخزاعي ٣١ ـ حذيفة بن أسيد أبو شريحة الغفاري ٣٢ ـ حذيفة بن اليمان ٣٣ ـ حسان بن ثابت ٣٤ ـ الامام الحسن المجتبى Δ ٣٥ ـ الامام الحسين الشهيد Δ ٣٦ ـ أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري ٣٧ ـ أبو سليمان خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي ٣٨ ـ خزيمة بن ثابت الأنصاري ٣٩ ـ أبو شريح خويله ابن عمر الخزاعي ٤٠ ـ رفاعة بن عبد المنذر الأنصاري ٤١ ـزبير بن العوام ٤٢ ـ زيد بن أرقم الأنصاري ٤٣ ـ ابو سعيد زيد بن ثابت ٤٤ ـ زيد بن يزيد بن شراحيل الأنصاري ٤٥ ـ زيد بن عبدالله الأنصاري ٤٦ ـ أبو اسحاق سعد بن أبي وقاص ٤٧ ـ سعد بن جنادة العوفي ٤٨ ـ سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي ٤٩ ـ أبو سعيد الخدري ٥٠ ـ سعيد بن زيد القرشي ٥١ ـ سيعد بن سعد بن عبادة الأنصاري ٥٢ ـ ابو عبدالله سلمان الفارسي ٥٣ ـ أبو مسلم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي ٥٤ ـ أبو سليمان سمرة بن جندب الفزاري حليف الأنصار ٥٥ ـ سهل بن حنيف الأنصاري ٥٦ ـ أبو العباس سهل بن سعد الأنصاري ٥٧ ـ أبو أمامة الأنصاري ٥٨ ـ ضميرة الأسدي ٥٩ ـ طلحة بن عبيد الله التميمي ٦٠ ـ عامر بن عمير النميري ٦١ ـ عامر بن ليلى بن حمزة ٦٢ ـ عامر بن ليلى الغفاري ٦٣ ـ أبوالطفيل عامر بن واثلة الليثي ٦٤ ـ عائشة بنت أبي بكر ٦٥ ـ عباس بن عبد المطلب ٦٦ ـ عبد الرحمن بن عبد رب الأنصاري ٦٧ ـ أبو محمد عبد الرحمن بن عوف ٦٨ ـ عبدالرحمن بن يعمر الديلمي ٦٩ ـ عبدالله بن ابي عبد الأسد المخزومي ٧٠ ـ عبدالله بن بديل بن ورقاء ٧١ ـ عبد الله بن بشير ٧٢ ـ عبد الله بن ثابت الأنصاري ٧٣ ـ عبدالله بن جعفر بن أبي طالب

الهاشمي ٧٤ ـ عبدالله بن حنطب القرشي المخزومي ٧٥ ـ عبدالله بن ربيعة ٧٦ ـ عبدالله بن عباس ٧٧ ـ عبد الله بن ابي اوفى علقمة الأسلمي ٧٨ ـ أبو عبد الرحمن عبدالله بن عمر بن الخطاب العدوي ٧٩ ـ عبدالله بن مسعود ٨٠ ـ عبدالله بن ياميل ٨١ ـ عثمان بن عفان ٨٢ ـ عبيد بن عازب الأنصاري ٨٣ ـ عدي ب حاتم المؤمنين Δ ٨٧ ـ عمار بن ياسر ٨٨ ـ عمارة الخزرجي الأنصاري ٨٩ ـ عمر بن أبي سلمةبن عبد الأسد ٩٠ ـ عمر بن الخطاب ٩١ ـ عمران بن حصين الخزاعي ٩٢ ـ عمرو بن الحمق الخزاعي ٩٣ ـ عمرو بن شراحبيل ٩٤ ـ عمرو بن العاص ٩٥ ـ عمر بن مرة الجهني ٩٦ ـ الصديقة الطاهرة عليهما السلام ٩٧ ـ فاطمة بنت حمزه ٩٨ ـ قيس بن ثابت الأنصاري ٩٩ ـ قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ١٠٠ ـ كعب بن عجزة الأنصاري ١٠١ ـ مالك بن الحويرث الليثي ١٠٢ ـ المقداد بن عمرو الكندي ١٠٣ ـ ناجية بن عمرو الخزاعي١٠٤ ـ أبو برزة فضلة بن عتبة الأسلمي ١٠٥ ـ نعمان بن عجلان الأنصاري ١٠٦ـ هاشم المرقال ابن عتبة بن آبي وقاص الزهري ١٠٥ ـ نعمان بن عجلان الأنصاري ١٠٦ ـ هاشم المرقال ابن عتبة بن ابي وقاص الزهري ١٠٧ ـ أبو وسمة وحشي بن حرب الحبشي الحمصي ١٠٨ ـ وهب بن حمزة ١٠٩ـ أبو جحيفة وهب بن عبدالله السوائي ١١٠ ـ أبو مُرازم يعلى بن مرة بن وهب الثقفي.

فهؤلاء مائة وعشرة من اعاظم الصحابة الذين وجدنا روايتهم لحديث الغدير ولعل هؤلاء الذين ما وجدناهم اكثر بكثير كما هو قضية جمع الغدير الكثير الكثير.

١. التابعون حسب حروف التهجي: ١ ـ أبو راشد الجراني ٢ ـ أبو سلمة ٣ ـ أبو سليمان المؤذن ٤ ـ أبو صالح السمان ذكوان ٥ ـ أبو عنفوانة المازني ٦ ـ أبو عبد الرحيم الكندي ٧ ـ ابو القاسم اصبع بن نباتة ٨ ـ أبو ليلى الكندي ٩ ـ إياس بن نُذير ١٠ ـ جميل بن عمارة ١١ ـ حارثة بن نصر ١٢ ـ جيب بن ابي ثابت ١٣ـ الحرث بن مالك ١٤ ـ الحسين بن مالك بن الحويرث ١٥ ـ حكم بن عتيبة الكوفي ١٦ ـ حميد بن عمارة الخزرجي ١٧ ـ حميد الطويل ١٨ ـ خيثمة بن عبدالرحمن الجعفي ١٩ ـ ربيعة الجرشي ٢٠ ـ أبو المثنى رياح بن الحارث النخعي ٢١ ـ أبو عمرو زاذان بن عمر الكندي ٢٢ ـ أبو مريم زرّبن حبيش ٢٣ ـ زياد بن ابي ٢٤ ـ زيد بن يثيع الهمداني ٢٥ ـ سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطابَ ٢٦ ـ سعيد بن جبير الأسدي ٢٧ ـ سعيد بن أبي حدان ٢٨ ـ سعيد بن المسيب ٢٩ ـ سعيد بن وهب ٣٣ ـ أبويحيى سلمة بن كهيل ٣١ ـ سليم بن قيس الهلالي ٣٢ ـ سليمان بن مهران ٣٣ ـ سهم بن الحصين الأسدي ٣٤ ـ شهر بن حوشب ٣٥ ـ الضحاك بن مزاحم ٣٦ ـ طاووس بن كيسان ٣٧ ـ طلحة بن المصرف الأيامي ٣٨ ـ عامر بن سعد بن أبي وقاص ٣٩ ـ عائشة بنت سعد ٤٠ ـ عبدالحميد بن المنذر ٤١ ـ عبد بن خير ٤٢ ـ عبدالرحمن بن أبي ليلى ٤٣ ـ عبد الرحمن بن سابط ٤٤ ـ عبدالرحمن بن اسعد بن زرارة ٤٥ ـ عبد الله بن شريك ٤٦ ـ عبدالله بن زياد الأسدي ٤٧ ـ عبدالله بن محمد بن عقيل ٤٨ ـ عبدالله بن يعلى بن مرة ٤٩ ـ عدي بن ثابت الأنصاري ٥٠ ـ عطية بن سعد بن خبادة ٥١ ـ علي بن زيد بن جدعان ٥٢ ـ عمارة بن جوين العبدي ٥٣ ـ عمر بن عبد العزيز الخيلفة الأموي ٥٤ ـ عمر بن عبد الغفار ٥٥ ـ عمر بن علي اميرالمؤمنين Δ ٥٦ ـ عمرو

وهن العلماء رواة عن الصحابة والتابعين من القرن الثاني إلى القرن الرابع عشر (٣٦٠) شخصاً والقرن حول الغدير (٣٦) من الأعلام وصدق صحته

بن جعدة بن هبيرة ٥٧ ـ عمرو بن مرة الكوفي ٥٨ ـ عمرو بن عبدالله السبيعي ٥٩ ـ عمرو بن ميمون ٦٠ ـ عميرة بن سعد ٦١ ـ عميرة بنت سعد بن مالك ٦٢ ـ عيسى بن طلحة ٦٣ ـ فطر بن خليفة المخزومي ٦٤ ـ قبيضة بن ذئيب ٦٥ ـ أبو مريمقيس الثقفي ٦٦ ـ محمد بن عمر بن علي أميرالمؤمنين Δ٦٧ ـ مسلم بن صبيح ٦٨ ـ مسلم الملائي ٦٩ ـ مصعب بن سعد بن أبي وقاص ٧٠ ـ مطلب بن عبدالله القرشي المخزومي ٧١ ـ مطرق الدراق ٧٢ ـ معرف بن خُربوذ ٧٣ ـ منصور بن ربعي ٧٤ ـ موسى بن اكتل٧٥ ـ مهاجر بن مسمار ٧٦ ـ ميمون البصري ٧٧ ـ نذير الضبي ٧٨ ـ هاني بن هاني ٧٩ ـ أبو بلج يحيى بن مسلم الفزاري ٨٠ ـ يحيى بن جعدة ٨١ ـ يزيد بن أبي زياد ٨٢ ـ يزيد بن عبدالرحمن بن الأودي ٨٤ ـ أبو نجيح يسار الثقفي، نذكرهم حسب ترتيب وفياتهم.

١ . فمن القرن الثاني: عمرو بن دينار (١١٥) ٢ ـ محمد بن مسلم بن عبيد الله القرشي الزهري (١٢٤) ٣ ـ عبدالرحمن التيمي (١٢٦) ٤ ـ بكر بن سوادة (١٢٨) ٥ ـ عبدالله بن ابي نجيح (١٣١) ٦ ـ مغيرة بن مقسم (١٣٣) ٧ ـ خالد بن زيد الجمحي (١٣٩) ٨ ـ الحسن بن الحكم النخعي (١٤٠) ٩ ـ ادريس بن يزيد الأودي ١٠ ـ يحيى بن سعيد بن حيان التيمي (١٤٥) ١١ ـ عبد الملك بن أبي سليمان العرزمي (١٤٥) ١٢ ـ أوف بن ابي جميلة العبدي (١٤٦) ١٣ ـ عبيد الله بن عمر بن حفص (١٤٧) ١٤ ـ نعيم بن الحكيم (١٤٨) ١٥ ـ طلحة بن يحيى (١٤٨) ١٦ ـ كثير بن زيد (١٥٠) ١٧ ـ محمد بن اسحاق (١٥١) ١٨ ـ معمر بن راشد (١٥٣) ١٩ ـ مسعر بن كدام (١٥٣) ٢٠ ـ الحكم ابان (١٥٤) ٢١ ـ عبدالله بن شوذب (١٥٧) ٢٢ ـ شعبة بن الحجاج (١٦٠) ٢٣ ـ كامل بن العلا (١٦٠) ٢٤ ـ سفيان بن سعيد الثوري (١٦١) ٢٥ ـ اسماعيل بن يونس (١٦٢) ٢٦ ـ جعفر بن زياد (١٦٥) ٢٧ ـ مسلم بن سالم النهدي ٢٨ ـ قيس بن الربيع (١٦٥) ٢٩ ـ حماد بن سلمة (١٦٧) ٣٠ ـ عبدالله بن لهيعة (١٧٤)٣١ ـ الوضاح بن عبدالله (١٧٥) ٣٢ ـ شريك بن عبدالله (١٧٧) ٣٣ ـ عبيد الله بن عبدالرحمن (١٨٢) ٣٤ ـ نوح بن قيس الحدّاني (١٨٣) ٣٥ ـ المطلب بن زياد (١٨٥) ٣٦ـ حسان بن ابراهيم الغزي (١٨٦) ٣٧ ـ جرير بن عبدالحميد (١٨٨) ٣٨ ـ الفضل بن موسى (١٩٢) ٣٩ ـ محمد بن جعفر السلمي (١٩٤) ٤٢ ـ محمد بن خازم العزير (١٩٥) ٤١ ـ محمد بن إبراهيم السلمي ٤٢ ـ محمد بن خازم العزير (١٩٥) ٤٣ـ محمد بن فضيل (١٩٥) ٤٤ ـ الوكيع بن الجراح (١٩٦) ٤٥ ـ سفيان بن عينة (١٩٨) ٤٦ ـ عبدالله بن نمير (١٩٩) ٤٧ ـ خنش بن الحرث ٤٨ ـ موسى بن يعقوب ٤٩ ـ العلاء بن سالم العطار ٥٠ ـ الأزرق بن علي بن مسلم ٥١ ـ هاني بن أيوب ٥٢ ـ فضيل بن مرزوق الأغر (١٦٠) ٥٣ ـ سعد بن عُبيده ٥٤ ـ موسى بن مسلم الحزامي ٥٥ ـ يعقوب بن جعفر بن ابي كثير الأنصاري ٥٦ ـ عثمان بن سعد.

من القرن الثالث: ٥٧ ـ ضمرة بن ربيعة (٢٠٢) ٥٨ ـ محمد بن عبدالله الزبيري (٢٠٣) ٥٩ ـ مصعب بن المقدام (٢٠٣)٦٠ ـ يحيى بن آدم (٢٠٣) ٦١ ـ زيد بن الحباب الخراساني (٢٠٣) ٦٢ ـ محمد بن ادريس الشافعي (٢٠٤) ٦٣ ـ أبو عمرو شبابة بن سوار الفزاري (٢٠٦) ٦٤ ـ محمد بن خالد الحنفي ٦٥ ـ خلف بن تميم الكوفي (٣٠٦) ٦٦ ـ أسود بن عامر شاذان (٢٠٨) ٦٧ ـ حسين بن الحسن الأشقر الفرازي (٢٠٨) ٦٨ ـ حفص بن عبدالله بن راشد (٢٠٩) ٦٩ ـ عبد الله الرزاق بن همام الصنعاني (٢١١) ٧٠ ـ الحسن بن عطية (٢١٣) ٧١ ـ عبدالله بن يزيد العدوي (٣١٣) ٧٢ ـ حسين بن محمد بن بهرام (٢١٣) ٧٥ ـ محمد بن سليمان الحراني (٢١٣) ٧٦ ـ عبدالله بن داود (٢١٣) ٧٧ ـ أبو عبدالرحمن بن دينار العبدي (٢١٥١) ٧٨ ـ يحيى بن حماد الشيباني (٢١٥) ٧٩ ـ حجاج بن منهال السلمي (٢١٧) ٨٠ ـ الفضل بن دكين (٢١٨) ٨١ ـ عفان بن مسلم (٢١٩) ٨٢ ـ علي بن عياش الألهاني(٢١٩) ٨٣ ـ مالك بن اسماعيل بن درهم النهدي (٢١٩) ٨٤ ـ قاسم بن سلام الهروي (٢٢٣) ٨٥ ـ محمد بن كثير (٢٢٣) ٨٦ ـ موسى بن منصور (٢٢٧) ٨٩ ـ يحيى بن عبدالحميد الحمّاني (٢٢٨) ٩٠ ـ ابراهيم بن الحجاج السامي (٢٣١) ٩١ ـ علي بن حكيم بن ذيبان (٢٣١) ٩٢ ـ خلف بن سالم المهبلي (٢٣١)٩٣ ـ علي بن محمد الطنافسي (٢٣٣) ٩٤ ـ هدبة بن خالد القيسي (٢٣٥) ٩٥ ـ عبدالله بن محمد العبسي (٢٣٥)٩٦ ـ عبيد الله بن عمر الجشمي (٢٣٥) ٩٧ ـ احمد بن عمر بن حفص الجلاب (٢٣٥) ٩٨ ـ ابراهيم بن المنذر الحزامي (٢٣٦) ٩٩ ـ يحيى بن سليمان الكوفي (٢٣٧) ١٠٠ ـ ابن راهويه الحنظلي (٢٣٧) ١٠١ ـ عثمان بن محمد العبسي (٢٣٩) ١٠٢ ـ الحسن بن حماد سجادة (٢٣٧) ١٠١ ـ عثمان بن حمد العبسي (٢٣٩) ١٠٢ ـ الحسن بن حماد سجادة (٢٤١) ١٠٦ ـ هارون بن عبدالله (٢٤٣) ١٠٧ ـ حسين بن حريث عثمان (٢٤٦)١١٠ ـ محمد بن العلاء (٢٤٨) ١١٥ ـ يوسف بن عيسى بن دينار المروزي (٢٤٩) ١١٦ ـ محمد بن عبدالرحيم صاعقة (٢٥٥) ١١٧ ـ محمد بن عبدالله العدوي المقري (٢٥٦) ١١٨ ـ محمد بن اسماعيل البخاري (٢٥٦) صاحب الصحيح ١١٩ ـ الحسن بن عرفة (٣٥٧) ١٢ ـ عبدالله بن سعيد الكندي (٢٥٧) ١٢١ ـ محمد بن يحيى النيسابوري الدهلي (٢٥٨) ١٢٢ ـ حجاج بن يوسف الثقفي (٢٥٩)١٢٣ ـ عثمان بن حكيم الأودي (٣٦١) ١٢٤ ـ عمر بن شبَّه (٣٦٢) ١٢٥ ـ ١٢٥ ـ حمدان احمد بن يوسف السلمي (٣٦٤) ١٢٦ ـ عبيد الله بن عبدالكريم المخزومي (٣٦٤) ١٢٧ ـ احمد بن منصور بن سيار أبوبكر البغدادي صاحب المسند (٢٦٥) ١٢٨ ـ اسماعيل بن عبدالله بن مسعود العبدي (٢٦٧) ١٢٩ ـ الحسن بن علي بن عفان (٢٧٠) ١٣٠ ـ حمد بن عوف الطائق المحصي(٢٧٢) ١٣١ ـ سليمان بن سيف الطائي الحراني ١٣٢ ـ محمدبن يزيد القزويني (٢٧٣) ١٣٣ ـ عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦) ١٣٤ ـ عبد الملك بن محمد ابو قلابة الرقاشي (٢٧٦) ١٣٥ ـ احمد بن حازم الغفاري (٢٧٦) ١٣٦ ـ محمد بن عيسى الترمذي (٢٧٩) ١٣٧ ـ احمدبن يحيى البلاذري (٢٧٩) ١٣٨ ـ ابراهيم بن الحسين الكسائي (٢٨٠) ١٣٩ـ احمد بن عمرو ابوبكر الشيباني (٢٨٧) ١٤٠ ـ زكريا بن يحيى السجزي (٢٨٩) ١٤١ ـ عبدالله بن احمدبن حنبل (٢٩٠) ١٤٢ ـ احمد بن عمرو ابوبكر البزار (٢٩٢) ١٤٣ ـ ابراهيم بن عبدالله الكجي صاحب

السنن (٢٩٢) ١٤٤ ـ صالح بن محمدجرزة (٢٩٣) ١٤٥ـ احمد بن عثمان العبسي (٢٩٧) ١٤٦ ـ القاضي علي بن محمد المصِّيصي ١٤٧ ـ ابراهيم بن يونس المؤدب حَرَمي ١٤٨ ـ أبو هريرة محمد بن ايوب الواسطي .

القرن الرابع: ١٤٩ ـ عبدالله بن الصفر السكري (٣٠٢) ١٥٠ ـ احمد بن شعيب النسائي صاحب السنن (٣٠٣) ١٥١ ـ بن الحسن بن سفيان النسوي البالوزي صاحب المسند الكبير (٣٠٣) ١٥٢ ـ احمد بن عي الموصلي صاحب المسند الكبير (٣٠٧) ١٥٣ ـ احمد بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ (٣١٠) ١٥٤ ـ احمد بن محمد الضبعي الأحول (٣١١) ١٥٥ـ محمد بن جمعة القهستاني صاحب المسند الكبير (٣١٣) ١٥٦ ـ عبدالله بن محمد البغوي (٣١٧) ١٥٧ ـ محمد بن احمد الدولابي (٣٢٠) ١٥٨ ـ احمد بن عبدالله المعروف بابن النيري (٣٢٠) ١٥٩ ـ أبو جعفر احمد بن محمد الازدي الطحاوي (٣٢١) ١٦٠ ـ ابراهيم بن عبد الصمد الهامشي (٣٢٥) ١٦١ ـ محمد بن علي الترمذي ١٦٢ ـ عبدالرحمن ابن ابي حاتم محمد بن ادريس التميمي الحنظلي (٣٢٧) ١٦٣ ـ احمد بن عبد ربه القرطبي (٣٢٨) ١٦٤ ـ الفقيه أبو عبدالله الحسين بن اسماعيل المحاملي (٣٣٣) ١٦٧ ـ محمد بن علي بن خلف العطار ١٦٨ ـ الهيثم بن كليب ابو سعيد الشاشي (٣٣٥) ١٦٩ ـ محمد بن صاح بن هاني الوراق النيسابوري (٣٤٠) ١٧٠ ـ محمد بن يعقوب (٣٤٤) ١٧١ ـ يحيى بن محمد الغبري البغياني (٣٤٤) ١٧٢ ـ المسعودي علي بن الحسين البغدادي (٣٤٦) ١٧٣ ـ محمد بن احمد بن تميم الخياط القنطري (٣٤٠) ١٧٤ ـ جعفر بن محمد بن نصير (٣٤٧) ١٧٥ ـ محمد بن علي الشيباني ١٧٦ ـ دعلج بن احمد السجستاني (٣٤١) ١٧٧ ـ محمد بن الحسن بن محمد النقاش المفسر الموصلي (٣٥١) ١٧٨ ـ محمد بن عبدالله الشافعي البزاز (٣٥٤) ١٧٩ ـ محمد بن حبان التيمي البستي (٣٥٤) ١٨٠ ـ سليمان بن احمد بن ايوب اللخمي الطبراني (٣٦٠) ١٨١ ـ احمد بن حنبل صاحب المسند الكبير (٣٦٥) ١٨٢ ـ احمد بن جعفر القطيعي (٣٦٧) ١٨٣ ـ الزبير بن عبدالله التوزي (٣٧٠) ١٨٤ ـ محمد بن احمد بن بالويه النيسابوري (٣٧٤) ١٨٣ ـ الزبير بن عبدالله بن التوزي (٣٧٠) ١٨٤ ـ محمد بن احمد بن بالويه النيسابوري (٣٧٤) ١٨٥ ـ علي بن عمر بن أحمد الدارقطني (٣٨٥) ١٨٦ ـ الحسن بن ابراهيم ابن رولاق (٣٨٧) ١٨٧ ـ عبيد الله بن محمد العكبري ابن بطة (٣٨٧) ١٨٨ ـ محمد بن عبد الرحمن الذهبي (٣٨٨) ١٨٩ ـ احمد بن سهل الفقيه البخاري ١٩٠ ـ النسائي ١٩١ ـ يحيى بن محم الأخباري.

القرن الخامس: ١٩٢ ـ أبوبكر الباقلاني (٤٠٣) ١٩٣ ـ محمد بن عبدالله ابن اليشع النيسابوري (٤٠٥) ١٩٤ ـ احمد بن محمد بن موسى (٤٠٥) ١٩٥ ـ الخركوشي(٤٠٧) ١٩٦ ـ احمدبن عبدالرحمن الشيرازي (٤٠٧) ١٩٧ ـ محمد بن احمد بن محمد (٤١٢) ١٩ ـ ابن مردويه الأصبهاني (٤١٦) ١٩٩ ـ احمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (٤٢١) ٢٠٠ ـ القاضي احمد بن الحسين ابن السما (٤٢٤) ٢٠١ ـ الثعلبي النيسابوري المفسر الشهير (٤٢٧) ٢٠٢ ـ عبدالله بن علي بن محمد بن بشران (٤٢٩) ٢٠٣ ـ الثعالبي النيسابوري (٤٢٩) ٢٠٤ ـ أبو نعيم الأصبهاني (٤٣٠) ٢٠٥ ـ الحسن بن علي بن محمد التيمي ابن المذهَّب (٤٤٤) ٢٠٦ ـ ابن السمان (٤٤٥) ٢٠٧ ـ البيهقي (٤٥٨) ٢٠٨ ـ القرطبي(٤٦٣)

صاحب الاستيعاب ٢٠٩ ـ الخطيب البغدادي(٤٦٣) ٢١٠ ـ الواحدي النيسابوري (٤٦٨) ٢١١ ـ مسعود بن ناصر بن عبدالله السجزي (٤٧٧) ٢١٢ ـ ابن المغازلي (٤٨٣) ٢١٣ ـ علي بن الحسن القاضي الخلعي (٤٩٢) ٢١٤ ـ ابن الحداد الحسكاني (٤٩٠) ٢١٥ ـ احمد بن محمد بن علي العاصمي.

القرن السادس: ٢١٦ـ حجة الاسلام الغزالي (٥٠٥) ٢١ ـ محمد بن علي الكوفي الرسبي (٥١٠) ٢١٨ ـ ابن مندة (٥١٢) ٢١٩ ـ البغوي (٥١٦) ٢٢٠ ـ عبد الواحد الشيباني (٥٢٥) ٢٢١ ـ علي بن عبدالله بن نصر بن السرى الزاغوني (٥٢٧) ٢٢٢ ـ رزى بن معاوية العبدري الأندلسي (٥٣٥) ٢٢٣ ـ جار الله محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨) ٢٢٤ ـ القاضي عياض اليحصبي السبتي (٥٤٤) ٢٢٥ـ الشهرستاني الشافعي (٥٤٨) ٢٢٦ ـ النطنزي ٢٢٧ ـ السمعاني الشافعي(٥٦٢) ٢٢٨ ـ يحيى بن سعدون بن تمام الأزدي القرطبي(٥٦٧) صاحب التفسير الكبير ٢٢٩ ـ موفق بن احمد بن المؤيد اخطب الخطباء الخوارزمي (٥٦٨) ٢٣٠ ـ الأربيلي المعروف بملاّ ٢٣١ ـ علي بن الحسن بن هبة الله أبوالقاسم الدمشقي ثقة الدين الشهير بابن عسار (٥٧١) صاحب التاريخ الكبير ٢٣٢ ـ محمد بن أبي بكر عمر بن آبي عيسى الاصبهاني (٥٨١) ٢٣٣ ـ أبوبكر الحازمي (٥٨٤) ٢٣٤ ـ ابن الجوزي البكري(٥٩٧) ٢٣٥ ـ الفقيه اسعد بن ابي الفضائل محمود بن خلف العجلي أبو الفتوح (٦٠٠).

القرن السابع: ٢٣٦ ـ فخر الدن الرازي (٦٠٦) صحب التفسير الكبير ٢٣٧ ـ ابن الأثير الشيباني الجزري (٦٠٦) ٢٣٨ ـ أبوالحجاج يوسف بن محمد البلوي المالكي الشهير بابن الشيخ (٦٠٥) ٢٣٩ ـ تاج الدين زيد بن احسن بن زيد الكندي (٦١٣) ٢٤٠ ـ الشيخ علي بن حميه القرشي(٦٢١) ٢٤١ ـ أبو عبدالله ياقوت الحموي(٦٢٦) ٢٤٢ ـ علي بن محمد الشيباني المعروف باب الأثير الجرزي(٦٣٠) صاحب التاريخ الكامل واسد الغابة ٢٤٣ ـ حنبل بن عبدالله بن الفرج البغدادي الرصافي (٦٤٠) ٢٤٤ ـ ضياء الدين محمد بن عبدالواحد المقدسي (٦٤٣) ٢٤٥ـ محمد بن طلحة القرشي النصيبي ٢٤٦ ـ أبو المظفر يوسف الأمير حسام الدسن قزأ وغلي (٦٥٤) ٢٤٧ـ ابن أبي الحديد المعتزلي(٦٥٥)٢٤٨ـ الكنجي الشافعي (٦٥٨) صاحب كفاية الطالب ٢٤٩ ـ عبد الرزاق بن عبدالله بن ابي بكر عز الدين الرسغي (٦٦١) ٢٥٠ ـ فضل الله بن ابي سعيد الحسن الشافعي النور بشتي٢٥١ ـ يحيى الدين يحيى بن شرف النووي (٦٧٦) ٢٥٢ ـ الشيخ مجد الدين عبدالله بن محمود بن مورود الحنفي الموصلي(٦٨٣) ٢٥٣ ـ القاضي ناصر الدين عبدالله عمر ابوالخير البيضاوي (٦٨٥) صاحب الطوالع والمصباح في أصول الدين ومختصر الكشاف في التفسير وتأليفات اخرى ٢٥٤ ـ احمد بن عبدالله فقيه الحرم محب الدين أبو العباس الطبري (٦٩٤) ٢٥٥ ـ ابراهيم بن عبدالله الرصابي اليمني ٢٥٦ ـ محمد بن احمد الفرغاني (٧٠٠).

القرن الثامن: ٣٥٧ ـ شيخ الاسلام ابواسحاق ابراهيم بن سعد الدين محمد بن المؤيد الحمويه (٧٢٢) ٢٥٨ ـ علاء الدين احمد بن محمد بن احمد السمناني (٧٣٦) ٢٥٩ ـ يوسف بن عبدالرحمن الدمشقي المزّي ٢٦٠ ـ شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي الشافعي (٧٤٨) ٣٦١ ـ نظام الدين النيسابوري صاحب التفسير الكبير ٢٦٢ ـ ولي الدين محمد بن عبدالله الخطيب العمري التبريزي

صاحب مشكاة المصابيح ٢٦٣ـ ابومحمد اقيس الحنفي النحوي (٧٤٩) ٢٦٤ ـ ابـن الـوردي (٧٤٩) ٣٦٥ ـ جمال الدين محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد الرزندي(٧٥٠) ٢٦٦ ـ القاضي عبد الـرحمن بن احمد الأيجي (٧٥٦) ٢٦٧ ـ الكازروني (٧٥٨) ٢٦٨ ـ أبوالسعادات عبدالله بـن اسـعد بـن عـلي اليافعي الشافعي (٧٦٨) ٢٦٩ ـ عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير القيسي (٧٧٤) ٢٧٠ ـ عمر بن حسن بن مزيد بن أميله المراغي (٧٧٨) ٢٧١ ـ شمس الدين أبو عبـدالله محمـد بـن احمـد بـن عـلي الهواري ابن جابر الأندلسي (٧٨٠) ٢٧٢ ـ السيد علي بن شهاب بن محمـد الهمـداني (٧٨٦) ٢٧٣ ـ المقدسي المعروف بالصامت (٧٨٩) ٢٧٤ ـ سعد الدين مسعود بن عمر بن عبدالله الهروي (٧٩١).

القرن التاسع: ٣٧٥ ـ علي بن ابي بكر بن سليمان أبوالحسـن الهيـثمي (٨٠٧) ٢٧٦ ـ ابـن خلـدون الحضرمي الأشبيلي المالكي (٨٠٨) ٢٧٧ ـ السيد الشريف الجرجاني (٦١٨) ٢٧٨ ـ خواجـة پارسـا (٨٢٢) ٢٧٩ ـ محمد بن خليفة الوشتاني المالكي(٨٢٧) ٢٨٠ ـ محمد بن محمد بـن محمـد ابـو الخـير الدمشقي المقري المعروف بابن الجوزي (٨٣٣) ٢٨١ ـ المقريزي الحنفي (٨٤٥) ٢٨٢ ـ الدولت آبادي (٨٤٩) ٢٨٣ ـ العسقلاني (٨٥٢) ٢٨٤ ـ ابن الصباغ المـالكي (٨٥٥) ٢٨٥ ـ العيـني الحـنفي (٨٨٥) ٢٨٦ ـ ابن عجلون (٨٧٦) ٢٨٧ ـ القوشجي صاحب شرح التجريد ٢٨٨ ـ الأيجي الشـافعي ٢٨٩ ـ السنوسي التلمساني (٨٩٥) ٢٩٠ ـ ابن روزبهان الشيرازي خواجه ملاّ.

القرن العاشر: ٢٩١ ـ الميبدي شارح الديوان المنسوب الى امير المؤمنين Δ (٨٧٠) ـ ٢٩٢ ـ السيوطي (٩١١) ٢٩٣ ـ السهودي الشافعي (٩١١) ٢٩٤ ـ القسطاني المصري (٩٢٦) ٢٩٥ ـ السيد عبدالوهاب بن محمد رفيع الدين احمد الحسيبي البخاري (٩٣٢) ٢٩٦ ـ ابن الـدبيع الشـيباني (٩٤٤) ٢٩٧ ـ ابـن حجر الهيثمي (٩٧٤) ٢٩٨ـ المتقي الهندي (٩٧٥) ٢٩٩ ـ الشـربيني القـاهري (٩٧٧) ٣٠٠ ـ ضـياء الدين أبو محمد احمد بن محمد الوتري (٩٨٠) ٣٠١ ـ ملك المحدثين الهندي الفتني (٩٨٦) ٣٠٢ ـ ميرزا مخدوم بن عبد الباقي (٩٩٥) ٣٠٣ ـ الصـفوري الشـافعي مؤلـف نزهـة المجـالس ٣٠٤ ـ الشـيرازي صاحب الأربعين (١٠٠٠).

القرن الحادى عشر: ٣٠٥ ـ الهروي المعروف بالقـاري الحـنفي (١٠١٤) ٣٠٦ ـ ابـن سـان القرمـاني (١٠١٩) ٣٠٧ ـ المناوي القاهري (١٠٣١) ٣٠٨ ـ الفقيـه شـيخ بـن عبـد الله العيـدروس الحسـيني (١٠٤١) ٣٠٩ ـ الشيخاني القادري (١٠٤٧) ٣١٢ ـ الحسين بن الامام المنصور بالله القاسم بن محمـد بن علي اليمني (١٠٥٠) ٣١٣ـ شهاب الدين الخفاجي (١٠٦٩) ـ عبدالحق بن سيف الدين الـدهلوي البخاري (١٠٥٢) ٣١٥ ـ محمد بن محمد المصري ٣١٦ ـ محمد بن محبوب صاحب تفسير الشاهي .

القرن ثاني عشر: ٣١٧ ـ البرزنجي الشـافعي (١١٠٣) ٣١٨ ـ الشـيرخيتي المصـري(١١٠٦) ٣١٩ ـ الصنعاني (١١٠٨)٣٢٠ ـ ابـن حمـزة الحـراني (١١٢٠) ٣٢١ ـ الزرقـاني المصـري (١١٢٢) ٣٢٢ـ السهارينوري صاحب مرافض ٣٢٣ ـ ميرزا محمد بن معتمد خان البدخشي ٣٢٤ ـ محمد صدر العـالم ٣٢٥ ـ العمادي (١١٧١) ٣٣٦ ـ العمري الدهلوي (١١٧٦) ٣٢ ـ محمد بن سالم بـن احمـد المصـري

الحنفي (١١٨١) ٣٢٨ ـ الصنعاني الحسيني (١١٨٢) ٣٢٩ ـ شهاب الدين احمد بن عبدالقادر الحفظي احد شعراء الغدير.

القرن الثالث عشر: ٣٣٠ ـ الزبيدي الحنفي (١٢٠٥) مؤلف تاج العروس ٣٣١ ـ الشيخ محمد بن علي الصبّان الشافعي (١٢٠٦) ٣٣٢ ـ رشيد الدين خان الدهلوي ٣٣٣ ـ المولوي محمد مبين الكهنودي ٣٣٤ ـ المولوي محمد سالم البخاري الدهولي ٣٣٥ ـ المولوي ولي الله الكهنودي ٣٣٦ ـ المولوي حيدر علي الفيض آبادي ٣٣٧ ـ الشوكاني الصنعاني (١٢٥٠) ٣٣٨ ـ الآلوسي (١٢٧٠) ٣٣٩ ـ الشيخ محمد بن درويش الحوت البيروتي (١٢٧٦) ٣٤٠ ـ خواجه كلان (١٢٩٣)٣٤١ ـ السيد احمد بن مصطفى القادين خاني.

القرن الرابع عشر: ٣٤٢ ـ السيد احمد زيني دحلان (١٣٠٤) ٣٤٣ ـ الشيخ يوسف بن اسماعيل النبهائي مؤلف منتخب الصحيحين من كلام سيد الكونين ٣٤٤ ـ السيد مؤمن ابن حسن مؤمن الشبلنجي ٣٤٥ ـ الشيخ محمد عبده(١٣٢٣) ٣٤٧ ـ الشيخ محمد حبيب الله بن عبدالله اليوسفي ٣٤٨ ـ القاضي بهلول بهجت قاضي رنكة زور ٣٤٩ ـ الكاتب الشهير عبد المسيح الأنطاكي ٥٣٠ ـ الدكتور احمد فريد رفاعي ٣٥١ـ الأستاذ احمد زكي العدوي ٣٥٢ ـ الأستاذ احمد نسيم المصري ٣٥٣ ـ الأستاذ حسين علي الأعظمي البغدادي ٣٥٤ ـ السيد علي جلال الدين الحسيني المصري ٣٥٥ ـ الأستاذ محمد محمود الرافعي المصري ٣٥٦ ـ الأستاذ محمد شاكر الخياط النابلسي الأزهري المصري ٣٥٧ ـ الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود المصري ٣٥٨ ـ الأستاذ الشيخ محمد سعيد دحدوح ٣٥٩ ـ الأستاذ صفا خلوص ٣٦٠ ـ العالم المجتهد ناصر السنة شهاب الدين أبي الفيض احمد بن محمد بن الصديق.

كل هؤلاء نقلنا اسماءهم عن «الغدير» للمغفور له العلامة الامينين ج ١ : ٧٣ ـ ١٥١ بصورة مختصرة والتفصيل راجع إليه.

١ . وهم : ١ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري الآملي (٣١٠) ٢ ـ أبو العباس احمد بن محمد المعروف بابن عقدة ٣ ـ الواسطي ٤ ـ الجعابي (٣٥٥) ٥ ـ ابو غالب الرازي (٣٦٨) ٦ ـ محمد بن عبدالله الشيباني (٣٧٢) ٧ ـ علي بن عمر الدارقطني (٣٨٥) ٨ ـ الشيخ محسن بن الحسين النيسابوري ٩ ـ علي بن عبدالرحمن القناتي (٤١٣) ١٠ ـ الحسين بن عبيدالله الغضائري (٤١١) ١١ ـ ابو سعيد مسعود بن ناصر السجستاني (٤٧٧) ١٢ ـ أبوالفتح الكراجكي(٤٤٩) ١٣ ـ علي بن بلال ١٤ ـ الشيخ منصور اللائي الرازي ١٥ ـ الشيخ علي بن الحسن الطاطري ١٦ ـ عبيد الله بن عبدالله الحسكاني ١٧ ـ محمد بن احمد الذهبي (٧٤٨) ١٨ ـ محمد بن محمد الجرزي (٨٨٣)١٩ ـ عبدالله بن شاه منصور القزويني ٢٠ ـ السيد سبط الحسن الجايسي ٢١ ـ السيد مير حامد حسين (١٣٠٦) صاحب العبقات ٢٢ ـ السيد مهدي بن السيد علي الغريفي (١٣٤٣) ٢٣ ـ الحاج الشيخ عباس القمي (١٣٥٩) ٢٤ ـ السيد مرتضى حسين الخطيب فتحيورى الهندي ٢٥ ـ الشيخ محمد رضا بن الشيخ طاهر آل فرج الله النجفي ٢٦ ـ الحاج السيد مرتضى الخسروشاهي التبريزي المعاصر.

وقوله الطلح الاسدي وألفين من العلماء.

وكما أن آية التبليغ بالله الاسلام على غدة الغدير، كذلك حديث الغدير «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» حيث وقع السؤال 3على «ألست أولى بكم أنفسكم قالوا بلى، قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه» فالولاية المطلقة المتوقفة على الأولوية المحضة 3لذلك وأنها هي دون مجرد المحبة التي هي الملازمة بين المؤمنين حيث «المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض».

ولقد تلمذ الإمام علي أمير المؤمنين Δبحديث الغدير مئات الأئمة Δكما تلمذ آخرون منهم فاطمة الصديقة الطاهرة سلام الله عليها في حديث النواحل عنها[1] والإمام الحسن Δ[2] والإمام الحسين Δ[3] وغيرهم عليهم السلام[1] ومنهم

---

١. كما اخرج شمس الدين أبوالخير الجزري في كتابه اسنى المطالب في مناقب علي بن ابي طالب Δ من قوله عليه السلام: أنسيتم قول رسول الله 3 يوم غدير خم: من كنت مولاه فعلي مولاه؟ وهكذا أخرجه الحافظ الكبير أبوموسى المديني في كتابه المسلسل بالأسماء وقال:هذا الحديث مسلسل من وجه وهو ان كل واحدة من الفواطم تروي عن عمة لها فهو رواية خمس بنات اخ كل واحدة منهن عن عمتها هكذا في اخراج شمس الدين حدثنا به شيخنا... اى قوله ـ حدثنا بكر بن احمد القعري حدثتنا فاطمة وزينب وأم كلثوم بنت موسى بن جعفر قلن حدثتنا فاطمة بنت جعفر بن محمد العملاق حدثتني فاطمة بنت محمد بن علي حدثتني فاطمة بنت علي بن الحسين حدثتني فاطمةوسكينة ابنتا الحسين بن علي عن ام كلثوم بنت فاطمة بنت النبي 3 عن فاطمة بنت رسول الله 3قالت: انسيتم...

٢. كما أخرجه الحافظ ابن عقدة ان الحسن بن علي عليهما السلام لما اجتمع على صلح معاوية قام خطيباً واحتج لخلافة علي Δبحجج منها: «وقد رأوه وسمعوه حين اخذ بيد ابي بغدير خم وقال لهم: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاده ثم امرهم ان يبلغ الشاهد الغائب».

٣. كما أخرجه سليم بن قيس الهلالي في كتابه جملاً ضيافة ان الامام الحسين Δ حج مع جماعة واجتمع عليه بمنى من أصحاب رسول الله 3 والتابعين اكثر من سبعمائة فقام فيهم فحمد الله واثنى عليه وقال فيما قال: أما بعد فان هذا الطاغية ـ يعني معاوية وهو قبل سنتين من موته ـ قد صنع بنا وبشيعتنا ما علمتم ورأيتم وشهدتم وبلغكم واني اريد أن أسألكم عن شيءفإن صدقت فصدقوني وإن كذبت فكذبوني واسمعوا مقالتي واكتبوا قولي ثم ارجعوا إلى امصاركم وقبائلكم و من ائتمنتموه من الناس ووثقتم به فادعوه إلى ما تعلمون من حقنا فانا نخاف أن يدرس هذا الحق ويذهب ويغلب والله متم نوره ولو كره الكافرون وما ترك شيئاً مما انزل الله في القرآن فيهم إلاّ رواه وكل ذلك يقولون اللهم

الخليفة عمر بن عبدالعزيز[٢] والخليفة مأمون الرشيد[٣]

نعم قد سمعنا وشهدنا ويقول التابعون اللهم نعم قد حدثني به من أصدقه وائتمنه من الصحابة ـ إلى أن قال ـ قال : انشدكم الله اتعلمون ان رسول الله 3 نصبه يوم غدير خم فنادى له بالولاية وقال: ليبلغ الشاهد الغائب؟ قالوا: اللهم نعم ـ وفيه طرف مماتواترات اسانيده من فضائل اميرالمؤمنين Δ فراجع.

١ . منها احتجاج عبدالله بن جعفر على معاوية واحتجاج عمرو بن العاص على معاوية واحتجاج برد على عمرو واحتجاج عمار بن ياسر يوم صفين على عمرو بن العاص واحتجاج اصبع بن نباتة في مجلس معاوية ومناشدة شاب أبا هريرة بحديث الغدير بمسجد الكوفة واحتجاج قيس بن سعد على معاوية واحتجاج دارمية الحجونية عليه واحتجاج عمرو الأودي على مناوئي أميرالمؤمنين Δ.

٢ . ومن احتجاج عمر بن عبدالعزيز ما رواه الحافظ أبو نعيم في حيلة الأولياء ٥: ٣٦٤ عن ابي بكر محمد التستري عن يعقوب و عمرو و بن محمد السرى عن ابن أبي داود قالا حدثنا عمر بن شبه عن عيسى عن يزيد بن عمر بن مورق قال: كنت بالشام و عمر بن عبدالعزيز يعطي الناس فتقدمت اليه فقال لي : ممن أنت؟ قلت: من قريش، قال: من أي قريش؟ قلت: من بني هاشم، قال: فسكت فقال: من أي بني هاشم؟ قلت مولى علي، قال: من عليٍّ؟ فسكتُّ قال: فوضع يده على صدره فقال: وأنا والله مولى علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ثم قال: حدثني عدة انهم سمعوا النبي 3 يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه ثم قال: يا مزاحم كم تعطي امثاله؟ قال:مائة أو مأتي درهم، قال: اعطه خمسين ديناراً وقال ابن ابي داود ستين ديناراً لولايته علي بن ابن ابي طالب ثم قال: الحق ببلدك فسيأتيك مثل ما يأتيك مثل ما يأتي نظراءك، واخرجه أبو الفرج في الأغاني وابن عساكر فى تاريخه والحموييني في فرائد السمطين والزرندي في نظم در السمطين والسهمودي في جواهر العقدين.

٣ . روى ابو عمر ابن عبد ربه في العقد الفريد ٣ : ٤٢ عن إسحاق بن إبراهيم بن اسماعيل بن حماد بن زيد قال بعث الي يحيى ابن اكثم والى عدة من اصحابي وهو يومئذٍ قاضي القضاة فقالا إن امير المؤمنين أمرني ان أحضر معي غداً مع الفجر اربعين رجلاً كلهم فقيه يفقه ما يقال له و يحسن الجواب فسموا من تظنونه يصلح لما يطلب اميرالمؤمنين فسمَّينا له عدة وذكر هو حتى تم العدد الذي اراد و كتب تسمية القوم وأمر بالبكور في السحر وبعث من يحضر فأمره بذلك فغدونا عليه قبل طلوع الفجر فوجدناه قد لبس ثيابه وهوجالس ينتظرنا فركب وركبنا معه حتى صرنا الى الباب فإذا بخادم واقف فلما نظر الينا قال يا أبا محمد؟ أمير المؤمنين ينتظر فأدخلنا فأمرنا بالصلاة فأخذنا فيها فلم نستتمها حتى خرج الرسول فقال: ادخلوا فد خلنا فإذا امير المؤمنين جالسٌ على فراشه ـ الى أن قال ـ :ثم قال: إني لم أبعث فيكم لهذا ولكنني أحببت ان ابسطكم ان امير المؤمنين أراد مناظرتكم في مذهبه الذي هو عليه و الذي يدين الله به. قلنا فليفعل امير المؤمنين وفقه الله فقال: ان اميرالمؤمنين يدين الله على ان علي بن ابي طالب خير خلق الله بعد رسول الله 3 وأولى الناس بالخلافة له، قال إسحاق فقلت يا امير المؤمنين إن فينا من لايعرف فاذكر امير المؤمنين في علي وقد دعانا اميرالمؤمنين للمناظرة فقال يا إسحاق اختر إن شئت سألتك اسأل وإن شئت ان تسأل فقل، قال إسحاق:

ذلك هو الغدير في كتاب والسنة وقد غرق فيه علم كثير ونحن الكثير من في رعاية الحق حيث ركبوا سفينة نجاة الولاية الكبرى الحمدية Δ العلي أمير المؤمنين عليه صلوات المصلين.

وما القول في المحقِّ من ولايته إلاَّ كمن على الله والهوى فإنه هالكٌ وخوالٌ ومن والله معه والله.

فكلما آيتا الغدير من التبليغ وتكميل الدين، وهاتيك روايات الغدير، فهما تعنيان ذلك الحشد الكبير في ابلاغ مقطع النبأ ما تشترك فيه كافة المؤمنين أم جماعة منهم خصوص؟ وليس في الدور إلاَّ علي أمير المؤمنين وولده المعصومون عليهم السلام؟

لا دور ـ إذاً ـ للبحث اللغوي حول المولى متكفلاً في المعنى منها، فحتى

فاغتنمتها منه فقلت بل اسألك يا أمير المؤمنين، قال: سل، قلت: من أين قال امير المؤمنين ان علي بن آبي طالب افضل الناس بعد رسول الله 3 واحقهم بالخلافة بعده؟ قال: يا إسحاق خبِّرني عن الناس بم يتفاضلون حتى يقال: فلان افضل من فلان؟ قلت: بالأعمال الصالحة قال:صدقت، قال: فأخبرني عمن فضل صاحبه على عهد رسول الله 3 ثم ان المفضول ان عمل بعد وفاة رسول الله3 بأفضل من عمل الفاضل على عهد رسول الله3 أيلحق به؟ قال: فأطرقت فقال لي: يا إسحاق؟ لاتقل:نعم، فانك إن قلت نعم اوجدتك في دهرنا هذامن هو اكثر منه جاهداً وحجاً وصياماً وصلاة وصدقة، فقلت: أجل يا أميرالمؤمنين لايلحق المفضول على عهد رسول الله3 الفاضل أبداً، قال: يا إسحاق! هل تروي حديث الولاية؟ قلت: نعم يا أميرالمؤمنين، قال: اروه، ففعلت، قال يا إسحاق أرأيت هذا الحديث هل اوجب على ابي بكر وعمر ما لم يوجب لهما عليه؟ قلت: إن الناس ذكروا ان الحديث انما كان بسبب زيد بن حارثة لشيء جرى بينه وبين علي وانكر ولاية علي فقال رسول الله3: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، قال: في أي موضع قال هذا؟ اليس بعد منصرفه من حجة اوداع؟ قلت: اجل، قال: فانّ قتل زيد بن حارثة قبل الغدير كيف رضيت لنفسك بهذا، اخبرني لو رأيت ابناً لك قد اتت عليه خمسة عشر سنة يقول: مولاي مولى ابن عمي ايها الناس فاعلموا ذلك، اكنت منكراً ذلك عليه تعريفه للناس ما لاينكرون ولا يجهلون؟ فقلت: اللهم نعم، قال: يا إسحاق أفتنزه ابنك عما لاتنزه عنه رسول الله 3 ويحكم لاتجعلوا فقهاءكم اربابكم ان الله جلَّ ذكره قال في كتابه: اتخذوا احبارهم ورهبانهم اراباباً من دون الله، ولم يصلوا لهم ولا صاموا ولازعموانهم ارباب ولكن امروهم فأطاعوا امرهم.

لم نجد في اللغة، فأمر الله نبيه بهذا، وسؤال النبي ﷺ ألست أولى بكم من أنفسكم ☜ تقرر في الأذهان وغاريب.

فهما كان المولى بمعنى عتيق[1] كما هي حسب ما تقتضيه قرائنها، فهنا القرائن المتصلة بها ومنفصلة[2] دالة على الأولوية السابقة التي كانت للرسول ﷺ 3 وكما بمعنى المولى محضرة محضرة في اللغة هي الحب والنصرة والأولوية فاعلم وفقك الله.

ذلك، وهذا المقطع من خطبة الغدير يقله أربع وستون من علماء الطريقين: ﷺ ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه[3]

---

١ . هي حسب موارد استعمالها سبعة وعشرون: الرب ـ العم ـ ابن العم ـ الابن ـ ابن الأخت ـ المعتَق ـ العبد ـ المالك ـ التابع ـ المنعَم عليه ـ الشريك ـ الحليف ـ الصاحب ـ الجار ـ النزيل ـ الصهر ـ القريب ـ المنعِم ـ الفقير ـ الولي ـ الأولى بالشيء ـ السيد غير المالك و المعتِق ـ المحب ـ الناصر ـ المتصرف في الأمر ـ المتولي في الأمر، وعناية المعاني إلاّ الأولى هنا في المولى بين كفر و كذب وغلط وتوضيح واضح.

٢ . هنا بعد القرينة الأولى تفريعاً لـ «هذا علي مولاه» على«الست أولى بكم من انفسكم» قرائن أخرى حالية كحشد الغدير وتأكيد آية البلاغ، ومقالية كالتالية: ١ ـ قول الشيخين في تهنيتهما له Δ بخ بخ لك اصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة. ٢ ـ قوله 3 عقيب لفظ الحديث:الله اكبر على اكمال الدين واتمام النعمة ورضى الرب برسالتي والولاية لعلي بن ابي طالب Δ ٣ ـ قوله 3 بعد بيان الولاية لعلي Δ هنئوني هنئوني ان الله تعالى خصني بالنبوة وخص اهل بيتي بالامامة ۴ ـ قوله 3بعد ذلك «فليبلغ الشاهد الغائب» ۵ ـ قوله 3ان الله أرسلني برسالة ضاق بها صدري وظننت أن الناس مكذبي فأوعدني لأبلغها أو ليعذبني، وتراه ولاية احب والنصرة فقط وهي عامة للمؤمنين كلهم!۶ ـ في لفظ عمر بن الخطاب: نصب رسول الله 3 علياً علماً،وفي لفظ علي Δ: أمر الله نبيه ان ينصبني للناس، و: نصبني علماً، وفي لفظ الامام الحسنΔ: أتعلمون ان رسول الله 3 نصبه يوم غدير خم وامثالها. ٧ ـ احتجاجات مضت بحديث الغدير لولا المولي فيها هو الأولى لما صحت هذه الاحتجاجات وقوبلت بالاعتراض أو التشكيك وإلى غير هذه من قرائن متصلة ومنفصلة.

٣ . وهم احمد بن حنبل ـ ابن ماجة ـ النسائي ـ الشيباني ـ أبويعلي ـ الطبري ـ الترمذي ـ الطحاوي ـ ابن عقدة ـ العنبري ـ أبو حاتم ـ الطبراني ـ القطيعي ـ ابن بطة ـ الدارقطني ـ الذهبي ـ الحاكم ـ الثعلبي ـ أبونعيم ـ ابن السلمان ـ البيهقي ـ الخطيب ـ السجستاني ـ ابن المغازلي ـ الحسكاني ـ العاصمي ـ الخلعي ـ السمعاني ـ الخوارزمي ـ البيضاوي ـ الملاّ ـ ابن عساكر ـ أبو موسى ـ أبو الفرج

معايضن الولي بلأولى كما الرسول 3دون ريب.

وتكرار في لأولى للمولى تكرار لدلّ الولاية ن معانيها اللغوية للاحة، وليستكمل لاستعمالها فيها في القرآن كراً عدة ٰ فضة لاغية ن اللغة، بغية القضة ن صاحب الولاية المجرى بعد الرسول 3مهما اقتضت لاغية النزل ن لله وم الرسول 3

هذه عساكر الوراك القلعية حصنة ومضنة وإليكم تفسير النبي 3 قصه لي الولي حين سئل ع ني قوله: ❁ن كنت مولاه فعلي مولاه ❁قال: لله مولاي أولى بي ن نفسي ٰ أمر بي صه وأنا ولي لمؤمنين أولى بهم ن أنفسهم لا أمر لهم معي و ن كنت أولى به ن نصه لا أمر له معي فعلى

ـ ابن الأثير ـ ضياء الدين ـ قزاوغلي ـ الكنجي ـ التفتازاني ـ محب الدين ـ الرصابي ـ الحموييني ـ المقريزي ـ ابن الصباغ ـ الهيثمي ـ الميبدي ـ ابن حجر ـ اصيل الدين ـ السهمودي ـ كمال الدين ـ البدخشي ـ الشيخاني ـ السيوطي ـ الحلبي ـ ابن باكثير ـ السهارنيوري ـ ابن حجر المكي.

١ . جاءلفظ الولي والمولي في آيات عدة بمعنى الأولى منها قوله تعالى:«فاليوم لايؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير» (٥ :٥٥) حيث المولى هنا لاتتحمل المحب والمحبوب ـ أؤ الناصر و المنصور، انما هي الأولى بهم و كما نص عليه من المفسرين والأدباء جمع غفير، فسبعة وعشرون منهم حصر معناها هنا بالأولى،وخمسة منهم جعلها المعنى الأولى، ومنها «انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون» حيث الحصر دليل حصر الولاية في الأولوية لأن الحب والنصر غير محصورين في شخص أو اشخاص خصوص، ومنها «وإذا تولّى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل» (٣:٢٠٥) فانها دون ريب تولى القيادة الزمنية، ومنها «فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الأرض» (٤٧ : ٢٢) ومنها «الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور» (٢: ٢٥٧)حيث الاخراج هنا هو إخراج السطة الربانية، ومنها «قل اغير الله اتخذ ولياً فاطر السماوات والأرض» (٦: ١٤) ومنها «أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا»(٧: ١٥٥) ومنها «أولايستطيع ان يمل فليملل وليه بالعدل» (٢: ٢٨٢). ذلك وهكذا لفظة المولى مثل «يدعوا لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير»(٢٢:١٣) و «واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير»(٢٢:٧٨) و «بل الله مولاه وهو خير الناصرين» (٣:١٥٠) «احدهما أبكم لايقدر على شيء و هو كل على مولاه» (١٦: ٧٦).

مولاه ﴿أي به من عبد أو له عبد﴾:

﴿مولاء كولائي﴾[٢] ﴿من كنت مولاه فهذا علي مولاه يأمركم وينهاكم مالكم عليه من أمر ولانهي﴾[٣] ولتصدق هذه الأولية المعنية من المولى هناصر احاجم كبير منهم أربعة عشر من الأعلام[٤]

---

١ . اخرجه القرشي علي بن حميد في شمس الأخبار ص (٣٨) نقلاً عن سلوة العارفين للموفق بالله الحسين بن اسماعيل الجرجاني باسناده عن النبي 3... وفي حديث احتجاج عبدالله بن جعفر على معاوية قوله: يامعاوية إني سمعت رسول الله 3يقول على المنبر وأنا بين يديه وعمر بن أبي سلمة واسلمة بن زيد وسعد بن ابي وقاص وسلمان الفارسي وأبوذروالمقداد و الزبير بن العوام وهو يقول: الست اولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ فقلنا: بلى يا رسول الله؟ قال: اليس ازواجي امهاتكم؟ قلنا: بلى يا رسول الله؟ قال: من كنت مولاه فعلي مولاه أولى به من نفسه وضرب بيده على منكب على فقال: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه أيها الناس انا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ليس لهم معي امر و علي من بعدي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ليس لهم معه امر...

٢ . وفي احتجاج اميرالمؤمنين Δ أيام عثمان كما أخرجه شيخ الاسلام الحموييني قوله: ثم خطب رسول الله 3 فقال: أيها الناس اتعلمون ان الله عزَّ وجلَّ مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا اولى بهم من أنفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله 3قال: قم يا علي فقمت فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه.... فقال سلمان يا رسول الله ولاءً كماذا؟ قال: ولاء كولائي من كنت أولى به من نفسه فعلي أولى به من نفسه وهكذا في مناشدته Δ يوم صفين «ولاءً كولائي» وروى الحافظ العاصمي في زين الفتى قال سئل علي Δ عن قول النبي 3 «من كنت مولاه فعلي مولاه» فقال: نصبني علماً إذ أنا قمت فمن خالفني فهو ضال.

٣ . وروى السيد الهمداني في مودة القربى: فقال رسول الله 3 معاشر الناس اليس الله أولى بي من نفسي يأمرني وينهاني مالي على الله أمر ولانهي؟ قالوا: بلى يا رسول الله؟ قال: من كان الله وأنا مولاه فهذا علي مولاه يأمركم وينهاكم ما لكم عليه من امر ولا نهي...

٤ . هم: ١ ـ ابن زولاق الحسن بن ابراهيم ابو محمد المصري (٣٨٧) في تاريخ مصران رسول الله 3 عهد الى اميرالمؤمنين علي بن ابي طالب فيه واستخلفه «وحكاه عنه المقريزي في الخطط ٣: ٢٢٢.

٢ ـ الامام أبو الحسن الواحدي (٤٦٨)بعد ذكر حديث الغدير ٣ ـ حجةالاسلام أبو حامد الغزالي (٥٠٥) في سر العالمين بعد ذكر الخلاف في معنى المولى... لكن اسفرت الحجة وجهها واجمع الجماهير على متن الحديث من خطبته يوم الغدير باتفاق الجميع و هو يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فقال عمر: بخ بخ يا أبا الحسن؟ قد اصبحت مولاي ومولى كل مؤمن و مؤمنة، فهذا تسليم ورضى وتحكيم، ثم بعد هذا غلب الهوى لحب الرياسة وحمل عمود الخلافة وعقود البنود وخفقان الهوى في

تتويج الأمير يوم الغدير بتاج إمرة المؤمنين:

[illegible]

[illegible]

قعقعة الرايات واشتباك ازدهام الخيول وفتح الأمصار سقاهم كأس الهوى فعادوا الى الخلاف الأول فنبذوه ورآء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون» ـ قال شمس الدين سبط ابن الجوزي (٦٥٤) والمراد من الحديث الطاعة المحضة وهو الأولى ومعناه: من كنت أولى به من نفسه فعلي اولى به وقد صرح بهذا المعنى الحافظ يحيى بن سعد الثقفي في مرج البحرين. ٥ ـ وقال كمال الدين ابن طلحة الشافعي (٦٥٤) في مطالب السئول ص ١٦... وهذا صريح فى تخصيصه لعلي Δ بهذه المنقبة العلمية وجعل لغيره كنفسه بالنسبة الى من دخلت عليهم كلمة «من» التي هي لعموم بما لا يجعله لغيره وليعلم أن هذا الحديث هو من اسرار قوله تعالى في آية المباهلة.. والمراد نفس علي ٦ ـ وقال صدر الحفاظ الكجي في كفاية الطالب حديث غدير خم دليل على التولية وهي الاستخلاف ٧ ـ وقال سعيد الدين الفرغاني... كان هذا البيان بالتأويل بالعلم الحاصل بالوصية من جملة الفضائل التي لا تحصى خصه بها رسول الله 3 ٨ ـ وقال علاء الدين أبو المكارم السمعاني (٧٣٦) في العروة الوثقى: ... فصار ـ علي Δ ـ سيد الأولياء و كان قلبه على قلب محمد 3 ٩ ـ وقال الطيبي حسن بن محمد (٧٤٣) في الكاشف... ولذا هنأ عمر بقوله: يا بن ابي طالب اصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة ١٠ ـ وقال شهاب الدين دولت أبادي (١٠٤٩) في هداية السدراء مثله ١١ ـ ابو شكور السالمي ١٢ ـ ابن باكثير المكي ١٣ ـ السيد الأمير محمد اليمني(١١٨٢) ١٤ ـ الشيخ احمد العجيلي في ذخيرة المآل.

أقول: كل هذه المسانيد نقلناها عن كتاب الغدير للمغفور له العلامة الأميني ج ١ بكامله.

١ . ذلك وحي الطفل لحمان حطوفاه نزل عليه قبل مبعث الرسول 3 بسبعين سنة أوردنا في كتابنا رسول الاسلام في الكتب السماوية، وعده الشنبلجي في نور الأبصار ٢٥ من القابه 3.

٢ . رواه القضاعي والديلمي وصححه السيوطي في الجامع الصغير ٣: ١٥٥ وأورده ابن الأثير في النهاية عنه 3.

كإمرته 3 فهو يبلغ المسلمين بخطبته تلك العامة ويتوجه علي عنه تلك السحاب، وكما قال Δ عني رسول الله 3 يوم غدير خم بعمامة قد لها خلفي، وأن الله أمدني يوم بدر وحنين بملائكة يعتمون هذه العمة ﴿ وإنّما عمّه 3 قال له: يا علي: العمائم تيجان العرب[2].

أجل، قد عمه Δ عِمَّة السحاب حيث وهبها لعلي Δ فرعاطلع علي فيها فيقول 3 «أتاكم علي في السحاب ﴾[3].

وهكذا يتوجه الرسول 3 بتاجه السحاب ليسحب امته من بعد إليه كما كانوا مسحوبين اليه 3 تكملة لبيان الملاقة التي بعده فلا يرتاب احد إلاّ الذين هم حاقدون فاقدون الإيمان.

فتلك صارح الأولية المطلقة في إمرة المؤمنين علي أمير المؤمنين Δ في مسارح خلقة النور، وهذا تاج الإمرة في ختمها، وهاتيك التراث الغرون أو تريد مصلة ومفصلة، كتاباً وسنة في عناية الأولية من الله، ورواة النور الملة وعترة عن الرسول 3 والواعون حوطها السنة والغرون، والنابون الأربعة وثقلون، والعلماء طيلة القرون الاسلامية الراوون إياه عن الصحابة والتابعين الثقاة والسنن، والصدقون الناطح تواتره الثلاثة والأربعون، والمتشدون به من علي وفاطمة والحسنان عليهم السلام ومعهم كبيرهن، والمهنئون بإمرته Δ

---

١ . رواه الحافظ عبدالله ابن ابي شيبة وأبو داود الطيالسي وابن منيع البغوي وأبوبكر البيهقي في كنز العمال ٨: ٦٠ عنه Δ ورواه من طريق السيوطي عن الامام الأربعة السيد احمد القشاشي في السمط المجيد وفي كنز العمال عن مسند عبدالله بن الشنجير عن عبدالرحمن بن عدي البحراني عن اخيه عبد الأعلى ان رسول الله 3 دعا علي بن ابي طالب فعممه وأرخى عذبة العمامة من خلفه.

٢. رواه الحافظ الديلمي عن ابن عباس قال: لما عمم رسول الله 3 علياً بالسحاب..

٣ . قال الغزالي في البحر الزخار ١: ٢١٥ كانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها... وقال الحلبي في السيرة ٣: ٣٦٩ كان له 3 عمامة تسمى السحاب كساها علي بن ابي طالب كرم الله وجهه فكان ربما طلع عليه علي كرم الله وجهه فيقول 3: أتاكم علي في السحاب يعني عمامته التي وهبها له.

ومنهم للشيخين وكبير سوادهما!.

ذلك وقد أورد هذه العبارة الزمخشري في جملة من أجلّائهم، وهم بمجموعهم خمسة وعشرون مؤرخاً.[1]

تلك هذه العبارة، فهل ترى لها مخرجاً في تأويل لائق، فما لها من تخريج إلاّ تخريج عقله أو إيعاله ولا ينبئك مثل خبير.

ولك سؤالنا: فلماذا لم يجر ذكر الإمام علي ٨ في القرآن ولا مرة بنيّة بين يكون أو إرتباط بهذه الأهمية الكبرى؟.

فالجواب أن القصد من ذكر الإسم ليس إلاّ تسجيل للكلمة صاحبه وقد سجل هكذا، وقد يطرق إلى صراح الإسم تأويلات أن يسمى سواه باسمه، ولكن ليس من الممكن أن يتسمى بسمته وولده المعصومين سواه وسواهم، حيث الحقيقة لا تقبل التأويل والإخلاق مهما تحمّلها الأسماء.

فهي إذا كانت صراحة الإسم لا يقبل أي تأويل، فقد كان يحتمل هواتف وتكوانات الأكثرية الطليقة من هؤلاء المسلمين والنتيجة هي الحكم بخروجهم عن الإسلام جهاراً بذلك الإنكار الجلي الملموس من القرآن، فزج للكلمة المسلمة التي كان يخافها الرسول 3 على رسالته من ذلك البلاغ.

فالجمع بين الحفاظ على ظاهر الإسلام لكل من يدعيه، وواقع الحجة البالغة لك يريد صالح الإيمان، فهي الغلب على تاركيها مهما تظاهر بالإيمان وتجسم في هذه آيات القرآن وأحاديثها.

---

١ . كالبلاذري وابن قتيبة والطبري وابن زولاق والخطيب البغدادي وابن عبدالبر والشهرستاني وابن عساكر وياقوت الحموي وابن الأثير وابن أبي الحديد وابن خلكان واليافعي والشيخ البلوي وابن كثير وابن خلدون وشمس الدين الدبسي والنوبري وابن حجر العسقلاني وابن الصباغ والمقريزي والسيوطي والقرماني و نور الدين الحلبي وغيرهم (الغدير ١ : ٦).

ذلك الجمع يقضي على الواقع الذي عيشه بين الكتاب والسنة من هذه الطلاقة.

وترى ـ بعد أن عدم التصريح باسم ولاة الأمر بعد الرسول 3 يقض أو يقض من طلاقة الكتابات الكتابية التي هي أبلغ من التصريح، ومن التصريحات الموجودة في السنة وهناك كثير من الأحكام الثابتة بالسنة القطعية ولا دليل من الكتاب إلاّ العمومات أو الإطلاقات.

ولما يعدّ الخليفة عمر في سراح النزول وآية الإمام بأولويته الطليقة فما بال أتباع يذكروها ويشككون فيها، ومن الطبيعي لما قيل له: إنك خضع علي ـ ذلّي من العظيم ـ شيئاً لا تخضع من أحد من أصحاب النبي 3 قال: إنه مولاي[1].

وختاماً للكلام حول آية التبليغ نقلوا مضامين الإمام Δ ماذا يقول عن ربطه بالرسول 3 ما يثبت جدارته الفذة بإمره المؤمنين:

«أنا وضعت في الطفولة بكلاكل العرب، وكسرت نواجم قرون ربيعة ومضر، وقد علمتم موضعي من رسول الله 3 بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا وليد يضمني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسّني

---

١ . أخرجه الطبراني، وفي الفتوحات الإسلامية ٣: ٣٠٧ حكم عليّ مرة على أعرابي بحكم فلم يرض بحكمه فتلبيبه عمر بن الخطاب وقال له: ويلك انه مولاك ومولى كل مؤمن ومؤمنة، وأخرج الحافظ ابن السمان كما في الرياض النضره ٣: ١٧٠ وفي ذخائر العقبى للمحب الطبري ٦٨ و وسيلة المآل للشيخ احمد بن باكثير المكي ومناقب الخوارزمي ٩٨ والصواعق ١٠٧ عن الحافظ الدارقطني عن عمر وقد جاءه اعرابيان يختصمان فقال لعلي Δ اقض بينهما، فقال احدهما: هذا يقضي بيننا؟ فوثب اليه عمر وأخذ بتلبيبه وقال: ويحك ماتدري من هذا؟ هذا مولاي ومولى كل مؤمن و من لم يكن مولاه فليس بمؤمن، وعنه وقد نازعه رجل في مسألة فقال: بيني وبينك هذا الجالس وأشار إلى علي بن ابي طالب Δ ـ فقال الرجل: هذا الأبطن؟ فنهض عمر عن مجلسه وأخذ بتلبيبه حتى شاله من الأرض ثم قال:أتدري من صغرت؟ هذا مولاي ومولى كل مسلم.

جسده، ويُشجني عَرَقه، وكان يضع الشيء ثم يضعه، وما وجدتُ كَتبة في قول ولا خطأة في فعل.

ولقد قرن الله به ﷺ من لدن أن كان فطيماً أعظم ملَكٍ من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره، ولقد كنت أتبعه إتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه..

«هُوَ الّذى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَ دينِ الْحَقّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ» (٣٣:٩)

وهكذا في الصف (٩) وفي الفتح: ﴿... وكفى بالله شهيداً ☯ وهنا إجابة الشهادة الربانية تكفل سلامة كيد المشركين في حق إظهار محمد ﷺ على الدين كله.

ذلك، ومذ زمن الرسول ﷺ حتى الآن لمّا يتحقق ذلك الوعد الحق بظهور محمد ﷺ على الدين: الطاعة ــ كله، قد ظهر دينه ناسخاً لسائر الدين منذ ابتعث ولكنه لمّا يظهر في واقع الحياة ظهوراً قاهراً يبقى تحت ظله كل ظاهر من الدين، ولو كان الضد ــ فقط ــ إلى جانب الناسخ، وأن شرعه تحكم شرعياً على كافة المكلفين؟ فهذا أمر حاصل في كل شرعة أصلية لأولي العزم من الرسل، دون اختصاص بهذه الأخيرة، كما وهو أصل هذه الأديان، لا غاية لها، وهنا ﴿ليظهره☯ غاية، كما وليس إظهاراً بالحجة حيث يشترك معه سائر الأديان الحقة. إذاً فليس ﴿ليظهره☯ واقع إظهاره دون أن يبقى في علم الحكم شرعياً، وفي علم الملك والخيال ولا آمال غير الواقع، بل هو الإظهار واقعياً على ضوء الإظهار شرعياً، وليس ذلك إلا في زمن المهدي القائم (عليه السلام) من آل محمد ﷺ حيث تنبسط دولته على العالم كله، وهناك يظهر الحق كله في علم

الكلب كله في ﴿ليظهره على الدين كله﴾.

وقد لا يجري ذلك لإظهار ستار كل دين سواه إلا عن ظهورها الطالب، فحمد 3 يقرأ الآية الذين سوف يظهر غالباً مسيطراً على الدين كله بين لا يبقى هناك أي صوت أو صيت إلا صوت الإسلام وصيته حيث يحكم على العالم كله، ثم يبقى الكل تحت ذمته.

ذلك، والمهدي Δ هو المعني من ﴿يرجو طيبة﴾ على لسان الرسول 3 حيث ﴿يبعث الله ريحاً طيبة فيتوفى من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من خير فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم﴾[٢].

---

١ . لإطلاع أوسع راجع آية الصف والفتح تجهما فيهما تفصيلاً أوسع.

٢ . الدر المنثور ٣: ٢٣١ ـ أخرج أحمد و مسلم والحاكم وابن مردويه عن عائشة أن رسول الله 3 قال:لايذهب الليل والنهار حتى تُعبد اللات والعزّى فقالت عائشة يا رسول الله 3 إني كنت أظن حين أنزل الله «ليظهره على الدين كله» أن ذلك سيكون تاماً، فقال 3 : إنه سيكون من ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله.

وفيه أخرج سعيد بن منصوروابن المنذر والبيهقي في سننه عن جابر في الآية قال: «لايكون ذلك حتى لايبقى يهودي ولانصراني صاحب ملة إلا الإسلام حتى تأمن الشاة الذئب والبقرة الأسد والإنسان الحية، وحتى لاتفرض فأرة جراباً وحتى توضع الجزية وتكسر الصيب ويقتل الخنزير وذلك إذا نزل عيسى بن مريم (عليهما السلام) أقول: وذلك حسب متواتر الحديث عن الرسول 3 وأئمة أهل بيته (عليهم السلام)، لايكون إلا زمن المهدي القائم Δ ومنها: نورالثقلين ٢: ٢١١ في كتاب كمال الدين و تمام النعمة باسناده إلى أبي بصير قال قال أبو عبدالله Δ في قوله عزَّوجلّ: «هو الذي أرسل..» فقال: والله ما نزل تأويلها بعد ولا ينزل تأويلها حتى يخرج القائم Δ فإذا خرج القائم Δ لم يبق كافر بالله العظيم ولا مشرك بالإمام إلا كره خروجه حتى لو كان كافر أو مشرك في بطن صخرة لقالت: يا مؤمن في بطني كافر فاكسرني واقتله.

وفيه عنه باسناده إلى سليط قال قال الحسين بن علي (عليهما السلام): من اثنا عشر مهدياً أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب Δ وآخرهم التاسع من ولدي وهو القائم بالحق، يحيي الله به الأرض بعد موتها ويظهر به الدين الحق على الدين كله ولو كره المشركون.

وفيه عنه بإسناده إلى محمد بن مسلم الثقفي قال سمعت أبا جعفر محمد بن علي (عليهما السلام) يقول: القائم منا منصور بالرعب مؤيد بالنصر، تطوى له الأرض وتظهر له الكنوز، يبلغ سلطانه المشرق

وهنا ﴿ليظهره﴾ ـ مع أن دين الله كله حق مهما كان غيره باطلاً ـ يعني ﴿الحق﴾ الثابت وغير المحرف قبل المبدّل والمحرف، مهما كان حقاً قبل الباطل، فالشرائع الحقة غير الإسلام هي مع الشرائع الباطلة، كلها زائلة بنسخ وتحريف ـ فالحق الحق في الحقة أمام الباطل ـ وهذا ﴿الدين الحق﴾ وفي تبيان ﴿الدين الحق﴾ بـ ﴿الدين الحق﴾ المحمّدة إلى ذلك الحق أضاف قيد وجاء الباطل بأن وهو وجاعل دين إلهي منسوخ ومحرف.

فالدين الحق ـ إذاً ـ يجعل منك الحق الثابت غير المحرف وغير الباطل، وسائر الأديان الحقة تحمل ـ فقط ـ الشطر الثالث، وصيغة أخرى ﴿الدين الحق﴾ هو الحق المطلق غير الباطل ولا المنسوخ ولا المحرف، و ﴿الدين الحق﴾ هو مطلق الحق قبل الباطل فقط، ثم حق راجع هو أن يجعل كل حق بحق تبيينه كافة المكلفين على مدار الزمن، فهو مرجع من الحق.

ذلك، وفي ﴿ليظهره﴾ دون ـ فقط ـ ﴿ليظهر دينه﴾ تأييد الأحاديث التي تتحدث عن رجعة 3 يوم القيامة حيث إلى فيها العلم كله، مهما عن غير الطائب إلى الرسول 3 دينه، مما يثبت بأن نبيه 3 يباشرونه في ذلك، والنقطة الأولى هو المهدي Δ

أخي المالي كلها ـ بعد تسليم أنها بقي كافر على وجه الأرض؟ إنه

والمغرب ويظهر الله عزّوجلّ دينه على الدين كله ولو كره المشركون، فلا يبقى في الأرض خراب إلا عمّر وينزل روح الله عيسى بن مريم (عليهما السلام) فيصلي خلفه...».

وفيه عن الإحتجاج للطبرسي عن أمير المؤمنين Δ حديث طويل وفيه: وغاب صاحب هذا الأمر بإيضاح العذر له في ذلك، لاشتمال الفتنة على القلوب حتى يكون أقرب الناس إليه أشدهم عداوة له وعند ذلك يؤيده الله بجنود لم تروها ويظهر دين نبيه 3 على يديه على الدين كله ولو كره المشركون، وفي تفسير الفخر الرازي ١٦: ٤٠ روى عن أبي هريرة انه قال: هذا وعد من الله بأنه تعالى يجعل الإسلام عالياً على جميع الأديان وتمام هذا إنما يحصل عند خروج عيسى، وقال السدي: ذلك عند خروج المهدي لايبقى أحدٌ إلاّ دخل في الإسلام وأدى الخراج.

﴿لا يبقى على وجه الأرض بيت مدر ولا وبر إلاّ أدخله الله كلمة الإسلام، إما بعز عزيز أو بذل ذليل، إما يعزهم فيجعلهم الله من أهله فيعزوا به، وإما يذلهم فيدينون له﴾[1] طاعة إياه وعيشة تحت ذمته وسلطانه، وقد ملك آباءنا ﴿أغرينا بينهم وألقينا﴾[2] على بقاياهم من اليهود والنصارى بكور دون دور.

فهذه بشارة سارة تتكرر في القرآن لدين سيظهره ﴿الله على الدين كله﴾ دون إبقاء، فكون ـ إذاً ـ الدين الحق على ضوء ﴿الدين الحق﴾ لله وحده، ونحن ـ إذاً ـ في حق المبير إلى الحق المبير، علينا أن نتحمل ما تحمّل من أعباء هذه الرسالة السامية، إبتداءً من نقطة البدء التي بدأت منها خطوات الرسول 3 وانتهاءً إلى نقطة الانتهاء حيث يحل محله المهيمن ∆ هذه الراية المظفرة، تحقيقاً لهذه الغاية القصوى والبغية الناعمة الباسمة، اللّهم على وجه سبيل مخرجه لك بين وأجعلنا من أنصاره وأعوانه ومن المجاهدين في سبيلك بين يديه ـ آمين.

ولنلاحظ البشارات الكتابية بهذه المزية للنقطة القطب الدين الحق هذا، بالاحتمال عنه إلى غيره من أديان حقة ربانية، سردناها في كتابنا ﴿رسول الإسلام في الكتب السماوية﴾.

وهنا ﴿رسوله﴾ كما في (٨٢) أخرى، تخص الرسالة الربانية بمحمد 3 كما وأن آية الشورى تخص به الوحي أمام سائر أصحاب الوحي المرسلين ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ ثم وآية آل عمران تشرح رسالته إلى الرسل: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم

---

١. المصدر عن مجمع البيان قال المقداد بن الأسود سمعت رسول الله 3 يقول: لا يبقى.

٢. وهما «واغرينا ـ أو ـ والقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة...» حيث تعنيان اليهود والنصارى، تعني كلٌ واحدة منهما.

ءأقررتم وأخذتم على ذلك إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ۝

ذلك، ولأن ﴿ليظهره على الدين كله﴾ ليس إلا يعني الظلم على الله ظل وجه.

ذلك و تعريضاً بـ ﴿الدين﴾ كلي عن سنن النبي 3قوله: ﴿الدين يسر﴾ و ﴿الدين النصيحة﴾.

«وَ يَقُولُونَ لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ» (٢٠)

هنا الضد من ﴿آية من ربه﴾ بين آيات محسوسة كما كانت لرسل الله من قبل: ﴿وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته...﴾ (٦/١٢٤) وبين آيات مقترحة، خلافاً للظن في هذا القرآن الذي هو أفضل وأبين وأوثق من كل آية.

والجواب هنا ﴿قل إنما الغيب لله﴾ لا أملك مما شيئاً من الله ﴿فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾ وفي أخرى ﴿قل إنما الآيات عند الله و إنما أنا نذير مبين﴾ (٢٩ : ٥٠) فآيات الغيب هي ـ فقط ـ لله و عند الله، لا فارق بيننا في ذلك لانتظار إنسان لآية الغيب مني ولا أملكه من ربي حتى إذا أنتظرها نيزلها علي، قل ﴿ولا أنزل﴾ واردة مورد النفي على رسالته، كأنه قادر على أن ينزل آية من ربه، و ﴿الغيب﴾ محصور في الله هنا هو لا آية الرسالية وكما في أخرى ﴿إنما الآيات عند الله﴾ بكل مراحل العملية، علمية وقومية، وإنزالاً في أصلها وكمها وكيفها، لا مدخل لي في الآيات الربانية،

---

١. مفتاح كنوز السنة نقلاً عن بخ ـ ك ٢ ب ٢٩، نس ـ ك ٤٦ ب ٢٨، حم ـ ثالث ص ٤٧٩ رابع ص ١٥٨ و ٣٣٨، خامس ص ٣٢ سادس ص ٨٥ و ١١٤ و ١١٥ و ١٣٠.

وقد نزلنا القرآن على ضوء آيات أن الآيات الرسالية محصورة بيد أبطالها في الله، هنا يقف الرسول 3 على محمد العظيم الرسالي الفذ يقف بيده عن كافة اختصاصات الربوبية تخلياً وتوكيلاً وخلافة ووزارة أمامهم من صلاحيات الربوبية، صرحاً أتى وإياكم على سواء أمام الآية الربانية علماً وقدرة ﴿فاخشوا إني معكم من الناظرين ۞

محمد

اعظم الشفعاء

«فَكَيْفَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصيبَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَيْديهِمْ ثُمَّ جاؤُكَ يَحْلِفُونَ بِاللّـهِ إِنْ أَرَدْنا إِلاّ إِحْساناً وَ تَوْفيقاً» (۴:۶۲)

هذه الآية تلمح أن البعض ممن رضوا بالتحاكم إلى الطاغوت دون الرسول جاءوه بعد ما أصابتهم مصيبة حكم الطاغوت معتذرين حالفين بالله ﴿إن أردنا إلاّ إحساناً وتوفيقاً﴾ إحساناً إلى الكافي بغير المسلم، وتوفيقاً بين الإسلام والشرعة الكتابية.

«أُولئِكَ الَّذينَ يَعْلَمُ اللّهُ ما فى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ عِظْهُمْ وَ قُلْ لَهُمْ فى أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَليغًا» (۴:۶۳)

﴿يعلم الله ما في قلوبهم﴾ من التحاكم إلى الطاغوت، أن يحكم طالح هذا المسلم الغضب في الهوى بما يأخذ من الرشا وليس الرسول ممن يأخذ الرشى.

حتى إذا لم يملك المسلم الأكفى بالمثل بديهة الرشا، فأصل التحاكم إلى الطاغوت تركاً لرسول الله هو ضلاله، فلك إذاً ضلاله على ضلاله.

وهنا ﴿فأعرض عنهم﴾ أمر بالإعراض عن ذلك التنديد بهؤلاء المنحرفين، إجلالاً إلى إصلاح الحال ما ساعد المجال به ﴿وعظهم﴾ عنه بالله تبلغ بهم إلى صالح الإيمان ﴿وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً﴾ لا قولاً في أعمالهم، إلى ﴿في أنفسهم﴾ ـ ﴿قولاً بليغاً﴾ في بدئه: بُدٍّ هو صالح القول، وآخره الواصل إلى أنفسهم.

قد يكون القول صالحاً في حد ذاته ولكنه يقصر بالغ إلى الأنفس فلا يفيد

أم طالحاً بالقاءالى الأنفس فإخلال، والقول الرسالي يجمع بين البليغين في القول: أنه بالغ في حد نفسه، وبالغ إلى الأنفس، والكلام إذا خرج من القلب دخل في القلب وإذا خرج من اللسان لم يتجاوز الآذان.

ثم ﴿قل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً﴾ ليست لنخص بالمنافقين مهما قيل بشأنهم، فإنها مسؤولية الداعية الربانية على مدار القرن الرسالي مهما كانت الأنفس درجات في تلقي الدعوة، فلكل فئة في أنفسهم بليغاً إلى شغافها محافظاً على كل كيانها حتى تصبح الأنفس الدعوة قول الغلظة وغلظة القول البليغة.

ومن الشروط الرئيسية في بلاغ القول إلى الأنفس تحققه في نفس الداعية بصورة مطلقة، إضافة إلى بلاغته مطلقاً وغلظة سابغة بالغة تبلغ النفس بغير المختوم عليها، أو قد تفتح المختومة بغير المختومة في ختمها.

«وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلاّ لِيُطاعَ بِإِذْنِ اللّهِ وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللّهَ تَوّاباً رَحِيماً» (٦٤:٤)

ليس الرسول أياً كان إلاّ مطاعاً بإذن الله، فكما أن رسالته هي بإذن الله، بالوحي ـ المأذون ـ إليه من الله، كذلك طاعته ليست إلاّ بإذن الله، دون تعدٍّ على طوره، فقد أرسل كل رسول ليطاع رسالته بإذن الله في طاعته.

أجل، وليس الرسول مطاعاً ثانياً لعباد الله بعد الله، فإنما يحل رسالة الله، فهو مطاع في رسالته الإلهية كما يأذن به الله.

﴿لو﴾ هنا إحالة بالنسبة للبعض من هؤلاء المتحاكمين إلى الطاغوت أن يأتوه مستغفرين ولمستغفراً لآخرين، أن يغفر الله لهم، وهي مع الوقف تحمل ذلك الإستغفار لو يجاب فيما لا يكفي لاستغفارهم، إما ظلمهم الرسول 3 أم ظلم الظلم، فـ ﴿ظلموا أنفسهم﴾ ثم تركوا طاعة الله ورسوله بالمحاكمة إلى الطاغوت تركاً للرسول، فهي ثم كل ظلم بالنفس للمثالي الظلم بالغير لاسيما

إذا كان هو الرسول 3

ثم ﴿جاؤك﴾ مهما اختصت زمن حياة الرسول 3 بالمجيء إلى حضرته، ولكنها تعم كل حياته الرسالية إلى حياته الرسولية، وهي منذ ابتعاثه إلى يوم القيامة.

ثم مجيئه بعد موته هو الشرف لزيارته عند الكعبة[1] أو لاستغفاره في القلب عند عدم الكعبة، وهذه الروايا الثلاث مشوشة على الترتيب لـ ﴿جاؤك﴾ دون ريب لأنه 3 يرانا ويسمعنا بعد موته كما كان قبل موته لأنه من شهداء الأعمال لا يجب بإذن الله عنه أي غائب من ظلٍ أو حللٍ أو أعملٍ، وإلا فكيف يشهد بها يوم يقوم الأشهاد.

ثم الأصل في ذلك المجيء هو الاستغفار عن ظلم النفس هو ﴿فاستغفروا الله﴾ ولأنهم بعيدون عن الله فهم بحاجة في تحقق كلي الاستغفار إلى شفاعة الرسول، ولأنه هو الذي ظُلم في نزول الآية فليشفّع لمستغفر الرسول لهم إلى استغفارهم، فهم هنا بطيئة الحال يطلبون إلى الرسول أن يستغفر لهم الله بعد ما استغفروا هم أنفسهم لأنفسهم.

عندئذٍ ﴿لوجدوا الله توّاباً رحيماً﴾ يتوب عليهم رحمته الشاملة في شفاعة

---

١. نور الثقلين ١ : ٤٢٣ في الكافي بسند متصل عن أبي عبدالله Δ قال: إذا دخلت المدينة فأغتسل قبل أن تدخلهاأوحين تدخلها ثم تأتي قبر النبي 3 ـ الى أن قال ـ : اللهم إنك قلت «ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً» وإني أتيت نبيك مستغفراً تائباً عن ذنوبي وإني أتوجه الى الله ربي وربك ليغفر ذنوبي.
وفيه في كتاب المناقب لابن شهرآشوب إسماعيل بن يزيد بإسناده عن محمد بن علي (عليهما السلام) انه قال: أذنب رجل ذنباً في حياة رسول الله 3 فتغيب حتى وجه الحسن والحسين (عليهما السلام) في طريق خال فأخذهما فأحتملهما على عاتقه وأتى بهما النبي 3فقال: يا رسول الله إني مستجير بالله وبهما فضحك رسول الله 3 حتى رد يده الى فيه ثم قال للرجل إذهب فأنت طليق فأنزل الله تعالى هذه الآية.

الإستغفار، فليس الرسول مجرد واعظ يلقي كلمته ويمضي، لذهب في الأثير دوغما أي سلطان في الأمر كما يقول المخلدون عن طبيعة الرسالة والرسول، أو كما يفهم الدين لا يفهمون مدلول الدين ﴿

وترى لماذا التفاتة من ﴿واستغفرت لهم ﴿ وهي غيبة ﴿جاءوك ﴿إلى ﴿واستغفر لهم الرسول ﴿ قد تكون تثبيتاً لأن الرسالة هي الحياة في شفاعة الإستغفار وهي هنا فداء بدون نقض الرسالة وهي مقام الولي إلى الله، وأن الرسول هو المعني هنا في تحاكمهم إلى الطاغوت فلا يتوب الله عليهم باستغفارهم مالم يستغفر لهم الرسول.

شفاعة الإستغفار هنا فداء بدون، زلفى الشفيع إلى الله، وأنه هو صاحب الحق للتكلم هنا في رسالته.

وترى الآية تختص في شفاعة الإستغفار بما ظُلم الرسول في رسالته دون سائر الظلم؟ و ﴿ظلموا أنفسهم ﴿تخلّي على كل تخلف عن شرعة الله، ظلماً بالرسول أو سواه، أو عصياناً لا يحمل ظلم الغير، ثم ﴿واستغفر لهم الرسول ﴿ بما أنه رسول، لا فقط الرسول المظلوم.

فليست تؤمن نزول الآيات بالتي تخص الآيات بموارده، فإنما العبرة بإطلاق اللفظ دون خصوص المورد، والمورد هنا أعم من ظلم الرسول.[1]

إذاً فالرسول هو كأصل بين الشفعاء وسيط في الإستغفار عن أي ظلم لمكانته العليا عند الله.

ولأن ظلم الرسول عصيان الله وعصيان الرسول ولاسيما في التحاكم إلى الطاغوت، وقد يظل التوبة بتلك الشفاعة الكريمة، فبأحرى سائر الظلم وسائر الذنوب أن تظل التوبة عنها، فباب التوبة إلى الله مفتوحة بمراعاتها إذا تُمِّمت

---

١. كما ورد في الحديث الثاني في شأن نزولها عن علي بن الحسين (عليهما السلام).

شروط قبولها للسرودة في الذكر الحكيم.

وترى ان الله سبحانه قال الآية عن عباده إلاّ إذا جاءوا الرسول واستغفروا الله واستغفر لهم الرسول؟ وآيات الآية طليقة كذلك، وليست هذه البنية لتقيدها كلها بشريطة الشفاعة!

أجل ولكن التأكد من قول الآية مشروط بشفاعة الإستغفار من الرسول، وكما كان مشروطاً في بعض آخر بعض الموءبهالة والآية من قريب، فالتائب من قريب عن ذنب بجهالة يتوب الله عليه، وكذلك حال التائب عن ذنب يعلم بهما كان من بعيد إذا جاء الرسول فاستغفر الله واستغفر له الرسول.

ثم ترى هل تعدو الشفاعة الإستغفار إلى الأئمة من آل الرسول؟ أجل وعلى هذا فالرسول دوغا استثناء لهم وجاه الرسول، فقد تقول «اللهم صل على محمد وآل محمد وبلغهم عني التحية والسلام» وما أشبه، دون أن تزور آله وتزكه فضلاً لتفكك الأمر!

«فَلا وَ رَبِّکَ لا يُؤْمِنُونَ حَتّى يُحَكِّمُوکَ فيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمّ لا يَجِدُوا فى أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْليمًا» (۶۵:۴)

هذه شروط الآية لواقع الإيمان: [۱] «حتى يحكموك فيما شجر بينهم ۞ [۲] «ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ۞ [۳] «ويسلموا تسليماً ۞

لأن قول اللفظ هي مقر الإيمان فليحكموك فيما شجر بينهم فحسبة الإيمان بهذه الوسيلة النفسية «ثم لا يجدوا ۞ مهما فشوا «في أنفسهم ۞ وقلوبهم وكل خلجات أنفسهم «حرجاً ۞ وضيقاً «مما قضيت ۞ ثم «يسلموا ۞ لكل حكمك وأمرك ونهيك «تسليماً ۞ طليقاً دوغا شرط.[۱]

---

۱. نور الثقلين ۱ : ۴۲۳ في أصول الكافي قال أبو عبدالله Δ: لو أن قوماً عبدوا الله وحده لاشريك له وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وحجوا البيت وصاموا شهر رمضان ثم قالوا لشيء صنعه الله أوصنعه النبي

أبى ﴿ ﴾ إبن هؤلاء لا أتحاكم المتحاكمين إلى الطاغوت، ﴿ربك﴾ الذي ربك بهذه الزينة الفتنة الفاتنة الشعور ﴿لا يؤمنون﴾ صالح لإيمان ﴿حتى يحكموك﴾ رسول من الله ﴿فيما شجر بينهم﴾ واخطأ من أحكام زمنية أو روحية حيث الرسالة النسبية بسنة الكتاب والكتاب والسنة هي مرجع كل المتناجرات ﴿ثم﴾ بعد تحكيك حتى ﴿لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت﴾ مهما كان عليهم وحتى ﴿يسلموا﴾ لقضائك ﴿تسليماً﴾ طليقاً رفيقاً المتناجرات في كتاب الله وسنة رسول الله 3 بأصالة الكتاب وهامشية السنة.

فكما الترك لكتاب الله الظلم إلى السنة بغير مؤمن بشرعة الله ولا معتصم بحبل الله جميعاً، كذلك الظلم إلى الكتاب الترك للسنة، فهما ـ إذاً ـ الأظلمان الأضلان في كل وارد وشارد من المتناجرات في كل حقولها، من أي مرجع

---

3 ألا صنع خلاف الذي أو وجدوا ذلك في قلوبهم لكانوا بذلك مشركين ثم تلا هذه الآية ثم قال Δ : فعليكم بالتسليم.

وفيه عن الكافي عن زيد الحشام عن أبي عبدالله Δ قال قلت له: إن عندنا رجلاً يقال له كليب فلا يجيء عنكم شيء إلا قال: أنا أسلّم فسميناه كليب تسليم، قال: فترحم عليه ثم قال: أتدرون ما التسليم؟ فسكتنا فقال: هو والله قول الله عزوجل «الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأختبوا الى ربهم».

١ . في الدر المنثور ٢ : ١٨٠ عن أم سلمة قالت: خاصم الزبير رجلاً الى رسول الله 3 فقضى للزبير فقال الرجل إنما قضى له لأنه ابن عمته فأنزل الله «فلا وربك...»

وفيه أن عروة بن الزبير حدث عن الزبير بن العوام أنه خاصم رجلاً من الأنصار قد شهد بدراً مع رسول الله 3 الى رسول الله في شراج من الحرة كانا يسقيان به كلاهما النخل فقال الأنصاري سرح الماء يمربي فأبى عليه فقال رسول الله 3 اسق يا زبير ثم أرسل الماء الى جارك فغضب الأنصاري وقال يا رسول الله 3 إن كان ابن عمتك فتلوّن وجه رسول الله 3 ثم قال: اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر ثم أرسل الماء الى جارك واسترعى رسول الله 3 للزبير حقه وكان رسول الله 3 قبل ذلك أشار على الزبير برأى أراد فيه السعة له وللأنصاري فلما احفظ رسول الله 3 الأنصاري أسترعى للزبير حقه في صريح الحكم فقال الزبير: ما أحب هذه الآية نزلت في ذلك «فلا وربك...».

وفيه أخرج ابن المنذر عن جريح قال: لما نزلت هذه الآية قال الرجل الذي خاصم الزبير و كان من الأنصار: سلمت.

آخر مختلَق بين الطوائف الإسلامية شيعية وسنية لماهيه.

وهنا نرى في مثل الإيمان سيرة ﴿لا إله إلاّ الله﴾ على صورتها، ف ﴿لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت﴾ تحل ﴿لا إله﴾ ثم ﴿يحكموك... ويسلموا تسليماً﴾ تحلان ﴿إلاّ الله﴾ وهكذا نرى في واقع الكلمة التوحيدية في كافة الأقوال والأحوال والأعمال أنها تهضم كلا السلب والإيجاب.

ولا نخص هذه الآية بالمنافقين المعاندين على نفاقهم، بل هي شاملة لهم وللمنافقين الذين يطبّقون هذه الثلاث بدرجات كما حصل، وكذلك ضعفاء الإيمان الذين يخرجون أحياناً عن حكم الرسول 3

إذاً فهذه الثلاث تشمل هؤلاء الثلاث دوماً اختصاص بكلها دون أخرى مهما كانوا دركات.

محمد3 فى خلف ربانى

«لا أُقْسِمُ بِهذَا الْبَلَدِ(١) وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهذَا الْبَلَدِ(٢)»[1]:

هذا البلد هو مكة المكرمة، البلد الحرام الآمن حسب الشرع والتكوين الإلهي، أكثر من سواه، ورغم مكانته الوحيدة لا يقسم الله به هنا، وعلّه قد حرمه على المشركين أهله حرمة الرسول الأقدس 3

﴿وأنت حل ﴿حلال﴾ بهذا البلد[2]، وإنما حرمته لأنه البلد الحرام الآمن، حظر الوحدين، وحرم الرسالة القدسية المحمدية، فإذا أصبح حظر المشركين وزال الأوثان، والرسول حلال فيه: ماله ودمه، أرضه وعرضه، إذاً لا أقسم به ولا أحترمه، في حين أقسم به لأنه بلد أمين: ﴿وهذا البلد الأمين ﴿(٩٥:٣) أقسم ولا أقسم من جهتين، دون تناقض بينهما ولا تناحر.

أو: لا أقسم به، تعظيماً له فوق العادة، لأنه البيت الحرام، إنما لأنك حلٌّ حلٌّ بهذا البلد[3]، فقد كان المشركون يحترمون البيت الحد الأقصى احتراماً لو أقسم كذلك، ثم يهتكون حرمته، وأنت لا أحل في حرمته، فأنا أقسم احتراماً لهذا البلد لأنك حل بهذا البلد، ولا أقسم هتكاً لحرمتك حلال فيه بهتكك. فأنت أنت الحرمة كل الحرمة لهذا البيت، وكبير هؤلاء الجهال الذين يحترمون الزمان ولا يحترمون صاحب الزمان، ويكرمون المكان ولا يكرمون من به كرامة المكان!.

---

١ . لا أقسم هنا كما في أشباهه، لنفي القسم، وعدم إعادة (لا) في والد و ما ولد ـ و هو قسم ـ فيه دلالة زائدة على نفي القسم.

٢ . عن الصادق Δفي تفسير الآية: «وأنت حلال منتهك الحرمة،مستباح العرض لا تحترم، فلا يبقى للبلد حرمته حيث هتكت.

أقول: وفي معناه روايات متضافرة تفسر الحل بالحلال، ولا أقسم، بنفي القسم.

٣ . يبعد معنى الحال للحل ـ لو عني بخصوصه ـ فان الحال هو النازل في مكان، والرسول ما نزل مكة، وإنما كانت ولده و موطنه، وان الحول يعبر عنه بما هو أخصر، كـ «وأنت في هذا البلد».

صحيح أن مكة لها حرمتها فوق البلاد كلها، لكنها ليست إلا لأن يُعبد فيها ربها ويكرم رسوله، وتظل مقامة فيها رسالته، وأما إذا كانت مهتوكاً فيها حرمة الله ورسوله، فلي يا ترى تبقى حرمته، لأجل وضع فيها فوق جبل وأوثان علقت عليها، وقضيته وأمثالها من قضائع!

أو: وأنت حلّ بهذا البلد، فلي فيه ما تشاء بالتشريعين، الذين لتحلوا حرمته وحرمك، وقد تكون للآلهة مرادة[1] وما أجهلها وأظلمها كما هو صلب القرآن، وبعني من حلّه Δ حربه بما يفي بالتشريعين بعد فتح مكة، لا أقسم به: لا أحترمه، وأنت خارج عن عقك للتشبيه حرّ فيما تريد بأهله.[2]

﴿والد وما ولد ﴾(٩٠: ٣)

ا أقسم بهذا البلد، وإنما أقسم بي به حرمة البلد: ﴿والد وما ولد ﴾: آدم ومن ولدهم من النبيين ﴾[3]، إبراهيم وولده المعصومين، محمد وولده الطيبين من صلبه: فاطمة والأئمة الأحد عشر، من الحسن Δإلى القائم Δأو من هو وليد عقله السلالي: علي Δوكما قال: ولدني رسول الله 3

وعلى سبيل الحل، وأن الرسول 3هو مجمع معاني الوالد الروحي، وولده مجامع صفات الآلهة الروحانية، قد يكونان هما المعنيان من: ﴿والد وما ولد ﴾ ويجري في غيرهما من المعصومين جرياً على ضوئهما، قسماً بمحمد وعترته الطاهرين المكابرين المكافحين:

---

١ . وعلى الثالث: فالواو استئنافية، بخلاف الأولين إذ كانت فيهما حالية، وهنا روايات مستفيضة تؤيد الثالث.

٢ . كما عن سعيد بن جبرئيل قال: لما فتح النبي 3 الكعبة أخذ أبو برزة الأسلمي سعيد بن عبدالله بن خطل فضرب عنقه وهو متعلق بأستار الكعبة، فأنزل الله: «لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد» وهو أحد الأربعة الذين لم يؤمنهم النبي Δ. وروي مثله في معنى الحل عن مجاهد وأبي وقتادة عطيه والحسن والضحاك وعطاء وابن زيد وابن عباس.

٣ . رواه في مجمع البيان عن الصادق Δ.

﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾(٩٠ : ٤).

﴿كبد﴾ مشقة، فالإنسان مخلوق في كبد و كدح وكبد[1] وهو يلاقي حتى الموت، فإذا رأيت كبداً في هذا البلد، فلم يره أحد في تاريخ السلالات، فلك الراحة إذ كل في سبيل الطاعة، دون المكابدين المكافحين الذين يعيشون حياتهم كبداً على كبدٍ وكداً على كدّ: ﴿قل هل أنبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾(١٨ : ١٠٤).

هؤلاء هم! وأما أنت فهما يلهيك المكبد وهما تكبت اغباباً: ﴿فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً﴾ ولا يذل كبدك يسراً ما لم تقتحم أعلم خليقة بكابدون الأمر ما يكابدون الإنسان، يكابد ضائق الدنيا والآخرة.[2]

---

١ . الكبد معروفة، والكبد والكباد توجعها، والكبد أصابتها.

٢ . تفسير البرهان ٤ : ٤٦٣ نقلاً عن الزمخشري في ربيع الأبرار، وفي الدر المنثور ٦ : ٣٥٣، أخرجه ابن المبارك في الزهد، وعبد بن حميد و ابن أبي حاتم عنه Δ إلى قوله «الإنسان».

محمد3

اليتيم ـ الضال ـ العائل

!

سورة الضحى ـ مكية ـ وآياتها احدى عشر

بِسْمِ اللّهِ الرّحْمنِ الرّحيمِ

وَ الضّحى(١) وَ اللّيْلِ إذا سَجى(٢) ما وَدّعَکَ رَبّکَ وَ ما قَلى(٣) وَ لَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَکَ مِنَ الْأُولى(۴) وَ لَسَوْفَ يُعْطيکَ رَبّکَ فَتَرْضى(۵) أَ لَمْ يَجِدْکَ يَتيمًا فَآوى(۶) وَ وَجَدَکَ ضَالاّ فَهَدى(٧) وَ وَجَدَکَ عائِلاً فَأَغْنى(٨) فَأَمّا الْيَتيمَ فَلا تَقْهَرْ(٩) وَ أَمّا السّائِلَ فَلا تَنْهَرْ(١٠) وَ أَمّا بِنِعْمَةِ رَبِّکَ فَحَدِّثْ(١١)

تقول الروايات أن الوحي انحبس عن النبي 3زمناً من الأيام، فقال المشركون: إن محمداً ودعه ربه وقلاه، وقالت خديجة أم المؤمنين: إلى ربك قد تركك! يقولها المشركون هزءاً، والمؤمنون رحمةً، ولقد أغنم النبي 3غماً شديداً وكمداً حقاً له إذ يراه بعيداً عن زاده الوحيد وروحه الأليفة الأنيسة في وعثاء الطريق ولأواء التكذيب والتأنيب، وعن ربِّه في هذه الفاجرة الحرقة، والأسى المضنّ على الدعوة، قد انقطع عنه ينبوع الملء: الحياة الرسالية القدسية، فزعجاً بين الهدوء والحبيب، فماذا يصنع إذاً؟

كان في حالة تلك الورية الفرعة، إذ بدر الوحي الحبيب بعد انحباسه وانقطاعه مسلياً خاطره المنغب أن الوحي لم ينقطع بداعي الودع أو القلى، وإنما لحكمة، كما في الليل إذا سجى، قسماً وجهياً لرمز ضحى النهار: وسطه ورابعته، وسجى الليل: غسقه ومنتصره، ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾ فكما الضحى رحمة، كذلك الليل إذا سجى، كل من جهته، مهما خفيت حكمة الظلمة

على الطائفين المضحى.

صحيح أن ضحى الوحي هي الحكمة كلها، وهي الحياة الرسالية كلها، وهي الزاد والمبدأ والمعاد، ولكنها بحاجة في استمرارها ـ ولكي يثبت المتأخرون على حقها ـ بحاجة إلى زاد الليل إذا سجى، فضحى الوحي واقتطاعه لفترة، زادٌ لضحى الوحي ولفصاله، فتأخر الوحي ينبه أنه ليس ملك ولا من الشيطان، وإلا فلماذا يقطع، أحمة منه وملك في الضلال؟ والمؤمن بالوحي ينبه أنك ـ لا تزال ـ بحاجة إلى ربك، دون استغناء عنه ولا لحظة، فلو شاء لقطع عنك رحمته: ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً. إلا رحمة من ربك إن فضله كان عليك كبيراً﴾ فاعتباراً أنه كتب على نفسه الرحمة، ولاستمرارك خطة، فليس يقطع عنك وحيه، لا قطع وداع باقتضاء دوره، لما يتهيأ إلا باقتضاء عمرك، ولا قطع القلى ـ وبلأخرى ـ باقتضاء صلاحك للوحي وأنت حي، فقيه إذراء بالوحي والوحي إليه: بالوحي كيف لم يوف نيّته إذا ابتعثه واتجبه، فلم يوف أنه لا يصلح لحمل الرسالة الأخيرة حتى النفس الأخير، وبالوحي إليه كيف يقطع عنه ظل اقتطاع حياته، رغم أن وحيه حياته فيحيى وعليه يموت، أو كيف يُزل عن هضب الرسالة؟ الجُرم أو خطيئة اقترفها، فجاء الجواب الحاسم للصدق والدوام: ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾ وإنما ترك الوحي غير وداع ولا قلى، وإنه لحكمة عالية: هي الحجة على الناكرين الكافرين، واثباته وتثبيت النبي والمؤمنين، فـ﴿ما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى﴾ فليس الوحي عن هوى نفسه ولا هوى عقله ولا هوى سواه إلا ربه، وإلا فلماذا ينقطع؟ وضلال الهوى ـ أياً كان ـ ليس لينقطع!

قد انقطع عنه الوحي رداحاً من الأيام[1] ولأن اليهود أنه سألوه عن الروح وفي الكهف وأصحاب الكهف فقال ﴿سأخبركم غداً﴾ ولم يقل إن شاء الله

---

١. اختلفت الروايات انه يومان او ٣ ـ ٤ ـ ١٢ ـ ١٥ـ ٢٥ ـ ٤٠ ـ يوماً.

فاحتبس عنه الوحي، وليل اليهود لا يقول من عنده، وليله أن صلى يدمشيء حتى وعد الجواب، فكيف وحي الجواب، وإنما هو رسول، وإذا بعد فإن الله ومشيئة الله: ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت ﴿(٧٨: ٢٤).

«والآخرة خير لك من الأولى»[٤]:

إيتاء تلقاء الرسول 3 للروح: أن الحياة الآخرة خير لك من الأولى، لك ولن تحاسبك ومعلى حياتك، وأين آخرتك من أولاك؟:

فأنت في الأولى في ابتلاء وبلاء وعيشة منغصة مشوبة بألوان التعب والمصائب، وإن كنت في راحة ضميرك لأنك أديت الرسالة، وأنت في الآخرة في رحمة وراحة خالصة.

ثم إن لك عطاء من ربك فترضاه هنا وهناك: فهنا سوف يوحي إليك خاتمة الوحي التي لم يوح إلى أحد والتي سوف يوح إلى أحد، وهناك: في الرزق والعدد سوف يعطيك ربك ما يرضيك، ويشيك أعطيك في سبيل رضاه، فيتوّجك تاج الكرامتين للكرين وفوقهم، تاج الشهادة والشفاعة:

«ولسوف يعطيك ربك فترضى»[٥]:

فهل إن الرسول كان راضياً عن ربه حتى يرضيه بعطائه رضى البعد؟ نقول: إنه كانت حياته الرضا عن الله، ولكنه لما احتبس عنه الوحي خلقه عن تقصير منه أو قصور، فحزن على نفسه، ثم بعطاء الوحي بعد إبطائه رضي، وتم بهذه الكرامة الوحيدة له من ربه زاد من ربه رضى، فإن الله يعطي من يعطيه كما يرضى هو، لا كما يعطى له، وهنا الرسول يخص بهذه الكرامة الربانية، أن أصبح عطاء الله له كما يرضاه 3 تخصيصاً له عن جميع المسلمين، وهنا تتلألأ آخرته عن سواه مرة أخرى: ﴿فترضى ﴿كما أوحى إليه: ﴿خيرٌ لك ﴿خيرية

خطيئتك دون ذنب سواك! وقد روي عن الرسول 3 أنها الشفاعة[1]، ولا ريب أنها من رضاه و من أعلاه وأولاه، شفقة على أمته الذين تولى هم، لا للمسلمين بها وليسوا منها.

«ألم يجدك يتيماً فآوى، ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فأغنى»[2].

فالذي آواك بعد يتمك، وهداك بعد ضلالك، وأغناك بعد عيلولتك، هو الذي يجدك عهد الوحي بعد انقطاعه ـ وأرى ـ ويعطيك فترضى، فما هو يتمه وضلاله وعيلولته؟

لقد كان النبي يتيماً بكلا معانيه: منقطعاً عن أبويه، إذ توفي والده قبل ولادته، وتوفيت أمه بعد ستة أشهر، فآواه الله إلى جده عبد المطلب وإلى عمه أبي طالب فكفلاه خير كفالة، وكان يتيماً: منقطعاً عن النبوة والرسالة فآواه إليهما، ثم يتيماً عن الوحي إذ انقطع عنه فآواه، ويتيماً: منفرداً بين الناس فآوى الناس إليه، فلقد زال عنه يتمه أياً كان.

﴿ووجدك ضالاً فهدى﴾: سلبي هو الضلال عن الدين: ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى﴾ إذ إنه ولد دينّاً مؤيداً من عند الله مهما اختلف درجاته قبل النبوة وبعدها، أجل ـ سلبي ضلالاً عن ضلال الناس، وعلى حد قول أمير المؤمنين في الخطبة القاصعة: ﴿لقد قرن الله به 3 من لدن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره﴾ والضلال هناك معان عدة، أصلها ضلاله عن الدين، فلا يصدق عليه حيث القرآن والعقل لا يصدقانه عليه، وإليكم منها معان أخرى تليق به:

---

١. الدر المنثور: ٦: ٣٦١ عن حريب بن شريح عن الباقر Δ أن ارجى آية في كتاب الله «ولسوف يعطيك ربك فترضى» وهي «الشفاعة» وفيه ايضاً عن جابر بن عبدالله قال: دخل رسول الله 3 على فاطمة وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من حملة الإبل فلما نظر إليها قال: يا فاطمة! تعجلي مرارة الدنيا لنعيم الآخرة غداً، فأنزل الله «ولسوف يعطيك ربك فترضى».

١ ـ وجدك ضالاً عن وحي الإسلام ونبوته: فهداك اليه ضلالاً عن الهداية الفعلية وحي القرآن، لا عن كل هداية وأبسطها: ﴿ما كنت تدري من قبله من كتاب ولا أنت بيمينك إذاً لارتاب المبطلون ﴾(٢٩ : ٤٨) ﴿ما كنت تعلمها أنت ولا قومك ﴾(١١ : ٤٩) و﴿علّمك ما لم تكن تعلم ﴾(٤ : ١١٣) ﴿وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا ﴾(٤٢ : ٥٢).

أجل: إنك كنت ضالاً عن هذه الهدى، لا عن كل هدى، فلقد كنت أنعم الناس قلباً في وحي القرآن، بما كان يملكك من روح لا أيّن محاسن أخلاق العلم لملك وزهاك.

٢ ـ وجدك ضالة الناس، كما الحكمة ضالة المؤمن، فما كانوا يعرفك، فهداهم اليك بما أرسلك رسالة الإسلام.

٣ ـ وجدك ضلالاً: فريداً في الناس، كما الشجرة في الفلاة تسمى ضالة، ولقد كانت أرض الجزيرة قاحلة لا ماء فيها ولا كلأ إلا شجرة إنسانية تحمل غرار العلم والإيمان، وأنت الشجرة الطيبة الضالة في هذه الفلاة، فهي الناس اليك.[1]

٤ ـ وجدك ضلالاً عن المعرفة حيثما ولّت فهداك الله بالخير منها، ثم بعد ما فطمت أبيك بأعظم ملائكته، إلى أن ابتعثك رسولاً إلى الطيبين، وهنا وجوه أخرى.[2]

---

١ . كما في البرهان ٤: ٤٧٣ عن الامام الرضا Δفي مجلس المأمون، وفي نور الثقلين ٥ : ٥٩٦ عن الامامين الصادق والرضا Δ كما يأتي.

٢ . ولقد ضل عن الطريق مرات عدة فهداه الله إلى نجده كما يقول: ضللت عن جدي عبدالمطلب وأناصبي كاد الجوع يقتلني فهداني الله، وكان يقول جدي: يا رب رد ولدي محمداً . أردده ربي واصطنع عندي يداً، فماذا يردد هذا البيت حتى أناه ابوجهل على ناقة وبين يديه محمد 3 وهو يقول: ما ادري ماذا نرى من ابنك! فقال عبدالمطلب ولم؟ قال: اني أنخت الناقة وأركبته من خلفي فأبت الناقة

هذا رغم جماعة من المبشرين والمستشرقين الضالين الذين يحاولون ليثبتوا الضلال عن الذين ظلوا الرسالة على الرسول الصادق الأمين.

شريعة محمد 3 قبل الإسلام:

وهنا الجدير بالبحث أن يُضاف إلى شرعة الرسول ظل وحي القرآن: هل كان منطلقاً من أية شريعة، يعبد ربه بالشرعة ومنهاج؟ أم دون أية عبادة كذلك؟ أم كان متعبداً بشرعة نحمد؟ أم مهدياً إلى شريعة الإنجيل المحكمة ظل شريعة القرآن؟ أم شريعة موسى أم إبراهيم أم نوح؟ أم ماذا؟

الوجه الذي نقله ويلا إمكان أن قبله، هو له كان متعبداً بشرعة صالحة لزمنه غير محرفة ـ أياً كان ـ لأن الله اصطفاه أخيراً الخاتمة الرسالات ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ۝(٣:٣٣) فلئك ـ إذاً ـ خير الذي أجمع رسالته، فلي يا ترى كتب يصطفي هكذا وهو منحل عن الشرائع كلها، أو متعبد بشريعة منسوخة زمنه؟ فلئك شرعته هي شرعة التوراة الصحيحة حسب الإنجيل الصحيح الحاكم زمنه، وهذا لا يتيسر إلا بتأييد الله بإحدى الملك الوحي، إذ لم يكن يكتب أو يتلو اكتاباً ظل وحي القرآن، ولم يدرس عند أحد من علماء الكتاب كما القرآن صرح، ولم يكونوا صالحين لذلك، وليس قضاً الرسول أن يتبع ظل رسالته شرعة غيره من الرسل، إذ الشرائع كلها الله، وليس الرسل إلا وسائط للبلاغ، إضافة إلى إمكانية وحي الإنجيل إليه هذا كما أوحي إلى المسيح، نيل أوحي إليهما سواه.

ان تقوم، فلما أركبته أمامي قامت الناقة كأن الناقة تقول: يا احمق هو الامام فكيف يكون خلف المقتدي قا ابن عباس: رده اله الى جهه بيد عدوه كما فعل بموسى عليه السلام.

وخرج مع غلام خديجة ميسيرة، فأخذ الغلام بزمام بعيره حتى ضل عن الطريق، فهداه الله بجبرائيل ان جاء بصورة أدمي فهداه إلى القافلة.

وابوطالب خرج به إلى الشام فضل عن الطريق فهداه الله إلى القافلة.

ووجه آخر على أسلم، أنه Δكان يسترشد بتلك الوحي التي قرن الله به من لدن كان فطيما بيلك به طريق الكرام ومحاسن أخلاق العلم، ما يحمل ضائقة الخطة به، ولا تنافيه الآية: ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ﴾ (٤٢: ٥٢) إذ يعني به الإيمان الموحى إليه رسالة القرآن، والكتاب كل كتاب، فما كان يدري ما القرآن والإيمان القرآني قبل نزوله، على أنه كان مؤمناً قبله بالواجب عليه حينه بإلهام تلك الوحي، فما كان يدري ما الإيمان ـ على الإيمان ـ إلا الإجمال، حيث الشريعة الموحاة إليه ما كانت تنال إلا بالوحي، دون المحاولات البشرية، ولاسيما في الفترة الوحشى التي مضت على كتابات الوحي، فما كان محمدٌ كبشر، يدري ما الكتاب ولا الإيمان، إلى أن أوحي إليه بالإيمان، وثم أوحي إليه الكتاب القرآن: ﴿ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾(٤٢: ٥٢).

إذاً فالرسول 3كان نبياً قبل رسالته وحي القرآن، نبياً لنفسه، إن وحي الإجمالي، أم وحي آخر يخصه دون سواه، وكما يروى عنه 3 ﴿كنت نبياً وآدم بين الماء والطين ﴾ فنبوته قبل ولادته هي النبأ التي أُخِذَ له على النبيين أجمع: ﴿لتؤمنن به ولتنصرنه ﴾ وهي منذ ولادته إلى بعثته، نبوته الواقعية الشخصية، ومن بعثته رسالته العالمية وإلى يوم الدين، وهنا أخبار نصه وأخرى نصه بتأييد إلهي منذ ولادته 3مما يوحي إلى نبوة الخطة قبل رسالته.

﴿ووجدك عائلاً فأغنى ﴾ : عائلاً من حيث المال والحال[٢]، ومن نبوته

---

١ . منها اخبار مستفيضة انهم مؤيدون من بداية امرهم، وصحيحة الاحول القائلة: نحو ما كان رأي رسول الله 3 من أسباب النبوة قبل الوحي حتى اتاه جبرائيل من عند الله بالرسالة، والمستفيضة القائلة ان الله لم يعط نبياً فضيلة ولا كرامة ولا هجرة إلا وقد أعطاه نبينا.

٢ . نورالثقلين ٥ : ٥٩٥ عن تفسير العياشي عن الامام الرضا Δفي قوله: ألم يجدك يتيماً فآوى، قال: فرداً مثيل لك في المخلوقين فآوى اناس إليك، ووجدك ضالاً: اى ضالاً لا يعرفون فضلك فهداهم إليك، ووجدك عائلاً: تعول اقواماً بالعلم فأغناهم الله بك، وروى القمي عن الامام الصادق Δ مثله.

لأوفين وين التلى أجمين، فأغتاله و كفاه عبء هذه العيلة.

«فأما اليتيم فال تقهر»[٩]:

آوه كما آويك، ولا تقهره كما لم تقهر.

«وأما السائل فلا تنهره»[١٠]:

كما سألني فضائلك، وقد أعطيك ما لم أعط أحداً من العالمين.

«وأما بنعمة ربك فحدث»[١١]:

تحدثاً باللسان، وبالجوارح والجنان، وبالأعمال، فمن حدثاً لنعمة ربك، كما علمك نعمه.

نعمة ربك، لا (نعمة) إذ في منها نعمة الرسالة النسبية، فهو لها بالنسبة له لايحسب لحسب[١] ثم كل نعمة على كل منعم عليه أن يظهرها و يظاهر بها موحياً أنها من الله، تجدثاً له لا لنفسه، وكما عن الصادق Δ[٢]، فالخيرات كل الخيرات، خلقيو علمية و معرفية و إيمانية، أو مادية يجب إظهارها كما يجب لله، إظهاراً لكرمه تعالى، لا افتخاراً أو تفاخراً و ازراءً للفاقدين لها، فإن نهاكما عنك، من إظهارها، صرفها فيما يجب كذلك، وهكذا فوّل ما فوّض عن توفيق المحسنين Δ بأنفسهم، فإنها من تحديث نعمة الله، وليتمتع بها عباد الله.

١ . المصدر في محاسن البرقي عن الامام الحسن Δ في الآية قال: امره ان يحدث بما انعم الله عليه من دينه.

٢ . كما في نورالثقلين ٥: ٦٠١ عن الصادق Δ إذا انعم الله على عبده بنعمة فظهرت عليه سمي حبيب الله، محدث بنعمة الله وإذا أنعم الله على عبده بنعمة فلم تظهر عليه سمي بغيض الله مكذب بنعمة الله.

شرح صدر محمد 3 بوزيره على Δ

سورة الانشراح ـ مكية ـ و آياتها ثمان

بِسْمِ اللّهِ الرّحْمنِ الرّحيمِ

« أَ لَمْ نَشْرَحْ لَکَ صَدْرَکَ(١) وَ وَضَعْنا عَنْکَ وِزْرَکَ(٢) الّذى أَنْقَضَ ظَهْرَکَ(٣) وَ رَفَعْنا لَکَ ذِکْرَکَ(٤) فَإِنّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً(٥) إِنّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً(٦) فَإِذا فَرَغْتَ فَانْصَبْ(٧) وَ إِلى رَبِّکَ فَارْغَبْ(٨)»

استهلت تحريرية نور الرسول 3 عما عنه إجابة وسلية، وعد الفراغ عن مهمة الرسالة يطلب الله منه أن يستريحا فيه بعد مقامه ثم يرغب إلى ربه مؤدياً ما عليه.

❁ألم نشرح لك صدرك ☯:

فشرح الله صدره لأول ما شرح بملازمة أعظم ملك من ملائكته ثم وحي القرآن ثم بمكالمة الملائكين[1]، فإن الشرح هو الإنفتاح ومقابله الضيق، والصدر هو صدر الروح، وهو الوسيط بين النفس والقلب، يأخذ من النفس و يلقي إلى القلب، وهو في الصدر: ❁القلب التي في الصدور ☯فانشراح النفس و ضيقه يجري إلى انشراح الصدر والقلب، وكذلك ضيقه وعماه إلى ضيقها وعماها: ❁فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ☯(٢٢: ٤٦) وقد يعبر عن ضيق الصدر أيضاً بالإنشراح: فتحاً للكفر: ❁ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ☯(١٦: ١٠٦).

---

١. كما تشير إليه الآيات: «كتاب انزل إليك فلا يكن في صدرك حرجمنه لتنذربه وذكرى للمؤمنين» (٧ : ٢) «فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك رضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أوجاء معه ملك انما انت منذر والله على كل شيء وكيل»(١١:١٢) ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد رب و كن من الساجدين» (١٥ : ٩٨).

صدر الرسول الأعظم ـ وهو صدر الصدور ـ كان أفسح الصدور بين حملة الرسالات الإلهية، تلقّى الوحي أكثر ما يمكن، ولاقى وعانى في سبيل التبليغ أشد ما يمكن، وهو مشروح الصدر: يستقبل الصعوبات في وعاء الصبر يمكن رحابة صدر دون أن يقف أحد.

﴿ووضعنا عنك وزرك﴾[٢]. التي أثقلت ظهرك ﴿٣﴾:

وهذه نعمة أخرى في سلسلتها، وكونها تلوا انشراح صدره، يوحي إلى المعنى من وزره، أنه: ما كان يعانيه من الأمور الصعبة، والمواقف الخطرة في أداء الرسالة، وتبليغ الشريعة، وما كان يلاقيه من ضلال قومه، وبطئهم من مواجهة الوحي بعضهم، وكأن حِملاً ثقيلاً في صدره وثقل على ظهره، قرره الله تعالى أن أزال عنه تلك المخاوف كلها، وحط عن ظهره تلك الأعباء بأسرها، فجعله من أعدائه، وقهره على أعدائه وقدم ذكره على كل ذكر، وقهره على كل قهر، حتى أمن بعد الخيفة، واطمأن بعد الخلفة، ﴿فإن مع العسر يسراً ﴿٥﴾﴾

أجل: وإن ظهر الرسالة المحمدية كانت ـ لو خليت وطبعها ـ مثقلة: مثقلة الظلام من حولها، مرضوضة من ثقلها، حتى وضع الله تلك الوزر، ووزر من قسه القسية: من صدره الشريح، وبصيرته الناقدة، وصدوره الوزير، وعقله المستقيم... ووزير هو كفؤه: علي أمير المؤمنين ﷺ الذي عدّته عترة الرسول: أنه وزيره وأخوه ونفسه ومثيله.[١]

هذا هو الوزر الموضوع عنه، لا ما يظنه الجاهلون أو المعاندون، أنه الذنب العظيم، زعماً أنه النبي منه نبياً وليس به، إنما الوزر ما يثقل ويتعب، ظهر الروح أو الجسم، فإن كل بعصاب الآخرة كان عصياناً، وإن بعصاب الدنيا كان طاعة، فإن مرضاة الله تبتغي بالأتعاب والحرمانات يوم الدنيا، وزراً في الدنيا وراحة في الآخرة، عكس سخط الله.

---

١. راجع كتابنا (علي والحاكمون) و (خلفاء الرسول بين الكتاب والسنة) باب الوزارة وامثالها.

ثم لإمتنان هنا بشهد، وتأخر الوزر عن شرح الصدر بشهد، ثم لله شهيد مع هؤلاء الشهداء وقبلها: أن وزره Δ إنما هو وزر الرسالة القاسية بحملها وحملها وأعبائها وإثقالها!.

فلو كان ذنباً لم يتب به عليه، ولو كان غفراً لذنبه لقال: وغفرنا عنك وزرك، ولكان مقدماً على انشراح صدره، فإنه لا ينشرح إلا بعد انحطاط الذنب، تحلية بعد تخلية.

ثم في وزر الرسالة سلب وضعه عوله عنها، فهذا إهانة وسلب مكرمة، وكل عوله عن بعضها، إذاً فهو تخفيف حمل الرسالة وزر عن ظهره كظهره.[1]

وقد رفع الله ذكره بهذا الوزر الحدّ إعجازه شاهداً منه: ﴿أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه﴾(١١ :١٧) ورفع ذكره مع الله من على المآذن في أوقات الصلاة[2] ورفعه على موائد ومجامع في كتاب التبيين من قبل، فأصبح رفيع الذكر حياته وقبلها وبعدها، وبالغ من ذكر إلهاً لذكر الله! وكما عن الرسول عن الله: ﴿إذا ذكرت ذكرت معي﴾[3]

﴿فإن مع العسر يسراً. إن مع العسر يسراً﴾

وعلى حدّ قول الرسول 3 لن يغلب عسر يسرين[4] وهنا توجب العسر وجهي أنهما واحد، حيث الثاني يشير إلى الأول، كما أن تنكير يسر يدل على أنهما اثنان، إذ لا إشارة حيث لا عهد مسبقاً.

---

١. نور الثقلين ٥: ٦٠٣ عن بصائر الدرجات عن الصادق Δ في الآية قال: ولاية أمير المؤمنين Δ.

٢. الاحتجاج عن الامام الحسين Δ في حديث: فلا تتم الشهادة إلا ان يقال: اشهد أن لا إله إلا الله واشهد ان محمداً رسول الله ينادى على النار، فلا يرفع صوت بذكر الله عزوجل إلا رفع بذكر محمد 3 معه.

٣. الدر المنثور ٦: ٣٦٤ ـ ابو سعيد الخدري عنه 3 عن جبرائيل ان ربك يقول:

٤. رويت عنه مستفيضة كما في الدر المنثور والطبري والبرهان ونور الثقلين على سواء.

فمع عسر الرسالة في وزرها يسران هما: انشراح صدره ووضع وزره، وإذا اجتمعا واحداً فثانيهما يسر العشرة وأولاه وضع الوزر وشرح الصدر، يجمعهما ارتياح ضمير الرسول أن بلّغ ما عليه، وهكذا يكون دائماً عسر الدنيا مكفّراً ييسرين في الدنيا وفي البقى، وما عند الله خيرٌ وأبقى.

والعبرة هنا ﴿مع العسر﴾ توحي وقع اليسرين حال عسرهما، أما يسر الدنيا فارتياح ضمير المعسَر في الله، وبثه وقع يسره فيها، وأما يسر الآخرة فهو أيضاً واقع مهما كان خفياً، ولكنه يظهر يوم الجزاء.

وإذا أردت مكافأة بهذه المكرمات، فإنها ليست إلا أن تستثمرها لما بعث كما كانت تعيشها حياتك أيها الرسول!

﴿فإذا فرغت فانصب ۝ وإلى ربك فارغب ۝﴾

فإذا الفراغ هنا؟ ولماذا ينصب بعد الفراغ؟

ليس الفراغ هنا عن الصلاة، لكي يكون نَصَبه نصباً في الدعاء، ورغم أن الدعاء ليس فيها نصب ونَصَبٌ؟ فالفاء الفوريّة توحي إلى أصل سابق، وليس إلا شرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر، التي نجمها الرسالة المحمدية بعسرها ويسرها، فليس الفراغ إذاً إلا عن إبلاغ الرسالة، ولكي يرغب إلى ربه وَدِياً مبلّغاً ما عليه: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين ۝﴾(٦٧/٥)

هنا في محاولة استمرار الرسالة بعد الفراغ عنها نصْب و نَصَب كلاهما ينابعان ﴿فانصَبْ ۝﴾ ولكن ما نُرجّح سابق في الدعاء نصْبٌ ولا نَصَبَ، ولا سيما الرسول التي زادهُ الدعاء، فلم يؤمر هو ﷺ هنا بالدعاء، فإنه كان يقضي حياته الدعاء، دون اختصاص بالفراغ عن الرسالة، ولقد كان في نصب علي عند وصية الخلافة نَصَبٌ بالغ إذ تبع الكلمة الأخيرة المشهورة من احتالوا

اللاتة لأنهم قالوا: «هو» في الجلي لهجة ما تبي العين وتحق الأبد!

ثم «نصب» نحوياً على الصحيح لا الأصح ـ أو «بالنصب» لا بالنصب، وفي المنجد نصب نُصْباً الشيء: رفعه و أقامه، والأمير فلاناً: ولاّه نصباً.

والروي عن أئمة أهل البيت مستفيضاً صريح في النصب وإن كان النصب أيضاً يشمله، ومن النصب أيضاً هو جمع النصب أو ولاية النصب وهما يناسبان نصب اللاتة الإسلامية فإنها نصبٌ للرسول، يستنر به بعد مماته كما كان قبله، وكما في المضايق Δ تغيير للآية فإذا فرغت من ذلك فانصب علياً والى ربك فارغب في ذلك[1] وهو الوجه الوحيد الذي ينظم الآيات واللغة.

١ . تفسير القمي بالاسناد الى ابي عبد الله الصادق Δ وروى في الكافي عنه Δ مثله، ومثله عن ابن شهرآشوب عن الباقر Δ، و عن ابي حاتم الرازي ان جعفر بن محمدΔ قرأ «فإذا فرغت فانصب» قال:إ افرغت من اكمال الشريعة فأنصب علياً لهم إماماً، أقول: و ما روي شاذاً انه النصب في الدعاء لا يلائِم المقام واللغة كما سبق، و اما ما روي انه نصب الخلافة بعد حجة الوداع يلائم الفراغ من الرسالة، وإنما عن الحج ولم يسبق له ذكر.

هل سک محمد فی القرآن

؟

!

«فَإِنْ كُنْتَ فی شَکّ مِمّا أَنْزَلْنا إِلَيْکَ فَسْئَلِ الّذينَ يَقْرَؤُنَ الْكِتابَ مِنْ قَبْلِکَ لَقَدْ جاءَکَ الْحَقّ مِنْ رَبِّکَ فَلا تَكُونَنّ مِنَ الْمُمْتَرينَ» (١٠:٩٤)

أنى رسول الله 3كان لو أمك أن يكون في شك مما أنزل إليه؟ حتى يخاطب هكذا أمام الملأ، ومنهم المرتابون في أمره، المكذبون إياه؟ أم هل يرتاب، وكيف يجوز عليه الشك والامتراء وقد بشر قوله برد اليقين، تلقياً عن الله عما أنزل به الروح الأمين على قلبه ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين؟! والشك في وحي القرآن سلبي مؤمناً فضلاً عن أن يكون نبياً هو إمام كافة النبيين؟!.

فهل المخاطَب هنا هو النبي 3 فقط فيما أنزل الله عزّ وجلّ إليه! وإن كان المخاطب به غيره فهل إذاً أنزل الكتاب! فقد يكون الشك في أصل نزول الوحي إليه لأنه بشر مثلكم وعيسى في الأنبياء، أمام الجاهلين الذين يتساءلون كيف ينزل الوحي على بشر.[1]

ثم ﴿أنزلنا إليك﴾ لا تخص نزول الوحي الرسولي، فقد يعني نزله الرسالي من الرسل إليهم وكما ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾ (٤:١٧٤) فكما ﴿قد أنزل الله إليكم ذكراً رسولاً﴾ (٦٥: ١٠) كذلك ﴿أنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾ مهما اختلف إلى حين إلى: ف

---

١ . وهذه من شطحات الحداد البيروتي في ١: ١٧٩ ـ القرآن والكتاب حيث يقول: إذا شك محمد فليسأل علماء الكتاب، أليس هذا دليلاً على أنهم اساتذته، أجل فإحالة محمد نفسه على أهل الكتاب ليزيل شكوكه عندهم دليل قاطع لامرد له أنهم اساتذته ومدرسواه.

﴿قولوا آمنا بالله و ما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب ﴾(٢: ١٣٦) حيث يجمع بين الإنزال ﴿إلى﴾ مهما يفيد إلى الرسل إليهم أحياناً كما مضى، وفي ﴿إن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله و ما أنزل إليكم ﴾(٣: ١٩٩) و ﴿هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا ﴾(٥: ٥٩) ﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم ﴾(٥: ٦٦) وما أشبه من عشرات الآيات وأخرى يفيد ﴿إلى﴾ منازل الوحي الرسالية.

فقد يجيء من ﴿كنت ﴾لكل من هو في شكٍ أو كاد فعليه أن يسأل الذين يقرءون الكتاب من قبله، ليتأكد أن القرآن هو آكد الوحي المصدق للأبين بين يدي إلى سائر الوحي، إضافة إلى شهادة سائر الوحي على صدق القرآن و نبيه.

ولكن كان المخاطب هو الرسول 3أم هو معني مع سائر المكلفين فقد يجيء قاطع البرهان للشك لوحي القرآن لكل شاك فيه، فهو معني من باب إياك أعني واسمعي ياجارة، وكما في ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء ﴾(٦٥: ١) حيث وحّد ثم جمع ليعلم أن المخاطب الأمة وليس الرسول إلا حاملاً له كسائر رسالاته الربانية.

وكيف يشك وهو يوحى إليه بكل هذه الآية، فإن واقع الوحي هو واقع البرهان على صدقه!.

ثم وفيم يشك محمد 3 ﴿مما أنزلنا إليك ﴾ لتكاً في إنزاله فقد ﴿أنزلنا إليك ﴾ ولا يزال شكه لو كان في شكٍ منه مثل هذه الآية التي هي أيضاً ﴿مما أنزلنا إليك ﴾ إلا أن يزال شك شكاً مثله، بل والزال أضعف حيث يستند إلى الذين يقرءون الكتاب، أم شكاً في أمنسخة عربية من الكتاب الإمام

وأن علماء الكتاب هم أعلمه ﴿فيما أنزلنا إليك﴾ من هذه الرحمة؟[١]

ولا ينبغي لأي عالم بسيط ولا سفيه في ﴿من علمه﴾ فضلاً عن أعلى العلماء على مدار التاريخ كما يعتقد علماء التاريخ!

ذلك، وهنا عشرات من الآيات تقرر موقف القرآن أنه الكتاب الأخير النازل من عند الله إلى محمد مهيمناً على ما بين يديه من كتاب، وناسخاً لبعض أحكامها ومكملاً لأخرى، وناقداً تالفه المحرّف من جهات لأخراها!

أم شكاً في معانيه و مغازيه؟ وهو أفضل المرسلين في العلم! وهو ﴿يعلمهم الكتاب والحكمة﴾ ومهما يكن من شك في القرآن فهو ليس المؤمن به المخاطبين بقوله ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾(٢:٢٣).

فقوله داخلاً في هذا الخطاب وهو ﴿عبدنا﴾ المنزل عليه القرآن، ولو كان شاكاً بين المشركين فآية النحي هذه أيضاً هي من المتشابه فيه فكيف يتعبد بها؟! وكيف ينهاه هو المنزل إليه ولا ينهاه المرسل قومه عن الكتاب و لم ينزل إليهم حتى يستعلمهم فيه، ولماذا إذاً لا يستعلم ربه المنزل إليه ويسأل هؤلاء المرسل أكثرهم له منكرون، فليكونوا هم المشكوك بالقرآن دونه لأنهم يريدون تشكيكه!

ذلك يقول الرسول 3 هنا ﴿لا أشك لا أشك﴾[٢] ولم يسأل أحداً إلى وفاته عنه وأجاب عما يريج في نفسه وكما قال 3 ﴿لا أشك ولا أسأل﴾[٣].

---

١. نور الثقلين ٢: ٣١٩ في العلل باسناده إلى ابراهيم بن عمير رفعه إلى أحدهما (عليهما السلام) في الآية قال قال رسول الله 3: لا أشك لا أشك.

٢. الدر المنثور ٣: ٣١٧ عن قتادة قال: ذكر لنا أن رسول الله 3 قال: لا أشك و لا أسأل.

٣. الدر المنثور ٣: ٣١٧ ـ أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود عن النبي 3 أن يونس ... وقعد يونس في الطريق يسأل عن الخبر فمر به رجل فقال ما فعل قوم يونس فحدثه بما صنعوا لا أرجع إلى قوم

وقد بقي الشك في أنه مذكور عندهم في التوراة والإنجيل، فكذلك لا شك ولا لبس.

فرى أن الآيتين هذه لاختلاف المختلفين والمختلفين تفي فقط ما يعنيه التأكيد هذه الرسالة السامية من شك في كون القرآن وحياً يستقي من سلف

قد كذبتهم وانطلق مغاضباً يعني مراغماً» أقول: في هذا الذيل تنظُّر، وهنا حديث آخر في نور الثقلين ٢: ٣٢١ عن تفسير العياشي عن أبي عبيدة الحذاء عن أبي جعفر (عليهما السلام) كتب أميرالمؤمنين Δ قال: حدثني رسول الله 3 أن جبرئيل حدثه أن يونس ابن متى بعثه الله إلى قومه...» ولكنا تركنا نقله على طوله لأن فيه ما لايصدق على ساحة العصمة الرسولية، كـ «كان رجلاً تعتريه الحدة و كان قيل الصبر على قومه والمداراة لهم عاجزاً عما حمل من ثقل أوقار النبوة وأعلامها و أنه تفسخ تحتها كما يتفسخ الجذع تحت حمله»! ـ وما أشبه من فرية على ساحة الرسالة، مما يؤكد أن هذا الحديثى من المختلفات الإسرائيلية!.

وفيه في العلل عن أبي بصير قالت قلت لأبي عبدالله Δ: لأي علة صرف الله عزَّوجلّ العذاب عن قوم يونس وقد أظلهم ولم يفعل ذلك بغيرهم من الأمم؟ فقال: لأنه كان في علم الله أنه سيصرفه عنهم لتوبتهم وإنماترك إخبار يونس بذلك لأنه عزَّوجلّ أراد أن يفرغه لعبادته في بطن الحوت فيستوجب بذلك ثوابه وكرامته.

وفيه عن تفسير القمي عن علي Δ في حديث طويل يقول في آخره: وأنبت الله عليه شجرة من يقطين وهي الدبا فأظلته من الشمس فسكن ثم أمر الشجرة فتنحت عنه ووقع الشمس عليه فجزع فأوحى الله إليه يا يونس لم لم ترحم مأة ألف أو يزيدون وأنت تجزع ساعة؟ فقال: يا رب عفوك عفوك، فرد الله بدنه ورجع إلى قومه وآمنوا به وهو قوله: «فلو كانت ...».

وفيه عن روضة الكافي عن معروف بن خربوذ عن أبي جعفر Δ قال:إن لله عزَّ وجل رياح رحمة ورياح عذاب فإن شاء أن يجعل الرياح من العذاب رحمة فعل، قال: ولن يجعل الرحمة من الريح عذاباً، قال: وذلك أنه لم يرحم قوماً قط أطاعوه فكانت طاعتهم إياه وبالاً عليهم إلاَّ من بعد تحولهم عن طاعته، قال: وكذلك فعل بقوم يونس لما آمنوا رحمهم الله بعد ما قد كان قدر عليهم العذاب وقضاه ثم تداركهم برحمته فجعل العذاب المقدر عليهم رحمة فصرفه عنهم و غشيهم وذلك لمّا آمنوا به وتضرعوا إليه.

وفيه عمن لايحضره الفقيه وفي العلل التي ذكرها الفضل بن شاذان رحمة الله عن الرضا (عليه السلام) قال: إنما جعل للكسوف صلاة لأنه من آيات الله عزَّوجلّ لايدري الرحمة ظهرت أم لعذاب فأحب النبي 3 أن تفزع أمته إلى خالقها وراحمها عند ذلك ليصرف عنهم شرها ويقيهم مكروهها كما صرف عن قوم يونس حين تضرعوا إلى الله عزَّوجلّ.

الوحي، مهيمناً على ما بين يديه من كتب، حيث يقول قائلهم إن القرآن نسخة عربية من الكتاب للإمام: التوراة، فإن كنت في شك منه فاسأل علماء الكتاب الذين علّموك إياها!

فقد نهى الله نبيّه في وحيه، أم في البشارات الكتابية به، أم في استدلاله على سائر الوحي، فليقصه إلى سائر الوحي ليبين له أنه فوق عليه.

أم نهى الرسول ﷺ مجادلةً مع المشاركين في أيّ من هذه، مثلاً، إلى ما يرجح أي ذلك فيه وأنيراً ﴿قد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾ فهل هو بُعد يستعلم أهل الكتاب عن أنه نسخة عربية عن الكتاب للإمام؟ فليكن طلبك إذاً: قد جاءك الحق من الذين أوتوا الكتاب من قبلك، دون ﴿ذلك﴾.

وكيف يشك وقد ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه﴾ (٢:٢٨٥) أم هل يثبت بهذه الشرطية ذلك الرسول ﷺ أياً كان، والشرطية لا تحتّم مدخولها كما ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ (٣٩:٦٥) فهل هو أشرك، فإنما تأتي الشرطية لتدلّ على أي شك ولو كان هو الرسول ﷺ منه، ولكي يعلم أن القرآن بنفسه وبشهادة الذين يقرءون الكتاب، أنه وحي صارم لا ريب فيه ولا شبهة تعتريه.

وهنا ﴿مما أنزلنا إليك﴾ و﴿قد جاءك الحق من ربك﴾ و﴿لا تكونن﴾، دليل قاطع لا مرد له على أن ليس نسخة عن أي كتاب، بل هو وحي فذّ لا ريب فيه من رب العالمين.

وقد نهى ﴿إن﴾ في ذلك لكونها نافية ﴿فسأل... ﴾ حيث هم يعترفون بأن في ذلك.

إذاً فآية الشك هذه هي من عساكر البراهين التي تدل أي شك حول وحي

القرآن، الفتّم ﴿إن كنت في شك ☜ من مختلقها، لو عت لأوبها وهو شرطيةشكه، فلم تكن لغي واقع شكه، بل هو مجارة نغي إستقبال لأي شك وريبة حول القرآن.

ف ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ☜(٢: ١٤٦ و٦: ٢٠) ﴿أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ☜(١١: ١٩) ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ☜(٥: ٤٨).

أفبعد هذه التصاريح وعشرات أمثالها يُتهم هذا الرسول في كتابه ما يهدم عليه صرح دعوته ودعواه، ولا يعمله لأي بسيط سفيه، فضلاً عن أعلى عقلاء التاريخ؟!

ذلك، ولو كان محمد 3 شاكاً فيما أنزل إليه من ربه لكان يغيره من المؤمنين به ألى بالشك فيه، وكيف يزول ذلك الشك بما يخبره به ألى الكتاب التاركون رسالته.

إذاً فلا شك أن آية الشك لا تعني أنه 3 في الحق شك فيما أنزل إليه، وإنما هو مجارة مع المشركين ليزيل شكهم عن بكرته، فحتى لو كان المنزل إليه في شك مما أنزل إليه لكان الكتاب وقارؤه شاهدين على بتّ بحقه، ولا تعني الشرطية بين أنها وقعت أم لم تقع، وإنما تتكفل بين واقع للاستحالة، إن كان كذا كان كذا، ولكنه ليس، دليلاً على أنه لو سقط إعلان الرسول وحي القرآن مرة، فلم يسقط وحي القرآن عن واقعه لكان بهذه الخطأ التي لا مردّ لها حتى من

الذين يقرءون الكتاب وهم لا يكرهون.

ذلك، وأخيراً فقد تعني ﴿إن﴾ النافية الجحود: فما كنت في شك مما أنزلنا إليك، فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك ليشهدوا لك أنك ما كنت في شك كما هو ليسوا في شك، لكن البشارات المحمدية في كتبهم، وأن طبيعة وحي الكتاب تدل على أن القرآن أحرى أن يكون وحياً.

وهذا التوجيه في ﴿إن﴾ النافية ينبغي عما كان وراءه من شدة الموقف وتأزمه في مكة بعد هجمة الإشراء وقد ارتد بعض من أسلموا لعدم تصديقه وبعد موت خديجة وأبي طالب وتشدد الأذى على رسول الله ﷺ والذين معه، وبعد تجدد العروض قريش مكية بموقف قريش العنيد العنيف، وكل هذه الملابسات تلقي ظلالها على قلب الرسول ﷺ فيبري عنه ذلك التوكيد بعد ذلك النفي الموجه إليه، تعويضاً بالتثبيت للمتربين المكذبين.

وفي رحلة أخرى إلى الآية قول: إنها تحمل شرطية تنبه أن قراءة الكتاب ما يحمل قارئه على تصديق وحي القرآن بأحرى من كل كتابات الوحي وكما ﴿إن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ أجتثاثاً لكل شك وريبة عن ساحة الوحي القرآني بتلك المقابلة مهما كانت بسيطة عارضة، فضلاً عن المقابلة الدقيقة بعد النظر في آيه المكررة حيث تزداد يقيناً ورسوخاً بأنه الوحي الفذ الذي يحمل الموقع الأعلى من عامة الوحي على عامة رسل الله.

وهنا ﴿الذين يقرءون الكتاب﴾ ليس يعني فقط علماء أهل الكتاب، إن هم عامة القارئين لها علماء وسواهم، وقلهم ﴿أمن لا يقرءون الكتاب إلا أماني﴾ فذلك أن يسمع إلى قراءة أي وحي ثم يقيسه إلى من يقرء القرآن أم هو يقرءه ثم يفكر أيهما أحرى بالتصديق وحياً وطبعاً هو القرآن الذي يفوق سائر الوحي في كافة الحقول البيانية لفظية ومعنوية.

ذلك، ولم كان الرسول 3في شكٍ مما أنزل إليه لكان يُنبَّأ أحد مما يُنبَّأ المشركون سواه، وكما يخبرهم: ﴿أأنزل عليه الذكر من بيننا﴾ هم في شكٍ من ذكري ﴿بل لمّا يذوقوا عذاب ۝ (٣٨: ٨) ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وإنهم لفي شكٍ منه مريب ۝(٤١: ١٤) ﴿بل هم في شكٍ يلعبون ۝(٤٤: ٩).

وعلى أية حال فالشك بين كفر، ومطلق إلى إيمان، وأما المؤمن بالله حقاً عن رسول الإيمان فلا شك له، إن هو على ذروة من اليقين، وإلا فكيف يصطفيه الله ويجتبيه بين عباده الصالحين و هو نفسه يشكك من الكاذبين الضالين؟!

إذاً ﴿فإن كنت في شكٍ مما أنزلنا إليك ۝في وجه خطاب الرسول 3 ليست لتقول أنه في الحق شك مما أنزل الله إليه، إذ لو كان في شك منه كان كافراً أم ضالاً لم يؤمن بعد حقاً عن الرسالة الخاتم، فلماذا نفيه أمثل هذه الآية التي تنفي علاج شكه إذ هو شك فيها كما هو شك في سواها.

وقد نفي ﴿ما أنزلنا إليك ۝خصوص المذكورات قبلها من ﴿فلعلك وأنا— إلى يختلفون ۝عناية إلى تثبيتها وهم به مقرون.

ثم الشك في القرآن هو بأحرى شك فيما سواه من وحي هو دونه في ظهوره وسهوره، حقاً عما يقوله أهل الكتاب، ثم لماذا يفيد بدُ ﴿فلعلك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ۝وهو شك فيما أنزل إليه، إذ لا فارق بين ما أنزل إليه أكان هو سائر القرآن أم أمثل هذه الآيات التي تنفي علاج شكه.

إنما ذلك من باب: إياك أعني واسمعي ياجارة، أن الشك في القرآن له طرق البسيط لإزالة شكه هو قراءة سائر الوحي وقبله إلى وحي القرآن، ثم طرق أعلى هو التدبر في القرآن نفسه، وأما الرسول 3فهو موثوق في وحي

القرآن بنصه منذ نزوله، دون حاجة إلى وسائل أخرى داخلية أم خارجية توصله إلى الإيقان بوحي القرآن.

ذلك، فبين مختلفات عدة في المعنى من الآية كيف يتمكن بأدواتها الناظر لنص الآية وأخواتها من عدة جهات، فضلاً له ورفضاً لما سواه من مختلفات صالحة إلى ذلك الطالح المكلف؟!

«ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين» (١٠: ٥٩).

ووقف ﴿لا تكون﴾ هو الوقف لـ ﴿إن كنت في شك﴾ على سواه، فالنقد والجواب كما النقد والجواب على سواه، وهذه الآية تطلب الإيقان من أي مخاطب بآيات الله فهو من الراسخين، كما وذلك فيها يجر إلى تكذيب خسران مبين.

«إن الذين حقت عليهم كلمتُ ربك لا يؤمنونَ» [٩٦] ولو جاءتهم كل آية حتى يرو العذاب الأليمَ»(١٠: ٧٩)

﴿حقت عليهم كلمت ربك﴾ ﴿لا يؤمنوا فيضلوا أنهم يظنون الحق وهم يظنون، فهم ـ إذاً ـ ﴿لا يؤمنون﴾ حتى ﴿ولو جاءتهم كل آية﴾ إذ ضلت ظنونهم وصلت حيث ختم الله عليها بما كانوا يكسبون، فهم ﴿لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم﴾ فيؤمنوا ولات حين مناص وقد فات يوم الخلاص:

(فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلاّ قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا و متعناهم إلى حين» (١٠: ٩٨).

﴿فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها﴾ إذ ظل في التأنيب والعتب على التي الكافرة التي لم تؤمن عند رؤية العذاب، أم آمنت فلم ينفعها إيمانها إذ كل مخافة البأس دون مخافة الله، اللّهم ﴿إلاّ قوم يونس لما آمنوا﴾ فنفعهم

إيمانهم إذ آمنوا حقن بأنه مهما كان بلاغة العذاب، فليس الإيمان عند رؤية البأس بنافع إلا لكونه منبعثاً عن البأس: ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين. فلهذا يقضي إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون ۞(٤٠:٨٥).

فـ ﴿قالوا آمنا ۞و ﴿لما رأوا بأسنا ۞و ﴿خسر هنالك الكافرون ۞ صريحات بأنهم لم يؤمنوا. وهنا ﴿لما آمنوا ۞دليل أنهم آمنوا عدم الإيمان المطلق هو طبيعة الحال لمن علموا كافرين حتى جاء بأس الله، فليس ﴿لولا آمنوا بما كذبوا به من قبل ۞اللهم إلا تنذر كفرهم مثل ﴿لما آمنوا ۞ فهم إيمانهم صدقهم في ﴿كشفنا عنهم العذاب الخزي في الحياة الدنيا و متعناهم إلى حين ۞أن يرجعوا كفاراً فعذبهم، أم بين موتهم حيث ينقطع متاعهم الدنيا إلى متاعهم في الأخرى.

ذلك، وفيما يروى عن النبي 3 ﴿أن يونس دعا قومه فلما أبوا أن يجيبوه وعدهم العذاب قبل إنه يأتيكم يوم كذا وكذا ثم خرج عنهم، وكانت الأنبياء إذا وعدت قومها العذاب خرجت، فلما أظلهم العذاب خرجوا فرقوا بين المرأة وولدها وبين البهيمة وأولادها وخرجوا يعجون إلى الله، علم الله منهم الصدق فتاب عليهم وصرف عنهم العذاب.[1]

أجل وإنه ﴿لا ينجي حذر من قدر ولن الدعاء يدفع من البلاء ۞حين يكون حقاً صادقاً.

ذلك، وليس هذا الإستثناء إلا عن واقع مستتر، لا يفض قوم يونس إلا واقع مضى، فإن لم ينقل لنا ما عملوا فإن الله نبهنا كما فإن بهؤلاء من كشف العذاب، ولأنه يندرج الذي الذي لا يؤمن عند رؤية البأس، أم يؤمن إيماناً

١. المصدر أخرج ابن النجار عن عائشة قالت قال رسول الله 3: ... و قد قال الله في كتابه: «إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياه الدنيا و متعناهم إلى حين».

لا ينفع وهو المنع عن رؤية البلّ.

لا بد لدفع الذنب من إيمان سابق عليه أم لاحق به يكسب فيه خير كوم وبين، ف ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً﴾ (٦/١٥٨).

ذلك و ﴿قالوا﴾ إضافة بالمكيين للتعلق بخيط النجاة الأخيرة علهم ناجون، أن المستجارة بالكذب إستراتيجية الكذب كما كان مهما تعلقوا عند رؤية البلّ بقشة الإيمان، وهكذا كل على وجل للتوبة حيث يغتم التوبة ساعات الحياة قائلاً سوف أتوب، ولكن أين الأمل من العمل، ومن ذا يضمن توفق التوبة و توفر أسبابها بعد إستراتيجية العمل: ﴿بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ (٢: ٨١).

«وَ لَوْ شاءَ رَبُّکَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَميعًا أَ فَأَنْتَ تُكْرِهُ النّاسَ حَتّى يَكُونُوا مُؤْمِنينَ(٩٩) وَ ما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلاّ بِإِذْنِ اللّهِ وَ يَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الّذينَ لا يَعْقِلُونَ»(١٠: ١٠٠).

﴿لو﴾ هنا على تلك النتيجة المخالفة للحكمة الربانية من الخلق فإنها لإختبار ﴿أفأنت﴾ الرسول ـ وكل يتماهاه ـ ﴿تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ و ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ مما يشي أنه 3 كان حراً على إيمانهم لتوقف التلقي الإيمان.[1]

---

١ .نورالثقلين ٢: ٣٣١ في عيون الأخبار في باب ما جاء عن الرضا Δ من أخبار التوحيد بسند سأل المأمون أبا الحسن علي بن موسى الرضا Δ عن قول الله جلّ ثناءه: «ولو شاء ربك..» فقال Δ: حدثني أبي موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) قال: إن المسلمين قالوا لرسول الله 3: لو أكرهت يا رسول الله من قدرت عليه من الناس على الإسلام ليكثر عددنا و قوتنا على عدونا؟ فقال رسول الله 3: ما كنت لألقى الله تعالى ببدعة لم يحدث إلي فيها شيئاً و ما أنامن المتكلفين فأنزل الله تبارك وتعالى عليه يا محمد: «ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً» على سبيل الإلجاء

ثم الإيمان كما الكفر ليس إلاّ بإذن الله بعد اختيار الكفر أو الإيمان من المكلفين دون فرض جبر، فالإذن التكويني الإلهي لحق كما يحصل من المختار من كفر أو إيمان، فإذنه للكفر ـ إذاً ـ تركه تأييده في سبيل الإيمان، أم وحمله أيضاً على كفر أكثر جزاء وفاقاً على كفره المختار ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ كما إذنه للإيمان ـ إذاً ـ تأييده في سبيل الإيمان فازدياداً له: ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾

﴿ويجعل الرجس﴾ الكفر ﴿على الذين لا يعقلون﴾ جزاءً على رجسهم المعد إذ لم يستعملوا عقولهم.

ذلك، فكما أن عدم إذنه تعالى أن تؤمن النفس المخلوقة عن علم وعمد عن شرعة الله، لا يعني إلا عدم توفيقهم في ذلك، كذلك ﴿يجعل الرجس﴾ يعني رجس الذنب خصية رجس الكفر، ومن رجس الذنب الختم على قلوبهم، وإرسال الشياطين إليهم وقبضهم عليهم.

وأما الإذن الشرعي فهو يعم كافة المكلفين، كما التكويني للسيِّء لإيمان أم

والإضطرار في الدنيا كما يؤمن عند المعاينة ورؤية البأس وفي الآخرة ولو فعلت ذلك بهم لم يستحقوا مني ثواباً ولا مدحاً ولكني أريد منهم أن يؤمنوا مختارين غير مضطرين ليستحقوا مني الزلفى والكرامة ودوام الخلود في جنة الخلد «أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» وأما قوله: «وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله» فليس ذلك على سبيل تحريم الإيمان عليها و لكن على معنى أنها ما كانت لتؤمن إلاّ بإذن الله وإذنه أمره لها بالإيمان ما كانت مكلفة متعبدة وإلجاءها إياه إلى الإيمان عند زوال التكليف والتعبد عنها، فقال المأمون: فرجت عني فرج الله عنك.

وفيه عن كتاب التوحيد عن أبي عبدالله Δ يقول: اجعلوا أمركم لله ولا تجعلوه للناس فإنه كان لله فهو لله و ما كان للناس فلا يصعد إلى الله، لا تخاصموا الناس لدينكم فإن المخاصمة ممرضة للقلب إن الله عزَّوجلّ قال لنبيه: «إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء» وقال: «أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» ذروا الناس فإن الناس أخذوا عن الناس وإنكم أخذتم عن رسول الله 3 وإني سمعت أبي يقول: إن الله عزَّوجلّ إذا كتب على عبد أن يدخل في هذا الأمر كان أسرع إليه من الطير إلى وكره.

كفر، لا دور له على أيّ حال، وإنّما هو الوفي وعدم الإيمان وعدمه بعدما اختاروا إيماناً أو كفراً.

فإذنه تظل لريد الإيمان تبيير له دون تبيير، كما إنّه لريد الكفر.

«وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» (١٠:١٠٥)

﴿أقم وجهك ۞ بكل الوجوه ظاهرة وباطنة دون إبقاء لأيّ وجه على أيّ وجه ﴿للدين ۞ الحق ﴿حنيفاً ۞ موحّداً عما سواه ﴿ولا تكونن ۞ أبداً ﴿من المشركين ۞ بأيّة دركة من دركات الإشراك بالله، فكن إذاً في أعلى درجات التوحيد.

ذلك، وذلك الإيجاب والسلب: ﴿أقم.. ولا تكونن ۞ هما يعنيان كلمة الإخلاص: ﴿لا إله إلا الله ۞ وذلك هي وجهان إلى أوّل المسلمين وأخلص المخلصين وهو عائش هذه الكلمة بكل كيانه طول حياةِ رسالياً وما قبله.

ذلك له تأكيد وطيد، ولكي يبعده لمتقبل الآمال مائلة عن التوحيد أن يشاركهم مصلحياً إلى الإشراك بالله، ثم ولآخرين عظة ونهية أن الإشراك محظور محظور من أيّ كان، فليس الرسول 3 لأمّة رسول حراً فيما يعتقد أو يفعل أو يقول، بل هو كسائر المكلفين مسؤول مسؤل.

ذلك، وباحتمال آخر نختصه الآية وأمثالها، الخطاب عام يشمل كافة المكلفين على الأقل.

«وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ» (١٠:١٠٦)

فالذي ينفع بحق أو يضر بحق، إستقلالاً دوغا إستقلال، هو الله الذي لا إله إلّا هو، ولا تنبغي العبادة كأصل في العابدين من دون الله إلّا لمن نفع أو دفع ضر، فلا معبود إذاً إلّا الله، فعبادة من دون الله ظلم بالنفس وظلم بالحق وظلم

على كافة المقاييس.

«وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلا كاشِفَ لَهُ إِلاّ هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» (١٠:١٠٧)

إذا لا يضرّ الله إلّا من لم يطلب الخير لهم وتوضوا الفضل رحمة الله على فإن الله فضل من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده وسأله أن يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم ☯[1]

ذلك، فالوحيد المصلح للبشر يخشى أحداً إلّا الله، فإن أزمة الأمور طراً بيده، والكل مستمدة من مدده.

فحين يقوم طاقاته المستطاعة في سبيل الله، حصولاً على رضاة الله، فلا عليه أن يحظى آية عواقب في هذه السبيل، وهو يعلم يقين ﴿إن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلّا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله ☯

فالنتيجة المطلقة الربانية هي التي تدور أمورنا كما يصلح حين نصلح له ونصلح حيث ﴿يصيب به ☯ بضرّ أو بخير ﴿من يشاء من عباده ☯ ولكنه ليس فوضى جزاف، وإنما حسب المساعي والفاعليات والقابليات وما يريد الله مع كل ذلك صالحاً شخصياً أم جماعياً لعباده ﴿وهو الغفور الرحيم ☯ فليس ليصيب عباده بالضرّ إلّا فيما يستحقونه ولا حول عنه في قسطاس العدل والحكمة الربانية، إن سبق رحمته غضبه، فما دام الرحمة مجالة فلا مجال لغضبه، اللّهم إلّا إذا استغلت مجالات رحمته فغضبٌ على سبيل الحكمة الحكيمة، والعدالة الرحيمة.

«قُلْ يا أَيّهَا النّاسُ قَدْ جاءَكُمُ الْحَقّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدى فَإِنّما يَهْتَدى

---

١. الدرالمنثور ٣: ٣١٨ ـ أخرج أبونعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان وابن عساكر عن أنس أن رسول الله 3 قال:...

لِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلّ فَإِنّما يَضِلّ عَلَيْها وَ ما أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكيلٍ» (١٠: ١٠٨)

فقد جاءكم الحق من ربكم وهو الحق كله رسولاً وقرآناً وسنة من ربكم فما أتى ربكم حقاً يحق أن يقوله لكم إلى يوم الدين إلاّ وهو قائله في هذا الكتاب المبين، فمن اهتدى بذلك الحق فإنما يهتدي لنفسه حيث لا ينفع إهتداءه الحق ولا صاحب الحق رسلاً ورسولاً مثلاً عن الله، ومن ضل فإنما يضل عليها إذ لا يضر ضلاله الحق وصاحبه وما أنا عليكم وكيل في هداكم وضلالكم على أيّ حال، إنما أنا رسول مُؤدٍّ وحسبي:

«وَاتَّبِعْ ما يُوحى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتّى يَحْكُمَ اللّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحاكِمينَ» (١٠: ١٠٩)

لا إتباعاً رسولاً إلاّ ما يوحى إليك من ربك، دون سائر الوحي من عقلك أم عقول الآخرين واصبر في بلاغ رسالتك دونما انقطاع حتى يحكم الله بينكم هنا وفي الآخرة وهو خير الحاكمين.

ولقد صبر صاحب الرسالة العظمى على أعبائها حتى عجز الصبر من صبره، وحقاً يقال في حقه:

سأصبر حتى يعجز الصبر عن صبري ... وأصبر حتى يحكم الله في أمري

سأصبر حتى يعلم الصبر أنني ... صبرت على شيء أمرّ من الصبر

وهكذا نجد كيان هذه الرسالة السامية للفئة القليلة الطيبين كل بيت وخليل، قد بلغت الغاية في الروية والرؤية الربانية، غير متأثرة من خمسية العوامل الروية البشرية لحمّاة صلحياً على الإنسان أياً كان وأينما، فحقل الرؤية الأدبية والأمية، والمدرسية، والمحيط الذي يعيشه، والزمان الذي يعيشه، هذه العوامل لم تأثر هامة في بناية الشخصية الإنسانية خيّرة أو شريرة.

ذلك ولابد للرسالة الربانية أن يحملها صنيع الرب، ولكي يحكم على كافة التكليات الزوية الناقصة البائسة غيراً أنها، وكذلك التكليات الكاملة شيئاً مّا يرتقي بها إلى مراقي الكلمات المعنية من الإنسان ربانياً.

فالرسول ﷺ لا ينبع إلاَّ وحي ربه منذ ولادته حتى ارتحاله، مهما كانت درجات الوحي متفاضلة، فهو صنيع الله قبل ولادته في أصلاب آبائه وأرحام أمهاته، ثم وهو صنيعه بين ولادته إلى شبابه وإلى كهولته إلى الأربعين، ومن هنا نزوع الفطرة الرسالية المعنية بالوحي الأخير ليصبح رسولاً إلى الناس أجمعين، دون تأثر من المحيطات الزوية البشرية التي هي بين خاطئة وناقصة.

وإذا كان موسى ﴿واصنع على عيني﴾ وهو يحمل الرسالة الطلية الثالثة المعدة زمنها الخلص، فبأحرى هذه الرسالة الأخيرة، لابد وأن يخطو أرقى الخطوات ويخلو أرفع الخطوات في ﴿واصنع على عيني﴾ ﴿واصطنعتك لنفسي﴾ وما أشبه من الاصطناعات الربانية.

هل إن محمداً 3

تارك بعض ما يوحى اليه

!!؟

«فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ» (١٢:١١)

فلعلك هنا تبين لطبيعة الظرف الرسالية هذا الرسول العظيم أن لولا العصمة الربانية لكان علّه تارك بعض ما يوحي لله من جراء تكذيبهم للنبأ إياه. وضائق به: بعض ما يوحى إليك. صدرك حيث تتحاسبين يكذبك فيه، فهما يشرح صدره بما يوحى إليه ولكنه قد يضيق بما يكذّب فيما لا يشرح به صدره. فإنما أنت نذير كمثل النذر نذراً أو نذراً. ويلبي عليك هداهم في فإنما عليك البلاغ ولله عبير بالعباد (٢٦:٢) ولله على كل شيء وكيل فلست أنت عليهم وكيلاً ولا نائباً ولا خليفة ولا مخولاً في أمرهم، فإنما أنت نذير.

وقد غلط بـ لعل هنا جاهلي من المبشرين أنه 3 ترك بعض ما أوحي إليه وضاق بصدره[1] ويكأن لعل التكأة في أفهامهم غير الأديب

---

١. كالحداد البيروتي في كتابه «القرآن والكتاب» ج ٢: ٧٠٨ حيث يقول: الرابعة التسلسل التاريخي إمكان ترك النبي بعض ما يوحى إليه، ما زالت تحديات المشركين تترى على محمد لإثبات رسالته بمعجزة كالأنبياء الأولين، ولما ضايقوه همَّ بترك بعض ما يوحى إليه «فلعلك...» (١٢:١١)... أجل لا يلزم من توقع النبي الشيء حدوثَه، ولكن مجرد التهمة شبهة، وضيق صدر الرسول 3 عن عدم وقوع المعجزة دليل على ما هم به من ترك بعض الوحي، ولولا عزم النبي على ترك بعض الوحي، ما كان القرآن وبّخه هذا التوبيخ اللاذع، فلا يليق بالله توبيخ بلا ذنب ومعاقبة بلا زلّة، و في قصة النسيان المقصود من الله دليل على إمكانية وقوع الترك».

ولا الأديب، تعني ﴿أَنَّ﴾ الحالة لمخوطها، وهي لا تعني إلاّ بياناً لطبيعة الظرف الرسالية مثل ﴿لولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً﴾ وما أشبه.

ولو أن ﴿لَّن﴾ التي تجعل مدخولها في بقعة الإمكان، نافية الإستحالة ـ لو أنها تحتّم مدخولها بمجرد ذكرها، لكان ـ إذاً ـ كل ما بالإمكان واقعاً بحالة، فليكن المستدل بها على الوقوع مجنوناً جاهلاً ظالماً لإمكانيتها فيه، أم ليكن ميتاً أو لمّا يولد وما أشبه من إمكانات غير واقعة، أنها واقعة.

إنما ﴿لن﴾ هنا وفي أمثاله التأبير إلى عتيد النكير المتواتر من هؤلاء الجاهلين ـ كذلك هذه الموجة الطائفة حقه الرسالة السامية.

ثم وعلى شديد التهديد ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين﴾ (٤٦/٦٩) كل يتوجه لو أنه غير نبي أو إجابياً بعض ما أوحي إليه، فكما أن الزيادة في الوحي توحي بنوبة الوحي، كذلك النقيصة منه توحي بعدم الوحي، فـ ﴿أوحي إليّ﴾ ﴿ولم يوح إليه﴾ لا يختلفان ﴿ثم يوحى إليّ﴾ ﴿قد أوحي إليه﴾ والرسول بكل كيانه الرسالي إذاعة الوحي قولاً وعملاً وتقريراً، والسكوت عن بعض ما أوحي إليه يخل بأنه لم يوح إليه وقد أوحي!

ذلك، وقد شرح الله صدره عند نزوع الوحي بهذه الرسالة النفسية، فليس ليضيق صدره إلاّ بما يضيّق صدره من تكذيبه في رسالته ونحوه هو من قضايا الشرح، ثم ولم يضق صدره لذلك أيضاً، وإنما كان وعصمه الله عنه كما عصمه عن ترك بعض ما أوحي إليه.

أقول: القصد من النسيان المقصود خيِّل إليه من «سنقرءك فلا تنسى إلا ما شآء الله...» وليس الإستثناء إلا عن الإقراء، سنقرءك إلا ما شاء الله ألا يقرءك.

ولو أنه ترك بعض ما أوحي إليه لكان متروكه مذكوراً في الذكر الحكيم إذ ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴿٩:١٥﴾ وكيف يُحفظ القرآن بترك بعضه؟ إنها هو ﴿الملك ﴿ بياناً لأحرج موقف علّه يترك بعض ما أوحي إليه مخافة تكذيبه للتوطل، ولكن الله طمأنه وآمنه فلم يترك ولن يترك.

ثم وليس من المعقول ـ ولا سيما بالنسبة لأعلى الملأ ـ أن يترك بعض الوحي ويضحي نفسه في كفة وحيه نفسه ليحفظ من الإعتبار، وهو خيانة في الوحي، وليس الله سبحانه عنها أبداً!.

وقد جاء ﴿ترك﴾ ﴿ إلى ما يعنيه ـ ترك إبلاغه إلى هؤلاء المكذبين وهو بلاغه إلى الصديق، حيث الترك ليس بمعنى السلب المطلق، بل وسلب نسبي فيه إثبات ما، كـ ﴿تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً ﴿٤:٩﴾ فإنه سلب نسبي وهو عن أنفسهم بالموت، ثم إيجاب لهم أنفسهم حيث علموا بعدهم، فقد يترك بعض ما أوحي إليه كتماناً عن أهليه، أو نسياناً، أم يترك تبليغاً لبلاغه للمستهزئين به، بعدما بلغه ولم يزدهم إلا ازدراءً من الهزء والتكذيب، ولكنه لم يكن ليتركه رسولياً ﴿نسياناً ﴿ أو رسالياً تبليغاً عن بلاغه إلى أهليه، ولا عن غير أهليه، وإنما ﴿الملك ﴿ بالنسبة لهؤلاء لا تأكد للتكذيب.

وعلّ ﴿بعض ما يوحى إليك ﴿من ﴿كله ﴿ يعني الآيات التي تشرح بعجزة القرآن، ألا يتلوها ـ بدءً ـ عليهم، غيظةَ تواتر تكرارهم لمعجزة القرآن، فقد يهتم الرسول ﷺ أن يترك قراءة الوحي على هؤلاء المكذبين لحدث يسيرة أو كبيرة أو مع الأب غضباً وعقوبة عليهم، كما الله قد يسلب عن بعض عباده نعمةً نتيجة كفرهم أو كرههم إياها و: ﴿الله يأمر الله لهم بعيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴿٨:٥٣﴾

ولم يكن الرسول ليترك بعض ما يوحى إليه غيظةَ تلك التكذيب للتوطل للتطل إلا بإذن ربه، وقد عرف عدم إذنه بظل على هذه الآية فلم يتركه إذاً

مرك: ف ﴿إنما أنذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون﴾ (٤٥٢٦).

لا أنه 3ترك الوحي، ولا بعض ما يوحى إليه أو كذا وعده بترك بإذن ربه عقوبة عليهم ونكاية ولكنه لم يؤذن بذلك، لم يتركهم حتى سيأتي من الله وطلبه، وأنه من رحيل النذر الذين عليهم الإنذار ﴿عذراً أو نذراً﴾ ﴿نذراً﴾ بين لا يؤثر الإنذار ﴿أو نذراً﴾ فيما يؤثر.

ف ﴿أن يقولوا ما أنزل عليك﴾ أو جاء معه ملك ﴿هي قولة غائلة هائلة ضد هذه الرسالة السامية فتحوضه 3على أن يترك بعض ما أوحي إليه إبلاغاً هؤلاء الإنكاد، ولكنه معصوم بعصمة ربانية تحافظ على ﴿الله سوف يصدرك﴾ فهو غني بيده عن كل ما أوحي إليه دون إبقاء، وكما نجد عشرات من الآيات التي تذكر مواجهته بها إياهم بهذه الذكريات وهم مكذوه.

وهنا ﴿بعض ما يوحى إليك﴾ ليس إلا البعض الذي أوجزوه فيه، كآيات الوحي التي توفّ بالقرآن أنه أقل آية رسولية ورسالية على مدار الزمن الرسالي، ما نزل منها وما لم ينزل بعد، وكذلك آيات البشارات في كتابات السماء، أن الله ظل أودع فيها خبر هذه الرسالة السامية بكتابه المجيد.

فقد كان بغية ظرف النكران لأمثال هذه الآيات، ظلماً بديلها ما ليست بآيات كـ ﴿أو جاء معه ملك﴾ إذ ﴿لو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾ كان بغيته أن يترك أمثال هذه الآيات التي ما كانت تزيدهم إلا نوراً، لا يتلوها عليهم بدءً بعد ما الاها عليهم وما تعهم!

ولكن الله لم يسمح لهذا الزلك رغم أنه بغية الحال اعتباراً بالطبيعة الرسالية العامة: ﴿نذراً أو نذراً﴾.

ملك، فلتوقع من النفس البشرية ــ ولا العصمة الربانية ــ أن تضيق صدراً بذلك الجهل الغالي، والعنت الملحي، ولا تقتراحات السخيفة التحيفة التي تكشف عن بعدهم البعيد عن درك طبيعة الرسالة الربانية ووظيفتها.

فتشي هذه الآية وأمثالها بقساوة الجو الفترة حرجة مرجة في تأريخ الدعوة المحمدية 3وما كان يغور صدره للشرح وضيق بتكذيبه، كما تشي بقية الواجهة الجاهلية المتبردة العاندة في الوقت الذي هلك فيه الخير والصبر، وغرت الوحشة قلب هذا البشير النذير، وتشي الكرب على قلوب القلة المؤمنة بهذه الرسالة أمام التلة المكاوحة بها المكذبة إياها.

أفيقولون تقولا يكون هو رسولاً إذ لم ينزل عليه كنز ولا جاء معه ملك:

«أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٣) فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» (١١:١٣-١٤)

كي فية طاسة أم سمك، فلي هنا سقفي القرآن أم صنة تدل على أنه ليس ربباني الصدر والصدور؟ ❁فأتوا بعشر سور مثله ☯ القرآن، مفتريات، والخطاب للنبي هنا يعم كافة المكلفين من الجنة والناس أجمعين، حيث ❁يقولون ☯ للسترة بضمائرها تعم كافة القائلين القائلين أن يفتري على الله: ❁فلئن إجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ☯(١٧:٨٨)

لا تحسب بمثله أم بعشر سور مثله ولا ❁فأتوا بسورة مثله ☯ (١٠:٣٨) أو من مثله: ❁إن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ☯

❁إن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة

أعت للكافرين ﴿٢٤:٢﴾.

والمماثلة التي بها وإن في سورة هي المطلقة الشاملة لأية مماثلة في نسخ العبارة وحد التعبير، في كافة الضروب البيانية بلاغة وفصاحة، وفي كافة الحقول العلمية التي توجد في ذلك المسرح الفسيح القرآني الفسيح.

فكما أن لله ﴿ليس كمثله شيء﴾ ﴿٤٢:١١﴾ في ذلك وصفة وفعل، كذلك كتاب الله ليس كمثله شيء في أي شيء من كتابات الأرض، ولا الكتابات السماوية!.

﴿فإن لم يستجيبوا لكم﴾ وهم يكيّسون كافة إمكانياتهم وطاقاتهم تثبيتاً لكونه مفترى على الله، إذاً ﴿فاعلموا أنما أنزل بعلم الله﴾ حيث النازل بعلم غير الله له أمثل وعظائر قد تتوه أم تساويه وتزايده، والقرآن بنفسه شهيد على ربانية مصدره ومصوره: ﴿قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ.. الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون﴾ ﴿٦:١٩ ـ ٢٠﴾.

فعلم الله الذي لا يغير ولا يتدرج ولا يُنقص ولا يُفقص، ظاهر في آياته، باهر في بيناته، والركب المريع الموجع من الخلق والعلم شاهد صدق على أنه علم الله و ﴿إنما أنزل بعلم الله﴾

أجل، وليس القرآن بحاجة لإثبات ربانية مصدره إلى شاهد سواه، كما الله يحتاج إلى ما سواه، فإنه فرد تبيان وشاهد وبرهان لا يزايده أو يساميه أي برهان شهادة لربانيته، ولا بياناً لما يحويه من حاجات المكلفين منذ نزوعه إلى من الذين: ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ ﴿٤:٨٢﴾ ولن تجدوا في هذا القرآن اختلافاً كثيراً ولا يسيراً!.

إذاً ﴿فاعلموا أنما أنزل بعلم الله﴾: ﴿فهل أنتم مسلمون﴾؟ ﴿أن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون﴾ الله بكامل حجته وبيانه في كتابه؟.

لذلك، ولهذا يتحدى القرآن بمثل ﴿بمثل هذا القرآن﴾ و ﴿بعشر سور مثله﴾ و ﴿بسورة مثله ـ أو ـ من مثله﴾.

هذا ليجلّي التحدي على مثله، فلا يظن أحد أنه يأتي بسورة واحدة مثل سورة واحدة منه ولكن يأتي بسور قد تماثل القرآن بعضاً ما، أم يأتي بقرآن يماثله شطراً ما.

فلكي تشد كافة النظر على بلاغة القرآن يأتي بمثل التحدي وأقصر سورة هي مثل سورة الكوثر، وأوسطه عشر سور بين صغيرة وكبيرة ومتوسطة، وأكثره كل القرآن.

لذلك، وليجلّي التحدي على كافة المواضيع القرآنية ـ العلمية ـ إضافة إلى أدبه البارع الفذ، وهنا لله نظن صريح بإعجازه العلمي ﴿فاعلموا أنما أنزل بعلم الله﴾ مهما تأتى الجانب اللغوي الأدبي فإنه الفذ في إعجازه وسلوكه هو المثل.

«فهل أنتم مسلمون»؟

مسلمون كما يصف القرآن ورسول القرآن: مسلمون للرسالة القرآنية، وهنا يصف شاهدٌ منه قائلاً: ﴿إن هذا الإسلام دين الله الذي إصطفاه لنفسه، وإصطنعه على عينه، وأصفاه خيرة خلقه، وأقام دعائمه على محبته، أذل الأديان بعزته، ووضع الملل برفعه، وأهان أعداءه بكرامته، وخذل محادّيه بنصره، وهدم أركان الضلالة بركنه، وسقى من عطش بحياضه، وأتأق الحياض بمواتحه ـ

ثم جعله لا إقصام لوثبته، ولا كلال لحدته، ولا إنهدام لأسلسه، ولا زوال لقائمه، ولا إلفلاع لشجرته، ولا إنقطاع لمتنه، ولا عفاء لشرائعه، ولا جذّ لفروعه، ولا ضنك لطرقه، ولا وعوثة لسهوله، ولا سواد لوضحه، ولا عوج لانتصابه، ولا عثل في خُوده، ولا وعث لفجه، ولا انقطاع لطرائقه، ولا مرارة لحلاوته ــ

فهو دعائم أرساخ في الثرى أساسها، وشُثّب لها أرسلها، وينابيع غزرت عيونها، ومصابيح شبت بذرالها، ومنار اقتدى بها سفّارها، وأعلام قُصِد بها فجاجها، ومناهل روى بها وُرّادها، جعل الله فيه منتهى رضوانه، وذروة دعائمه، وسنام طاعته، فهو عند الله وثيق الأركان، رفيع البنيان، منير البرهان، مضيء النيران، عزيز السلطان، مشرف المنار، فرّوه واتبعوه، وأمّوا إليه حقه، وضعوه مواضعه ☯(خ ١٨٩)

«مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ» (١١:١٥)

آية وحيدة عصية التفسير لتقرير مصير أحد الكافرين وصيرهم إلى جهنم وبئس المصير: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها ☯أول حياته منذ أعمل طيبته حتى ضيّع عن الحياة أحد ركنيها إرادة الحياة الدنيا وزينتها وركنت في أركان حياته دونها إرادة هذه الحياة الآخرة، فلا أعمال له ولا أموال ولا أقوال إلاّ ما بتغى الحياة الدنيا وزينتها، إذا ف ﴿نوف إليهم أعمالهم فيها ☯ توفيه لها إليهم فيها كما يصح ويرضى لحد لا ظلم عليه فيها لأعماله لها: ﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً. ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً. كلاًّ نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً ☯(١٧: ١٨ ــ ٢٠) و ﴿من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في

لآخرة من نصيب ﴿٢٠:٤٢﴾ وإغلاضبهم في الدنيا بما عملوا لها ﴿هم فيها لا يبخسون ﴿عما يجني لهم بسعيهم على وعيهم.

«أُولئِکَ الّذينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلآخِرَةِ إلاّ النّارُ وَ حَبِطَ ما صَنَعُوا فيها وَ باطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ» (١١:١٦)

فهم أولاء الذين لم يعملوا إلاّ للحياة الدنيا وزينتها، هم في ثلاث صنوف من جزاء أعمالهم وأفعالهم: ف ﴿قليس لهم في الآخرة إلاّ النار ﴿قوا أ فيها و قوا ﴿وحبط ما صنعوا فيها ﴿إذ لم يصنعوا فيها لمدار القول ﴿وباطل ما كانوا يعملون ﴿في دار القول، إذ لم يعملوها لمدار القول، ف ﴿كلا نمد هؤلاء و هؤلاء من عطاء ربك و ما كان عطاء ربك محظوراً ﴿١٧:٢٠﴾

وترى هم كانت لهم صالحات حتى تُحبط وتبطل؟ كلاّ، وإنّما هي للصالحات التي يعملونها للحياة الدنيا وزينتها دون الآخرة وذلك شرط الأمن بالآخرة.

محمد3

لايعلم الغيب الا رسوليا و رساليآ

من الله

«قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدى خَزائِنُ اللّهِ وَ لا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَ لا أَقُولُ لَكُمْ إِنّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاّ ما يُوحى إِلَىّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الْأَعْمى وَ الْبَصيرُ أَ فَلا تَتَفَكَّرُونَ» (۶: ۵۰)

هناسليلت ات بدها اثباتيةواحدة هي هي ـقط ـ السلة دون زائدة ولا ناقصة إلاَّ بلئة ناقصة.

١ ـ ﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ۞فهلاَّ تكون قضية ﴿لا أقول ۞هي السلبية الواقعية؟ أم ﴿عندخزائن الله ۞ولكنه نهي عن أن يقولها.

لو أن عندخزائن الله كواجب أو راجح رسولي أو رسالي لكان من الفرض أن يقولها تحدثاً بنعمة ربه ﴿فأما بنعمة ربك فحدث ۞، تثبيتاً أكثر مما ثبت لرسالته، فـ ﴿لا أقول ۞إذ ليس عندخزائن الله لا أصلياً ولا نخولاً، فطلب العينية هنا مساوية عنه.

فخزائنه تعالى علماً وقدرة ورحمة أملاه إلاَّ عنده ﷻ سبحانه وتعالى عما يشركون، فـ ﴿خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون ۞ (٦٣:٧) ﴿وإن من شيء إلاَّ عندنا خزائنه وما ننزله إلاَّ بقدر معلوم ۞ (١٥:٢١) ﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ۞(٣٨:٩) ﴿أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون ۞(٥٢:٣٧)ـ: ﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق ۞(١٧:١٠٠)

فخزائن الله الألوهية والربوبية ورحمة غير متناهية ليست هي إلاّ عند الله، لا يملّك فيها أحداً ولا يخوّل، فإن ﴿عني ﴾ نعم العبدية الذاتية والتخويلية أملاه عما تعلق عليه ﴿عني ﴾ وإن بضاً أو مثقال ذرة كأن يحمل سؤله من خزائنه سبؤله دون رد، حيث للمستجاب دعاه بإذن ودون إذن يصح قوله: ﴿عني خزائن الله ﴾ والرسل ومن يخلفون مقامهم ﴿ما من شفيع إلاّ من بعد إذنه ﴾(٣:١٠) وهذه الشفاعة ليست مشوبة لـ ﴿عني ﴾ الخطيئة بساحة الربوبية، وهذه السلبية المطلقة للرسل أمام الله هي عصمة الرسالة و حرمة الربوبية، فكل أمرهم بإذنه تعالى حتى دعاءهم مقللاً عن الشفاعة وأخواتها.

فليس للرسول 3 قاعداً على خزائن الله ـ ولا واحدة منها، فإنّ حكمها حكم الملك ـ قاعداً الذي تعود ما يصدق عليه ﴿عني ﴾ ليغدق منها على من يشاء، ولا يملك مفاتيح الغيب ولا هو ملَك كما يطلبون، فلا هو إلٰه عنده خزائن الألوهية أو يعلم الغيب، ولا هو مخوَّل ومملَّك ولا هو ملَك مهما كان هو فوق كل ملك!

٢ ـ ﴿ولا أعلم الغيب ﴾ كسابقة رسولية أو رسالية مهما علِّم غيباً كالوحي وما أنبه، لا أقول إني اعلم الغيب، وفي ﴿لا أعلم الغيب ﴾ فلو كان يعلم الغيب لكان المفوض عليه في موقف تثبيت رسالته أن يقول: ﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلاّ ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلاّ نذير وبشير لقوم يؤمنون ﴾(٧:١٨٨).

و ﴿الغيب ﴾ المسلوب عنه 3 هو الغيب المطلق، الخاص بساحة الربوبية كغيب ذاته تعالى وصفاته وأفعاله، وغيب وحيه وآيات وحيه وما أنبه.

إلاّ أن من الغيب ما يُطلع عليه رسله عصمةَ الرسالة إثباتاً وإبلاغاً لمقتضاها: ﴿علم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً. إلاّ من ارتضى من رسول فإنه يسلك

من بين يديه ومن خلفه رصداً ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً ﴿٢٨:٧٢﴾[1].

لأن الآيات الرسالية وما أشبهها هي من خزائن الله قدرةً وقوميةً ورحمةً وعلماً، فالرسالة بسلبان عن الرسول القدرة والعلم بهذه الآيات الرسولية، رغم علمه بتعليمه تظل بآيات رسولية هي الوحي كله، فهما إذاً يسلبان عن إفراط الربوبية.

٣ ـ ثم ﴿لا أقول إني ملك﴾ سلب لتفريط العبودية التي تشترطه الجاهلية للرسل أن يكونوا من الملائكة، فإنه هو ﴿أول العابدين﴾ على الإطلاق من الملائكة والجنة والناس أجمعين.

ملك، كما وهو إثبات للطاقات البشرية التي هم يستكرونها منه 3 ﴿وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً... ﴿٢٥:٧﴾.

وهذه السلب والإيجاب هما يسلبان غلوَّات المشركين أن يكون الرسول ملكاً أو يكون له أي تفويض من ملك فيكون معه نذيراً.

إذاً فما هو إلا عبد تلقّى الأمر ووسطاً بين العبدين؟ ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ ﴿٣:١٤٤﴾ و ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ ﴿٣:١٢٨﴾ فـ

﴿إن أتبع إلا ما يوحى إليّ﴾ ﴿لست إلا حاملاً لوحي ربي﴾ ﴿وكل في شيء ولا تحزن﴾ ﴿مبلغاً﴾ ﴿وديناً عن الله ما أمر به من تبليغ الرسالة﴾[2].

---

١ . للاطلاع على تفاصيل الغيب راجع تفسير الآية في سورة الجن ج ٢٩ من الفرقان.

٢ .نور الثقلين ١: ٧٢٠ في كتاب التوحيد باسناده إلى احمد بن الميثمي انه سأل الرضا Δ يوماً وقد اجتمع عنده قوم من اصحابه وقد كانوا يتنازعون في الحديثين المختلفين عن رسول الله 3 في الشيء الواحد فقال Δ ان الله عزَوجلَّ حرم حراماً وأحلَّ حلالاً وفرض فرائض فما جاء تحليل ما حرم أو

لذلك قول: إن نسخ السنةُ الكتاب لأنها تخلّت عن وحي الكتاب، ولو كان نسخ في حكم من الكتاب لكان ينكله الكتاب نفسه لأنه صحبة باقية وضابطة قانونية ثابتة لا تحمل تغيرة فيها نفسية لخصه أو ظلوم.

صحيح أن السنة وحي كما الكتاب وحي ولكنها ليست إلاّ على هامش الكتاب شارحة له بغير فارحة، فالكتاب هو حبل الله المتصم به وحيداً غير وحيد، وكيف يكون هو المتصم وهو في محل النسخ بالسنة التي ليست له إلاّ وعاءً شارحة.

وهنا حصر إتباع الرسول 3 بالوحي حصر عن إتباعه غير الوحي من عقلية نفسه أو عقلية الشورى ظهما ليسا من وحي الله لنخلّي الخطإ فيها.

إذاً فلا إجتهاد للرسول يتصل فيه بأية وسيلة حيث الوحي يغنيه، وما الإجتهاد على أية حال إلاّ الأعمى عن الوحي دون البصير بخطل الوحي حيث الوحي يكفيه.

﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون ۝ فأنتم تروتي وتسموتي ما يدل على عملتي وبصيرتي، وجريتم أنفسكم وسواكم عما يدل على عماكم ﴿أفلا تتفكرون ۝ أنه ﴿لا يستوي الأعمى والبصير ۝﴾.

ذلك، فاتباع الوحي وحده هداية وبصيرة، والتزلف بغير الوحي أعمى عن البصيرة، ولا دور للعقل وحاه الوحي إلاّ تلقيه بصفاء ووفاء صفاءً في تفهّمه ووفاءً في تفهيمه، وأما أن يستقل أمام الوحي كلّه يشاقه أو يكون إمامه، فلا وألف كلا!.

تحريم ما احلَّ الله أو دفع فريضه في كتاب الله رسمها بين قائم بلا نسخ نسخ ذلك فذلك شيءٌ لا يسع الأخذ به لأن رسول الله 3 لم يكن ليحرم ما احل الله ولا ليحلل ما حرم الله عزَّوجلَّ ولا ليغير فرائض الله وأحكامه وكان في ذلك متبعاً مسلماً مؤدياً عن الله عزَّوجلَّ و ذلك قول الله عزَّوجلَّ: «إن اتبع إلاَّ ما يوحي إلي» فكان Δ متبعاً مؤدياً عن الله ما أمر به من تبليغ الرسالة.

وليس هذا تهديداً للعقل وتحديداً لمجاله، إنما هو بيان لحدّه في جزره ومدّه أفضل في سالح للوقوف إلى حِمى الوحي، تركاً لجلاله بكل جلاله للمساحة الفاصلة في مضمار الوحي، وهو أوسع لمجالات جلواته وتجلّياته على الإطلاق.

فليس من العقل معارضة العقل مع الوحي أو توهّمه عليه، فمجال العقل هو الوقوف بين إقدامه في متاهة الوحي أو تخلّفه عنه، وبين توغله بغير الوحي لأنّ يعقله كما يجب، فهو في إقدامه قد يخبط من أقصى اليمين إلى أقصى الشمال، وفي توغله يتخبط في جمود وركود.

فالعقل وحده - على محدوديته وعدم تحليقه على كل معقول مأمول - قد يضطرب - وكثيراً ما هو - تحت ضغوط الأهواء والشهوات والنزعات، وهذا مما حجر الأساس لاختلافات الملاءات الفاسدة في تشخيص الحقائق.

فحين يقول الله عن الملاء ﴿وما ينطق عن الهوى. إن هو إلاّ وحي يوحى﴾ مهما كانت هوية أم حصيلة الشورى المتخيرين الأعلى من الملاء.

فهذا نرى في سائر العقول الناقصة في نواياها البائسة في تفاهاتها، وحين تخص حجة الرسول 3 بالوحي، فكيف يكون العقل لمن سواه حجة كحجة الوحي، اللهم إلاّ لمستنبطاً قاطعاً للوحي، فالحجة - إذاً - إلاّ الوحي نصه وما يستوحى منه سليماً غير دخيل.

ولئن الوحي تجاه العقل سلباً وإيجاباً سلباً عن إلحاظ المنهج، وسوء الرؤية تخلفاً عن الملبج، والولاء للأهواء والشهوات، وإيجاباً للتجوال في الكون كله بصورة متصلة ووسيلة فالتنزيل إلاّ وحي الرحيم الرحمان ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾.

﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾(٦:٥١)

الإنذار بالقرآن كما في الدعوة يعم كافة المكلفين ﴿هذا بلاغ للناس ولينذروا به﴾(١٤:٥٢) — ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها..﴾(٦:٩٢) ﴿وأوحي إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾(٦:١٩)

ذلك، ولكن تأثير الإنذار ليس إلّا في من يخشى عن الحق أم لا يجري عليه: ﴿إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب..﴾(٣٦:١١)

﴿لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين﴾(٣٦:٧٠)

محمد3 لا يغل

«وَ ما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَ مَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِما غَلَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ ثُمَّ تُوَفّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ»(٣:١٦١)

﴿ما كان ﴾هنا كأخواتها في سائر القرآن تضرب هذه السلبية إلى أعلى الطغيان سلباً عن مثلث الزمان حيث تسلب الغلول عن الكينونة الرسالة ككل وبأحرى هذه الرسالة السامية، فليس إذاً سلباً للجواز وتثبيتاً للحرمة فحسب بل هو سلب لإمكانية الغلول للنبيين.

والغلول هو تدرُّع الخيانة كما الغيّ: الغواية، والغيّ هو الإغتيال: الظن، فما كان لنبي أن يغُلّ ولا أن يغلّ وله أن يُغَلّ ويظن في سبيل الله من يغُلّ لو يغلّ لو يغُلّ إذ كان يستحق الغلّ.

فالخيانة بأيّ صورة من صورها وأيّ سيرة من سيَرها مسلوبة عن النبيين، سواءٌ أكانت خيانة في النفس أو النفيس، خيانة بحق الله في شرعه، أم بحق عباد الله في حقوقهم، فإن الأمانة هي من الرواسخ الأولية الرئيسية الرسالة الإلهية على أيّ حال في ظل وحلل وظل، ﴿لو تقوّل علينا بعض الأقاويل. لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين. فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴾ (٦٩:٤٤-٤٧).

وكيف يخون الله شرعه وخلقه أن يأتي الخائن، وما هو إلاّ جهلاً أو تجاهلاً أو عجزاً ظل الله عن ذلك علواً كبيراً.

فلآية هذا دور طرفي بالنسبة لطرفي الخيانة عن ساحة النبوة على مدار الزمن الرسالي، فشمل كافة المؤمنين بنزولها وسواها مما لم تحمل، إجتثاثاً للغلول عن هذه الساحة السامية عن جرّه وبكرته سواء أكانت خيانة في

الرسالة، أم في الغنائم الحربية إخصاصاً بنفسه[١] أم في تقسيمها[٢] أم قولها[٣] أم في السكوت عنها[٤] وفي قوله 3 ﴿اجتنبوا الغلول فإنه عار وشنار ونار﴾

و ﴿إن رضا الناس لا تملك وألسنتهم لا تضبط﴾ لم يشبه ولم يدر إلى أنه أخذ لنفسه من الغنائم قطيفة حمراء حتى أظهر الله على القطيفة وبرأ نبيه من الخيانة وأنزل في كتابه ﴿وما كان لنبي أن يغل..﴾[٥].

وإن تهمة الغلول ـ الواقعة ـ كانت من الموالي التي جعلت الرماة يزايلون مكانهم من الجبل خوفة أن يقسم لهم الرسول 3 في الغنائم كما سبق يوم بدر بالنسبة للقطيفة الحمراء وساحة النوة منها وإنما فهنا يأتي الحتم بحكم عام ينفي عن الأنبياء إمكانية الغلول فضلاً عن خاتم الأنبياء 3

ولقد تحمل عليه قوله الغلول حتى أنه كان يقول: ﴿لا كان لكم مني أحد ذهباً ما حبست عنكم منه درهماً أتحسبون أني أغلكم مخيطكم﴾ ويقول ﴿لا

---

١ . الدرالمنثور ٢: ٩١ ـ اخرج عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في قطيفة حمراء افتقدت يوم بدر فقال بعض الناس لعل رسول الله 3 اخذها فأنزل الله: وما كان لنبي ان يغل...

٢ . المصدر اخرج أبي شيبة وابن جرير من طريق سلمة بن نبيط عن الضحاك قال بعث النبي 3 طلائع فغنم رسول الله 3 فقسم بين الناس ولم يقسم بين الطلائع شيئاً فقالوا: قسم الفيءَ ولم يقسم لنا فأنزل اله الآية.

٣ . المصدر اخرج الطبراني بسند جيد عن ابن عباس قال بعث النبي 3 جيشاً فردت رابته ثم بعث فردت بغلول رأس غزالة من ذهب فنزلت : وما كان لنبي أن يغل.

٤ . المصدر اخرج ابن ابي شيبة عن أنس بن مالك قال قيل يا رسول الله 3 استشهد مولاك فلان قال كلا إني رأيت عليه عباءَة غلّها، وفي نقل آخر، بل هو الآن يجر إلى النار في عباءةً غلها الله ورسوله. وفيه اخرج الترمزي وحسنه عن معاذ بن جبل قال بعثني رسول الله 3 إلى اليمن فلما سرت أرسل في أثري فرددت فقال أتدري لم بعثت إليك لا تصيبن شيئاً بغير إذني فانه غلول ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة لهذا دعوتك فامض لذلك.

٥ . المصدر ذكرلنا نبي الله كان يقول...

٦ . نورالثقلين ١: ٤٠٤ في أمالي الصدوق باسناده الى الصادق Δ حديث طويل يقول فيه يا علقمة...

إبلال ولا غلول ﴿ ولم يخن لإغاثة لك يلى يوم القيامة[٢] ﴿

ذلك ﴿ من يغلل يأت بما على يوم القيامة ﴿ وهذه هي عينية النبة أن يخ
ن على بما على سوله أكل غلولاً لم غلاً لم شيئاً على فيه حيث لحشر يُحشر
فيه لإنسان بكى أعماله: قلةً وحلةً وضلةً ﴿ ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم
لا يُظلمون ﴿ وهنا ﴿ ما كسبت ﴿ في الوقية دون ﴿ ما كسبت ﴿ مما يدل
على ن للكلب يوم الدنيا هي بضها الجزاء يوم لأخرة، أن تظهر على كونها
نحولاً لها الى الجزاء بضها.

١ . الدرالمنثور ٢: ٩٢ ـ اخرج الطبراني عن كثير بن عبدالله عن أبيه عن جده ان النبي 3 قال:.... ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة.

٢ . المصدر اخرج ابن أبي شيبة واحمد والبخاري ومسلم وابن جرير والبيهقي في الشعب عن ابي هريرة قال قام بينا رسول الله 3 يوماً فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره ثم قا: لا ألفينَّ احدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغآء فيقول يا رسول الله اغثني فأقو لا املك لك من الله شيئاً قد أبلغتك، لا ألفينَّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس لها حمحمة فيقول يا رسول الله اغثني فأقول لاأملك لك من الله شيئاً قد ابلغتك لا ألفين احدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفف فيقول يا رسول الله اغثني فأقول لا امل من الله شيئاً قد ابلغتك.

محمد3 مستمک بالقرآن

امام جموع المکلفين

وقف بائس منقطع، شاك مشاك، إئتزاكاً في العذاب ولات حين مناب، حيث الظلم عوق والضلال عوق:!

«أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» (٤٣:٤٠)

۞أَفَ۞ بعد ذلك الظلم للصمة والعمي الظمدة والضلال المبين ۞أنت تُسمع الصم ۞ولا تسمع هم يستمعون ۞أو تهدي العمي ۞ولا تبصر هم يبصرون وبصرون فإنه ۞كان ۞ظل حياته غريقاً ۞في ضلال مبين ۞ بينه لنفسه وسواه دون ابتغاء هداه!

فهداية الآلهة هنا لا محل لها، وهداية لا يصل إلى الطالب سلت ألا لأهلها ولا لأهلها، فكيف تكون إذاً لغير أهلها، مالله على قدرته المطلقة لا يهدي لها! فلماذا هذا التجشم في إسماعهم وليهتدوا ولم ذلك التحزن عليهم إذ لم يهتدوا، فإن عتوهم عن ذكر الرحمن في سمعهم أصمهم، وفي بصرهم أعماهم ولن يهتدوا إذا أبداً! فلا حظوة لهم إلا الإنتقام، بل إذ ۞ما كان لله ليظلمهم وأنت فيهم ۞(٨:٣٣) أم وعدك حيث الضلال تحتّم طوره وانقضى انتقاماً قدره.

«فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ (٤٣) أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ» (٤٣:٤٢).

ف ۞إما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون ۞(٤٣:١٠) أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون ۞... فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ۞(٤٢:١٣) ف ۞ما عليك من حسابهم من شيء ۞(٦:٥٢) ۞إنّ علينا حسابهم ۞(٨٨:٢٦).

فلي أنت مُستلٌ بعد لِمَ يهتدوا أم لِمَ لم يفوا بما عاهدوا الله لك هذا ولا عليك ذلك ۞إن عليك إلا البلاغ وعلينا الحساب ۞

وترى كيف تتلب ون التأكيد القيلة الحاقة لمدخولها، ولن للشرطية للتحقيق.. على لأن هناك حتمية الموت أيّاكان، ولكنها لإنتقام على حتميته قد يكون قبل الموت أو بعده!

وترى كيف للاحظين وعد لإنتقام قبل موته ﴿أو نرينك.. ﴿وبين تترك العذاب فيه: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ﴿٨/٣٣﴾؟

قد يكون ﴿الذي وعدناهم ﴿هنا ﴿بعض للذي نعدهم ﴿في تلك أخرى، العذاب في حياتك كل عذابهم يوم الدنيا والثابت فيها أحياناً بعضه، حيث ينفي ضلالهم طوره فيقضي عذابهم فوره.

أو أن العذاب بعد لا يجري موته ولا قبل ﴿أو نتوفينك ﴿كما في آياته لأخرى، بل يجري هجرته من مكة إلى المدينة، أو أنه يعنيهما كالذي بيّنا في أحد بيتا، وقد تجري ﴿وأنت فيهم ﴿كونه بينهم في مكة قبل هجرته لا حياته!

---

١. فقد يروى انه موته كما في الدر المنثور ـ ٦: ١٨ـ اخرج ابن مردويه من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن ابن صالح عن جابربن عبدالله عن النبي3 في قوله: فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون ـ نزلت في علي بن ابي طالب انه ينتقم من الناكثين والقاسطين بعدي، وفي ملحقات الإحقاق ١٤: ٣٥٤ـ اخرج الحافظ ابن المغازلي في المناقب ص ١٠٢ نسخة مكتبه صنعاء اليمن قال: اخبرنا الحسن بن احمد بن موسى الفندجاني قال حدثنا هلال بن محمد الحفار قال حدثنا اسماعيل بن علي قال حدثنا ابي علي قال حدثنا علي موسى الرضا حدثنا ابي موسى بن جعفر حدثنا ابي جعفر قال حدثنا ابي محمد بن علي الباقرى عن جابر بن عبد الله الانصاري قال: آني ـ لادناهم من رسول الله3 في حجة الوداع بمنى حتى قال3: لألفينكم ترجعون بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض وايم الله لئن فعلتموها لتعرفنني في الكتيبة التي تضاربكم ثم التفت الى خلفه فقال: اوعلي او علي ثلاث مرات فرأينا ان جبرئيل غمزه فانزل الله على اثر ذلك «فإما نذهبن بك فانا منتقمون» بعلي بن ابي طالب او نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون ثم نزلت «قل رب ما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين ثم نزلت فاستمسك بالذي اوحي اليك من امر علي انك على صراط مستقيم وان علياً لعلم للساعة ولك ولقومك وسوف تسألون عن علي بن ابي طالب.

وفيه اخرج ابن مردويه عن عبدالرحمن بن مسعود العبدي قال قرء علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) هذه الآية قال: ذهب نبيه3 وبقيت نقمته في عدوه، وأخرج ما في معناه جماعة آخرون منهم ابو نعيم

فهناك تسلية لخاطر النبي الأقدس 3أنه لي واجبه في دعوته وملذا عليه بدُ مهما ضلّوا، وأخرى أن الله ينتقم منهم في حياته شطراً أو بعد مماته، فما عليك إذاً إلا لتمسك وحيه:

«فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» (٤٣:٤٣)

عي يا صاحب الرسالة السامية لتمسكاً بالذي أوحي إليك دوغا فترة ولا فور، إنه لا يهدي به هؤلاء، ودوغا فخرة أو غرور، أنك تهدي به هؤلاء، وإغا لتمسكاً به كما أوحي دوغا تقصر فيه أو تفور!

وفي ﴿أُوحِيَ﴾ للذي بعض لإستمساك بالذي فقط من وحي القرآن؟ والقرآن قرآن بعذي وحيه ومستقبلاً، إغا ﴿أُوحِيَ﴾ حيث يفهم طلق الوحي لحكم ليلة القدر وقسماً من الفصل، ثم القسم للمستقل من الفصل تتة لفصل محكمه وتكملة لفصله.

ولأن هذه التكملة من الوحي، وليس واجب لإستمساك بما أوحي إلا بعلة الوحي، فليشمل لإستمساك بالوحي القرآني مثلك من الوحي، فـ ﴿بالذي أُوحِيَ﴾ أبلغ من كل تبليغ، فإن ﴿ما وحي﴾ لا تشير إلى محكمها للذي، و ﴿بالوحي﴾ يشمل كل وحي في كل الرسالات، و ﴿با الوحي إليك﴾ لا تخرج علة الوحي وإغا تعدده، و ﴿بالقرآن﴾ لا يشمل محكم القرآن ولا وحي السنة، فما أبلغه وأعمله ﴿بالذي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾.

الاصفهاني بسنده عن زربن السمعاني بسنده عن ابن عباس وروى محمد بن العباس عن ابي عبدالله Δ في الآية قال: ان الله تعالى انتقم بعلي في حرب البصرة وهذا ما وعده الله ورسوله.
وفي ملحقات الاحقاق ٣: ٤٤٤ روى جماعة من أعلام القوم نزول الآية في علي Δ منهم النيسابوري في تفسيره ٢٥: ٥٧ بهامش تفسير الطبرى عن جابر انه قال: لما نزلت: فانا منهم منتقمون قال النبي 3 بعلي بن ابي طالب (رضى الله عنه)، ومنهم السيوطي في الدر المنثور ٦: ١٨ عنه والترمذي في مناقب مرتضوى ٥٣ عنه والقندوزي في ينابيع المودة٩٨ ع حذيفة بن اليمان مثله.

ثم ﴿بالذي أوحي ۝ دليل لوجوب الإستمساك، ودليل ثان: ﴿إنك على صراط مستقيم ۝ وهو صراط الصحة والروح القدسي الرسالي، يعصمك بإذن الله عملياً، ﴿فاستمسك بالذي أوحي إليك ۝ علمياً فإنه صراط مستقيم وإلى صراط مستقيم، كما أنك على صراط مستقيم وإلى ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ۝(٤٢:٥٢) تمسكاً بين الطريقين للمستقيمين: النظري والعملي، إيفاءً بالرسالة الإلهية في صحة تامة، فاستمساك غير المعصوم بكتاب معصوم، أو استمساك المعصوم بكتاب غير معصوم خلق وإلى خلق!

ولماذا ﴿فاستمسك ۝ طلب للملك، دون ﴿فاعلم أنه الذي أوحينا إليك ۝ لأنه كرسول عليه طلب الملك وحيين العاملين، كما أمسكه نفسه قبل العاملين، فالإستمساك إمساك النفس وطلبٌ من غيره، ليصبح الرسول والرسل إليهم تمسكاً بالوحي يعيشونه في كل حياتهم.

فالإستمساك بالقرآن صراط مستقيم لا حول عنه ولا عوج فيه، وهو سبيل المصلحين: ﴿والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين ۝(٧:١٧٠) وهو العروة الوثقى يُستمسك بها في إسلام الوجه لله ﴿ومن يُسلم وجهه لله فقد استمسك بالعروة الوثقى ۝(٣١:٢٢) وهو القاطع لكل عذر والحجة في كل عُذر ﴿أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون ۝(٤٣:٢١).

فما دام الإستمساك بالقرآن ظنّ على صراط مستقيم، وإذا تحول عنه إلى سواه ظُنّ الصراط المستقيم؟ اللهم إلا إذا وافق القرآن كلمة، أو رمزاً بالسنة القطعية التي لا تخالف كلمة القرآن! وإلا فسوف تُسألون:

﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ﴾ (٤٣:٤٤)

كل كتاب الوحي ذكر ﴿وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين ۝(٢١:٢) والقرآن هو أفضل الذكر ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له

الحافلون ﴿٩٧﴾ تأكيد مقطعة القيامة عن سلوك الكافرين! وكل رسول من الله ذكر: ﴿ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث.. ﴿٥﴾﴾

وكل الرسول محمداً ﷺ أفضل الذكر: ﴿فاتقوا الله يا أولي الألباب قد أنزل الله إليكم ذكراً رسولاً.. ﴿١٠﴾﴾ وهنا يأتي ذكر ﴿القرآن ﴿٩﴾ لذكر ﴿رسول القرآن ﴿١١﴾ وقومه: ﴿إنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون ﴿٤٤﴾

وفي الفعل من ذكر القرآن للرسول وقومه فقط أن يتذكروا به كما أنه حجة لأنفسهم فيما يُعرف من ذكر القرآن؟ أم وأنه يرفع ذكر من تذكر وقدره كما رفع الله ذكر محمد ﷺ ومن معه، فمثلت الآيتين من الشفاء فصلي وتسلم عليه ونحن ذكره بذكر الله في أذانك للصلاة وإقامتها، ذكر لحب التشهد آناء الليل وأطراف النهار على مر التاريخ! وكذلك الذين معه من مصلي التاريخ أياً كانوا وأين!

﴿وسوف تُسألون ﴿٢٥﴾ ماذا فعلتم بهذا الذكر؟ وهل أديتم واجب الشكر في ذكره لكم؟ فأما الرسول ﷺ والذين معه فمهما ما معهم من إجابات حسب الروايات، ولكن الذين ﴿اتخذوا هذا القرآن مهجوراً ﴿٣٠﴾ علمياً وعقائدياً وعملياً، رغم ما استظلوا تحت ظله أنتا لهم القرآن ظاهرهم الظالمون! فهؤلاء ﴿وسوف يسألون ﴿٨﴾ تهكماً واستكباراً، وهم الأكثرية الساحقة من المسلمين ومنهم من لا نسميهم وهم يجهلون القرآن! متجاهلين وقته في حوزات الإسلام! يدرسون فيها ويدرّسون كتابات سوى القرآن والقرآن مدروس بينهم لا يُدرس، وهذه قسمتي ضيزى ما أظلمها بجنب القرآن أن يُدرس ولا يُدرس، اللهم إلا قراءة خلية خالية عن الذكر خطة لأرواح الأموات ولأحياء منها بعد ومنهي في استماعها مستمعين إلى كل متكلم إلا قارىء القرآن!

إلى إن هناك مسؤولية في عنق هذا الذكر العظيم عن حمّلوه ولم يحملوه

﴿لتسألن يومئذ عن النعيم﴾(٨:١٠٢) وليت هذه المسؤولية لما دون ذلك النعيم العظيم!

ترى وممَ هم قوم الرسول المسؤولون عنه عن ذلك النكر؟.. إن الرسول أولى بأن يجيبهم ﴿الظالمون﴾ لمكذبي رسالته العالية، ولكنهم على مدلج شتى من حيث وجهة هذه المسألة ومفعولها فيهم.

فمنهم المكذبون به ﴿وكذب به قومك وهو الحق﴾(٦:٦٦) ﴿والمضروب لهم مثلاً إذا قومك منه يصدّون﴾(٤٣:٥٧)

ومن قومه من قام بتمام الواجب في تلقّي دعوته وهم عترته المعصومون[1]، وبينهما متوسطون ويجمعهم سائر الظالمين، ويجمعهم ﴿وسوف تسألون﴾ مهما اختلف المسؤوليات حسب المسؤوليات، في درجات أم دركات!

﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾(٤٣:٤٥)

للأمر بالسؤال هنا هو الرسول محمد 3 والمسؤول عنهم كافة الرسل، ومورد السؤال ﴿أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾ ترى ولماذا السؤال وكيف سأل الرسل وهم أولى؟ فمسألة الذين درجت قرونهم وخلت أزمانهم بغير محكمة ولا مفيدة إن أمكنت! بطبيعة الحال ليس هذا السؤال ليعلم الرسول 3 بجهل الآلهة من دون الله، فإنه قد رسالته كان على توحيد الله و هذا السؤال حين رسالته، كذلك وليس ليعلم هل إن الرسل قبله كانوا موحدين ودعاة التوحيد أم ماذا وإنما كي يعلم التاركون أو المشاركون في توحيد الله أن التوحيد سنة الرسالة الدائبة دوغا استثناء!

---

١ . نورالثقلين ٤: ٦٠٤ ينقل روايات عدة ان الائمة(عليهم السلام) هم قومه في هذه الآية وهم المسؤولون، رواه عن الكافي عن ابي جعفرΔ وعنه عن ابي عبداللهΔ بعدة اسناد.

ثم وسؤاله 3 الرسل يخلق عنهم وهم حضور لديه ليلة المعراج آتاذا فله

١ . هنا روايات عدة من طريق اخواننا و من طرقنا أن هذا السؤال كان ليلة المعراج، واللفظ الاكثر رواية «قال رسول الله 3 يا عبدالله اتاني ملك فقال: يا محمد: «وسئل من ارسلنا قبلك من رسلنا على ما بعثوا؟ قلت: على ما بعثوا؟ قال: على ولايتك وولاية علي بن ابي طالب، اقول وهذا في ليلة المعراج كمارواه جماعة منهم العلامة الشيخ ابراهيم بن محمد بن ابي بكر بن حمويه الحويني في فرائد السمطين المخطوط جزء ٣٢ بسند متصل الى عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله 3 والعلامة البدخشي في مفتاح النجا، ص ٤١ مخطوط والعلامة الحسكاني في شواهد التنزيل ج ٣ ص ١٥٦ ط بيروت بسند له عن علقمة والاسود عن ابن مسعود قال قال لي رسول الله 3 لما اسري بي الى السماء اذا ملك قد اتاني فقال لي يا محمد! سل من ارسلنا من قبلك من رسلنا على ما بعثوا؟ قلت معاشر الرسل والنبيين على ما بعثكم الله؟ قالوا على ولايتك يا محمد وولاية علي بن ابي طالب Δ ورواه مثله ابو الحسن الفقيه ابن شاذان من طرق اخواننا عن ابن عباس له.

ثم اقول: هذه ولاية التوحيد الكامل وعلى ضوئها ولاية الرسالة المحمدية والخلافة العلوية، فلا تنافي نص الآية ان السؤال حول التوحيد! وكما يرويه أبو نعيم المحدث الاصفهاني في حلية الاولياء في تفسير هذه الآية انه لما اسري برسول الله 3 واحضرت الرسل عنده قال الله تعالى يا محمد! سلهم بماذا بعثكم الله؛ قالوا بشهادة الا اله الا الله و الاقرار بنبوتك وبولاية علي Δ ـ (كفاية الخصام) (ص ٣٤٨ / وفي الكافي عن ابي عبدالله Δ قال: ولايتنا ولاية الله و ما بعث نبي الا بها.

ومن طريق اصحابنا في تفسير القمي حدثني ابي عن الحسن بن محبوب عن ابي حمزة الثمالي عن ابي الربيع قال حججت مع ابي جعفرΔ في السنة التي حج فيها هشام بن عبدالملك وكان معه نافع بن الازرق مولى عمر بن الخطاب فقال يا امير المؤمنين من هذا الذي تتكافى عليه الناس؟ فقال هذا نبي اهل الكوفة محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن ابي طالب Δ فقال نافع: لآتينه فلا سألنه عن مسائل لايجيبني فيها الا نبي او وصي نبي او ابن وصي فقال هشام فاذهب اليه فاسأله فلعلك تخجله فجاء نافع فاتكى على الناس ثم اشرف على ابي جعفرΔ. فقال: يا محمد بن علي! إني قرأت التوراة والانجيل والزبور والفرقان وقد عرفت حلالها وحرامها وقد جئت اسألك عن مسائل لايجيبني فيها الا نبي او وصي نبي او ابن وصي نبي فرفع اليه ابو جعفر Δ رأسه فقال له: سل ـ فقال: اخبرني كم بين عيسى و محمد من سنة؟ فقال: اخبرك بقولي ام بقولك؟ قال اخبرني بالقولين جميعاً قال اما قولي فخمسماة سنة واماقولك فستمائة سنة، قال فاخبرني عن قول الله عزوجل «واسأل من ارسلنا قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يُعبدون» من ذاالذي سأل محمدٌ وكان بينه و بين عيسى خمسمائة سنة؟ قال: فتلا ابو جعفرΔ هذه الآية «سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا» فكان من الآيات التي اراها الله محمداً 3 حين اسري به الى البيت المقدس ان حشر الله له الاولين والآخرين من النبيين والمرسلين ثم امر جبرئيل Δ

الحوار معهم أيتماثلهم في موارد أم يغير موارد ولكن سؤال إجابته لا يفيدان سواه فإنه غيب حيث المؤمن عنه بعيداً فضلاً عن سواهم! وإنما هو تشريف لهم أن يُسألوا وله أن يسأل.

ومن ثَمَّ سؤالهم عن كنههم النطقة على تحوُّلها بحوايا حيث الملل من آياتها البينات إجابةٌ لمشافهة: ﴿هم يجلى من دون الرحمن آلهة يُعبدون﴾ مهما تملَّك المحرفون من أولى الكتاب بتشابهات من آياتها أو مختلفات، ولكنما المحكمات الثابتة منها نطقة دون تشابه و اختلاف! ودلى الفطرة والعقل يؤيدان توحيد العبادة و يرفضان شركها فإنه ظلم مستعلى على الله أن يسوي بينه وبين خلقه في العبادة.

ثم وسؤال علماء الأديان بغير التحريف منهم والتطريف، وإنما الربانون منهم وهم حضور في كل زمان: ﴿إن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك..﴾(١٠:٩٤) وأهمُّ ما أنزل عليه هو التوحيد وشكه 3 من مبلغ إلهك إلهي وإلهي جلة.

وذلك السؤال في الحقبتين الأخيرتين لمستجدة الأمم الشركة أو الشكة

فاذن شفعاً واقام شفعاً ثم قال في اقامته حي على خير العمل ثم تقدم محمد3 فصلى بالقوم فانزل الله عليه «واسئل من ارسلنا قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون»: فقال لهم رسول الله 3: على ما تشهدون وما كنتم تعبدون؟ فقالوا: نشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له وانك رسول الله اخذت على ذلك مواثيقنا وعهودنا، قال نافع: صدقت يا بن رسول الله 3 يا ابا جعفر انتم والله اوصياء رسول الله 3 وخلفاءه في التوراة واسماءكم في الانجيل والزبور وفي القرآن وانتم احق بالامر من غيركم:

وفي الاحتجاج للطبرسي عن اميرالمؤمنين Δ حديث طويل يقول فيه و اما قوله «واسئل من ارسلنا» فهذا من براهين نبينا 3 التي آتاه الله اياه واوجب به الحجة على ساير خلقه لانه لما ختم به الانبياء وجعله الله رسولاً الى جميع الامم وساير الملل خصه بالارتقاء الى السماء عند المعراج وجمع له يومئذ الانبياء فعلم منهم ما ارسلوا به وحملوه من عزائم الله وآياته وبراهينه فاقروا اجمعين بفضله وفضل الاوصياء والحجج في الارض من بعده وفضل شيعته وصيه.

أن يتساووا أهله عما يشركون أو يشكون، والجواب كلمة واحدة عقلياً ونقلياً: ﴿هم يعلمون من دون الله إن كنتم صادقين﴾.

وعلى أيّ مرجع السؤال معني في أمر الرسول 3 مما يخصه كسؤال الحضور في معراج وغير معراج، وما يعمه وسواه كالآخرين.

وفيما يخصه نجد أبعاد الزمان والمكان وأبعاد الحياة والموت كلها تُطوى وتلاشى أمام ذلك السؤال من إمام المرسلين يفرهم جميعاً ويسألهم ما أمر الله ويسمع الجواب الذي نجده في كتابهم وعلى ألسنة الربانيين من علماء أديانهم.

ثم وفي غير هذا الموقف الجماهيري المسألي ليلة المعراج، بإمكانية الرسول 3 أن يواجه أيّ رسول أياً كان فيهم كلهم من آمنه المؤمنين به الكافرين له كما في آية الميثاق ورواياته.

﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾(٣:٨١) فقي الأمالي عن الصادق Δ عن أبيه عن جده عن رسول الله 3 قال: أخذ من النبيين ميثاقهم بنبوتي وبنوتك وولايتك ولاية علي.

أفبعد هذا كله يعجز الرسول عن سؤاله المرسلين المؤمنين به حاجزُ الزمان وحاجز المكان وحاجز الموت أمّا ذا من حواجز يخرقها!

وترى أن مواجهته وسؤاله من آياته الكبرى أكبر أم سؤاله المرسلين في مواجهة؟ طبعاً مواجهته التي هي سؤاله، اللهم لا آياته الكبرى: القرآن!

محمد 3

لم يفترى على الله ابداً

وَ إِنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَکَ عَنِ الَّذی أَوْحَيْنا إِلَيْکَ لِتَفْتَرِیَ عَلَيْنا غَيْرَهُ وَ إِذاً لاَتَّخَذُوکَ خَليلاً(٧٣) وَ لَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناکَ لَقَدْ کِدْتَ تَرْکَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَليلاً(١٧:٧٤)

﴿وإن كادوا﴾ (إن كان في هذه الحجة) ليفتنونك (أيها الرسول) عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره (كما يفتنهون) ولاتخذوك خليلاً (يتخذون لك حباً ووفاقاً بما تخالفهم فيه وفاقاً جزلاً ووفاقاً)!

﴿ولولا ... ﴾

﴿كادوا﴾ من الكيد وهو هنا مقاربة الإحتيال للنوم، لم الكود مقاربة الفعل للنوم، وعلمها هنا معنيان أيهم احتالوا الفتنة واقتربوا منها ولا..

الفتنة الشيطانية مهما اتجهت إلى الرسول بكل كيد وخدعة، ولكنها لا تضله عما يحذره هو ويُحذِّر منه عصمةً من ربه: ﴿واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك﴾(٥:٤٩) ﴿ولولا أن ثبتناك...﴾

ولا سيما الفتنة التي تحمله على الفرية في رسالته الإلهية و ﴿إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله﴾(١٦:١٠٥) ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾(١٠:١٥)

ومهما كلفت الفتنة كيداً في سلامة آلهتهم سماحاً في استلام الحجر الاسود[١] او دخولاً في دينه[٢] او طرداً للذين اتبعوه من سقاط الناس و موالیهم حتى يتبعوه[٣] او ملاذ من الفتنة للكيفية له الرؤية اليه... فكل ذلك بعيد عن ساحة عصمته و ما تحذّر عاحذر منه، مهما كان قريباً اليه كثير. ﴿لولا أن ثبتناك﴾.

فما يرى من ركونه اليهم او افترائه على الله في قصة الغرانيق[٤] وأمثالها إنما هو ضرورة كلها عرض الجدار حيث العصمة الإلهية تمنعه عن هذه تلك.

والشيطان ايأكل ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾ (١٥:٤٢) فأنّى له ذلك السلطان على أولّ الطائفين ورسول المؤمنين المتوكلين!

فهناك العصمة الربانية ﴿ولولا أن ثبتناك﴾ عصمته عن وصمة مقاربة الركون إليهم ولو شيئاً قليلاً، بدل عصمته العصمة البشرية ـ بعون الله ـ

---

١. الدر المنثور ٤:١٩٤ ـ اخرج ابن جرير وابن ابي حاتم عن سعيد بن جبير قال كان رسول الله 3 يستلم الحجر فقالوا «ندعك تستلمه حتى تستلم آلهتنا فقال رسول الله 3 و ما علي لو فعلت والله يعلم مني خلافه فانزل الله «وان كادوا ليفتنونك..».

٢. المصدر اخرج ابن اسحاق وابن ابي حاتم و ابن مردويه عن ابن عباس قال: ان امية بن خلف وابا جهل بن هشام ورجالاً من قريش اتوا رسول الله 3 فقالوا تعال استلم آلهتنا و ندخل معك في دينك وكان رسول الله 3 يشتد عليه فراق قومه ويحب اسلامهم فرّق لهم فانزل الله «وان كادوا... نصيراً».

٣. المصدر اخرج ابن ابي حاتم عن جبير بن نفير ان قريشاً اتوا النبي 3 فقالوا له: ان كنت ارسلت إلينا فاطرد الذين اتبعوك من سقاط الناس و موالیهم لنكون نحن اصحابك فركن اليهم فأوحى الله اليه «وان كادوا».. أقول «فركن اليهم» خلاف نص الآية «لقد كدت تركن اليهم فليكن فكاد ان يركن اليهم..».

٤. المصدر واخرج ابن ابي حاتم عن محمد بن كعب القرظي قال: انزل الله «والنجم اذا هوى» فقرأ عليهم رسول الله 3 هذه الآية «افرأيتم اللات والعزى» فالقى عليه الشيطان كلمتين: تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ـ فقرأ النبي 3 ما بقي من السورة وسجد فانزل الله: وان كادوا ليفتنونك..» فما زال مغموماً حتى انزل الله تعالى «و ما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي...».

مقارفة ولن ﴿كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً ۝ ولو ركنوا لم قربه شيئاً كبيراً﴾[1]

«إِذاً لَأَذَقْناكَ ضِعْفَ الْحَياةِ وَ ضِعْفَ الْمَماتِ ثُمّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنا نَصيراً(٧٥:١٧)

ترى وماذا تعني ﴿إذاً ۝ لذقناك ضعفي الحياة والممات؟ هل هو قرب الركون إليهم شيئاً قليلاً ﴿لقد كدت.. قليلاً ۝ وليس هذا تصريحاً منه 3 حتى يستغرق ضعفي العذاب! فلم يحاول غايتها شيئاً فشيئاً للسطاع! وليس ـ إذاً ـ لأنّ تلك المشيئة الإلهي وليس تركه من فعله، ومن ثم العذاب إلاّ على واقع الركون، وليس هنا إلاّ قربه قليلاً دون واقعه!

ثم هو الإفتتان عما أوحي إليه، فافتراءه على الله غيره، وهناك الظلمة الكبرى، وهناك ضعفي الحياة وضعفي الممات ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين. فما منكم من أحد عنه حاجزين ۝ (٤٦:٦٩) وكما هنا ﴿لم لاتجدلك به علينا نصيراً ۝

أم إنه يعني القرية والركون حيث ينبعث من نبعة واحدة هي التخلف عن الرسالة الإلهية، وترى لماذا التضعيف وهما ربعة اثنان في الحياة وآخران في الممات؟ ﴿ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلاّ مثلها ۝ (٤٠:٦) ثم وليت الدنيا دار جزاء؟

الجواب: أن العذاب يقرّ بقدر الطغيان والعصيان، وهنا الرسول أعلى محتداً من سواه، وعصيان الرسالة أخطر مما سواه، فلئن العذاب ضعفاً له عن سواه ولا سمح الله! وإذا تجاوز العصيان حد مجاوزة الدنيا من الآخرة كما في

---

١ . هذا التثبيت الإلهي ليس العصمة التي اوتي بداء رسالته، اذ لا يوكل في العصمة ولا يخول فيها، وانما هي تدريجية استمرارية بمشيئة الله، فلئن وكله الى نفسه طرفة عين لركن اليهم!.

قوين لُملك.

ثم للخف لا يعني ـ فقط ـ مرتين، وإنما للضاعف زيادة عن مرة وإل عشرات وعشرات.

كل هذه التهديدات البعيدة للدى، للستحيلة في واقعها لكل عصمة للرسول 3إنها تتيهدت لعظيم الخطر في محتد الرسالات الإلهية، حيث لمحاولات بكل ألوان للكيدات تتربص دوائر للسوء لإيحرفل ولايحرفل بالرسالات للسامية!

فقد حاولوا مساومته 3أن يعبدوا إلهه قبل أن يترك التهديد بآلهتهم، أو أن يجعل أضهم حراماً كاليت الحرام، أو يطرد فقراء التلل حتى هم يؤمنوا به دونهم، أو يستلم آلهتهم حتى يسمحوا له باستلام الحجر، لماذا من أفظع حاول التي تجمع بين الجانبين!

هذه وأمثالها هي محاولات أصحاب للشهوات مع أصحاب للدعوات، لتخوف الدعوة في بدايتها عن استقامتها ثم يهون أمر استغلالها، فإنهم لا يطلّبون من صاحب الدعوة أن يترك دعوته كلها، وإنما تنازلاً عن حدتها وشدتها لكي يتنازلوا هم أيضاً معارضتها أو علّهم يتقبلونها، وهنالك للشيطان يحثي على حالل الدعوة أن استطاع من هذه الثغرة للزيتة: أن خير الدعوة وصالحها في كسب أصحاب السلطان وإن بالتنازل عن جانب منها!

ولكنها ثغرة رخيّة، وإن كانت في البداية طفيفة خفيّة حيث تبدأ عند زوغها، فيبدء غورها في طلوعها، إذ يشجع أعداها على فتح الثغرة، فاستغلالها عن آخرها بالردة!

فأهم الخطر على أصحاب الدعوة الإلهية للصمود الكامل والاستقامة الدائمة، ولكي تشرق في نهايتها على نفق بدايتها، وحدة متناسقة دائبة.

كما أن أخطر المخالفات لأصحاب الدعوة النزال وإن كان طفيفاً في طرف منها، فإن أطرافها عظيمة جريمة، دون فرض فيها وناقلة، حيث الكل فرض كوحدة متكاملة متطرة، لا يجوز الغض عن البعض بغية قبول البعض، أو تصديقهم للبعض، وإلاّ ف ﴿لكم دينكم ولي دين﴾ لا ظل لحفظ حلول و تقسيم البلد بلدين!.

وأنت يا حامل الدعوة الأخيرة قلت من يُستفز عن دعوته، وإنما الشيطان يستفز ويحلك الظلين، وأنت أول المهتدين والعابدين لكي:

«وَ إِنْ كادُوا لَيَسْتَفِزّونَکَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوکَ مِنْها وَ إِذاً لا يَلْبَثُونَ خِلافَکَ إِلاّ قَليلاً» (١٧:٧٦)

﴿إن كادوا﴾ كيداً وقبوا دنوا ﴿ليستفزونك من الأرض﴾ إذ لم يتمكنوا من استفزاز واستخفاف دعاتك ورسالك ولا طرفا منها، فيكيدون إذاً كيدهم لاستفزازك عن أرض الوحي وعاصمة الدعوة ﴿ليخرجوك منها﴾ إخراجاً للدعوة واستفزازاً للرسالة عن عاصمتها ﴿وإذاً﴾ حيث يخرجونك ﴿لا يلبثون خلافك﴾ بعدك وفي خلافك، ﴿إلا قليلاً﴾ كما لم يلبثوا إلاّ عشراً، وفي خلالها غزوات وانهزامات ثم ماذا من معركة!.

ترى ولماذا تأتي مكة هنا في صيغة علنة! ﴿الأرض﴾ علة لأنها أصل الأرض حتى مكّة وبكّة من تحتها، ولأنها عاصمة الرسالة الإسلامية فاستفزاز الرسول عنها استفزاز له عن الرسالة كلها، ولأن في تنحية الرسول عن أرض الوحي العاصمة إلى الغربة النائية عن العاصمة تنحية له عن دعوته ولكي: ﴿إذاً لا يلبثون خلفك إلاّ قليلاً﴾ ﴿إذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ (٨:٣٠) مكراً في الحفاظ عليه إذ هو في الغار، ومكراً في إرجاعه إلى مكة فتح مبين.

ولماذا خلافك، تلتي هنا بعدك وخلفك وقد تنافيه فداحة التعبير! لأن

﴿خلافك﴾ هنا تعني الخلف والخلاف! فهم خلف اخراجك من الأرض لا يلبثونه ولا خلافك إلاّ قليلاً، وقد زال هذه الخليفة بفتح مكة ان رجع اليها فاتحاً، ورجواهم عن خلافهم الى وفاقه طوعاً او كرهاً، وهذه من الإنباءات الغيبية القرآنية، تبشرة رجوعه الى العاصمة بعد قلق، وان المشركين المستقرين سوف يرجعون مسلمين او مستسلمين!

«سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا» (٧٧)

سنة إلهية سليقة الرسل على الذين يستفزونهم ليخرجوهم من أرض العروة، أنهم لا يلبثون خلافهم إلاّ قليلاً، كما حاق عليهم في مكة ان رجع اليها محمد 3 بعد هجرته منها فاتحاً، وكذلك في المدينة ﴿لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلاّ قليلاً. ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً﴾ سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً ﴿٣٣:٦٠-٦٢﴾ ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ﴿١٣:١٧﴾

ثم سنة إلهية هي ان الله يثبتهم ان كانوا ليفتنوهم عن الذي أوحي اليهم! وهذه المشتركة تشمل في أية رسالة مهما اختلفت عن بعض في درجاتها ومطالبها.

محمد3

ليس الا بشراً رسولاً

«سُبْحانَ رَبّى هَلْ كُنْتُ إلاّ بَشَراً رَسُولاً» (٩٣:١٧)

لبثة عشر شخصاً من صناديد قريش يطالبون الرسول 3بسبع من المعجزات في زعمهم[١] بدل معجزة القرآن ـ وان هي إلا هوطفق هارقه خلواً عن اية حجة او جلبها، ام فيها مجتمعة أمام القرآن، هؤلاء الجهنميون يطلبون في تعنّت وتجنّ هذه المسبعة من ابواب الجحيم، والقرآن فاتح للطالبين ابواب الجنة والنعيم!

---

١. الدر المنثور ٤: ٣٠٣ ـ اخرج ابن جرير وابن اسحاق وابن المنذر وابن ابي حاتم عن ابن عباس ان عتبة ابني ربيعة وابا سفيان بن حرب ورجلاً من بني عبد الدار و أبا البختري اخا بني اسد والأسود بن عبد المطلب وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وابا جهل بن هشام وعبدالله بن بني أمية وامية بن خلف والعاص بن وائل ونبيهاً و منبهاً ابني الحجاج السهميين اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض بعثوا الى محمد و كلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا اليه ان اشراف قومك قد ابعثوا الى محمد و كلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا اليه ان اشراف قومك قد اجتمعوا اليك ليكلموك فجاءهم رسول الله 3 سريعاً وهو يظن انهم قد بدا لهم في امره بدء و كان عليهم حريصاً يحب رشدهم ويعز عليه عَنَتَهُم حتى جلس اليهم فقالوا يا محمد انا قد بعثنا اليك لنعذرك وانا والله ما نعلم رجلاً من العرب ادخل على قومه ما ادخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الأحلام وشتمت الآلهة و فرقت الجماعة فما بقي من قبيح الا وقد جئته فيما بيننا و بينك فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالاً وان كنت انما تطلب الشرف فينا سودناك علينا وان تريد ملكاً ملكناك علينا وان كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك رؤيا تراه قد غلب عليك وكانوا يسمون النابع من الجن الرئي فربما كان ذلك بذلنا اموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه او نعذر فيك فقال رسول الله 3 ما بي ما تقولون ماجئتكم بما جئتكم به اطلب اموالكم ولا فيئكم ولا الملك عليكم ولكن بعثني الله اليكم رسولاً وانزل علي كتاباً وامرني ان اكون لكم بشيراً ونذيراً فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظّكم في الدنيا والآخرة وان تردوه علي اصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني و بينكم ـ : اقول: ولما وصل امره معه الى هنا اقترحوا عليه مطاليب لهم مادية تحسبوها معجزات، تذكر الآيات امهاتها السبع كالسبع ابواب الجحيم.

وفي الحق ان هؤلاء الحمقى الملعنة ما تفطّنوا هذه النكتة وأخرجها طلباً للصحة ووصولاً الى الحجة، وانما إقحاماً على الرسول فيما تعنتوا حيث يقول قائلهم: لئن لم تفهم أمر محمد وعظم خطبه فعالوا نبدأ بتوبيخه وتبكيته وتهجينه والاحتجاج عليه وإبطال ما جاء به ليهون خطبه على اصحابه ويصغر قدره فعلم نزع عما هو فيه غيّه وباطله وتمرده وطغيانه، فان انتهى وإلاّ عاملناه بالسيف البتار ﴿١﴾

«وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا» (١٧: ٩٠)

يلب الى من سبهم: ﴿تفجير ينبوع لهم من الأرض﴾ و ﴿لن﴾ نضربه قاطبة مهما ان ايلامهم الرسول مستقى على ضوء القرآن العظيم وهو

---

١. نورالثقلين ٣: ٢٢١ ح ٤٤٦ في كتاب الاحتجاج لطبرسي عن ابن محمد الحسن العسكريΔ قال: قلت لأبي علي بن محمد3 هل كن رسول الله3 يناظر اليهود والمشركين اذا عاتبوه ويحاجهم؟ قال: مراراً كثيرة ـ ان رسول الله 3 كان قاعداً ذات يوم بمكة بفضاء الكعبة اذا اجتمع جماعة من رؤساء قريش منهم الوليد بن المغيرة المخزومي وابو البختري بن هشام وابوجهل بن هشام والعاص بن وائل السهمي وعبدالله بن امية المخزومي وكان معهم جمع ممن يليهم كثير ورسول الله3 في نفر من اصحابه يقرء عليهم كتاب الله و يؤدي اليهم عن الله امره ونهيه فقال المشركون بعضهم لبعض: لقد استفحم امر محمد... قال ابوجهل: فمن الذي يلي كلامه ومجادلته؟ قال عبدالله بن امية المخزومي، انا لى ذلك، أما ترضاني له قرناً حسيباً ومجادلاً كفياً؟ قال ابوجهل: بلى ـ فاتوه باجمعهم فابتدأ عبدالله بن امية المخزومي فقال: يامحمد! لقد ادعيت دعوى عظيمة وقلت مقالاً هائلاً! زعمت انك رسول رب العالمين و ما ينبغي لرب العالمين وخالق الخلق اجمعين ان يكون مثلك رسوله بشراً مثلنا يأكل كنا نأكل ويمشي في الأسواق كما نمشي، فهذا ملك الروم وهذا ملك الفرس لا يبعثان رسولاً الا كثير مال عظيم حال له قصور ودور و فساطيط وخيام وعبيد وخدام، ورب العالمين فوق هؤلاء كلهم فهم عبيده، ولو كنت نبياً لكان معك ملك يصدقك و نشاهده، بل لو اراد الله ان يبعث الينا لكان انما يبعث الينا ملكاً لا بشراً مثلنا، ما انت يا محمد الا مسحور ولست نبي.

فقال رسول الله3 هل بقي من كلامك شيء؟ قال : بلى ـ لو اراد الله يبعث الينا رسولاً لبعث اجل من فيما بيننا مالاً واحسنه حالاً، فهلا نزل هذا القرآن الذي تزعم ان الله انزله عليك و ابتعتك به رسولاً على رجل من القريتين عظيم: اما الوليد بن المغيرة بمكة واما عروة بن مسعود الثقفي بالطائف؟ فقال رسول الله 3 هل بقي من كلامك شيء يا عبدالله! فقال: بلى: لن نؤمن لك حتى تفجر لنا...

التهيد الكافي إلهياً على رسالته، فاستحالة الايمان على هذه الأصول والجملة الكافية لمنحري التي تحيله في تحقق مطالبهم لو لمكنت وصلت اكثر من معجزة القرآن!

فلو ان الشمس لا تضيء لهم عن ظلمتهم، فهل ان الفجر واخفى منه نوراً لو طالعوا له، هل ان هذه تضيء لهم؟

لهم في قوله ﴿ قل ﴾ احالوا ايمانهم له على اية محال، فلو لم يكن في مطالبهم محال، لم لستجيبوا في التي تحكى على اية محال، ما كانوا ليؤمنوا كما بدأوا به اول ﴿ وقالوا لن.. ﴾

اذاً فإجابتهم في هذه السجع غلطة رسالية فيما لمكنت، إغراقاً بجهلهم في غير الخارقة للعجزة، وإبقاءً على كفرهم في إجابة الخارقة حيث هي انى من معجزة القرآن التي أحالوا ايمانهم على ضوءه. ومن ثم يبقى للمستدل داعماً عن ايمانهم حيث الإجابة فيه مستحيلة، حتى ولو لستجيبوا في ممكنة خارقة وغير خارقة.

إذاً فهذه السجع في مجموعها هو طفل هواً ورياً في رسالته منها براءً حيث تركوا وتغافلوا عن آماد بعيدة من معجزة القرآن الخالدة، واخلدوا الى لهوائهم المطفلة البادية للرائد، طلباً لآيات ماجن[1] بما أضاء عليهم معجز

---

١ . فانك اقترحت على محمد رسول الله اشياء: منها ما لو جاءك به لم يكن برهاناً لنبوته ورسول الله يرتفع من ان يغتنم جهل الجاهلين ويحتج عليهم بما لا حجة فيه. ومنها ما لو جاءك به لكان معه هلاكك. وانما يوفى بالحجج والبراهين ليلزم عباد الله الايمان بها لا ليهلكوا بها، فانما اقترحت هلاكك ورب العالمين ارحم بعباده واعلم بمصالحهم من ان يهلكم كما يقترحون، ومنها المحال الذي لا يصح ولايجوز كونه ورسول رب العالمين يعرفك ذلك ويقطع معاذيرك و يضيق عليك سبيل مخالفته ويلجئك بحجج الله الى تصديقه حتى لا يكون لك عنه محيد ولامحيص، ومنها ما قد اعترفت على نفسك انك فيه معاند متمرد لا تقبل حجة ولا تصغي الى برهان و من كان كذلك فدواءه عذاب النار النازل من سماءه او في حميمه او بسيوف اولياءه.

ملك.

ي وماهو المعني ن تفجر الأرض ينوعاً؟ أينوعاً عكة هذه، ظهاهذه الحجارة وعرة وجبال، تتكسح رضها وتخوها وتجري منها العيون فإنتالى ذلك محتاجون ؟

فلك سألك هذا وانت جاهل بدلائل ذلك، لو فعلت هذا كنت ن اجلى هذا نبياً لا!

لرايت الطفلة التي اك فيها بساتين، اماكان هنالك وضع فلسفتصعبة اصلحها وذللتها وكسحها وأجريت فيها عيوناً لستنبطها؟ بلى! ولرايك فيها غرائب؟ بلى!...فعرت بذلك انت وهم انبياء لا!.. فكذلك لا يعبر هذا حجة لمحمد 3لو فعلت على نوته، فماهو إلاّ كهذاك ترك وّن لك حتى تقوم وتمشي على الأرض لو حتى تأكل الطعام كما يأكل الناس!.

فتفجير الأرض ينوعاً، اظهاراً لماخفي نحته ن ماء لا يحتاج إلى معجزة رسالية، وإنما عملة رضية، لم هندسة تحت الأرضية، أفعل معمار و مهندس — إذاً هو ن الأنبياء؟

ولذا بغى منه تفجراً ينفجّر لإزالة الخارقة، دون أيّة وسائل ظاهرية، فترى ن تفجر الينابيع بمياه العوهة القرآنية أرقى خارقة وأتى، لم تفجر الأرض بهذه المياه و ﷺ البادية في هذه الاقتراحات تحلى لا يمان ولو فجرت الأرض كما تظلون، حيث احلتم لا يمان بالقرآن لتي القرآن وهو لهم المعجزات ولتها!.

ن التفجر الأوّل ن فعلي ولا حجة فيه، والثاني ن فعل ربي ولا تؤمنون بحيث ﷺ فيه، اجرى منها في حجة القرآن لأتحدّوها!

---

١. من حجج الرسول 3في هذه المناظرة الطويلة البالغة.

«أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخيلٍ وَ عِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهارَ خِلالَها تَفْجيراً» (٩١:١٧)

فإن كان الأول فكذلك، وإن كان الثاني فكذلك!.. ﴿وليس لأصحابك ولك جنان من نخيل وعنب يطلقون فتأكلون وتطعمون منها وتفجرون الأنهار خلالها تفجيراً﴾ فمتى فجرتم أنهاراً بهذا؟! فما بال اقتراحكم على رسول الله 3 لأشياء لو كانت كما تقترحون لما دلت على صدقه بل لو تظاهرا لدلت تظاهرها على كذبه لأنه يحتج بما لا حجة فيه ويخدع الضعفاء عن عقولهم وآرائهم، ورسول رب العالمين يتعالى ويترفع عن هذا![1]

﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ كَما زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفاً﴾.. في قوله ﴿إن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم﴾ فإن في سقوط السماء عليكم هلاككم وموتكم، فلما ترتب هذا من رسول الله أن تهلك ورسول رب العالمين أرحم من ذلك، لا يهلك ولكنه يقيم عليك حجج الله، وليس حجج الله أتيه وحده على حسب اقتراح عباده لأن العباد جهال بما يجوز من الصلاح وما لا يجوز منه ومن الفساد، وقد يحظر اقتراحهم ويضاد حتى يستعلي وقوعه ولله لا يجري تدبيره على ما يلزمه بالحال..

وهل رأيت يا عبد الله طبيباً كان دواؤه المرضي على حسب اقتراحهم وإنما يعلي به ما يعلم صلاحه فيه، أحبه المعالج أو كرهه، فاتهم المرضى والله طبيبكم فإن اقتدتم لموا عنه فاتكم وإن تركتم لمقتكم..

وبعد فهل رأيت يا عبد الله مدعي حق من قبل رجل أوجب عليه حاكم من حكامهم فيما مضى بيّنة على دعواه على حسب اقتراح المدعى عليه؟ كذا ما ثبت لأحد على أحد دعوى ولا حق، ولا كان بين ظالم ومظلوم ولا بين

---

١. من حججه 3في نفس المناظرة.

صلق و كاذب فوق ـــ.

﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾ (١٧:٩٢) يقابلوننا و عاينهم! فإن هذا من المحال الذي لا خفاء به، لأن ربنا عزّ وجلّ ليس كالمخلوقين يجيء و يذهب و يتحرك و يقال حتى يؤتى به، فقد سألتم بهذا المحال الذي دعوتم اليه صفة إسلامكم المضحكة المتوسّطة التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنكم شيئاً ولا عن أحد ـــ

يا عبدالله! أيليق بك شياع وحنان بالطائف و عقار بمكة و قوّام عليها؟ بلى! أفتشاهد جميع أحوالها بنفسك أو يسوّاء بينك و بين مماليك؟ بسوّاء! أيليق قلّ مماليك و أكرك و خدمك لسوائك لا عضدتكم في هذه السفارة إلاّ أن تأتوا بعبدالله بن أبي أمية شاهده فسمع منه ما تقولون عنه شفاهاً كنت تسوّغهم هذا لو كان يجوز لهم عند ذلك؟! فما الذي يجب على سوائك؟ أليس أن يأتوهم عنك بالنصيحة تدلهم على صدقهم يجب عليهم أن يصدقوهم؟ بلى! ـــ أرأيت سيدك أو له المسموع منهم عاد اليك وقال: قم معي فإنهم اقترحوا عليّ مجيئك معي أيكون لك أن تقول له: أقالت رسول مبشر و آمر؟ بلى!

فكيف صرت تقترح على رسول رب العالمين ما لا تسوّغ لأكرتك و مماليك أن يقترحوه على سوائك! اللهم، وكيف ارتضت من رسول رب العالمين أن يستدعوا إلى ربه بأن يأمر عليه و ينهى وأنت لا تسوغ ذلك هذا على رسوائك إلى أكرتك و قوائك؟ هذه حجة ظاهرة لا بطال كل ما ذكرته في كل ما اقترحه يا عبدالله! ـــ

٥ ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾ وهو الذهب ﴿أما بلغك أن لعظيم صور بيوتاً بلى! أفلا بذلك نبيّاً؟! فمثلك لا تزجر بمحمد 3 لو كانت له نبوة، و محمد لا يفتتم جهلك بحجج الله ـــ

لم تغني تكوّن بيت من زخرف دون لسبب ظاهرية؟ فالرسول لا يبيت في بيت من زخرف! ولو كان لهم تكونوا لؤمنوا إذلم تؤمنوا ﴿لن ﴾بآية القرآن وهي أكبر الآيات وانتها، ثم لا نقف اقترا حاتكم لحدٍّ!

﴿«أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ» ﴿«وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ»﴾. يا عبدالله! الصعود إلى السماء صعب من النزول منها، وإذا اعترفت على نفسك أنك لا تؤمن إذا صعدت فكذلك حكم النزول ثم قلت ﴿حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه ﴾من بعد ذلك، ثم لا ندري لؤمن بك أولا لؤمن، فالك يا عبدالله! تقترأ تعلد حجج الله عليك، فلا دواء لك إلاّ تأديبه على يد أوليائه البشر أو ملائكته الربانية، وقد نزل الله علي حكمة جامعة لبطلان كلما اقترحه:

«قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَرًا رَسُولاً» ما بعد ربي عن أن يفعل الأشياء على ما يقترحه الجهال بما يجوز و بما لا يجوز، و ﴿هل كنت إلاّ بشراً رسولاً ﴾لا بإذني إلاّ اقامة حجة الله التي أعطاني، فليس لي أن آمر على ربي ولا أنهى ولا أدبر فأكون كالرسول الذي بعثه الله إلى قوم مخالفيه فرجع اليه يأمره أن يقاتلهم بما اقترحوه عليه[1].

ثم انا رقي في السماء بحالة بشرية أو معجزة إلهية فهل أن الله في السماء حتى ينزل منه كتاباً يقرءونه؟ ومجرد الرقي الهادئ وسلك آية إلهية لا تفتح مجالاً لنزل كتب يقرءونها! فهل من خط الله فيصدقونه، وكيف هم عارفون خطه؟ وهل هو كخط البشر فما هي ميزته التي تجعله خط الله، وإن لا فكيف يقرءونه، وهناك خطه التكويني ﴿رقيه في السماء ﴾أو رقي يقرء وليس أحد يصدقه، وهناك خطه التدويني ﴿القرآن ﴾وفيه الكفاية معجزة كاملة تقرء ولا يصدقونه، ومن ثم لم نزل بحظٍ من السماء يقرءونه فكيف يعرفون انه

---

١. هذه الحجج كلها ننقلها عن كتاب الاحتجاج للطبرسي عن ابي محمد الحسن العسكري عن ابيه علي بن محمد Δ عن رسول الله 3.

زله من السماء ولم يأخذه معه في رقيه؟

الرسول هنا يؤمر أن يقل الأدب المتبع من جميع المعاصمات بكلمة مختصرة معبرة تحوي كل هذه الفضل ﴿هل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً﴾

﴿سبحان ربي﴾ أن يقيدكم بمطالبكم وطلع الجنة فيحتج عليه فيه، أم فيه حجة لإهلاك، أم هو من أحل، أم جاء فيه حجة إلى من حجة القرآن، وبالتالي لا يمكن فيها أقوى منها في القرآن، ثم لا تقف هذه المقترحات أبداً!

﴿هل كنت إلا بشراً رسولاً﴾ والخارقة ليست من صنع الرسول، إنما هي من الله وفق تقديره وحكمته، ولا من طلبها من شأن الرسول فالله يعلم بأذا يرسل رسوله حتى تصدق رسالته، فشأن الرسالة وأدبها يمنعه أن يقل ما يقترحون، أو يسأل ربه ما يقترحون.

أنتي بشر وليست إلهاً، رسول من الله وليست إلهاً، وسبحان ربي أن يتخلى في إرساله عن ألوهيته، وسبحانه أن يتابع اقتراحات عباده أو رسوله فهذا سبحانه ﴿هل كنت إلا بشراً رسولاً﴾

وأنتم تطلبون مني أن آتي بهذه الخوارق أو غيرها من محالات الرسول، هي كأنني إله أقدر على ما تطلبون، وهم لم يطلبوا إلا ممكناً، لا أن يطالب ربه[1] أو أنني فوق الإله المتحكم عليه ﴿أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً﴾ وبكل الله و الملائكة تحت إمرتي، أن أو أملك إتيانهم فأنا الآتي بهم دون استدعاء!

﴿إلا أن بشريتي تقتضي هذه أو تلك ولا رسالتي، حيث الرسول مؤمَّر وليس آمراً رسول فليس مرسِلاً لك إرساله: ﴿أو تأتي بالله... ﴾ولا تقتضي الرسالة إلا حمل آيتين من آيات الله: آية الوحي، والآية التي تثبت الوحي، آية ظاهرة

١. حيث قالوا: حتى تفجر... فتفجر خلالها... ترقى في السماء.

دل على آية غير ظاهرة ثم لا يسأل بآية اخرى إلّا اذا اقتضت الضرورة السابقة، فعلاً أن يأتي هو بآية أو يأتي بالله والملائكة قبيلاً! ﴿قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً ﴾ لا تسأل البشر إلّا كسائر البشر، ولا رسول إلّا بما حمّل من رسالته، لا تملك القدرة الغيبية المطلقة ذاتياً ولا رسالياً ﴿قل سبحان ربي ﴾ من ربّاني عودية ورسالته، من أن أكون له شريكاً، أو أن أكون له رباً فأحكم عليه، وعليه إجابتي! ﴿هل كنت إلّا بشراً رسولاً ﴾ جواباً جامعاً يبطل مطالبهم الخاوية كلها!.

«وَما مَنَعَ النّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى إِلّا أَنْ قالُوا أَبَعَثَ اللّهُ بَشَراً رَسُولاً» (١٧:٩٤)

﴿وإن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذاً لخاسرون ﴾ (٢٣:٣٤) ﴿فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه إنا إذاً لفي ضلال وسعر ﴾ (٥٤:٢٤) ﴿قالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون ﴾ (٢٣:٤٧).

فإنهم لم يدركوا قيمة البشر وله في أحسن تقويم، فاستكبروا على بشر أن يكون رسولاً إلى بشر! وهذه سنة الله الدائمة التي لا تتبدل، ضرورة الجاذبة بين الرسول والمرسل إليهم، لقاءاً للصحبة وقطعاً للمعاذير، في رحمة ومنّة إلهية أن جعل الله إلى البشر بشراً كما إلى الجن جناً، أم من ذا؟ ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا ﴾ (٦:١٣٠) فكما رسول الإنس إنس ورسول الجن جن كما رسول الملك ملك.

«قُلْ لَوْ كانَ فِي الْأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ مَلَكًا رَسُولاً» (١٧:٩٥)

ومع غض النظر عن ضرورة الجاذبة فإن الرسول إلى بشر يجب أن يكون بشراً، والملك على كونه ملكاً لا يُرى فإن الواجب إذاً أن يظهر بمظهر البشر، فإنهم

تروه بشراً ولبس بشراً! فلماذا افلكم هذا الخلط إلاّ ضرراً في عدم المجانسة:
﴿ولو جعلنا ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون ﴿٩﴾﴾ فعلت النتيجة لزوم ضرورة المجانسة رؤية واقعاً للحجة.

وزي هذه ضرورة، فلماذا الجن يرسل له بشر، اليس محمد 3 رسولاً الى الجن والبشر وهو هما من العالمين؟

ان رسالة الرسول الى غير بشر تلوية ووساطة غير بشر، فكما ان الرسول الى الرسول البشر ملك لا بشر، كذلك الرسول الى رسول الجن بشر، كما الآية في الجن والحاقة تحقق هذه الرسالة: ان رسل الجن مرسلون من جانب الرسول محمد 3 وان لم يكونوا رسل الوحي حيث اقطع به الوحي، ولكنهم قبل الرسالة المحمدية كان وحي اليهم على هامش الوحي الى بشر!

إن رسالة ملك الى جن فضح وفضح الا ساغ عدم المجانسة[1] ام ان الملك يرسل الى رسول الجن كما الى رسول الانس، اللهم إلا في الرسالة الاسلامية!

وقد تلمح الآية ان الحياة المطمئنة الأرضية تطلب رسالة سماوية، فـ ﴿لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين ﴿٩٥﴾ إطمئناناً في مشيهم بقاءً عليها الا نزولاً وقتالاً لإبلاغ امر كما في رسل الوحي ام من ذلا والطمئناناً على الحياة الأرضية، فهناك ﴿لنزلنا عليهم من السماء ﴿٩٥﴾ من قبل الأرض ﴿ملكاً رسولاً ﴿٩٥﴾ ولكما الملائكة المطمئنون في الأرض ليسوا الملائكة، إنما هم انس وجن، فليبعث إليهم بشراً رسولاً، مهما يتلقى هو وحيه من ملك رسول.

---

١. فالرسول الأول انما هو حامل رسالة كالبريد دون اي مزيد من انذار وتبشير فلا ضرورة ولا رجاحة في مجانسته للمرسل اليهم الرسل، ولكن الرسول الثاني بشير ونذير وحجة في رسالته بتطبيقه ما ارسل به ولا تطبيق على الرسول الأول الا في الواجبات الأولية لاختلاف الجنس... فالملائكة لهم عقل بلا شهوة، والانس والجن يجمعانهما فالتكليف اذا غير التكليف الا ما يعلم عامة العالمين.

هناك فرق بين الرسول المرسل، والرسول المكلف، فالجانسة لازمة في الرسالة الثانية دون الاولى، ولتتم حجة الرسالة وجب الرسل اليهم رسولهم لكي يبلغوا التلقي عنه دون وحي على رؤية وسماع.[1]

١. ولكن «رسل منكم» تصريحة أو تلميحة ان المجانسة بينهما رحمة ومنة إلهية

محمد 3

اول العابدين اجمعين

«قُلْ إِنْ كانَ لِلرَّحْمنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعابِدينَ(٤٣:٨١)

آية بيّنة غرة مغفلة القيّم في سلك القرآن كرّت في ضميرها القلبات والإحتمالات! تدرسها وسولها في تساؤلات حتى يتبين الحق على ضوء اللالات القرآنية والسنة وما تحملها الآية لفظياً ومعنوياً أولاً تحمل وما هو عوان بين ذلك، والذي يهمنا هو كشف الرباط بين جملتي الشرطية ﴿إِنْ كانَ... فَأَنا.. ﴾

فلي يا ترى ﴿إِنْ﴾ نافية تعني لم يكن للرحمن ولد فأنا اوّل العابدين الرحمن له أن يليس ولداً ممّن يُعبد؟ وإن النافية لا تدخل على فعل! وعد في الولد لا فرق في توحيد الوثنيين لأنّ العابدين وسولا أثم وللتلبس لهذا التي اتيت الأوّلية في العقيدة لا العبادة، ومنسبة أخرى ﴿بل﴾ إذا لا نرجع في ﴿إِنْ﴾ النافية!

أم إنها شرطية والعابدين تعني العبادة بأنها هنا من ﴿عَبَدَ﴾ إذا أنفت أنفه، فإن كان له ولدٌ فولد عن ذاته، فهو وللدكاير من بلد، فتجرّء فحدود كاير الخلق، فليس إذاً إلهاً يُعبد فأنا اوّل الملأيقين لعبادته، ولأنني أعبد مخطأً فليس له ولدٌ ولكي العابدين بمعنى الآيفين، وإن كانت له ولكنها شاذة، وذكرها دون قرينة صرفها عما يُوقف بغير فصيح ولا صحيح، وإن كان

---

١ الدر المنثور ٦: ٢٤ ـ اخرج ابن جرير عن زيد بن اسلم قال هذا كلام العرب ان كان للرحمن ولد، اي لم يكن.

النفي في قصة من الصحيح![1]

أم إنها شرطية والعابدين هم العابدين، فـ ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾ كما تقولون ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ هذا الوليد فإني الخلف ولد وما ولد قبلكم وفي كل أحد فإذا لا أعبد رحماناً هكذا ولا ولداً فليس إذاً للرحمن ولد؟ والتلب لموقف صلب هكذا ﴿قُلْ﴾ الإمتناعية لا ﴿إِن﴾ الجوزة كلا النفي والإثبات! ﴿فَأَنَا﴾ إلى العابدين ﴿تَرْمِي﴾ إلى اثبات قاطع مطلق أنه أوّل العابدين![2]

أم ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ الوالد دون ما ولد؟ حيث التنويعين والد وما ولد ظلالة منهجكم؟ وهو يتلب ﴿قُلْ﴾ ﴿وَلَا﴾ تتلبه أولية العبادة ولا أصلها حيث الرحمن الوالد لا يُعبد!

أو ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾ دون ولادة ذاتية، وإنما تكريماً لشرف العبودية الفذة كما للمسيح وعزير والملائكة ـ زعم للتبنّي لله ـ كانوا أعبد من عبد الرحمن اتخذ فاتخذهم ولداً أوّلٌ في درجات الصفة والولاية والرسالة بين العابدين، إذاً فأنا أوّل من يتخذ ولداً هذه الكرامة العليا؟ ولم يوحَ إليّ ولا لحظة من هذه الولادة، ولم أدّع ولو لحظة منها، لا ولادة هكذا لمن دوني في كرامة العبودية وكما: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ لا

---

١ . نورالثقلين ٤: ٦١٦ ح ٩٥ في كتاب الاحتجاج للطبرسي عن اميرالمؤمنين Δ حديث طويل يقول فيه: قوله: ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين» أي: الجاحدى و التأويل فى هذا القول باطنه مضاد لظاهره.

اقول: مضادة الباطن للظاهر فى القرآن البيان غير مقبولة حيث لا تضاد فيه لا ظاهراً ولا باطناً، فليس هذا من كلام علي Δ وقد يروى مثله عن ابن عباس، كما في الدر المنثور ٦: ٢٣ ـ اخرج الطستي عن ابن عباس ان نافع الازرق قال له اخبرني عن قوله عزوجل: فانا اوّل العابدين» قال: انا اوّل متبرىء من ان يكون لله ولد.

٢ . المصدر ح ٩٦ في تفسير علي بن ابراهيم في الآية يعني اوّل القائلين لله عزوجل أن يكون له ولد.

يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون. يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون. ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ۞(٢١:٢٦-٢٩)

وفي هذا الوجه ليست الجملة شرطية كاملةً بجزائها ﴿أنا أوّل العابدين﴾ إن هي وصلية، فإنما ﴿أوّل العابدين﴾ يهدم صرح هذه الولادة التكوينية لمن ادعيت له، و ﴿إن﴾ الوصلية هنا دون ﴿لو﴾ الشرطية سارية في الحوار التي تأتي هم جلي واضح! وهذا هو المعنى الأصل ثم الولادة الذاتية عن الرحمن، كذلك هي مفيدة حيث ﴿أنا أوّل العابدين﴾ الرحمن الطريف وحيه، ولا أعرف له وحياً يسلمه، فإنما يعلمه غير إذاً الرحمن ولد.

هذا وما يليه من صحيح المعاني التي لا تخفى لكلٍّ بعودها، قد تعنيها الآية كلها، دون ما لا صحح ولله أعلم.[1]

«سبحان ربّ السماوات والأرض ربّ العرش عمّا يصفون» (٤٣:٨٢)

سبحانه أن يكون له ولد ولن يتخذ ولداً وهو رب السماوات والأرض ورب العرش دون شريك سبحانه عما يصفون وتعالى عما يشركون.

هناك رويتان لرب الواحد، رويّة الخلق: ﴿رب السماوات والأرض﴾ وهو تعبير عن الخلق كلمح ورويّة التدبير: ﴿رب العرش﴾ ﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلاّ من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون﴾(١٠:٣)

---

١ . فـ «إنْ» بين احتمالات ثلاث: نافية ـ شرطية ـ وصلية و «إن كان للرحمن ولد» بين احتمالين ولادة ذاتية و تشريفية، و «فانا اوّل العابدين» بين ايجابية العبادة وسلبيتها، وكل هذه الوجوه علّها معنية على مختلف مراتبها والأصل فيها ما رجحناه وعلى هامشه سائرها إلا غير الصحيح معنوياً أو أدبياً، اللهم إلاّ ضمن الصحيح فيها، فـ «إن» النافية وان كانت لا تأتي قبل الفعل ولكنها ضمن شرطيتها ووصليتها تأتي قبل الفعل ـ تأمل:

﴿هو وصف عرش الوحدانية عما يصفون ﴾[1]

إذا فما لك دونه من خلقه الذين هم في تدبيره مهانون ولذا اتخذوهما بالغيب وكذباً!

«فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ»(٨٣:٤٣)

والمفعول الجاج إلى ذلك الحد من الجاج ﴿فذرهم ﴾واتركهم ﴿يخوضوا ﴾أنواعاً مختلفة من تلكم الموضوعات ﴿ويلعبوا ﴾في خوضهم وكل حياتهم كالأطفال ﴿حتى يلاقوا يومهم ﴾يوم الموت و يوم القيامة وهما يوم واحد لوحدة النشأة مهما كانا متباينين لاختلافهما في المدة ﴿الذي كانوا يوعدون ﴾ ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره.. ﴾(٦:٦٨) ﴿قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ﴾(٦:٩١).

«وَ هُوَ الَّذى فِى السَّماءِ إِلـهٌ وَ فِى الأَرْضِ إِلـهٌ وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ»(٨٤:٤٣)

هذه الآية تنفي نزعة الإلهين أحدهما إله السماء وثانيهما إله الأرض، وتنفي أيضاً كونهما مكاناً لإله واحد إبليس له مكان، فألوهيته لا ذاته ــ

---

١. نورالثقلين ٤: ٦١٧ ح ٩٧ في كتاب التوحيد باسناده الى حنان بن سدير عن ابي عبدالله Δ في حديث طويل ذكر فيه العرش وقال: ان للعرش صفات كثيرة مختلفة له في كل سبب وضع في القرآن صفته على حده يقول فيه، فمن اختلاف صفات العرش انه قال تبارك وتعالى: «رب العرش عما يصفون» وهو وصف عرش الوحدانية عما يصفون، وقوم وصفوه بيدين فقالوا: يد الله مغلولة، وقوم وصفوه بالرجلين فقالوا: وضع رجله عى صخرة بيت المقدس وارتقى الى السماء، وقوم وصفوه بالأنامل فقالوا: ان محمداً 3 قال: اني وجدت برد انامله على قلبي، فلمثل هذه الصفات قال: «رب العرش عما يصفون» يقول: رب المَثَلَ الأعلى عما به مثَّلوه ولله المَثَل الأعلى الذي لا يشبهه شيء ولا يوصف ولا يتوهم فذلك المَثَل الأعلى.

غضم الأرض والسماء على سواء[1] لا أنه في إحداهما ويحكم فيها وفي الأخرى، أم هو فيهما جميعاً، وإنما ﴿هُوَ فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ ۝ فيهما ﴿الْعَلِيمُ ۝ بهما سواء يحكم فيهما هو لا سواه ويعلم ما فيهما وحده لا سواه. لأنَّ المسيح أو سواه إله الأرض ولاة أم ورائة ولله إله السماء كما يقف المسجون في صلاتهم ﴿لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ فِي الْأَرْضِ وَلَاةَ أم ورائة ولله إله السماء كما يقف المسجون في صلاتهم ﴿لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ فِي الْأَرْضِ كما هو في السماء ۝ وهل من يتصوره أن يأتي ملكوت الله إلى الأرض كما هو في السماء؟ ولا أن الملائكة آلهة السماوات وهو إله الأرض، فما من ألوهة في الخلق والتدبير والعبادة إلا لله.

فهذه الآيات تعرف ما يعرفه المتضمون الألوهية إلى أقسام الكون، أم يخصّون ويُحكمون إله السماوات والأرض في السموات أو الأرض، وإنما تمكيناً لألوهيته في الكون كله دون تمكّن لإله في الكون كله. فإنما حكمته النافذة وعلمه الشامل يديران الكون ويدبّرانه، فالمدبر هو الخالق والخالق هو المدبر، دون فرق بين كلك وكلك، ودون تمكن في أي كلك!

«تَبارَكَ الَّذي لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما وَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» (٨٥:٤٣)

﴿تَبَارَكَ ۝ تعاظم وتعالى ﴿الَّذِي له ملك السماوات والأرض وما بينهما ۝ حيث يملكهما، وما بينهما لا مِلْكَ ولا مُلْكَ سواهما ﴿وَعِنْدَهُ ۝ لا

---

١ . نورالثقلين ٤: ٦١٧ ح ٩٨ في اصول الكافي علي بن ابراهيم عن ابيه عن ابن ابي عمير عن هشام بن الحكم قال قال ابو شاكر الديصاني: ان في القرآن آية هي قولنا، قلت: وما هي؟ فقال «وهو الذي في السماء إله وفي الارض إله» لم ادر بما اجيبه فحججت فخبرت ابا عبدالله Δ فقال: هذا كلام زنديق خبيث إذا رجعت اليه فقل: ما اسمك بالكوفة، فانه يقول: فلان ـ فقل له: ما اسمك بالبصرة؟ فانه يقول: فلان، فقل كذلك الله ربنا في السمآء إله وفي الارض إله وفي البحار وفي القفار إله وفى كل مكان إله، قال: فقدمت فاتيت ابا شاكر فاخبرته فقال: هذه نقلت من الحجاز!.

سواه ﴿علم الساعة ﴿وهي المنزل الأقصى للسالكين ﴿إليه ﴿لا سواه ﴿ترجعون ﴿وهَ إليه الرجوع فإليه التدبير، ومن إليه التدبير فله الربوبية.

محمد3

عليه صلوات مستمرة

و تسليمات لديه

«إنّ اللّهَ وَ مَلائِكَتَهُ يُصَلّونَ عَلَى النّبِيّ يا أَيّهَا الّذينَ آمَنُوا صَلّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْليمًا»(٥٦:٣٣)

آية منقطعة النظير، تحمل للبشير النذير هدية الصلوات الثلاث برحمات، من الله إنزالاً، ومن الملائكة والذين آمنوا استنزالاً، ثم ﴿وسلموا تسليماً﴾ له مطلقاً دون شرط، كما الصلاة عليه مطلقة دون شرط! واين تذهب صلاتنا و الملائكة بعد صلاة الله؟ فانما يريد الله تشريفنا قرناً لصلاتنا الى صلاته، لتكون صِلاتٍ بيننا وبينه (صلى الله عليه وآله وسلم) كما و بينه و بين ربه فيرحمنا بهذه الصَلاة الصِلات!.

ومثلث الصلاة هذه عليه في الملاء الأعلى والأدنى تعني أن مقامه ارفع المقامات بين ملاء العالمين من الملائكة والجنة والناس اجمعين.

اجل ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكة ليخرجكم من الظلمات الى النور﴾ واين صلاة من صلاة، حيث هذه تخرجنا من الظلمات الى النور ولكنما النبي هو نورٌ في حالات وهالات من النور: ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾ (١٥:٥) فالنبي هو النور ومعه الكتاب النور، ولأن الكتاب متجسِّد في روحه حيث كان خلقه القرآن فهو اذاًنور على نور!

فلا تعني صلوات الله عليه إلاّ دوام تسديده بعصمة فائقة، واتمام نوره معرفة وعملاً وعلماً وكما امره ﴿وقل رب زدني علماً﴾ ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله نوره متم ولو كره الكافرون﴾ (٨:٦١) ﴿افمن شرح الله صدره فهو على نور من ربه...﴾(٢٣:٣٩).

رحمات الله ليست لها نهايات، فلتواصِلْ على افضل البريات وغاية الغايات، وقد

تكفيه صلوات الله سلباً لما يتربصه من دوائر السوء، وايجاباً لما يليقه من مقامات الخير، فما هي حاجته الى صلوات ملائكة الله وصلواتنا، إلاّ حاجاتهم وحاجاتنا، لهم ترفيعاً لمقاماتهم، ولنا غفراناً لذنوبنا واستجابة لدعواتنا بشفاعة النبي المختار، فـ ❁بالصلاة تنالون الرحمة☯[1] مهما زادته (صلى الله عليه وآله وسلم) رحمة على رحمة ـ ولكنها لناعون ونجاح الطلبة: فـ ❁صل على محمد وآله صلاة دائمة نامية لا انقطاع لأبدها ولا منتهى لأمدها واجعل ذلك عوناً لي وسبباً لنجاح طلبتي إنك واسع كريم☯[2] فـ ❁قد كان في الله وملائكته كفاية ولكن خص المؤمنين بذلك ليثبهم عليه☯[3].

ومهما رُدت دعوات منا حيث لاناأهل اجابة، لقصوراتنا و تقصيراتنا، فليست لتُرد صلواتنا على النبي3 إذ يأهل، كما الله يصلي عليه ابتداءً دون دعاءٍ، وهل يقبل الله دعائنا فيه ثم يرد دعائنا فينا؟ كلا يا كريم! ولكن شرط ❁وسلموا تسليماً☯ و كما سلَّم لربه تسليماً، فاستحق تلك المنزلة الرفيعة.

فمن آداب الدعاء وشرائط استجابة الدعاء أن تتوسط الصلاة على النبي وآله و كما نراه في صحيفة الامام السجاد Δ: وعن الامام عليΔ ❁ما من دعاء إلاّ وبينه و بين السماء حجاب الى ان يدعو لمحمد وآل محمد☯.[4]

عرفنا الصلاة عليه، فهل التسليم كما الصلاة ايضاً عليه، ان نقول: السلام عليك؟ ام

---

١. نورالثقلين ۴: ٣٠٢ ح ٢٢۴ في كتاب التوحيد من خطب علي Δ وفيها: بالشهادتين تدخلون الجنة وبالصلاة تنالون الرحمة فاكثروا من الصلاة على نبيكم وآله ان الله وملائكته يصلون على النبي...».

٢. في الصحيفة السجادية في دعائه (عليه السلام) في طلب الحوائج...

٣. الدر المنثور اخرج الاصبهاني في الترغيب والديلمي عن انس (رضي الله عنه) قال قال رسول الله 3: ان انجاكم يوم القيامة من اهوالها وموطنها اكثركم علي في دار الدنيا صلاة انه قد كان...

۴. الديلمي في كتاب الفردوس رواه بسنده عنهΔ ورواه مثله السمعاني في مناقب الصحابة بسنده عن الحارث وعاصم بن حمزة Δ.

التسليم له، استسلاماً لأمره ومطاوعة لإمرته؟ لا فقط في لفظه القول؟[١]

علّه يعنيهما ولاسيما التسليم له وهو الأهم الاتم، ﴿وسلموا تسليماً﴾ لا تحمل لا ﴿له﴾ ولا ﴿عليه﴾ فلتحمل التسليمين معاً، والتسليم له هو الشرط الاصيل للايمان، وشرط اجابة الدعاء، فلو عني التسليم عليه فقط كما الصلاة لقال ﴿صلوا وسلموا عليه تسليماً﴾!

ومن التسليم له ان نصلي عليه كما امر : ﴿اللهم صل على محمد وآل محمد...﴾ لا الصلاة البتراء كما نهى: لا تصلوا علّي الصلاة البتراء: اللّهم صل على محمد! ولقد تواترت الرواية عنه3 وما لاتحصى بزيادة الآل، والاكثرية الساحقة من المسليمن تعوّدوا ان يصلوا عليه الصلاة البتراء، ام إذا زادوا الآل ردفوا بهم ازواج النبي واصحابه، فهم بين نقيصة بتراء وزيادة بتراء والله منهما والرسولُ براء!

لقد اخرج الحفاظ والمصنفون والمحدثون والمفسرون ما يصعب احصائه[٢] عن عدد من

---

١. نورالثقلين ۴: ٣٠٥ ح ٢٣٥ في محاسن البرقى عن محمد بن سنان عمن ذكره عن ابي عبدالله Δ في الآية: اثنوا عليه وسلموا له.

٢. وممن اورده محمد بن ادريس الشافعي في مسنده والبخاري في صحيحه باب كيف نصلي عليه و كذا في تاريخه الكبير ج ١٢ القسم الاول ص ٣٥١ والحاكم في مستدركه ٣: ١۴٨ و في معرفة علوم الحديث ص ٣٢ وابو نعيم الاصفهاني في اخبار اصفهان ١: ١٣١ ويوسف بن عبد البر الاندلسي في تجريد التمهيد ص ١٨٥ والخطيب البغدادي في معالم التنزيل والثعلبي في تفسيره و الحموييني في فرائده وابو نعيم في الحلية والديلمي في الفردوس والسمعاني في مناقب الصحابة وابن العربي الاندلسي في احكام القرآن ١: ١٨۴ والرازي في تفسيره الكبير ٢٥: ٢٢۶ والذهبي في تلخيص المستدرك والقرطبي في تفسيره ١۴: ٢٣٣ ـ ٢٣۴ ومحب الدين الطبري في ذخائر العقبى ص ١٩ و محي الدين يحيى بن شرف النووي في رياض الصالحين ص ۴۵۵ والطبري في تفسيره والدشتكى الشيرازي الهروي في روضة الاحباب في باب الصلاة على النبي 3 ومحمد بن ادريس الهندي الكاندهلوى الحنفي في التعليق الصبيح في شرح المصابيح ١: ۴٠١ والمحدث السيد ابراهيم نقيب مصر في البيان والتعريف ٣: ١٣۴ و الخازن في تفسيره ۵: ٣٢۶ وجلال الدين السيوطي الشافعي في التعليق الصبيح في شرح المصابيح ١: ۴٠١ والمحدث السيد ابراهيم نقيب مصر في البيان والتعريف ٣: ١٣۴ والخازن في تفسيره ۵: ٣٢۶ وجلال الدين السيوطي الشافعي في بغية الدعاة ص ۴۴٢ وفي الدر

الصحابة كالامام علي Δ[١] وابن عباس[٢] وابي سعيد الخدري[٣] وابي طالب[٤] وابن ابي مسعود[٥] وانس بن مالك[٦] وكعب بن عجرة[٧] وطلحة[٨] وابراهيم[٩] وابي هريرة[١٠] وبشير بن سعد[١١] وابي مسعود الانصاري[١] وابي حمية الساعدي[٢] وام سلمة[٣] و ائمة اهل البيتΔ

المنثور حيث نقلنا الإخراجات عدد المروى عنه عن النبي 3 والهيثمي في الصواعق المحرقة ص ١٤٤ والمولى محمد بن پير علي افندي البركوئي في الأربعين حديثاً ص ٢٦٤ والمير محمد صالح الكشفي الترمذي في مناقب مرتضوي ص ٤٥ والشوكاني في فتح الغدير ٤: ٢٩٣ والالوسي في روح المعاني ٢٢: ٧٣ وابوبكر العلوي الحضرمي في رشفة الصادي ص ٣٤ و ٢٩ والجاوي في القول الفصل ٣: ٣٧٢ (ملحقات احقاق الحق ٣: ٢٥٢ ـ ٢٧١).

١ . اخرجه عنه ابن ابي شيبة واحمد و عبد بن حميد والنسائي وابن ماجة وابن مردويه.

٢ . اخرجه عنه ابن جرير عن يونس بن خباب قال خطبنا بفارس فقال: ان الله وملائكته الآية قال: أنبأني من سمع ابن عباس يقول هكذا انزل فقالوا يا رسول الله قد علمنا الصلاة السلام عليك فكيف الصلاة فقال قولوا...

٣ . اخرجه عنه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن ماجة وبن مردويه.

٤ . اخرجه عن ابن مرديه.

٥ . اخرجه عنه ـ فيمن اخرجه ـ ابن جرير.

٦ . ممن اخرجه عنه ابن جرير وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن ابي حاتم وابن مردويه عن كعب بن عجرة قال لما نزلت ان الله وملائكته...» قلنا يا رسول الله 3 قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك؟ قال قولوا «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم و على آل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك.. واخرج مثله عنه عبد الرزاق و ابن شيبة واحمد والبخاري ومسلم وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة.

٧ . اخرجه عنه ابن ابي شيبة وعبد بن حميد والنسائي وابن ابي عاصم والهيثم بن كليب الشاشي وابن مردويه وابن جرير.

٨ . اخرجه عنه ابو داود وابن مردويه والبيهقي في سننه وعبد بن حميد والنسائي والبخاري في الادب المفرد.

٩ . اخرجه عنه ابن جرير.

١٠ . اخرجه عنه فيمن اخرج ابن جرير عن عبدالرحمن بن كثير عنه ومثله مالك وعبد الرزاق وابن ابي شيبة وعبد بن حميد وابو داود والترمذي والنسائي وابن مردويه وابن خزيمة والحاكم وصححه والبيهقي في سننه.

١١ . اخرجه عنه احمد وعبد بن حميد وابن مردويه.

كافة عن النبي3 قوله: ❁تقولون: اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم ثم تسلمون علي☯ وقد تختلف فيها صيغة النقل مع الحِفاظ على الأصل: ان الصلاة على آل محمد لزام الصلاة عليه3.

وقد يلمح وصف الخطاب ❁يا ايها الذين آمنوا☯ ان الصلاة عليه والتسليم له من لوازم الايمان، اجل و كما الصلاة لله مهما اختلفت صلاة عن صلاة اختلاف الأحد عن احمد!.

إن التسليم له3 مما يجب ان يعيشه المؤمن في حياته الايمانية، ثم الصلاة عليه وآله من واجبات التشهد، والتسليم عليه من سنن السلام المندوبة، فلولا الصلاة عليه فلا صلاة، مهما كان التسليم عليه ندباً دون فرض.

وهل تجب الصلاة عليه دائباً دونما انقطاع؟ وهو حرج قاض على كافة الواجبات اللفظية حتى الصلاة! وكيف تربوا الصلاة عليه الصلاة لله! فلتكن لاكثر تقدير مع كل صلاة! ام وكلما ذكر كما في متظافر الروايات[٣] وكلما تدعوا استجابة لدعائك[١] وكلما

---

١ . اخرجه عنه مالك واحمد وعبد بن حميد و البخاري ومسلم وابو داود والنسائي وابن ماجة وابن مردويه.

٢ . اخرجه عنه مالك واحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم وابو داود والنسائي وابن ماجة وابن مردويه.

٣ . محمد بن ادريس الشافعي في مسنده اخبرنا ابراهيم بن محمد اخبرنا صفوان بن سليم عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن ابي هريرة انه قال: يا رسول الله 3 كيف نصلي عليك؟ فقال: تقولون...

٤ . المصدر اخرج الطبراني وابن مردويه وابن النجار عن الحسن بن علي رضى الله عنه قال: قالوا يا رسول الله أرأيت قول الله: إن الله ومالئكته يصلون على النبي؟ قال:ان هذا لمن المكتوم ولولا انكم سألتموني عنه ما اخبرتكم ان الله وكل بي ملكين لا اذكر عند عبد مسلم فيصلي علي الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جواباً لذينك الملكين آمين ولا اذكر عند عبد مسلم فلا يصلي علي الا قال ذلك الملكان لا غفر الله لك و قال الله وملائكته لذينك الملكين آمين «أقول: آمين من الله اخبار عن الاستجابة لادعائها، و فيه اخرج احمد والترمذي عن الحسين بن علي∆ ان رسول الله3 قال: البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي وخرج ابن ماجه عن ابن عباس والبيهقي في الشعب عن

تذكر ربك[٢] فلتعيش ذكر الله ﴿اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾ وتعيش على ضوئه الصلاة على رسول الله[٣] و كما ندرس ذلك القرن الدائب من الشهادتين!

انما الواجب من الصلاة عليه ما في تشهد الصلاة، ويليه على أشراف الواجب كلما ذُكر، ثم وسائر الصلاة عليه سنة، فصلوات الله عليه و على آله ما طلعت الشمس و غربت[٤] وواجب التسليم له (صلى الله عليه وآله وسلم) يشمل كل حياة التكليف في

ابي هريرة قالا قال رسول الله3 من نسي الصلاة علي اخطأ طريق الجنة اقول : يعني به التناسي والتساهل.

واخرج البيهقي في الشعب عن انس(رض) قال قال رسول الله3 اتاني جبرئيل فقال: رغم انف امرئٌ ذكرت عنده فلم يصل عليك واخرج القاضي اسماعيل عن الحسن(رض) قال قال رسول الله3 كفى به شحاً ان يذكرني قوم فلا يصلون علي.

وفي نورالثقلين ۴: ۳۰۲ ح ۲۲۰ في من لا يحضره الفقيه روى زرارة عن ابي جعفرΔ انه قال: وصل على النبي3 كلما ذكرته او ذكره ذاكر عندك في اذان او غيره.

١ . المصدر اخرج عبدالرزاق عن ابن عينية قال اخبرني يعقوب بن زيد التيمي قال قال رسول الله 3 اتاني آت من ربي فقال: لايصلي عليك عبد الا صلى الله عليه عشراً فقال رجل يا رسول الله3! ألا اجعل نصف دعائي لك؟ قال:ان شئت قال: الا اجعل كل دعائي لك؟ قال(صلى الله عليه وآله وسلم): اذن يكفيك الله هم الدنيا والآخرة.

٢ . المصدر اخرج الترمذي وحسنه عن ابي هريرة عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم الا كان عليهم ترةفان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم و فيه اخرج البيهقي في شعب الايمان عن جابر(رضي الله عنه) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما اجتمع قوم ثم تفرقوا عن غير ذكر الله وصلاة على النبي الا قاموا عن انتن جيفة.

٣ . المصدر اخرج الترمذي وحسنه وابن حبان عن ابن مسعود(رضي الله عن) ان رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) قال: اولى الناس بي يومه القيامة اكثرهم علي صلاة.

۴ . نورالثقلين ۴: ۳۰۱ في عيون الاخبار باب ما كتبه الرضا Δ للمأمون عن محض الاسلام و شرائع الدين «والصلاة على النبي واجبة في كل موطن وعند العطاس و الذبايح وغير ذلك، وفي الخصال عن الاعمش عن جعفر بن محمد Δ قال : هذه شرائع الدين ـ الى ان قال: ـ والصلاة على النبي واجبة في كل المواطن وعند العطاس والرياح و غير ذلك، اقول علّه يعني من واجبة ثابتة مهما اختلفت الثبوتات فرضاً وندباً، وفي ثواب الاعمال عن ابي المعزا قال سمعت ابا الحسنΔ يقول: من قال في دبر صلاةالصبح و صلاة المغرب قبل ان يثني رجليه او يكلم احداً : «ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً اللهم صل على محمد و ذريته، قضى الله له

حياته (صلى الله عليه وآله وسلم) و بعد مماته (صلى الله عليه وآله وسلم) و كذلك سنة التسليم عليه فانه المجيب ميتاً كما يجيب حياً[١] ثم الصلاة عليه في صلاة وسواها فانه يسمع سلامنا وصلاتنا دون ان تهدَر بلا جوتاب وصواب او ثواب[٢].

ولان الصلاة عليه احسن هدية اليه وهو أحق من يُهدى اليه فقولوا: ❁اللهم اجعل صلواتك ورحمتك و بركاتك على سيد المرسلين وإمامن المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة، اللّهم ابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأولون والآخرون، اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد☯[٣] و كما قال (صلى الله عليه وآله وسلم) اللهم صل على محمد وابلغه درجة الوسيلة من الجنة اللهم اجعل في المصطفين محبته، وفي المقربين مودته، وفي علّيين ذكره وداره، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد

مائة حاجة سبعين في الدنيا و ثلاثين في الآخرة قال قلت ما معنى صلاة الله وصلاة ملائكته وصلاة المؤمن؟ قال: صلاة الله رحمة من الله وصلاة الملائكة تزكية منهم له و صلاة المؤمنين دعاء منهم له.

١ . المصدر اخرج البيهقي في الشعب والخطيب وابن عساكر عن ابي هريرة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائياً كفي امر دنياه وآخرته و كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة، وعنه قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): اكثروا الصلاة علي يوم الجمعة فانها معروضة علي.

٢ . المصدر أخرج البيهقي في شعب الايمان وابن عساكر و ابن المنذر في تاريخه عن أنس بن مالك (رض) قال قال رسول الله 3: إن أقربكم مني يوم القيامة في كل موطن اكثركم علي صلاة في الدنيا من صلى علي يوم الجمعة وليلة الجمعة مائه مرة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة و ثلاثين من حوائج الدنيا ثم يوكل الله بذلك ملكاً يدخله في قبري كما يدخل عليكم الهدايا يخبرني بمن صلى علي باسمه ونسبه الى عشرة فاثبته عندي في صحيفة بيضاء.

٣ . الدر المنثور ٥: ٢١٩ ـ اخرج عبد الرزاق و عبد بن حميد وابن ماجه وابن مردويه عن ابن مسعود قال:اذا صليتم على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فاحسنوا الصلاة عليه فانكم لاتدرون لعل ذلك يعرض عليه قالوا: فعلِّمنا قال: قولوا...

وعلى آل محمد ﷺ[١].

وأخصر صلاةٍ عليه ﷺاللهم صل على محمد وآله ﷺ يكتفى بها حال الدعاء كما في الصحيفة السجادية، ثم ﷺوآل محمد ﷺ كلما ذكر، ثم احسنوا الصلاة عليه حسب المستطاع في سائر الحالات والمجالات وكما في صلاة الجمعة والميت.

ومن اللمحات اللامعة في هذه الآية فرض الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لمّا مات، وكما صلى عليه اهل المدينة واهل العوالى[٢] فصلوات الله عليه حياً وصلوات الله عليه حين مات وصلوات الله عليه مدى الدهر، كما ومن التسليم له التسليم لمن وصاه بامر الله.[٣]

«إِنّ الّذينَ يُؤْذُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللّهُ فِى الدّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ أَعَدّ لَهُمْ عَذابًا مُهينًا» (٥٧:٣٣).

ايذاء الله ورسوله لا تحمله إلاّ هذه الآية، وقرنُ الرسول في ايذاءه بالله مما يؤذون

---

١ . المصدر اخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال قلنا يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)! قد عرفنا كيف السلام عليك فكيف نصلي عليك قال...

٢ . نورالثقلين ۴: ٣٠٣ ح ٢٢٨ في اصول الكافي عن ابي مريم الانصاري عن ابي جعفر(عليه قال قلت له كيف كانت الصلاة على النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)؟ قال: لما غسله اميرالمؤمنين (عليه السلام) وكفنه وسجاه ثم ادخل عليه عشرة فداروا حوله ثم وقف اميرالمؤمنين (عليه السلام) في وسطهم وقال: «ان الله وملائكته..» فيقوم القوم كما يقول حتى صلى عليه اهل المدينة واهل العوالي، وفيه عن جابر عن ابي جعفر(عليه السلام) قال: لما قبض النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) صلت عليه الملائكة والمهاجرون والانصار فوجاً، فوجاً قال وقال اميرالمؤمنين (عليه السلام) سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول في صحته وسلامته: انما نزلت هذه الآية علي بعد قبض الله لي «إنَّ الله وملائكته..» اقول: يعني انها تعني فيما تعني الصلاة علي بعد موتي.

٣ . المصدر ٣٠٥: ٢٣۴ في كتاب الاحتجاج عن اميرالمؤمنين (عليه السلام) فاما ما علمه الجاهل والعالم من فضل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من كتاب الله فهو قول الله سبحانه «ان الله وملائكته..» ولهذه الآية ظاهر وباطن، فالظاهر قوله «صلوا عليه» والباطن قوله «وسلموا تسليماً» اي سلموا لمن وصاه واستخلفه عليكم فضله وما عهد به اليه تسليماً وهذا مما اخبرتك انه لايعلم تأويله الا من لطف حسُّه وصفى ذهنه وصح تمييزه.

ان في ايذاء الرسول ايذاء الله، فانه يحمل رسالة الله، فايذاءه كرسولِ ايذاء للمرسِل، واين ايذاء من ايذاءِ؟

الذين يؤذون رسول الله ينالون منه ويظلمونه، انتقاصاً من ساحته وتكديراً لقلبه، وتكويراً لنوره، فهو يتغير بما يغيّرون ويتأثر بما يتقولون ويفتعلون: ﴿ومنهم الذين يؤذون ويقولون هو أذن قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم﴾ (٩:٦١).

فـ ﴿يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا و كان عند الله وجيهاً﴾ (٣٣:٦٩).

اترى الوقيعة في اهل بيت الرسول (عليهم افضل الصلوات) وشكيمتهم لاتؤذيه؟

او ان سنَّ السباب على اخيه وخليفته علي اميرالمؤمنين (عليه السلام) لايؤذيه؟

ام إن تحريض المؤمنين في حرب الجمل من صاحبه الجمل لا يؤذيه؟

سلوا خال المؤمنين وامهم امّن هم مِن هؤلاء الذين نكلوا بأفلاذ كبده وركلوهم، هل إن هذه تُفرحه ام تؤذيه فـ ﴿لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذاباً مهيناً﴾!

ثم الله ليس ليتأذى كخلقه سواء، اذ لا يتغير بانغيار المخلوقين، فايذاءه أمّاذا من هذه المتشابهات يجرَّد عما للخلق من تأثُّر وتغُّير، يستخلص كما يناسب ساحة الربوبية في تحرير خِلْوٍ عن اي تعبير، فكما ان غضب الله عذابه، كذلك ايذاءه من موجبات عذابه.

وما اشنعة وأبشعه و هم يحاولون اذى ربهم و ما هم ببالغيه ولو بشق الانفس، وانما ذلك تعبير يصور حساسية مرهفة بايذاء الرسول، وكأنما هو ايذاء لله، كما وإجاعة المؤمن كأنها أجاعة الله، أماذا من تعابير تصور فضاضة الفعل وهزازته في ميزان الله، وكأنها واصلة الى الله! ثم ومن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يستطرد الى المؤمنين:

«وَ الَّذينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنينَ وَ الْمُؤْمِناتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتانًا وَ إِثْمًا

مُبينًا» (٥٨:٣٣).

قد يكتسب المؤمن ذنباً بحق الله او الخلق فيؤذى حداً او تعزيراً كما حدد في شِرعة الله، او يعتدى عليه كما اعتدى، وأما أذاهم بغير ما اكتسبوا في براءَة متأكدة، ام جريمة غير ثابتة فإنها احتمال لحِملين اثنين.

١ ـ ❁فقد احتملوا بهتاناً☯ حيث الأذى من مؤمن الى مؤمن تنادي في ظاهر الحال انه اكتسب إثماً به يؤذى، فريه عملية وبهتة فعلية.

٢ ـ ❁واثماً مبيناً☯ في اصل الإيذاء شكيمة له وتحسساً منه، قد يخلِّف ما لا تُحمد عقباه، وهكذا تكون الأذى قولياً بقالة السوء عنهم، واشاعة التهم ضدهم، ثم ويلاه الجمع بين قالة وفعلة مؤذية، وكما افتعلوها باهل بيت الرسالة القدسية ومن نحى نحوهم من الكتلة الايمانية.

محمد3 اسوة طليقة

«لَقَدْ كانَ لَكُمْ فى رَسُولِ اللّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَكَرَ اللّهَ كَثيراً» (٢١:٣٣)

❁أسوة☯ من ❁اَسَوَ☯: اسوت الجرح: داويته، بخلاف الأسى: الحزن، فالواوي منه بمعنى المداواة والاصلاح، واليائي هو الحزن، والأسى الجراح، فاطبيب الآسي: هو المداوي، والمصلح بين القوم: الآسي، فالاسوة الحسنة هي حالة خاصة في الاتباع تضمن كلا النفي والاثبات بصورة مطلقة ازالة الامراض واصلاح الحال، ولان الفعلة هي ما يفعل به، فالأسوة هي ما يؤتسى به، فهي الحالة التي يداوى بها ويصلح، فقد تكون للانسان نفسه كالنبي بما يوحى اليه، ام باتباع غيره كالمرسل اليهم باتباعه في رسالاته ككلٍّ في قولٍ وفعل وتقرير في عقيدة وأية طوية من نية وعلم، ام ظاهرة في فعل ام تقرير.

و ❁اسوة حسنة في رسول الله☯ تعني الأسوة المطلقة بما يحمل من رسالة الله، فيقتدى به شفاءً لأدواءِ وإصلاحاً بعد زوال الداء! والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ❁طبيب دوار بطبه قد أحكم مراهمه وأحمى مواسمه يضع من ذلك حيث الحاجة اليه من قلوب عُمي وآذان صُمٍّ وألسنة بُكم متتبع بدوائه مواضع الغفلة ومواطن الحيرة، لم يستضيئوا بأضواء الحكمة ولم يقدحوا بزناد العلوم الثاقبة فهم في ذلك كالانعام السائمة والصخور القاسية، قد انجابت السرائر لاهل البصائر ووضحت محجة الحق لخابطها واسفرت الساعة عن وجهها وظهرت العلامة لمتوسمها، مالي اراكم اشباحاً بلا ارواح وارواحاً بلا اشباح ونساكاً بلا صلاح وتجاراً بلا أرباح وايقاظاً نوَّماً وشهوداً غُيَّباً وناظرة عمياء وسامعة صماً وناطقة بكماء☯[1].

---

١ . نهج البلاغة الخطبة ١٠٨ في ذكر النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) عن الامام اميرالمؤمنين (عليه السلام).

والأسوة الحسنة قد تكون مطلقة دون حدود كما ﴿في رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)﴾ ام مرفقة بحدود كما في ابراهيم (عليه السلام): ﴿قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآءٌ منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدأ بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابداً حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما املك لك من الله من شيءٍ ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير﴾ (٤:٦٠).

لقد كان ابراهيم في وعد الاستغفار لابيه وواقعه معذوراً، فلانه ما اصاب الحق هنا على عذر، فلأ اسوة في عمله المعذور، وهذا يدلنا الى العصمة المطلقة للرسول محمد3 حيث الأسوه فيه مطلقة لايخطأ ولو معذوراً، ففي كل اقواله واعماله هو أسوة دونما استثناء.

واذا لا يؤتسى ابراهيم الخليل (عليه السلام) في بعض القول وهو معصوم، فباحرى ألاّ يؤتسى غير المعصوم أسوة مطلقة، واحياناً هو مأثوم وأخرى خاطىء غير مأثوم.

إن أسوة الرسول المطلقة هي الحسنة المطلقة، وتركها المطلق، سيئة مطلقة، والعوان بين ذلك: قد تأتسي به وقد لا تأتسي، هي اسوة غير حسنة، فقيد اسوته بـ : ﴿حسنة﴾ اطلاق لها تحلِّق على كافة جنبات الحياة الفردية والجماعية، صعبة ملتوية، كما في خندق الاحزاب، ام سهلة لا تلتوي كالعبادات التي لا تكلف نفساً ولا مالاً، وإنما حالاً وأعمالاً!

فالمقتدي به 3 في محراب الصلاة، والتارك له القاعد عنه في محراب أسوته غير حسنة، وهو ممن يعبد الله على حرف ﴿فان اصابةخير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه﴾ (١١:٢٢) ! او الأسوة به في علم دون عمل، ام عمل دون علم، ام في علم و عمل دون عقيدة ونية، إنها أسوة سيئة.

ان خندق الحرب مع الاحزاب حيث ابتلي به المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً، كان فتنة يفتتن بها من يدّعون الايمان، فامتاز به صادق الايمان عن كاذبه، ومازج الايمان و

ساذجه عن ناضجه، وهنالك الأسوة معيار له عياره المطلق، المؤتسي به في هذه المعركة المزلزلةالمزمجرة له اسوة حسنة في كافة الحالات، وهو مِن ﴿مَن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾.

إنها لم تكن صدفةً ان تُحتفى آية الاسوة بآيات خندق الاحزاب، قبلها زلزال المؤمنين ونفاق المنافقين، وبعدها تصديق المؤمنين وزيادة الايمان والتسليم، والكل بين انهزام الكافرين ﴿اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها..﴾[٩]

وردهم بغيظهم ﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً و كفى الله المؤمنين القتال و كان الله قوياً... عزيزاً﴾[٢٥] خمسة عشرة آية بينهما واخيرتها ﴿لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة...﴾!

آية الأسوة تفرض بكل تاكيد و تأبيد الأسوة الحسنة المطلقة برسول الله ﴿لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾.

ف ـ ﴿لقد﴾ تاكيد ان اثنان، و ﴿كان﴾ تضرب بهذه الأسوة الى اعماق الماضي، ان ليس تكليفاً حاضراً، بل هو ماضٍ ويبقى، في مثلث الزمن منذ بداية الايمان لحدِّ الإرتحال الى رحمة الله.

وليست هذه الاسوة له (صلى الله عليه وآله وسلم) اذ ليس إلا رسولاً لا يهدف شخصه وشخصيته، ولا عليكم، اذ ليس إلاّ لصالحكم كمؤمنين صادقين، بل هو ﴿لكم﴾: لقد كان لكم...﴾!

﴿في رسول الله﴾ بما يحمل رسالة الله، فهي اذاً أسوة في الله و ﴿من يطع الرسول فقد اطاع الله﴾! لا في ﴿محمد 3 كائناً مَن كان، فانه دون رسالة لا أسوة فيه مطلقة فليست حسنة مطلقة!

﴿لمن كان يرجوا الله﴾ فرجاء الله في حياته كلها متعرق في اعماقه وارجاءه كلها، فان ﴿كان﴾ هنا كما الاول تضرب الى عمق الماضي، فليست اذاً حالةجديدة

بسيطة بادئَة، بل هي ماضية متعمقة متعرقة، عاشها الراجي الله طائلاً عميقاً من حياتـه، و كان ﴿ذكر الله كثيراً﴾ لا فقط بلسانه، فكثيرٌ هولآء الـذاكرون بألسـنتهم الغـافلون بقلوبهم واعمالهم، وانما كثيراً بقلوبهم، الظاهر في اقوال واعمالهم، فالذاكر الله دائبـاً لـه اسوة في رسول الله دائباً!

لا تقل انه رسول اخلصه الله بعصمة منه ورحمة لدنية، فكيف لنا ـ ونحن نحن ـ فيه اسوة، فانما الاسوة فيه فيما سوى العصمة، ما يتوجب عليك كمستسـلم لله مخلصـاً لـه الدين، فمهما العصمة لم تكن كسـببية، فمـا دونهـا مـن درجـات العـارفين و مقامـات المخلصين كسببية بتلك الأسوة الحسنة.

يخرج الرسول 3 بنفسه يعمل في خندق الاحزاب مع المؤمنين، يضرب بالفأس كما يضربون، ويجرف التراب بالمسحاة كما يجرفون، ويضم صـوته الى اصـوات المرتجـزين، وهو يقودهم في كل ذلك وهم فيه يتأسون، و هو يتقدمهم حين يعيون، يقـول سـلمان غلظت عليّ صخرة في ناحية منن الخندق فلما رآني نـزل فاخـذ المعـول مـن يـدي فضرب به ضربة تحت المعول برقة، ثم ضرب أخرى فلمعت تحته برقة أخرى، ثم ثالثـة فلمعت أخرى قلت بابي وامي يا رسول الله 3! ما هذا الذي رايت لمـع المعـول وانـت تضرب؟.. قال: اما الاولى فان الله فتح علي بها اليمن، واما الثانية فان الله فتح علي بها الشام والمغرب، واما الثالثة فان الله فتح علي بها المشرق..﴾

هذا والخطر الخطير من الاحزاب محدق، والقرّ شديد مطبق مرهق، وحذيفة يرتعش برداً والرسول يصلي فاذا به يحن اليه ويلقي اليه طرفاً من ثوبه ليدفئـة في حَنـو وهـو يناجي ربه، وبعد ما ينتهي من صلاته يبشره حذيفة بالتي رآهـا في بريقـات كـالمعول وعرفها قلبه.

﴿لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة﴾ كهذه التي كانت للذين معه في مثـل هذه المعركة الصاخبة، لا فقط في اغتنام الغنيمة وصلاة الجماعة ﴿تقـول في المجـالس

كيت وكيت فاذا جاء الجهاد فحيدي حياد!"[١] فمن الواجب على كل مؤمن ان تحلِّق الأسوة في رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على كل اقواله وعقائده واحواله واعماله، دونما تخلف عنه ولا قيد شعرة، في فعله و تركه لزاماً ورجاحة اماذا، وقد هم عمر بن الخطاب ان ينهى عن الجرة من صباغ البول فقال له رجل: اليس قد رأيت رسول الله 3 يلبسها؟ قال عمر: بلى، قال الرجل: الم يقل الله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة؟ فتركها عمر.[٢]

كما و اكب عمر على الركن فقال: اني لا علم انك حجر ولولا أن رسول الله 3 قبلك واستلمك ما استلمتك ولا قبلتك لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة.[٣]

ثم نرى فلتات من الخليفة عمر تتعارض وهذه الأسوة المجيدة كقوله اياكم والأحمرين: اللحم والنبيذ فانهما مفسدة للدين متلفة للمال والرسول 3 يقول سيد الإدام في الدنيا والآخرة اللحم..[٤]

وقدهم الخليفة ان ياخذ حلي الكعبة فيجهز بها جيوش المسلمين فقال له علي∆ كان حلي الكعبة فيها زمن الرسول 3 فتركه الله على حاله و لم يتركه نسياناً ولم يخف عليه مكاناً فأقره حيث اقره الله ورسوله فقال عمر: لولاك لافتضحنا وترك الحلي بحاله.[٥]

وقد اشتهر عنه في حكم المتعتين ما يخالف كتاب الله وسنة رسول الله3 متعتان كانتا في زمن رسول الله 3 حلالاً وانا أحرمهما واعاقب عليهما متعة الحج و متعة النساء.[٦]

---

١ . قبسة من مشكاة الامام علي ∆ في خطبة جهادية.
٢ . الدر المنثور ٥: ١٩٠ ـ اخرج عبدالرزاق في المصنف عن قتادة قال: هم عمر بن الخطاب...
٣ . المصدر ـ اخرج احمد عن ابن عباس ان عمر...
٤ . واشباهها راجع «علي والحاكمون» تجد فيه تفاصيلها.
٥ . واشباهها راجع «علي والحاكمون» تجد فيه تفاصيلها.
٦ . واشباهها راجع «علي والحاكمون» تجد فيه تفاصيلها.

وهكذاك نراه يتفلت عن هذه الأسوة المباركة أحياناً ويتلفت اخرى ولماذا؟ انا لا ادري!

واليكم نبأً من المؤمنين معه 3 في تلك المعركة المزمجرة المحرجة التي برزت فيها معالم النفاق من طائفة، وضآلة الايمان من اخرى، ولكنما الثالثة:

«وَ لَمّا رَأَ الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزابَ قالُوا هذا ما وَعَدَنَا اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ صَدَقَ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ ما زادَهُمْ إِلاّ إيمانًا وَ تَسْليمًا» (٢٢:٣٣)

واين هذه الآمنة المؤمنة من تلك المنافقة الفاتكة ❁... ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً.. يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا.. سلقوكم بألسنة حداد اشحة على على الخير..☯!

واين كان ومتى، وعد الله ورسوله هجمة الأحزاب وتحليقهم هكذا بأقطار المدينة من فوقهم ومن اسفل منهم؟ قد يكون مثل قوله تعالى ❁ام حسبتهم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب☯ (٢١٤:٢) و: ❁هنالك ابتلي المؤمنون و زلزلوا زلزالاً شديداً☯[1] بلاءً وزلزالاً من هجمة لا قِبَل لها من الأحزاب، وزلزالاً علّها أشد هي من هجمة الدعاية المنافقة: ❁ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً☯ وآية البقرة تصريحة بوعد البلاء والزلزال الشديد فهم يترقبونه، وتلميحة بقريب النصر علّه مع الزلزال امّا هيه؟

وكما كان الرسول3 ـ على ضوء وعد الله ـ وعدهم بتظاهر الاحزاب عليهم و ان الله ينصرهم[1] ولكن متى نصر الله؟ هل هو في هذه الحرب؟ ام بعده؟ ام و دون حرب حارقة؟ ليس في وعدهم إلاّ ❁ألا إن نصر الله قريب☯!

---

١ . نورالثقلين: ٢٥٣:٤ القمي في حديث غزوة الخندق «وقد كان رسول الله 3 اخبر أن العرب تتحزب علي و يجيئون من فوق وتعذر اليهود ونخافهم من اسفل وانه يصيبهم جهد شديد ولكن يكون العاقبة لي عليهم...».

ورغم ان هذه الزلزال بطبيعة الحال تزلزل من الايمان ام تزيله، ولكنهم ﴿ما زادهم إلاّ ايماناً وتسليماً﴾ ايماناً بالله حيث يرون وعده واقعاً، وتسليماً لأمر الله حتى وان كان فيه بتسليم انفسهم، فانهم ممن صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وهم دوماً في انتظار الانتصار وسواءٌ عليهم أيَقتلون او يُقتلون!:

﴿من المؤمنين رجال﴾: بعضاً قليلاً لا كلّهم حيث الايمان درجات، وفي هذا العرض ينضم المؤمنون غير الصادقين في عهدهم الى قبيل المنافقين توسعاً فيهم وتضيقاً في قبيل المؤمنين ثم لايبقى إلاّ الكافرون!

وهذه صورة وضيئة من الايمان الصادق تقابل صورة وضيعة من ضعف الايمان تلحق النفاق فتنضم اليه و كما مضت ﴿واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض﴾ وليتسابق المؤمنون في الحصول على صورته الوضيئة الصادقة، ومواصفة هولاء المؤمنين في اوّل المطاف ب ـ : ﴿رجال﴾ تاتي لهم بصورة صارمة من رجولات وبطولات في ايمانهم، فليست تعني رجولة الجنس فتخرج بها نساءٌ هنَّ أرجل من رجال كما الصديقة الطاهره الزهراء سلام الله عليها﴾.

ف ـ﴿في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه... رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله..﴾ (٣٧:٢٤) و﴿لبيت علي وفاطمة من افاضلها﴾ على حدّ قول الرسول 3 فهي اذاً من هولاء الرجال، في رجولة العصمة القمة وتطلباتها: ﴿فيه رجال يحبون ان يتطهروا﴾ (١٠٨:٩).

وهكذا رجال الأعراف: ﴿وعلى الاعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم (٤٦) ونادى اصحاب الاعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم﴾ (٤٨) كما رجال الجنة اذ ليس كل اصحاب الجنة رجال الجنس: ﴿وقالوا ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الاشرار، اتخذناهم سخرياً ام زاغت عنهم الابصار﴾ (٦٣:٣٨) اللهم إلاّ رجال الوحي: ﴿وما ارسلنا من قبلك الا رجالاً نوحي اليهم﴾ (٤٣:١٦) فان رجولة الجنس من شروط وحي الرسالة امّن يقابلون النساء: ﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مومنات...﴾

(٢٥:٤٨) ﴿أئتكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء﴾ (٥٥:٢٧)

﴿.. رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ : عاهدوه صدقاً وأتوا بما عاهدوه صدقاً بكل ما لديهم من طاقات وامكانيات: قالاً وحالاً وفعالاً، نفساً ومالاً وعلى أية حال ما وجدوا له مجالاً، فما هو ما عاهدوا الله عليه؟ المعاهدة ـ وهي عهد بين اثنتين، فالبادىء معاهِد والثاني معاهَد عليه ـ هي قد تكون من الله أن يعاهدك الله على شيءٍ وأنت تقبل: ﴿ألم أعهد اليهم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان..﴾(٣٦:٦٠) واخرى انت تعاهد الله على ما عهد اليك، ومعاهدة الآية هي الأخرى ﴿عاهدوا الله عليه﴾ واوّل العهود الإلٰهية الى المؤمنين ان ﴿لا اله الا الله﴾ والمؤمنون كلهم يعاهدون الله على ﴿لا اله الا الله﴾ فمنهم الصادقون، حيث يعيشون كلمة التوحيد قالاً وحالاً واعمالاً، دون اي نفاق بين حال و قال، ولا بينهما و بين الأعمال، وقد صدقوا في عهد التوحيد تسليماً لله على أية حال.

ومن خلفيات هذه المعاهدة، مبايعة الرسول ﴿ان الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه و من أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً﴾ (٤٨:١٠) فالمبايعون الموفون بعهد الله هم الصادقون ولهم الأجر العظيم، والناكثون لعهدهم هم من المنافقين مهما كانوا من المؤمنين، حيث النفاق دركات كما الايمان درجات، وآية الاحزاب تقابل بين الذين ﴿صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ وبين المنافقين، فليكونوا اعم ممن هو في الدرك الأسفل من النار و من ضعفاء الايمان.

وقد اشترى الله المبايعين الصادقين بانفسهم و نفائسهم: ﴿ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ (٩:١١١) وهنا الايفاء بعهد الله وهو بصيغة اخرى قضاء للنحب، لا يختص بان يُقتل المؤمن في سبيل الله، بل وان يَقتُل، قُتِل بعد ام لم يُقتل.

وكما ليس هولاء المؤمنون الصادقون هم الاولون ـ فقط ـ كذلك المبايعون الله الذين

اشترى انفسهم واموالهم، فطول الزمان و عرض المكان يحوي من هولاء من قد يفوق الاولين ام يساميهم:[١]

❁فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر..☯ وليس قضاء النحب ـ فقط ـ الموت، فصيغته الخاصة منهم من قتل او مات، وهما من مصاديق قضاء النحب في سبيل الله فقضاء النحب فيما عاهدوا الله عليه ليس إلاّ أن يعيشوا ملتزمين بعهده في كافة الحقول، ومن افضلها الجهاد في سبيل الله بانفسهم ثم باموالهم، ❁فيقتلون ويُقتَلون☯ ما وجدوا للجهاد ظروفاً صالحة، ثم ❁ومنهم من ينتظر☯ قضاء نحبه ليس ـ فقط ـ انتظاراً للشهادة حيث الانتظار لها ـ فقط ـ ليس انتصاراً لقضية الايمان، بل هو الانتصار لظرف يقضي فيه نحبه ان ❁يَقتُل أو يُقتل☯ في سبيل الله : إحدى الحسنيين!

فقد يعني ❁نحبه☯: عهده و مراهنته إذا وجد له مكانه و مكانته، قتالاً:

---

١ . يروى نزول الآية بشأن نفر من اصحاب رسول الله 3 كأنس بن نضر واصحابه ففي الدر المنثور ٥: ١٩٠ ـ اخرج ابن سعد واحمد و مسلم والترمذي والنسائي والبغوي في معجمه وابن جرير وابن ابي حاتم وابن مردويه وابو نعيم في الحلية والبيهقي في الدلائل عن انس (رضي الله عنه) قال: غاب عمى انس بن نضر عن بدر فشق عليه وقال: اول مشهد شهده رسول ا لله 3 غبت عنه لئن اراني الله مشهداً مع رسول الله 3 فيما بعد ليرين الله ما اصنع فشهد يوم احد فاستقبله سعد بن معاذ (رضى الله عنه) فقال: يا ابا عمر! والى اين؟ قال: واهاًلريح الجنة اجدها دون احد فقال حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم ونزلت هذه الآية «رجال صدقوا...» و كانوا يرون انها نزلت فيه و في اصحابه، ومنهم مصعب بن عمير كما اخرج الحاكم و صححه و تعقبه الذهبي في الدلائل عن ابي هريرة ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين انصرف من احد مر على مصعب بن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم قرأ «من المؤمنين رجال..» ثم قال (صلى الله عليه وآله و سلم) اشهد ان هؤلآء شهداء عند الله يوم القيامة فائتوهم وزوروهم فوالذي نفسي بيده لا يسلم عليهم احد الى يوم القيامة الا وردوا عليه، وفي ملحقات الاحقاق ٣: ٣٦٣ روى نزول الآية في علي (عليه السلام) عدة من اعلام القوم منهم ابن الصباغ في فصول المهمة ١١٣ قيل سئل علي (عليه السلام) وهو على المنبر عن الآية قال: في وفي عمر وحمزة وفي ابن عمي عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب، واما عمي حمزة فانه قضى نحبه يوم احد واما انا فانتظر اشقاها يخضب هذه من هذا واشار الى لحيته ورأسه، عهد عهده اليّ حبيبي ابو القاسم (صلى الله عليه وآله وسلم).

❁فيَقتلون ويُقتلون☯ امّاذا من جهاد في سبيل الله بنفس و نفيس اذ يقدم رخصاً دون بخس ونقص ما وجد له مجالاً!

ومن ثم يوفّون كل معاني النحب، المرافقة للعهد، نذراً وهمَّة و برهاناً وحاجة وشدة وأجلاً ومدةً وعملاً ونفساً وسيراً سريعاً وجهاداً[1] تكريساً لهممهم ويراهينهم في كل شدة وعمل من سير سريع وجهاد ليقضوا حاجتهم من عهدهم رَبهم ما دامت مدتهم وقام أجلهم، في نفس ونفيس بكل غال ورخيص!

فهم بين من قضى نحبه تماماً ما وجب عليه فيما عاهد عليه الله إنْ بالموت او التقل ام في حياةٍ ❁ومنهم من ينتظر☯ فرصة مناسبة لقضاء نحبه بموت او قتل او في حياة، فلا تختص قضاء النحب بقتل في سبيل الله مهما كان من أعلاها، فكل تضحية في سبيل الله كما تجب قضاءٌ لنحبٍ اياً كانت! وكما يروى[2] فلا يعني قضاء النحب إلا توفية

---

١ . لسان العرب لابن منظور الإفريقي.

٢ . نورالثقلين ۴: ۲۵۸ ح ۴۸ عن روضة الكافي عدة من اصحابنا عن سهل بن زياد عن محمد بن سليمان عن ابيه عن ابي عبدالله Δ انه قال لابي بصير يا ابا محمد لقد ذكركم الله في كتابه فقال «من المؤمنين رجال...» انكم وفيتم بما اخذ الله عليه ميثاقكم من ولايتنا وانكم لم تبدلوا بنا غيرنا، و في اصول الكافي (۵۸) عن ابي عبدالله (عليه السلام) قال: المؤمن مؤمنان فمؤمن صدق بعهد الله عزوجل ووفى بشرطه وذلك قول الله عزوجل «رجال صدقوا...» وذلك الذي لا يصيبه اهوال الدنيا ولا اهوال الاخرة وذلك من يشفع ولايشفع له ومؤمن كخامة الزرع ـ يعوج احياناً ويقوم احياناًفذلك ممن يصيبه اهوال الدنيا واهوال الآخرة وذلك ممن يشفع له و لا يشفع. اقول: ولان افضل ما عاهدوا الله عليه هو القتل او الموت في سبيل الله توفية كاملة للعهد، فقد وردت روايات اخرى في ان قضاء النحب هو الموت او القتل كما رواه في روضة الكافي (۴۹) عن ابي عبدالله (عليه السلام) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يا علي من احبك ثم مات فقد قضى نحبه ومن احبك ولم يمت فهو ينتظر...» وفي كتاب الخصال (۵۰) عن جابر الجعفي عن ابي جعفر (عليه السلام) عن اميرالمؤمنين (عليه السلام) حديث طويل يقول فيه (عليه السلام) ولقد كنت عاهدت الله تعالى ورسوله انا وعمي حمزة واخي جعفر وابن عمي عبيدة على امر وفينا به لله تعالى ولرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) فتقدمني اصحابي وتخلفت بعدهم لما اراد الله تعالى فانزل الله فينا «من المؤمنين رجال...» حمزة وجعفر وعبيدة وانا والله المنتظر يا اخا اليهود وما بدلت تبديلاً، وفي ارشاد المفيد (۵۰) في مقتل الحسين (عليه السلام) ان الحسين (عليه السلام) مشى الى مسلم بن عوسجة لما صرع فإذا به رمق فقال:

العهد وهي للمعصومين ومن معهم حاصلة قبل الموت او القتل او بهما، يعيشون قضاء نحبهم على اية حال!

❁وما بدلوا☯ ما عاهدوا الله عليه ❁تبديلاً☯ لا من قضى نحبه حين قضى ولا من ينتظر، وانما كملوا تكميلاً، ومن الحكمة الحكيمة لذلك الابتلاء المثلث:

١ ـ **«لِيَجْزِيَ اللّهُ الصّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ»** وهم الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

٢ ـ **«وَ يُعَذِّبَ الْمُنافِقِينَ إِنْ شاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنّ اللّهَ كانَ غَفُورًا رَحيمًا».**

❁ويعذب..☯ معلوم و هو قضية النفاق، بل ❁ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار☯ فكيف ❁او يتوب عليهم☯؟

❁يتوب عليهم☯ لو تابوا وصحت توبتهم ونصحت، ولا سيما قرنائهم ❁والذين في قلوبهم مرض☯ حيث قرنوا ب ـ ❁اذ يقول المنافقون☯ فانهم ذيولهم وليسوا منهم مردة النفاق ومرجفة المدينة، بل المستجيبون لهم في دعاياتهم لصعف ايمانهم، فعلّهم هم المعنيون بـ ـ ❁او يتوب عليهم☯.

فآية ❁صدقوا ما عاهدوا الله عليه..☯ جعلت غير الصادقين في ايمانهم منافقين اصولاً واتباعاً، ثم فرقت آية الجزاء بينهما ❁ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم إن الله كان غفوراً رحيماً☯.

٣ ـ **«وَ رَدّ اللّهُ الّذينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنالُوا خَيْرًا»:** قتلة ولا غلبة ولا غُنمة بل ❁وكفى الله المؤمنين القتال☯ فلم يقاتلوا الا شذراً بما قتل اميرالمؤمنين عمرو بن عبد

رحمك الله يا مسلم «فمنهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً» وفي كتاب مقتل الحسين لابي مخنف ان الحسين لما اخبر بقتل رسوله عبدالله بن يقطر تغرغرت عينه بالدموع وفاضت على خديه ثم قال: «فمنهم من قضى نحبه...» وفي مناقب ابن شهر آشوب (٥٧) ان اصحاب الحسين بكربلا كانوا كل من اراد الخروج ودّع الحسين (عليه السلام) وقال: السلام عليك يا ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيجيبه: وعليك السلام ونحن خلفك ويقرء «فمنهم من قضى نحبه...».

ود ونفراً آخرين[١] فارسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً☯[٩] ❁وكان الله قوياً عزيزاً☯ وهذا نصيب الكفار ثم:

«وَ أَنْزَلَ الَّذينَ ظاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مِنْ صَياصيهِمْ وَ قَذَفَ في قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَريقًا تَقْتُلُونَ وَ تَأْسِرُونَ فَريقًا(٢٦) وَ أَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِيارَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ وَ أَرْضًا لَمْ تَطَؤُها وَ كانَ اللّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديراً»(٢٧:٣٣)

المظاهرة هي المعاونة، والصياصي جمع صيصية وهي الحصن الحصين، وقد ❁انزل☯ الله ❁الذين ظاهروهم☯ المشركين ❁من اهل الكتاب☯ وهم بنو قريظة، انزلهم من صياصيهم وحصونهم، وقذف في قلوبهم الرعب، فلا صياصي لهم آفاقية، ولا صياصي انفسية حيث انزلهم الله من كل الصياصي.

فانتج عن ذلك الإنزال انكم ❁فريقاً تقتلون☯ من المنزلين ❁وتاسرون فريقاً☯.

ثم ❁واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم☯ وطئتموها، بل ❁وارضاً لم تطئوها☯ وهي ارض خيبر، او التي افاء الله على رسوله منهم مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب.

وقد يعني ❁واورثكم ارضهم☯ كل ارض يرثها المسلمون منهم على طول خطوط النار، في جهادهم المتواصل الصارم! ❁وكان الله على كل شيء قديراً☯.

---

١ . في ملحقات الاحقاق ٣: ٣٧٦ روى نزول الاية في علي (عليه السلام) عدة من اعلام القوم منهم العلامة الكنجي في كفاية الطالب(١١٠) وابوحيان الاندلسى المغربي في البحر المحيط ٧: ٢٤ وملاّ معين الكاشفي في معارج النبوة ١: ١٦٣ والسيوطي في الدر المنثور٣: ١٩٢ والمير محمد صالح الكشفي الترمذي في مناقب مرتضوي ٥٥ والحافظ ابوبكر بن مردويه في المناقب كما في كشف الغمة(٩٣) والآلوسي في روح المعاني ٢١: ١٥٦ والقندوزي في ينابيع المودة ٩٤ وابو نعيم الحافظ كلهم عن ابن مسعود كان يقرء: وكفى الله المؤمنين القتال بعلي(عليه السلام) وساق قصة عمرو بن عبدو كما فصلناه.

محمد3

فى استقامته

«وَ إِنَّ كُلاًّ لَمّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّکَ أَعْمالَهُمْ إِنَّهُ بِما يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ»(١١١:١١)

لأن الإختلاف في كتاب قد يقضي قضاءً حاضراً يوم الدنيا كلمحة من القضاء يوم الدين و قد لا يقضي، فقد يقضي على المكذبين شطراً هنا قبل توفيته يوم الدين، وأخرى يقضي ـ فقط ـ عليهم يوم الدين، ولا يعني ۞لقضي بينهم☯ للكل إلاَّ قضاء يوم الدين، ولا لبعض المكذبين إلا شطراً منه يوم الدنيا، حيث سبقت كلمة الله بمختلف القضاء على من يستحقه، ثم هم على سواء في توفي القضاء يوم الدين.

وهنا ۞لَمَّا☯ جازمة زمانية حذف مدخولها لمعرفته وهو: يأت زمن توفيتهم، وهو يوم القيامة، المعروفة من ۞ليوفينهم☯ ۞إنه بما يعملون خبير☯ لا تعزب عنه أعمال لطول الأمد.

وهنا ۞كلاًّ☯ تعني كلاً من المختلفين في الكتاب والمكذبين، أصلاء أم تابعين، سابقين أم لاحقين ۞ليوفينهم ربك أعمالهم☯ كما عملت ۞وهم لايظلمون☯ فالمستأصَلون يوم الدنيا ليسوا كالمؤجلين إلى يوم الدين، وإنما ۞من يعمل مثقال ذرة شراً يره☯.

ذلك، فعليك يا رسول الهدى، الحامل لأثقال الرسالات كلها، المتحمل الأذيات والصعوبات كلها، وأنت تسمع أنباء الأمم الماضية وما واجهوا به الرسل الماضين، ۞فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأُمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لاحجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير☯ (١٥:٤٢) ولذلك:

«فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ وَ مَنْ تابَ مَعَكَ وَ لا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ»(١١٢:١١)

وهذه الآية مما شيبت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أكثر من آيةالشورى

التي اعتبرت في حديثه من أخواتها، حيث قال: ﴿شيبتني سورة هود وأخواتها﴾ ولماذا؟

لأن آية الإستقامة في الشورى تختص به (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه، وآية هود هذه تضيف إليه ﴿ومن تاب معك﴾ فهي كـ ﴿تبتل إليه تبتيلاً﴾ أن ينقطع إلى الله إنقطاعاً جماعياً يبتل غيره به كما يبتل نفسه (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الله تبتيلاً.

وهنا ﴿فاستقم كما أُمرت﴾ في رسالتك ودعوتك وتصبُّرك على كل أذىً ولظىً، لافحسب أنت، بل ﴿ومن تاب معك﴾ عليك أن تقيمهم كما تقيم نفسك فتصبح بمن تاب معك جمهرة الإستقامة القيمة التي أُمرت بها، أن تصنع كنفسك آخرين تابوا معك إلى الله، فإن يداً واحدة لا تصفق، وإن يد الله مع الجماعة.

وهنا وهناك الإستقامة هي طلب إقامة أمر الله كما يحق ويرضاه الله و ﴿لا يقيم أمر الله إلا من لا يصانع ولا يضارع ولا يتبع المطامع﴾ (الحكمة ١٠٨) والأصل في هذا الحقل هو الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وذووه المعصومون (عليهم السلام) الذين يقول عنهم أولهم: ﴿نحن النُمُرقة الوسطى، بها يلحق التالي وإليها يرجع الغالي﴾ (الحكمة ١٠٧).

لذلك ﴿لما نزلت فاستقم كما أمرت ومن تاب معك﴾ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): شمروا شمروا فما رؤي ضاحكاً﴾[1] وهكذا ﴿شيبتني هود﴾ لمكان قوله ﴿فاستقم كما أمرت﴾[2] ثم ﴿وأخواتها﴾[1] ومنها الشورى لنفس آية الإستقامة ولكن

---

١ . الدر المنثور ٣: ٣٥١ ـ أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الحسن قال:...

٢ . المصدر٣: ٣١٩ عن أبي علي السري قال: رأيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلت يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) روي عنك أنك قلت: شيبتني هود؟ قال: نعم، قلت: فما الذي شيبك منه، قصص الأنبياء وهلاك الأمم؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): لا ولكن قوله: «فاستقم كما أمرت».

أين استقامة شخصية فيها وجماهيرية كلف بها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مع نفسه كما هنا؟!

وتراه يؤمر هنا بأن يقيم من تاب معه، وليست الإقامة في واقعها إلاَّ من الله، وإنما عليه البلاغ؟ القصد هنا أن يبالغ في بلاغ الدعوة القيمة، تكريساً لكافة طاقاته الرسولية والرسالية، ثم ﴿ومن تاب معك﴾ لا تعني: أقم من تاب معك، بل إن قضية العطف ﴿وليستقم من تاب معك﴾ بمساعيهم، ولكنها على ضوء مساعيك في هذه الرحلة القيمة المقيمة.

فالقمة العالية مما شيبته من السور هي هود لمكان هذه الآية، حيث يحس (صلى الله عليه وآله وسلم) برهبته وقوته في تتمة حياته وهي أثقل من سائرها مسؤولية ثقلية.

فالإستقامة كما أمره الله تعالى ومن تاب معه، هي بحاجة إلى تكريس كل الإمكانيات الروحية والعملية، مضياً على نهج الحق المطلق دونما انحراف وانجراف، ولا تزعزع وتلُّكإٍ، وإلى يقظة دائبة رسولية، وكدح دائم رسالي ليصنع الآخرين بما صنع نفسه المقدسة، ضبطاً للإنفعالات البشرية التي تَّميل الإتجاه كثيراً أو قليلاً.

فليس قول ﴿ربنا الله﴾ يكفي سلوكاً سليماً في سبيل الله، وإنما ﴿ثم استقاموا﴾ حتى ﴿تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة الذي كنتم توعدون. نحن أولياءكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدَّعون نزلاً من غفور رحيم﴾ (٤١: ٣١).

---

١ . المصدر عن أبي بكر قال قلت يا رسول الله لقد أسرع إليك الشيب؟ شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت، وبنقل آخر قلت: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عجل إليك الشيب؟ قال: شيبتني هود وأخواتها والواقعة والحاقة وعم يتساءلون وهل أتاك حديث الغاشية، وفي ثالث إضافة القارعة وسأل سائل. فهن اخوات هود غير المذكورة هي الشورى. وفي المجمع عن ابن عباس قال: ما نزل على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) آية كانت أشد عليه ولا أشق من هذه الآية ولذلك قال لأصحابه حين قالوا له: أسرع إليك الشيب يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟: شيبتني هود والواقعة.

وكلما كانت المسؤولية أثقل، فالإستقامة في تحقيقها وتقويمها أعضل، ولا سيما حين تضاف إليها مسؤوليات لآخرين باستقاماتهم، فلذلك نسمع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: ﴿شيبتني هود﴾ على عصمته الرسالية ورقابته العالية الدائبة.

ففي الفترات الأخيرة من عمره الرسولي ـ وهي أهم فتراته ـ حين ينفض يديه عن بلاغه الرسالي العظيم، عليه أكثر مما مضى أن يستقيم كما أُمر و من تاب معه.

فقد نجده (صلى الله عليه وآله وسلم) يؤمر في بداية أمره بالقيام ﴿قم فأنذر﴾ (٧٤: ٢) وهنا في النهاية ﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك﴾ ووسطاً بين الأمرين ﴿فاستقم كما أُمرت﴾ دون ﴿من تاب معك﴾ مرحلية في مواجهة عراقيل الدعوة بقيام واستقامه شخصية، وثم استقامة جماهيرية، طلباً لكل قوامة وقيام من نفسه ومن الآخرين لإقامة الهيكل الإسلامي السامي على أساس قويم قويم لاينهدم، وبعروة وثيقة لا تنفصم.

وهنا ﴿كما أمرت﴾ إشارة إلى أمر الإستقامة في الشورى بزيادة ﴿من تاب معك﴾ هنا، وأخرى إلى سائر الأمر في ذلك الحقل كـ: ﴿وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين﴾ (١٠:١٠٥) ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً﴾ (٣٠:٣٠) ﴿فأقم وجهك للدين القيم﴾ (٣٠:٤٣).

فقد عاش (صلى الله عليه وآله وسلم) حياته الرسولية قياماً وإستقامة في الدعوة بكل واجباتها وواجهاتها، ولكنه هنا يؤمر بما أُمر من ذي قبل وزيادة ﴿من تاب معك﴾ وهي التي شيبته إذ كلف مع نفسه غيره.

هنا ﴿ومن تاب معك﴾ معطوفةٌ على ضمير الفاعل في ﴿إستقم﴾ فقد تعني وليستقم من تاب معك، حيث هو المسؤول عن استقامتهم بما يتكلف من تقويمهم هكذا.

ثم ﴿ولا تطغوا﴾ والقصد منه وجاه الإستقامة تركها، فكما الإستقامة من التقوى، كذلك تركها من الطغوى ﴿إنه بما تعملون بصير﴾.

محمد3

مع السبع المثانى والقرآن العظيم

«وَ لَقَدْ آتَيْناکَ سَبْعًا مِنَ الْمَثانی وَ الْقُرْآنَ الْعَظيمَ» (٨٧:١٥)

فقد يُختصر الحق كله ويُحتصر في ۞سبعاً من المثاني والقرآن العظيم☯ ففي صلة ذلك الإيتاء بخلق ۞السماوات والارض وما بينهما بـالحق وأن السـاعة آتيـة...☯ إن فيها اعلاناً صارخاً، ان القرآن هو العنصر الاصيل، وهو رأس الزاوية في الخلق كله، كما ۞الرحمن . علّم القرآن. خلق الانسان. علمه البيان☯ خير بيان لذلك الاعلان ۞فبأي آلاء ربكما تكذبان☯؟!.

فهنالك السماوات السبع والارضون السـبع، وهنـا ۞سـبعاً مـن المثـاني والقـرآن العظيم☯ واين سبع من سبع؟

فكما انه لولا الساعة لبطل الخلق كله، كذلك لولا القرآن لبطل الخلق كله، لانه هو الذي يعرِّف لنا المبدء والمعاد وما بين المبدء والمعاد، نسخة كاملـة تدوينيـة عـن كتـاب التكوين تحلِّق عليه، وتوجّه اليه، الى آيات آفاقية وانفسية، استجاشة للقلوب لادراكها، وترى ما هي ۞سبعاً☯ وما هي ۞المثاني☯ معطوفاً عليها ۞القرآن العظيم☯؟.

فهل ان ۞سـبعاً☯ هي السـبع الطـوال[١]؟ والآيـة مكيـة وهي كلـها مـدنيات، و ۞آتيناك☯ دليل نزولها بمكة قبل آية المثاني! ثم ولا فضل لها على سائر القرآن يقتضي إفرادها بالذكر مقدماً على القرآن العظيم!.

أم هي القرآن كله لأنه ۞كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منـه جلـود الـذين يخشـون ربهم...☯ (٢٣:٣٩)؟ وليس القرآن سبعاً مهما كان مثاني! ثم هـذه السـبع مـن المثـاني

---

١ . كما يروى عن ابن عمرو سعيد بن جبير في بعض الروايات ومجاهد وهي: البقـرة ـ آل عمـران ـ النساء ـ المائدة ـ الانعام ـ الأعراف ـ الانفال والتوبة معاً، قـالوا: وسميـت هـذه السـور مثـاني ولان الفرائض والحدود والامثال والعبر ثنيت فيها!..

وليست هي المثاني ككل! والقرآن هو المثاني كلها! واخيراً هو عطف للشيء على نفسه ان تكون ﴿سبعاً﴾ هي ﴿القرآن العظيم﴾!.

ام هي البطون السبعة في القرآن، الخاصة بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وذويه المعصومين؟ وهو غير صحيح ولا فصيح، فهنا ﴿سبعاً﴾ والبطون ﴿سبعة﴾! ومع الغض عن الغلظة الأدبية فالفصيح ـ اذاً ـ ﴿القرآن العظيم وسبعة منه﴾!.

لاريب أن ﴿سبعاً﴾ هي الآيات، حيث ﴿المثاني﴾ هي القرآن كله بدليل آية الزمر: ﴿الله نزل احسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني..﴾ (٢٢) ولا مثاني في القرآن إلاّ هذه التي تعني القرآن كله.

فـ ﴿ سبعاً من المثاني﴾ هي آيات سبع من القرآن المثاني، ولاسبع في القرآن منضَّدة تليق بهذه المكرمة البارعة إلاّ فاتحة الكتاب[1] كما تواتر بها الحديث من طريق الفريقين، وكما أن لهذه السبع منزلتها بين سائر القرآن، كذلك مثانيها، وقد ذكرنا سبعاً من مثانيها في تفسير السبع المثاني: فاتحة الكتاب، فلا نعيد.

ولان مثانيها تفوق سائر المثاني نراها تتسمى في الروايات بـ ﴿السبع المثاني﴾ والنص هنا ﴿سبعاًمن المثاني﴾ وان كانت ﴿المثاني﴾ علّها تعم القرآن وسواه مما يثنى، وهذه السبع خير ما يثنى قرآناً وسواه، فلا تعني ﴿سبعاً من المثاني﴾ إلاّ سبع الفاتحة وكما تواتر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ﴿فاتحة الكتاب هي السبع المثاني﴾.[2]

فـ ﴿القرآن العظيم﴾ قريناً وقسيماً لما آتاه يلمح ان السبع اعظم القرآن واقواه

---

١ . هو قول عليΔ وعمر وابن مسعود وابي هريرة والحسن وابي العالية ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة، وائمة اهل البيت اجمع.

٢ . منها ما في الدر المنثور ٤: ١٠٥ ـ اخرج الدارمي وابن مردويه عن ابي بن كعب قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): اقول: وقد فصلنا البحث حول المثاني واخرجنا شطراً من احاديثها في سورة الحمد فراجع.

مثاني، وهو الحق يقال انها تجمع القرآن كله محكمة مختصرة، والقرآن العظيم تفسير و تفصيل لها عظيم.

و﴿آيتناك﴾ في جمعية الصفات، وبَعد تاكيدي: لقد، تجمع في السبع والقرآن العظيم كافة العطيات الربانية لأعلى قممها واعلى قيمها!.

ولو كانت للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عطية مثلها لردفت بها، ام لو كانت فوقها لفضلت عليها، لكنها عطية منقطعة النظير في كيان البشير النذير وعلى حد قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): ﴿ومن اوتي القرآن فظن ان احداً من الناس اوتي افضل مما اوتي فقد عظم ما حقر الله، وحقر ما عظم الله﴾[1] وايتاءُه ليس فقط نزوله، بل وقراءَة وتفهماً وايماناً وتطبيقاً ونشراً، وفي كل ذلك يربوا القرآن على ما سواه على مرّ الزمن، ولان فيه تبيان كل شيء، وليس في سواه إلاّ لبعض الشيء مهما كان وحياً او سواه.

و﴿المثاني﴾ جمّع علّها لمثنى: المَعطف، فهي المعاطف، يعطف بعضه الى بعض، وينطق بعضه ببعض، وكما يعطف الفِطَر والعقول الى نفسه، وهو متعاطف مع الكون كله، واثناء الوادي معاطِفه وأجراعُه، وكل شيءٍ عطفته فقد ثنيته.

ام لمثنى الاثنين لما يثنى ويتجدد حالاً بعد حال من فوائده ﴿لا يعوجٌّ فيقام ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجائبه﴾ وكما تتكرر عجائبه لفظياً ومعنوياً بقمة الاعجاز فيهما، و كما هو مثنى النزول محكماً ومفصلاً.

ام من الثناء، فان القرآن ثناء على الله، وثناء على اهل الله، وثناءٌ ممن يتلوه حق تلاوته، ومثلث المثاني صادق في تلك المثاني.

و ﴿سبعاً من المثاني﴾ وهي أُم الكتاب لها رئوس الزوايا من معاني المثاني، عطفاً وثناءً وتكراراً، في نفسها وبالنسبة للقرآن العظيم، ثم ومثاني أخرى ليست فيما سواها

---

١ . نورالثقلين ٣: ٢٩ عن اصول الكافي بسند عن ابي عبدالله (عليه السلام) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):...

من القرآن.

فالسبع المثاني آيات سبع تغلق ابواب الجحيم السبع، ولأنها تقضي على الرذائل السبع، ويا للسبع من مكرمات في التكوين والتدوين، سماوات سبع وأرضون سبع، وايام الأسبوع السبعة كآيات أفاقية سبع، ومعها آيات انفسية سبع[1] ثم الطواف بالبيت سبع والسعى سبع ورمى الجمرات سبع.

والسبع الثاني تحلق على المثاني الآفاقية والأنفسية والأحكامية، نسخة اجمالية عن كتابي التكوين والتدوين، منقطعة النظير بين المثاني كلها.

فلما اوتيت يا حامل لواء الحمد ﴿سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾ فـ:

«لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْکَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجًا مِنْهُمْ وَ لا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ اخْفِضْ جَناحَکَ لِلْمُؤْمِنينَ»(١٥:٨٨)

﴿لاتمدن.. منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى. وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى﴾ (٢٠:١٣٢)

ترى الرسول قد يمد عينيه الى ما مُتِّعوا به رغبة فيه وطلباً له وهو اعبد العابدين وازهد الزاهدين؟ كلا! ومد العينين هنا قد يعني اسعجاباً من متاعهم او استعظاماً لما أوتوا وهم كافرون، لا! ﴿أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين. نسارع لهم في الخيرات بل لا يعشرون﴾ (٢٣:٥٦). والرسول لم يكن ليمد عينيه باي مدٍّ، رغبةاو استعظاماً، والنهي لايدل على اقتراف سابق، فقد يكون تأكيداً لاستمرار الترك وليعلم الناس انه تركٌ مفروض فيتبعوه في تركه.

اقصر نظرك على ما آتيناك ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي

---

١ .هي: الفطرة ـ العقل ـ الصدر ـ القلب ـ الفؤآد، ومع الكل الروح، وهذه هي وجوه الانسانية الباطنة، ثم الوجوه الظاهرة هي الحواس الخمس، واقامة الوجه للدين حنيفاً في آيتها تعني هذه الوجوه كلها بكل الوجوه.

يريدون وجهه ولاتعدُ عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا☯ (٢٨:١٨) فـ ❁ما عند الله خير وابقى☯.. ❁والعاقبة للتقوى☯، فلا يمدن اليهم و متاعهم نظِرَة اهتمام، او نظرة استجمال او تمنّ على أية حال، فانه شيء زائل باطل، وهو معه الحق الباقي ❁سبعاً من المثاني والقرآن العظيم☯!.

وليس القصد هنا اقتناع المحرومين بحرمانهم دون تعرض للمتميعين، حين تختل الموازين الجماعية وينقسم المجتمع الى حارمين ومحرومين! وانما القصد الى معنى خاص في ذلك السياق بمكة التقية للحفاظ على كيان الدعوة والداعية والمؤمنين، والموازنة بين الحق الكبير والعطاء العظيم الذي اوتيه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والمتعة الصغيرة الحقيرة التي اوتوها! ومن ثم في المدينة القوة يتصدى لهم كما يجب، ودون طمع في مال او منال على أية حال!.

وهنا ❁ازواجاً منهم☯ تقصر متاع الحياة على بعض الكفار دون بعض، والأزواج المُمَتَّعون أعم من ازواج الجنس ذكرا وانثى، ام ازواج الاقتصاد، او العقيدة كسائر الكفار فانهم ازواج، فالكفر ملة واحدة، و ❁ما متعنا به☯ هي ❁زهرة الحياة الدنيا☯ من اعوان و بنين، ام دُولة المال او دَولة الحال، ام ايةزهرة دنيوية فانية، وذلك عزاء الله لرسوله العظيم وعلى حد قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): ❁من لم يتعز بعزاء الله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات، ومن رمى ببصره الى ما في يدي غيره كثر همه ولم يشف غيظه، ومن لم يعلم ان عليه نعمة إلاّ في مطعم او ملبس فقد قصر علمه ودنا عذابه، ومن اصبح على الدنيا حزيناً اصبح على الله ساخطاً..☯[١] ❁وكان (صلى الله

١ . نورالثقلين ٣: ٣٠ عن تفسير القمي بسند عن ابي عبدالله (عليه السلام) قال: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من لم يتعز... ومن شكى مصيبة نزلت به فانما يشكو ربه، ومن دخل النار من هذه الامة ممن قرأ القرآن فهو ممن يتخذ آيات الله هزواً، ومن اتى ميسرة فتخشع له طلب ما في يديه ذهب ثلثا دينه، وفيه عن تفسير العياشي عن حماد عن بعض اصحابه عن احدهما عليهما السلام في الآية قال: ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نزل به ضيقة فاستسلف من يهودي فقال اليهودي والله ما لمحمد ثاغية ولا راغية (هما الشاة والناقة) فعلى ما اسلفه؟ فقال رسول

عليه وآله وسلم) لاينظر الى ما يستحسن من الدنيا﴾[1].

﴿ولا تحزن عليهم﴾ لما ظلوا كافرين ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ هؤلاء القلة القليلة المؤمنة في مكة، الصابرة على كل أذى، المحاطة بكل لظى وشذى.

﴿لاتحزن عليهم﴾ فهم الذين يحق عليهم ان يحزنوا لحالتهم الرديئَة، ومسيرهم ومصيرهم الرديء، وانت تعلم انه قضية عدل الله لكل مسيء، وان حق الساعة يقتضيه، فدعهم و مصيرهم، فذلك هو الحزن الممنوع، وهنالك حزن ممنوح هو ان يحزن على ان الله مولاه يُعصى، وهو قضية الإيمان، وليس هو حزناً عليهم حتى يدخل في نطاق النهي.

﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ هنا، وفي الشعراء ﴿.. لمن اتبعك من المؤمنين﴾[215]، وطبعاً قضية الايمان هي الإتباع ولاسيما في ذلك الظرف الحرج المرج.

والطائر يخفض جناحه لأفراخه تلطفاً بها وتعطفاً، فلا يطير عنها وإن في أحرج الحالات وأهرج المجالات، فمعناه هنا: أَلِن كنفك لهم، ودُم على لطفك بهم مادمت وداموا، تعبير عبير يمثل لطف الدعاية والرعاية، وحسن المعاملة ورقة الجانب في صورة محسوسة وسيرة مدروسة، لا تلفُّت منها، ولا تفلُّت عنها لانها قضية الرسالة السامية الحانية.

﴿واخفض جناحك﴾ ايَّ جناحٍ، وباى خفض يُطمئِن إليك المؤمنين، الخائفين من بأس الكافرين. فلا يَطير طيرُك، ولا يهفوا حلمك، ولا يطيش وقارك وقرارك، بل كن بهم لطيفاً رؤوفاً رحيماً كما كان ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ (١٢٨:٩) مع ما كان يرى من بعضهم علّهم يؤمنوا ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر..﴾(١٥٩:٣)

الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اني لامين الله في سمائه وارضه ولو ائتمنتني على شيء لاديته اليك، قال: فبعث بدَرَقَة (الرّس من الجلود) فرهنها عنده وانزلت عليه هذه الآية».

١ . المصدر عن المجمع.

وهكذا كان معهم طيلة الحياة الرسالية دون اية فظاظة وغلظة وحتى بالنسبة لمن يستحقها! فضلاً عن ﴿من اتبعك من المؤمنين﴾!.

«وَ قُلْ إِنِّی أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ»(١٥:٨٩)

و ﴿اني انا﴾ تاكيد في بعدين، و﴿النذير المبين﴾ محلى باللام كحصر النذارة فيه ام حصره في النذارة، تاكيد ثالث، كأن لا شأن له إلاّ النذارة وهو شأن الداعية أمام الكل، ثم هو بشير للمؤمنين.

وقد يعني ﴿المبين﴾ هنا اضافة الى إبانة الحق كما يحق، إبانته لنذارته بدعوة جاهرة باهرة دون تقية وستار، وكما تلمح له ﴿فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين﴾ انه كان في تضييق وتقية في اصل الدعوة بداية الرسالة.

على الامة له (صلى الله عليه وآله وسلم) أدب الحضور في الملأ صلاةً عليه وسلاماً، وواجب التسليم له وكما ياتي في آية الصلاة والتسليم، وعليهم كذلك له ادب الحضور في الخلاءِ ألاّ يؤذوه بالدخول إلاّ باذنه بدائياً دونما استئذان، وباطالة الجلوس إذا دُعوا:

من اختصاصات النبى 3

«يا أَيّهَا الّذينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النّبىّ إلاّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إلى طَعام غَيْرَ ناظِرينَ إناهُ وَ لكِنْ إذا دُعيتُمْ فَادْخُلُوا فَإذا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَ لا مُسْتَأْنِسينَ لِحَديثٍ إنّ ذلِكُمْ كانَ يُؤْذِى النّبىّ فَيَسْتَحْيى مِنْكُمْ وَ اللّهُ لا يَسْتَحْيى مِنَ الْحَقّ وَ إذا سَأَلْتُمُوهُنّ مَتاعًا فَسْئَلُوهُنّ مِنْ وَراءِ حِجاب ذلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَ قُلُوبهنّ وَ ما كانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللّهِ وَ لا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إنّ ذلِكُمْ كانَ عِنْدَ اللّهِ عَظيمًا»(٥٣:٣٣)

هذه الآية تتضمن آداباً كانت الجاهلية تخالفها، دخولاً في البيوت دونما استئذان ولا سيما بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ كان مهبط الوحي ومنزل الرحمة، يعتبرونه مأواهم في كل وقت، وبيوتهم للأكل، ويطيلون الجلوس والإستئناس لحديث بعد الاكل، مما كان يؤذي النبي ويستحيي منهم إن صارحهم بنهيه عن بيته، وعادة العرب احترام واستقبال الضيوف حتى إذا كانوا أعداءً، ولكنما النبي لمكانته من رسالته يختلف عن سائر الناس في كيفية عشرته وصرف اوقاته، فمنزله الكريمة من ناحية، وعبُئه في بلاغه من اخرى، يتطلبان له فراغاً لتطبيق واجبه الرسالي أكثر ممن سواه،

ف ـ ❁لاتدخلوا بيوت النبي إلاّ ان يؤذن لكم الى طعام☯ إذنٌ بدائي دونما استئذان فانه يتحرج ويستحيى اذا استأذِن ألاّ يأذن! ❁ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق☯! وقد تلمح ❁غير ناظرين اناه☯ عدم السماح لانتظار وقت الإذن والسماح، حتى يكون هو الذي ياذن دونما انتظار ولا استئذان لطعام وسواه.

وترى الإذن يخص اذنه (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ وبطبيعة الحال ـ فانه صاحب البيت واهله؟ فلماذا ❁حتى يؤذن لكم☯ دون أن ❁يأذن☯! علّه ليشمل موارد الضرورة، فانها إذن من الله قدر الضرورة ويبقى واجب الاستئذان لاجل النظر وتهيُّؤ الاستقبال فهنا يجوز الاستئذان فضلاً عن نَظِرَة الإذن، لا أن يدخل دون صريح الإذن،

فانه محظور في سائر البيوت ولبيت النبي فضله عليها! وعلّ ﴿الى طعام﴾ ليس تخصيصاً بطعام، فاذا أذن لغير طعام، لأمر أهم أمّاذا؟ فلا دخول! وانما تضييقاً لدائرة الدخول الى بيوت النبي بدءً باقلِّه: ﴿الطَّعام﴾ واشارة الى ما فوقه، وقليل مَن هم الذين يدخلون لحاجة معرفية، والرسول في متناولهم في اوقات الصلوات الخمسة.

اللهم إلا لنجوى وقد حددته آيتها ـ وكانوا ﴿اذا نهض الى بيته بادروه فاخذوا المجلس فلا يعرف بذلك في وجه رسول الله ولا يبسط يده الى طعام مستحيياً منهم فعوتبوا في ذلك.[١]

تدخلون بيوته باذنه الى طعام ولكن ﴿غير ناظرين إناه﴾ فالنظر ﴿الى﴾ هو الإبصار او التفكير، وهو متعدياً بنفسه كما هنا الإنتظار.[٢]

والإنى هو الوقت والساعة والحين، وهو النضج والإدراك، فهو إنّى اذنه (صلى الله عليه وآله وسلم) وقتاً وهو إنى طعامه وقتاً ونضجاً، فليس لكم الانتظار لوقت اذنه، تربصاً أن يأذن لكم الى طعام وسواه، إلا أن يأذن لكم ﴿غير ناظرين إناه﴾: نضج طعامه ام وقت إطعامه، ولا لكم اذا دخلتم بيوته باذنه لا الى طعام ان تنظروا ﴿اناه﴾: ادراك طعامه ونضجه وقد لايتهيىء لإطعامكم، ولا لكم إذا دعاكم الى طعام ان تدخلوا إلاّ وقت الطعام، لا قبله ناظرين إني طعامه وقتاً ونضجاً وإدراكاً ﴿ولكن إذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا﴾ دخولاً لطعام قدَرَ وقته لا سابقاً ﴿ناظرين اناه﴾ ولا لاحقاً جالسين بعد الطعام ﴿ان ذلكم كان يوذي النبي فيستحي منكم والله لايستحي

---

١ . الدر المنثور٥ : ٢١٤ ـ اخرج ابن سعد عن محمد بن كعب قال كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اذا نهض...

٢ . «هل ينظرون الا تأويله» (٥٣:٧) «هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة..» (٢١٠:٢) «فهل ينظرون الا سنة الاولين» (٤٣:٣٥) «وما ينظرون الا صيحة واحدة» (٤٩:٣٦) «هل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم» (٦٦:٤٣) كل ذلك يعني الانتظار.

من الحق﴾.[١]

﴿ولا متسأنسين لحديث﴾ قبل الطعام او بعده ام فيما ليس طعام، أحديث بينكم انفسكم؟ فله مجال في غير بيوته! فلا تتخذوها مقهى او نادياً تستأنسون فيه بحديث.

او حديث بينكم وبين نساءِه فأرذل وأنكى، فما لكم والإِستئناس بحديث نساءِه؟!.

او حديث بينكم وبينه (صلى الله عليه وآله وسلم)، تحدثونه وهو يسمع، او يجيب عما لايعنيكم من سؤال ﴿ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لايستحي من الحق﴾ اللهم إلاّ سؤالاً مفروضاً ام راجحاً في شِرعة الله، وبأحرى حديثاً من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ام سؤال متاع تحتاجونه من نساءِه لكن: ﴿واذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من رواء حجاب﴾ دونما استيناس لحديث، ولا سئوال راجح دون حجاب فوق حجابهن.

فآيات الحجاب لسائر الامة تخص حجب النساء انفسهن عن الرجال الاغارب، وهذه تختص نساء النبي بحجاب فوق الحجاب، كرامة لبيت الرسالة وأمومة لنساء (صلى الله عليه وآله وسلم) فلا يواجهوهن في سؤال ام غير سؤال إلاّ من وراء حجاب وسترٍ يفصل بينهم و بينهن.

﴿ذلكم اطهر لقلوبكم﴾ تجنباً عن جاذبية الجنس وهن امهاتكم ﴿وقلوبهن﴾ تجنباً عن مواجهة الرجال في غير حاجة راجحة ودون حجاب، ففي المواجهات القالبية اتجاهات قلبية، وهي في الجنس محرمة ولا سيما بالنسبة لأمهات المؤمنين!.

---

١ . في الدر المنثور (٥:٢١٣) عن انس (رضي الله عنه) قال لما تزوج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون واذا هو كانه يتهيأ للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام فلما قام منهم من قام وقعد ثلاثة نفر فجاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ليدخل فاذا القوم جلوس ثم انهم قاموا فانطلقت فجئت فاخبرت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل فذهبت ادخل فالقى الحجاب بيني وبينه فانزل الله يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا...».

وترى اذا لم يكن الاستحياء من الحق حقاً لأن الله لايستحي منه، فهل النبي يستحي باطلاً؟ الحق المستحى منه هنا هو حقه (صلى الله عليه وآله وسلم) الخاص القابل للسماح عنه على اذىً، وهذا من كرم اخلاقه، ثم الله يحق حقه بكلماته ويقطع دابر المبطلين، واما حق الله في عباده وعبادته، وحق الخلق فيما لهم وعليهم، فهما من حاق رسالته، ليس ليترك شيئاً منهما استحياءً، مهما رجع بالضرر اليه، وكما في زينب بنت جحش! كما ولا يحق له ان يستحي عن ضياع حقه في رسالته، ام في عرضه وماله وسائر نواميسه الواجبة الحفظ.

وكضابطة عامة لاتستثنى على اية حال ﴿وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله﴾ باي اذىً معمَّدٍ ﴿ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابداً﴾ من بعد طلاقه او موته وكلاهما معنيان في ﴿من بعده﴾ اطلاقاً لـ ﴿من بعده﴾ لكلا البَعدين في كلا البُعدين: الطلاق والموت، ولأنهما يؤذيانه (صلى الله عليه وآله وسلم) على سواء، فلم يقل بعد طلاقهن او بعد موته، وانما ﴿من بعده﴾ منذ اصبح زوجاً لهن.

فلا يحل لكم نكاح ازواجه ﴿ابداً﴾ في اي وقت وعلى اية حال وباي نكاح ﴿ان ذلكم كان عند الله عظيماً﴾ مدى عظمة رسول الله ورسالة الله، فايذاءه عظيم عند الله! وذنب كبير قد لا يغفره الله![1]

---

١ . الدر المنثور ٥:٢١٤ ـاخرج ابن ابي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس في قوله «وما كان لكم..» قال: نزلت في رجل هم ان تيزوج بعض نساء النبي 3 وعنه قال رجل لئن مات محمد لاتزوجن عائشة فانزل الله الآية... و عن عبدالرحمن بن زيد بن اسلم قال بلغ النبي3 أن رجلاً يقول: ان توفي رسول الله3 تزوجت فلانة من بعده فكان ذلك يؤذي النبي3 فنزلت، واخرج ابن ابي حاتم عن السدي قال: بلغنا ان طلحة بن عبيدالله قال: ايحجبنا محمد عن بنات عمنا ويتزوج نساءنا من بعدنا لئن حدث به حدث لنتزوجن نساءه من بعده فنزلت...

من اختصاصات النبى 3

٢

«يا أَيّهَا الّذينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىِ اللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ اتّقُوا اللّهَ إِنّ اللّهَ سَميعٌ عَليمٌ»(١:٤٩)

..ترى ماذا تعني ❁بين يدي الله☯؟ إنها الأمام تشريعاً ام سواه، وليست اليدين الجارحتين، فاليدان لا تختصان بهما وإن لمن له جارحتان؛ كالموارد التي لا تناسبانها مثل عقدة النكاح: ❁او يعفوا بيده عقدة النكاح☯ (٢٣٧:٢) وكسائر الموارد للمخلوق الذي ليست له جارحتان: ❁ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد☯ (٤٦:٣٤) ❁إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة☯ (١٢:٥٨) فكيف اذاً لمن تستحيل له اليدان الجارحتان، مهما تمحَّل له من لا يعرف معاني الكلام: ان له يدين جارحتين كما تناسب ساحة قدسه، من تناقض جارح لساحة قدسه[١] قارح لتجرده عن كافة الحدود والأمثال.

فهنا التقديم بين يدي الله، فليس ان تقدم نفسك في مشيتك على الله فلا له مشي على الأرض ام سواها، ولا ان هناك ـ لو كان ـ تماشياً وتسابقا حتى ينهى عنه، وانما

---

١ . فما هو الإمثل ما يقال: ان الله يجهل كما يناسب الوهيته، ويعجز كما يناسب الوهيته، وينزل من سماء الى سماء ويصعد كما يناسب الوهيته! فان من الصفات والأفعال ما لا تناسب ساحة الالوهيته في أي معنى أخذت ـ كهذه وكالظلم والنسيان والسهو والخطأ ـ باي معنى كان ـ كالرحمانية والرحيمية والمعبودية والمشرعية.. وان كان منها ما تنسب الى الله كما يناسب ذاته وتنسب الى غيره كما تناسبه ـ فاللفظ مشترك والمعنى متباين ـ كالوجود والعلم والقدرة ـ فالله موجود والخلق موجود ولكن الوجودين متباينان ـ فاين الوجود الأزلي والحادث وأين الأبدي والفاني ـ والمجرد والمادي ـ وأين وأين ـ و من هذه الألفاظ اليد والعين واشباهها فانها تستعمل في معاني مختلفة حتى لمن له هذه الأعضاء، فكيف بمن ليس له أعضاء؟ ژ
فالمعلوم قطعياً هنا أن اليدين بالنسبة لله ليستا الجارحتين، وانما صفات او افعال تناسب ذاته تعالى، لا اجزاء من ذاته فليست له اجزاء.

هو تقديم لك عليه في اعتقاد او مقال او فعال كتشريع وحكم ام ماذا؟ فـ ﴿إن الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين﴾ (٥٧:٦) ﴿والله يحكم لامعقب لحكمه﴾ (٤١:١٣).

فمن التقديم بين يدي الله تقديم لحكم على حكم الله، في عقيدة أم قول أم فعل، سواء أكان نقضاً لحكم الله بعد ما حكم فهو تشريع، ام سبقاً لحكم الله قبل أن يحكم وان وافقه بعدما حكم، فإنه فسوق وخروج عن التسليم لله.

و﴿ان الله سميع عليم﴾ ليس ليختص التقديم الممنوع بالقول لأنه فقط المسموع دون العقيدة والفعل فانه ثني بـ ﴿عليم﴾ فيشمل غير القول مما يعلم من فعل أم عقيدة أم ماذا.

ومن ثم التقديم بين يدي رسول الله هو كالتقديم بين يدي الله، ولا فارق بينهما إلا أصالة في الله ورسالة في رسول الله دون أي استقلال عن الله ﴿ومن يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ (٤:٨٠) وإلا أن لرسول الله أمامُ الجسم كماله أمامُ الرسالة، فـ ﴿لاتقدموا بين يدي رسوله﴾ تعم تقديمك نفسك أم سواك على رسول الله في مشيته أو قيامه أو جلوسه وقعوده، فكما ان روحه برسالته تتقدم على سائر الأرواح، كذلك جسمه الذي يحمل تلكم الروح القدسية، لا يقدم عليه أي جسم ولا أي روح، فجسمه (صلى الله عليه وآله وسلم) أشرف من سائر الأرواح فضلا عن روحه!

والنهي عن التقديم هنا وهناك يعني وجوب التأخير، والتسليم لله ولرسوله، دون مساوات أو مسامات مع الله أو الرسول في حكمه أم سواه، وانها داخلة في ﴿واتقوا الله﴾ حيث التقوى تتنافى والمساوات كما تنافي التقديم ﴿واتقوا الله﴾ في الوهيته وفي رسوله أن تفسقوا عن مثلث العقيدة والقول والعمل في حكم الله ﴿ان الله سميع﴾ ما تقولون ﴿عليم﴾ ما تنوون و تعتقدون وتعملون.

ولماذا ﴿لا تقدموا﴾ دون ﴿لا تتقدموا﴾؟ لأن التقدم يخص المخاطب نفسه دون سواه، والتقديم يعمه وسواه، فكما يحرم التقدم على الله ورسوله في حكم أو سواه،

كذلك أن تقدم غيرك على الله أو على رسوله، وإن كان ذلك الغير رسول الله ان تقدمه على الله، أو إماماً من الأئمة تقدمه على رسول الله، أو أن تساوي وتسامي بين الله وسواه أو بين رسول الله وخلق سواه.

ومن ثم فلا يختص حكم التقديم بالحكم، فانه يعم الحكم وسواه، كأن يقدم نفسه أم سواه على رسول الله في مشيه أو جلوسه أو قيامه أو كلامه أم ماذا، فان الرسول مقدم على الأمة بحكم رسالته، كما الله مقدم على الخلق بألوهيته في كل شيءٍ، فلا يقدم بين يدي كيانه كيان، ولا بين يدي عبوديته سواه، ولا طاعته سواه، ولا حرمته سواه، ولا بين يدي حكمه سواه، كما ولا يسامى في ذلك أو يساوى بسواه.

فما للذين يدّعون الإسلام يقدمون حكم فلان وفلان على حكم الله، وحديث فلان على كتاب الله، واجتهاد فلان على سنة رسول الله، وإذا قيل لهم هذه بدعة؟ قالوا: نعم بدعة حسنة[1]! أو قيل لهم: حديث يخالف كتاب الله؟ قالوا: اسناده صحيح تقبَّله العلماء! ﴿فما لهم لا يؤمنون. وإذا ذكِّرا لا يذكرون. فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون﴾؟!.

وإنما هو كتاب الله، أو الرواية الموافقة لكتاب الله، او الثابتة غير المخالفة له، دون أي اجتهاد من قياس أو استحسان أم ماذا، من تشريع بغير مصدره، تقديماً بين يدي الله ورسوله أو مساواتاً، وان عدم التقديم بين يدي الله ورسوله لزام الإيمان بالله وتقواه، فسواه كفر بالله وطغواه.

وها هو أدب نفسي مع الله ورسوله، كأصل وحيد في التشريع حكماً وفي سواه سواه، منبثقاً من تقوى الله النابعة من الشعور أنه الله وليس سواه، ورسوله الرسول ليس سواه، وشعوراً أنه سميع عليم، يسمع كل تقديم في مقال، أو تقديم في فعل أو فكرة أو حال، فلا يرى المؤمن تقديماً هنا أو هناك ولو رؤيا مجنحة في خيال.

---

١ . وبين بدعة وحسنة تناقض بين لان البدعة ادخال ما ليس من الدين في الدين ام اخراج، او من الدين عنه ـ فالبدعة معارضة للدين ـ فهل توجد معارضة حسنة للدين؟ وما احمق هؤلاء الذين يوجهون بدعاً جازفة بلفظ الحسنة ـ كأن اللفظة تحول الماهية السيئة الى الحسنة. فما لهم أنى يؤفكون.

ولقد تأدب جماعة من المؤمنين الأولين بهذا الأدب لحد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يسألهم عن اليوم الذي هم فيه والمكان الذي هم فيه، فيتحرجون أن يجيبوا ـ على علمهم ـ إلا بقولهم: الله ورسوله أعلم.[1]

ومن التقديم بين يدي رسوله رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول ونداءه من وراء الحجرات:

١ . كما جاء في حديث ابي بكرة نفيع بن الحارث الثقفي ان النبي 3 سأل في حجة الوداع اي شهر هذا! قلنا الله ورسوله اعلم ـ فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه، فقال: اليس ذا الحجة؟ قلنا: بلى! قال: اي بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله اعلم، فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه فقال: اليس البلدة الحرام؟ قلنا بلى ـ قال فأي يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله اعلم ـ فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه ـ فقال: اليس يوم النحر؟ قلنا: بلى!...

من اختصات النبى

٣

«يا أَيّهَا الّذينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النّبِيّ وَ لا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ وَ أَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ»(٢:٤٩)

فليكن صوت النبي فوق الأصوات كما أن صيته فوق الصيات، صوت في حال أو مقال، وصيتٌ في حال على أية حال، ومن سوء الأدب أن يرفع صوت فوق صوته، بل والجهر له بالقول كجهر بعضكم لبعض، وان كان أدنى من صوته، فلتبرز مكانته الرسالية بين الجموع على المكانات، وليكرم فوق كل الشخصيات فـ ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾!

إنه قد يرفع صوت فوق صوته (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو محظور، وقد يجهر له بالقول كما يجهر لسواه على سواء، فهو أيضاً محظور، وان كان دون صوته، فالمرغوب إذاً غض الأصوات عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دون أن يساوى في صوت، أو أن يسوى بغيره في صوت، فضلاً أن يرفع فوق صوته صوت، فلو حصل أيٌ من ذلك استخفافاًبه3 لكان كفراً، وخطاب الايمان هنا ينفيه! ولو كان اساءة أدب فمن أفسق الفسق، والايمان قد ينفيه، ولو كان لا شعورياً كعادة جاهلية دون تقصُّد استخفاف أم إساءة وإيذاء، كما قد تقصده ـ فقط ـ الآية، فهو إحباط، فأما بعد هذا البيان الإشعار فهم شاعرون! إذاً فالحبط أغوى والحبط أقوى على من يهبط من مكانة النبي الاقدس 3.

وقد يعني الحبط هنا ما يخص أعمال الخطاب، أن لو لم تكن فيه إساءة أدب وإيذاء لكان صواباً وثواباً، ولكنها حابطة بسوء الأدب، أو يعني حبط الأعمال بين هكذا خطاب إلى المَتاب، حبطاً فقط للثواب، لا لأصل الصحة كالصوم والصلاة، فإن الحبط في إساءة اللاشعور يختلف عن الإستخفاف الكفر المحبط لأصل الأعمال، والإساءة

الفسق التي تحبط منها قدرها، فلكل إحباط قدره، كما أن لكل صالحة ثواب قدرها.

فـ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا.. ولا تجهروا﴾ مخافة ﴿أن تحبط أعمالكم﴾ هكذا ﴿وأنتم لاتشعرون﴾ مساءة أعمالكم هذه، ولا من جراءها: أن تحبط أعمالكم.

فيا له خطاباً رهيباً جيباً، يحذرهم هذا المزلق الذي ينتهي بهم الى حبوط أعمالهم وهم لايشعرون، ولقد ارتعشت قلوب بعض وارتجفت تحت هذه الوقعة القارعة ان خشي بعضهمن أن يكون من أهل النار كثابت بن الشماس[1] وكان من طبعه رفيع الصوت دون أن يرفعه عمداً، لاهتكاً ولا إساءة ولاجهلاً، فلم تشمله الآية، فانها تنهى عن ذلك علماً أو جهلاً باختيار، لاجهراً دون اختيار.

كما ندم آخرون مما جهروا جهراً كعادة متبقية جاهلية حوّلها الإسلام إلى أدب طاهر، مثل الخليفة أبي بكر والخليفة عمر فلما رفعا أصواتهما فوق صوت النبي 3 نزلت الآية فتابا واختجلا[2].

وترى أن الجهر بالقول، لالرسول3 وهو حي، وإنما لغيره وفي مسجده، أم الجهر

---

١ . روى الامام احمد بسند عن انس بن مالك قال: لما نزلت هذه الآية ـ وكان ثابت بن قيس بن شماس رفيع الصوت ـ فقال: أنا الذي كنت ارفع صوتي على رسول الله 3 انا من اهل النار، حبط عملي وجلس في اهله حزيناً ففقده رسول الله 3 فانطلق بعض القوم اليه فقالوا له تفقدك رسول الله 3 ما لك؟ قال: انا الذي ارفع صوتي فوق صوت النبي 3 واجهر له بالقول، حبط عملي، انا من اهل النار، فأتوا النبي 3 فأخبروه بما قال فقال النبي 3 لا ـ بل من اهل الجنة ـ قال انس: فكنا نراه يمشي بين أظهرنا ونحن نعلم انه من اهل الجنة.

٢ . في صحيح البخاري حدثنا يسرة بن صفوان بن جميل اللخمي حدثنا نافع بن عمر عن ابن ابي مليكة قال: كاد الخيّران ان يهلكا: ـابا بكر وعمر رضي الله عنهما ـ، رفعا أصواتهما عند النبي 3 حين قدم عليه ركب بني تميم (في السنة التاسعة من الهجرة) فأشار احدهما بالاقرع بن حابس (رض) أخي بني مجاشع (أي ليؤمر عليهم) وأشار الآخر برجل آخر ـ قال نافع: لا احفظ اسمه (في رواية اخرى ان اسمه القعقاع بن معبد، فقال ابوبكر لعمر ـ رضى الله عنهما ـ ما أردت إلا خلافي، قال: ما أردت خلافك ـ فارتفعت اصواتهما في ذلك فأنزل الله تعالى الآية، قال ابن الزبير فما كان عمر (رض) يسمع رسول الله 3 بعده هذه الآية حتى يستفهمه. وروي عن ابى بكر(رض) انه لما نزلت هذه الآية قلت يا رسول الله 3 والله لا أكلمك الا كأخي السرار (يعني كالهمس).

في قراءة القرآن والدعاء عند قبره، هل إن ذلك محظور[1] عطفاً على الجهر له بالقول وهو حي؟ الحق أنه لا محظور، وإلا الحظر على الاذان المجهور به للصلوات في مسجده، وعلى خطبة الجمعة وسائر الخطب فيه، وعلى الدروس التي تلقى فيه، أم وسائر الجهر ما لم يكن فيه هتك لساحة الرسول3 كجهر المعاركات التي تحصل تعصباً عند قبره، وجهر الكمات المفرقة لجموع المسلمين، الهاتكة لحُرمهم، الفاتكة لحرَم الرسول وحُرَمه، كالمجاهرة بتكفير جماعة غفيرة من المسلمين، ونسبتهم إلى الشرك، لأنهم يقبلون ضريح الرسول3 الطاهر حباً فيه لا عبودية، وكما أن غيرهم يقبلون أولادهم وأيدي وجباه علماءهم حباً لهم، تلك إذا قسمة ضيزى: ظالمة، ان ذلك شرك وليس هذا شركاً! جمع الله شمل المسلمين ـ آمين.

من ثم ـ وبعد التنديد الشديد بمن يرفعون أصواتهم فوق صوت النبي أو يجرهون له بالقول ـ يمتدح من يغضون أصواتهم عند رسول الله:

«إِنّ الّذينَ يَغُضّونَ أَصْواتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ أُولئِکَ الّذينَ امْتَحَنَ اللّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتّقْوى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظيمٌ»(٣:٤٩)

إن غض الأصوات عند الرسول3 وهو كسرها، يرمز إلى واجب التخضّع عنده في أي صوت أو صيت، لأنه يحمل رسالة الله، فلا يساوى بغيره أو يسامى، وإنما غضٌ وحضٌ ظاهر في حال ومقال من قلب ممتحن للتقوى، وكما الجهر له ورفع الصوت على صوته، هو من قلب مقلوب ممتهنة بالطغوى، فهؤلاء تحبط أعمالهم، وأولئك الأركام لهم مغفرة عما تعرضهم من لمم وسواه، وأجر كريم حيث يغضون اصواتهم عند رسول الله، وإنما ﷺرسول الله☯ لا محمد ابن عبدالله، ولأن الغض عنده غض عند الله، فلذلك

---

١ . يروى عن عمر انه سمع صوت رجلين في مسجد النبي3 قد ارتفعت اصواتهما فجاء فقال: اتدريان اين انتما؟ ثم قال: من اين انتما؟ قالا: من اهل الطائف فقال: لو كنتما من اهل المدينة لأرجعتكما ضرباً ـ اقول لعله (رض) حرم ذلك لكونه معاركة في مسجد3 إلا انه كيف يفرق في حكم الله بين اهل الطائف والمدينة؟ انا لا ادري!.

هو نابع عن تقوى الله، وليعش المؤمن غضاً لكيانه ككل عند الله وعند رسوله، فلا يقدم بين يدي الله ورسوله.

ثم ومن سوء الأدب مناداة الرسول من وراء الحجرات وإن كانت غضيضة غير عالية على صوته، ولاجاهرة كجهرنا لبعض، فإنما النداء المؤدب هي المواجهة الحضور:

«إِنَّ الَّذينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ(٤) وَ لَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ وَ اللّهُ غَفُورٌ رَحيمٌ(٥:٤٩)

لقد وفدت العرب من كل مكان إليه3 عام الفتح الوفود، فكانت جفاة الاعراب ينادونه من وراء الحجرات[١]، المطلة على المسجد النبوي الشريف: يا محمد اخرج لنا، فكان يكره الرسول3 هذه الجفوة الفجوة المزعجة، فمسح الله تعالى غبار الإنزعاج عن خاطره الأقدس ان ❁اكثرهم لايعقلون☯ فهم جفاة جاهلون لايبغون هتكاً لساحتك ولا فتكاً لكرامتك، فاغفر لهم هفوتهم منبهاً لهم لكلي لايعودوا فتحبط أعمالهم، كما ❁والله غفور رحيم☯: إرحمهم كما الله، ان تعلِّمهم عن جهلهم، واغفر لهم كما الله فانهم لايعقلون، وان كانت ثمّة قلة يعقلون، فينادونك من وراء الحجرات تساهلاً في حرمتك، أو هتكاً لحرمتك كالمنافقين.

فليصبر المؤمن حتى يخرج اليه الرسول3 فإنه لايصبر في حجراته عن حوائج المرسل اليهم الا لضرورة بيتية عائلية، او استراحة شخصية، هما لزام له، ولكي يخرج الى المؤمنين فارغ البال، غير مضطرب الحال، فـ ❁كان خيراً لهم☯ أما هو فلا يألوا جهداً في سبيل الله، وكل عقبة له يجتازها، وكل صعوبه يتحملها، إنها تزداده خيراً، ولكنكم انتم المؤمنين! ليس لكم ان تكونوا له اذىً، فاصبروا له حتى يخرج اليكم، وثابروا حتى لايتحرج ❁والله غفور رحيم☯ عما مضى ممن لايعقلون، وكذلك لمن

---

١ . الدر المنثور: أخرج البخاري في الأدب وابن أبي الدنيا والبيهقي عن داود بن قيس قال: رأيت الحجرات من جريد النخل مغشى من خارج بمسوح الشعر وأظن عرض الباب من باب الحجرة الى باب نحواً من ستة أو سبعة اذرع واحزر البيت الداخل عشر أذرع وأظن سمكه بين الثمان والسبع.

يعقلون لو كانوا يرجعون عن جفوتهم العامدة.

وهكذا يجب ان تراعى حرمة الرسول الأقدس3 ثم ومن جذى حذوه ونحى نحـوه، فاحتذى على مثاله ومثله، وانتهى قرابة ما انتهى اليه برسالته، كالعلماء المعصومين مـن عترته، ثم وسائر الربانيين من أمته، كلاً على حده ومحتده والله من وراء القصد.

«يا أَيّهَا الّذينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيّنُوا أَنْ تُصيبُوا قَوْمًا بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلى ما فَعَلْتُمْ نادِمينَ»(٤٩:٦)

ادب جماعي تحمله آية النبأ، يقرر للجماعة المؤمنـة كيـف يتلقـون الأنبـاء، فـانهم لايشهدون جمعاء حضور المباشره، اللهم الا قلة قليلة، ومن ثم تبقى الكثرة الكثيرة غائبة عن الادراك المباشرة، ومن المستحيلات في الحيـاة الجماعيـة الاسـتقلال بمـا يشـاهده الانسان، دون استغلال لما يشاهده غيره فيشهد به، وهذه الآية كعديد امثالها، تنهى عن الركون الى أنباء الفاسقين الا اذا تبين فيها صدق يجعله علماً كسائر العلم، الذي يعتمـد عليه المؤمنون العقلاء، والعقلاء المؤمنون.

إن الأخذ والرفض في الأنباء ليسا فوضىً دون حساب، وانما لكلٍّ ميزان عادل، فلا يؤخذ خبر الفاسق الا ان يتبين صدقه، ولا يرفض خبر العادل الا ان يتبين خطاه، ثم لنا بين الاخذ والرفض وقفة لو لم يتبين لا صدق ولا كذب، وليس ذكر الفاسق هنا الا لانه أظهر مظان الكذب، فليشمل الجاهل والناسـي والسـاهي واضـرابهم ممـن يتطـرق الى انباءهم خلاف الصدق وان كانوا غير عامدين او ان الفاسق يشملهم كلهم لانه خـروج عما يحق من طاعة الله، علماً أو عملاً، نقلاً للأنباء او تنقلاً ام ماذا، فمن يجهـل صـحة النبإ ثم ينقله كنبإٍ صادق، انه فاسق علمياً ولو كان زاهداً، بل وعملياً اذا لا يجوز هكذا نقلٍ مغرٍ لمن يتقي الله، وكذلك من ينسى أو يسهو، او يتقبل الأنباء دون تبين، فانه فاسق في نقله الا ان يبين حقيقة الحال، فيتبين للمنقول له انه ينقله مراعيـاً شـرائط الوثـوق مجانباً كل جوانب الفسوق في نقله هذا النبأ، والا فتبينوا بغية حصول العلم الاطمئنـان، مخافة: ﴿ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾!.

وكما يروى عن الامام الصادق عليه السلام قوله للمنصور: ﴿لاتقبل في اذى رحمك واهل الرعاية من أهل بيتك قول من حرّم الله عليه الجنة وجعل مأواه النار، فان النمام شاهد الزور وشريك ابليس في الإغواء بين الناس[١] ـ ثم إستشهد بالآية.

وترى هل يختص وجوب تبين النبإ: بالخبر العظيم الشأن، الذي جاء به فاسق، اذا كان في اتباعه دون تبين اصابة قوم بجهالة فندمٌ على هذه الإصابة؟ كما تلمح من هذه الآية، فلا يجب ـ اذاً ـ تبين في الأخبار غير العظيمة، أو في العظيمة التي يجيء بها المجهول فسقه او عدله، او التي يجيء بها فاسق وليست فيها اصابة قوم بجهالة ام ماذا!

في الحق إن آية النبأِ لاتنبىء الا عما انبأت، لكنما الآيات في حرمة اتباع الظن واقتفاء ما ليس لك به علم تعمم وجوب التبين حتى يحصل العلم الإطمئنان ايا كان الخبر ومن أي، الا اذا كان الاطمئنان ـ او النوعي منه ـ حاصلاً بالإخبار ووجوب التبين في آياتنا في موردٍ لاينفي عدمه في سواه، لنزول الآية في مورد خاص بالغ الأهمية، ثم الآيات الاخرى تعم فلا تناحر في البين.

وخطاب الآية هذه لايشمل الرسول 3 لمكان ﴿الذين آمنوا﴾ المختصة بالمؤمنين بالله والرسول، وأن الاصابة بجهالة والندامة عليها ليست من شيم الرسول3 الذي ﴿ما ينطق عن الهوى إن هو الا وحي يوحى﴾، فلا تصدق عليه الروايتان في الوليد وعائشة[٢]، وقد تصدقنا الآية التالية لها، الناكرة لاتّباع الرسول في هكذا امور:

---

١ . امالي الصدوق باسناده الى الامام الصادقΔ.

٢ . لقد رويت في شأن نزول هذه الآية روايتان، احداهما عن طريق الفريقين في الوليد بن عقبة ان النبي3 بعثه الى الحارث بن ضرار الخزاعي ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة؛ فرجع قبل ان يصل اليه فقال: ان الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي فضرب رسول الله البعث الى الحارث فأقبل الحارث بأصحابه حتى اذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث فقالوا: هذا الحارث فلما غشيهم قال لهم: الى من بعثتم؟ قالوا: اليك، قال: ولم؟ قالوا: ان رسول الله3 بعث اليك الوليد بن عقبة فزعم انك منعته الزكاة وأردت قتله ـ قال: لا والذي بعث محمداً بالحق ما رأيته و ما رآني ـ فلما دخل الحارث على رسول الله 3 قال: منعت الزكاة وأردت قتل رسولي؟ قال: لا والذي بعثك بالحق ما رأيت و ما رآني وما اقبلت الا حين احتبس علي رسول الله 3 خشيت ان يكون كانت سخطة من الله ورسوله ـ

فنزل «يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق..» (الدر المنثور) أخرجه احمد وابن ابي حاتم والطبراني وابن منده وابن مردويه بسند جيد عن الحارث بن ضرار قال: قدمت على رسول الله 3 فدعاني الى الاسلام فدخلته فيه واقررت به ودعاني الى الزكاة فأقررت بها ـ قلت: يا رسول الله! ارجع الى قومي فأدعوهم الى الاسلام واداء الزكاة فمن استجاب لي وترسل الي يا رسول الله إبان كذا وكذا لتأتيك ما جمعت من الزكاة، فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له ولبلغ الابان الذي اراد رسول الله 3 ان يبعث اليه احتبس الرسول فلم يأت فظن الحارث انه قد حدث فيه سخطة من الله ورسوله فدعا بسروات قومه فقال لهم: ان رسول الله 3 كان قد وقت لي وقتاً يرسل إلى رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة وليس من رسول الله 3 الخلف ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة فانطلقوا فنأتي رسول الله 3 .. وبعث...

اقول: لا يمكن قبول هذا الحديث هكذا ـ ان يعتمد رسول الله 3 على قول فاسق فيبعث اليه بعثة تقاتله، اللهم الا ان «فزعم انك منعته..» تلمح الى عدم ركون الرسول الى قول عقبة ـ وان البعثة كانت للتبين ـ والآية لا تشمل النبي فانه تبين هنا ـ و لأن الذين آمنوا لاتشمل النبي على أية حال ـ اضافة الى براءته عن الجهالة فانه لايصدر إلا عن وحي الله، والثانية ما رواها القمي في تفسيره ـ ان الاية نزلت في مارية القبطية ام ابراهيم و كان سبب ذلك ان عائشة قالت لرسول الله 3 ان ابراهيم ليس هو منك وانما هو من جريح القبطي فانه يدخل اليها في كل يوم فغضب رسول الله 3 وقال لأمير المؤمنينΔ خذ السيف وائتني برأس جريح فأخذ اميرالمؤمنينΔ السيف ثم قال: بأبي انت وأمي يا رسول الله 3 انك اذا بعثتني في امرك اكون فيه كالسفود الحمى في الوبر فكيف تأمرني اثبت فيه او امضي على ذلك؟ فقال له رسول الله 3 بل تثبت ـ فجاء اميرالمؤمنين الى مشربة ام ابراهيم فتسلق عليها فلما نظر اليه جريح هرب منه وصعد النخلة فدنا منه اميرالمؤمنينΔ وقال له: انزل ـ فقال له: يا علي! اتق الله ما ههنا أناس اني مجبوب ثم كشف عن عورته فاذا هو مجبوب، فأتى به رسول الله 3 فقال له رسول الله 3: ما شأنك يا جريح؟ فقال: يا رسول الله 3! ان القبط يحبون حشمهم و من يدخل الى اهليهم والقبطيون لايأنسون إلا بالقبطيين، فبعثني ابوها لأدخل اليها وأخدمها و أونسها ـ فأنزل الله عزوجل: يا أيها الذين آمنوا.

اقول: والحديث مضطرب حسب الظاهر ـ اذ ينسب الى الرسول 3 انه امر بقتل برى، بمجرد شهادة امرأة بظنة وتهمة ـ الا ان في رواية عبدالله بن موسى عن احمد بن راشد عن مروان بن مسلم عن عبدالله بن بكير قال قلت لأبي عبداللهΔ جعلت فداك كان رسول الله 3 قد امر بقتل القبطي وقد علم انها كذبت ام لم يعلم؟ وانما دفع الله عن القبطي القتل بثبت عليΔ؟ فقال: قد كان والله اعلم ـ ولو كانت عزيمة من رسول الله 3 ما رجع علي حتى يقتله ولكنه انما فعل ذلك رسول الله 3 لترجع من ذنبها فما رجعت ولا اشتد عليها قتل رجل مسلم بكذبها.

رسول الله لايطيع احداً الا الله

«وَ اعْلَمُوا أَنّ فيكُمْ رَسُولَ اللّهِ لَوْ يُطيعُكُمْ فى كَثير مِنَ الْأَمْر لَعَنِتّمْ وَ لكِنّ اللّهَ حَبّبَ إِلَيْكُمُ الْإيمانَ وَ زَيّنَهُ فى قُلُوبِكُمْ وَ كَرّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَ الْفُسُوقَ وَ الْعِصْيانَ أُولئِکَ هُمُ الرّاشِدُونَ»(٧:٤٩)

وي! كأنهم لايعلمون ان فيهم رسول الله، الصادر عن الله لاعن آرائهم، السائر إلى الله لا إلى اهوائهم، فـ ❁فيكم رسول الله☯ لا: محمد بن عبدالله، ولا رسول اللهو والهوى، ولا بشر مثلكم في الجهل والخطا، وانما ❁رسول الله☯ 3 لايصدر الا عن الله، ولا يدعو إلا إلى الله، فمن المحال ان يطيعكم في كثير من الامر، فـ ❁لو يطيعكم في كثير من الأمر☯ امر الشرع وحكمه ❁لعنتُّم☯ أثمتم وهلكتم فعجزتم انتم عن إمرار الحياة الراحة، واستمرار الحياة السعيدة، واخلدتم إلى حياة جهنمية فوضى، فترى لو ان الرسول اطاع الوليد بن عقبة في فريته على الحارث البرىء، او اطاع زوجته عائشة في جريح القبطي البريء، كم كان العنت الحاصل عن طوعهما هوىً وجهلاً ❁ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين☯ ولكنه رسول الله لايطيع في الأمر الا الله، فانما النصح لكم بلسانه: (يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم فاسق بنبإٍ فتبينوا...☯ لاله وهو النزيه عن اتباع هواه أو سواها، الا وحياً يوحى، فضلاً عن أهويه سواها ولا سيما الفاسقين!

فلا ترغبوا في اتباعه3 لكم، ولاترقبوا أن يتابعكم: ❁ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن☯ (٢٣:٧١) ❁فلذلك فادع واستقم كما امرت ولاتتبع اهواءهم☯ (٤٢:١٥) اللهم الا في قليل من الامر الذي لابد ويوافق الحق، حيث الكثير فقط في العادة هو الخاطىء لانهم يتبعون الظن و ما تهوى الانفس: ❁وان

اقول: ولكن يبقى هنا ان رجوع امرأة عن ذنبها ـ و ما رجعت ـ لا يبرر ارهاب واهانة رجل مسلم بريء وان «الذين آمنوا» ليست لتشمل الرسول3 كما في قصة عقبة وان الجهالة لا تنسب إلى النبي3 وهو لا يمضي إلا بأمر الله.

تطع اكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون إلا الظن وان هم الا يخرصون﴾(٦:١١٦) ومن ثم القليل هو المصيب: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾.

فاعلموا انه الرسول، جاء ليزيل عنكم وصمات العنت، ويبعدكم عن خطوات الغلط، فكيف يزيدكم عنتاً على عنت وغلطاً على غلط؟ ﴿لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ (٩:١٢٨).

وي! كانهم لم يعلموا فيهم رسول الله، وانما انسان لهم أذن، يسمع ما يقولون ويطيع ما يهوون، كلا! وانما ﴿اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين﴾! اذن الخير الايمان، فليس الا في قليل من الامر.

إن من مقتضيات العلم: أن فينا رسول الله، لا نتقدم بين يديه، ولانرفع اصواتنا فوق صوته، وملا نجهر له بالقول كجهرنا لبعض، ولا نطمع ان يطيعنا في كثير من الأمر، بل نكون له طوعاً وسلماً ولكي نسلم عن النكبات على ضوء الاسلام الايمان، كما الله حبَّبه الينا:

﴿وَ لكِنّ اللّهَ حَبّبَ إلَيْكُمُ ٱلإيمانَ وَ زَيّنَهُ فى قُلُوبكُمْ﴾: حبب الايمان بالله، فصرتم تحبون الله، اذاً فاتبعوا رسول الله: ﴿قل ان كنتم تحبونَ الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ (٣:٣١) فـ ﴿هل الدين الا الحب﴾[١]

كلا!، انما ﴿الدين هو الحب والحب هو الدين﴾!.

وتحبيب الايمان الى الانسان كتقدمة لتزيينه في قلبه، تحبيب ﴿الى﴾ وتزيين ﴿في﴾ فالدعاة الى الله من جانب، بما يحملون رايات الدعوة الحنونة الحبيبة، وحب الانسان فطرياً وعقلياً للايمان ـ بما فطر الله ـ من آخر، يجعلان ـ متعاملين ـ ركيزة لحب

١ . محاسن البرقي باسناده عن ابي جعفر الباقر Δ في حديث له قال يا زياد ويحك وهل ا لدين الا الحب ألا ترى الى قول الله «ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم» الا ترون قول الله لمحمد3: «حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم» وقال: «يحبون من هاجر اليهم» وقال Δ: الدين هو الحب والحب هو الدين.

الايمان في روح الانسان، عقلاً، صدراً والى قلبه، ومن ثم يأتي دور تركيزه في القلب ۞وزينه في قلوبكم☯ تعاملاً بين عقيدة الايمان وعمل الايمان فيزدادوا ايماناً على ايمان: ۞والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم☯ (١٤:٤٧)

۞اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه☯ (٢٢:٥٨).

فلا تزيين للايمان في قلب ما لم يدخل فيه، ولا يدخل فيه، إلا من يتحبب له بعد ما حببه الله اليه، وقبل هذا وذاك لا تحبُّب ولا تزين بالايمان حتى يكره الكفر والفسوق والعصيان فيكرهها وقد فعل:

۞وَ كَرّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَ الْفُسُوقَ وَ الْعِصْيانَ☯ فالكفر مقابل الايمان، والفسوق خروج عما يقتضيه الايمان من طاعة الى تخلف، فهو اذاً سبب موصل الى العصيان، وقد كره الله لنا هذا الثالوث المنحوس مع ما حبب الينا الايمان، ۞فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر☯ اذ (لا جبر ولا تفويض بل امر بين امرين)، فمن يختار الايمان زاده الله ايماناً على ايمان، ومن يختار الكفر والفسوق والعصيان ختم الله على قلبه بطابع اللاايمان، فآية تحبيب الايمان لا تجعل كل المخاطبين من المؤمنين غير العاصين، او قد جمعت بينهم كلهم في ذلك ترغيباً وتشويقاً وتوحيداً لصفوف الايمان، لا أنهم كلهم بالغون تلك الدرجة من الايمان، وانما الله ينبههم بما فعل فناظرٌ ماذا يفعلون، وهم درجات في ايمانهم كما ان سواهم دركات في كفرهم وفسوقهم وعصيانهم، و ۞اولئك☯ الأكارم المؤمنون ۞هم الراشدون☯ الذين رشدوا في صراط الحق، لابحول وقوة منهم فقط ـ وانما:

«فَضْلاً مِنَ اللّهِ وَ نعْمَةً وَ اللّهُ عَليمٌ حَكيمٌ»:عليم بعجزكم، حكيم في فضله لكم، : ۞فلو لا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين☯ (٦٤:٢) ۞ولولا فضل الله عليكم ورحمته لا تبعتم الشيطان الا قليلا☯ (٨٣:٤) ۞ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم احد ابداً☯(٢١:٢٤)

هذا طرف من ادب الاصلاح فيما يفسد بينكم من فرية سوء ام ماذا، استصلاحاً لما بينكم، ومن ثم تنتقل المسؤولية الى الاصلاح في معارك اخرى كما بين اخويكم:

محمد

مع ازواجه ـ وآله المعصومين

عليهم السلام

٤

يا أَيّهَا النّبىّ قُلْ لأَزْواجِکَ إِنْ كُنْتُنّ تُردْنَ الْحَياةَ الدّنْيا وَ زينَتَها فَتَعالَيْنَ أُمَتِّعْكُنّ وَ أُسَرِّحْكُنّ سَراحًا جَميلاً(٢٨) وَ إِنْ كُنْتُنّ تُرِدْنَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الدّارَ الْآخِرَةَ فَإِنّ اللّهَ أَعَدّ لِلْمُحْسِناتِ مِنْكُنّ أَجْرًا عَظيمًا(٢٩) يا نِساءَ النّبىّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنّ بِفاحِشَة مُبَيِّنَة يُضاعَفْ لَهَا الْعَذابُ ضِعْفَيْنِ وَ كانَ ذلِکَ عَلَى اللّهِ يَسيرًا(٣٠) وَ مَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنّ لِلّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تَعْمَلْ صالِحًا نُؤْتِها أَجْرَها مَرّتَيْنِ وَ أَعْتَدْنا لَها رِزْقًا كَريمًا(٣١) يا نِساءَ النّبىّ لَسْتُنّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ إِنِ اتّقَيْتُنّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الّذى فى قَلْبِهِ مَرَضٌ وَ قُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفًا(٣٢) وَ قَرْنَ فى بُيُوتِكُنّ وَ لا تَبَرّجْنَ تَبَرّجَ الْجاهِلِيّةِ الْأُولى وَ أَقِمْنَ الصّلاةَ وَ آتينَ الزّكاةَ وَ أَطِعْنَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ إِنّما يُريدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهيرًا(٣٣) وَ اذْكُرْنَ ما يُتْلى فى بُيُوتِكُنّ مِنْ آياتِ اللّهِ وَ الْحِكْمَة إِنّ اللّهَ كانَ لَطيفًا خَبيرًا(٣٤) إِنّ الْمُسْلِمينَ وَ الْمُسْلِماتِ وَ الْمُؤْمِنينَ وَ الْمُؤْمِناتِ وَ الْقانِتينَ وَ الْقانِتاتِ وَ الصّادِقينَ وَ الصّادِقاتِ وَ الصّابِرينَ وَ الصّابِراتِ وَ الْخاشِعينَ وَ الْخاشِعاتِ وَ الْمُتَصَدِّقينَ وَ الْمُتَصَدِّقاتِ وَ الصّائِمينَ وَ الصّائِماتِ وَ الْحافِظينَ فُرُوجَهُمْ وَ الْحافِظاتِ وَ الذّاكِرينَ اللّهَ كَثيرًا وَ الذّاكِراتِ أَعَدّ اللّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْرًا عَظيمًا(٣٥)

هذه الآيات الثمان تستعرض بُعدين وجانبين من بيت النبي الطاهر، بيت الرسول: ازواجه، وبيت الرسالة: المحمديين المعصومين في جو الرسالة القدسية الختميه، احتصاراً باختصار في عرض بيت الرسالة والتعريف به: ﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ في جمعين مذكرين يعنيان الذُكران من اهل بيت الرسالة بمن فيهم فاطمة الصديقة (عليها السلام)، وذلك بعد عشرين خطاباً في جموع مؤنثة قبله

واثنين بعده كلها تعني ـ فقط ـ نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في اوامر ونواهي أكيدة شديدة متهددة ومرغوبة، ولكي تجمع الى طهارة اهل بيت الرسالة ـ وهي القمة بين بيوتات الرسالات ـ تجمع طهارة اهل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم الآية الثامنة تعميم لأجور المؤمنات حسب الدرجات سؤاءٌ أكن من ازواج النبي ام سواهن ولكي تبين ألاّ ميِّزة لزوجية النبي بمفردها ❁وأن ليس للانسان الا ما سعى☯.

مضت آية الأمهات مصرحة انهن امهات المؤمنين، ولأن هذه الكرامة لها تكاليفها، ولزوجية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تكلفاتها الوقائية، لذلك يُخاطبن في اثنين وعشرين خطاباً صارماً تختص بهن ليصنعن من انفسهن أهلية زوجية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمومة المؤمنين.

«يا أَيّهَا النّبِىّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدّنْيا وَ زِينَتَها فَتَعالَيْنَ أُمَتِّعْكُنّ وَ أُسَرِّحْكُنّ سَرَاحًا جَمِيلاً»(٢٨)

هنا نساء النبي يخاطبن بوسيط النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) علّه لُبعدهن عن ساحة الربوبية وإلاّ فلماذا ارادة الحياة الدنيا في بيت الرسالة القدسية، ثم المامور بأمرهن هو وليهن في بُعدي الرسالة والزوجية.

ثم ولقربهن شيئاً مّا إذ يتركن الحياة الدنيا و زينتها، ولتقريبهن الى ساحة الطاعة لكي يَهَبن الله اذ يخاطبهن الله، يخاطَبن دون وسيط إلاّ نقلاً لهن بالوحي، في سائر الخطابات الاثنين والعشرين: ❁يا نساء النبي... واذكرن.. في بيوتكن..☯.

يرجع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من غزوة خيبر مصيباً كنز آل ابي الحقيق فيقلن ازواجه له: اعطنا ما أصبت، فيقول لهن: قسمة بين المسلمين على ما أمر الله، فيغضبن من ذلك ويقلن له: لعلك ترى أنك ان طلقتنا ألاّ نجد الأكفاءَ من قومنا يتزوجونا، فأنف الله عزوجل لرسوله فأمره أن يعتزلهن في مشربة ام ابراهيم تسعة و عشرين يوماً حتى حضن وطهرن ثم أنزل الله آية التخيير هذه فقامت ام سلمة امن هي؟

فقالت: قد اخترت الله ورسوله، فقمن كلهن فعانقنه وقلن مثل ذلك فانزل الله عزوجل: ﴿ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء...﴾[1].

وهكذا نتلمَّح من ﴿قل لأزواجك﴾ دون ﴿بعض ازواجك﴾ انهن كلهن تشاركن في ازعاجه فانزعاجه (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى نزل ما نزل وحصل ما حصل.

مجموعة حلائل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كن سبعة عشر، دخل بهن اجمع إلا عمرة والسيفا وفيهن سريتان: مارية القبطية وريحانة الخندقية، كان يقسم لهما مع ازواجه. ولم يجمع قط إلاّ بين تسع منهمن فاعتزل (صلى الله عليه وآله وسلم) حين اعتزل عنهن ومات كذلك عنهن وافضلهن خديجة ثم ام سلمة ثم ميمونة[2] وارذلهن من

---

١ . روى اصحابنا انها ام سلمة كما اخرجه القمي في تفسيره على ما في المتن وروى اخواننا انها عائشة كما في الدر المنثور بعدة طرق ففي نورالثقلين ۴: ۲۶۶ عن المجمع روى الواحدي بالاسناد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله3 جالساً مع حفصة فتشاجرا بينهما فقال لها: هل لك ان اجعل بيني وبينك رجلاً؟ قالت: نعم فارسل (صلى الله عليه وآله وسلم) الى عمر فلما ان دخل بينهما قال لها تكلمي قالت يا رسول الله تكلم ولا تقل الا حقاً فرفع عمر يده فوجأ وجهها فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم: كف فقال عمر: يا عدوة الله النبي لا يقول إلاّ حقاً والذي بعثه بالحق لولا مجلسه ما رفعت يدي حتى تموتي فقام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فصعد الى غرفة فمكث فيها شهراً لا يقرب شيئاً من نساءه يتغدى ويتعشى فيها فانزل الله هذه الآيات.
وفيه ص ۳۶۵ ح ۶۶ باسناده عن ابي الصباح الكتاني قال ذكر ابو عبدالله (عليه السلام) ان زينب قالت لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا تعدل وانت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالت حفصة: ان طلقتنا وجدنا اكفاءنا من قومنا...
اقول مهما اختصت البعض من نساءه بالبعض من هذه الاقاويل فالقولة المشتركة علّها الأخيرة «ان طلقتنا..».

٢ . نورالثقلين ۴: ۳۶۷ ح ۷۴ في كتاب الخصال عن ابي عبدالله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) قال: تزوج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بخمس عشرة امرأة ودخل بهن١ فاولهن خديجة بنت خويلد٢ ثم سودة بنت زمعة ثم٣ ام سلمة واسمها هند بنت امية۴ ثم ا م عبدالله عائشة بنت ابي بكر ثم۵ حفصة بنت عمر ثم۶ زينب بنت خزيمة بنت الحارث ام المساكين۷ ثم زينب بنت جحش ٨ ثم ام حبيب رملة بنت ابي سفيان ثم۹ ميمونة بنت الحارث ثم١٠ زينب بنت عميس ثم١١ جريريه بنت الحارث ثم١٢ صفية بنت ابى اخطب ١٣ والتي وهبت نفسها للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) خولة بنت حكيم السلمي وكان له سريتان يقسم لهما مع ازواجه مارية القبطية وريحانة الخندقية والتسع

حاربت وصيّه يوم الجمل!.

لقد خيرهن بعد نزول آية التخيير بين المقام معه إن يردن الله ورسوله، أو الإنسراح عنه إن يردن الحياة الدنيا وزينتها، حيث اختار لنفسه وأهله معيشة الكفاف وعيشة العفاف دون زهو ولهو بتبذير أو اسراف، لا عجزاً عن حياة المتاع والزينة، وانما زاهداً عادلاً كقدوة للأمّة.

إلا أن نسائه (صلى الله عليه وآله وسلم) يتطلَّبن منه زهوة وزهرة كما هي شيمة النساء، وليس الرسول يميل الى ميولهن فيزدهي بزهوهن ويشتهي ما يشتهين، ولا سيما في الأموال التي هي لعامة المسلمين، وكذلك في امواله الشخصية، ولذلك يعرض عنهن بعد عرضهن طلب الحياة الدنيا وزينتها واعتراضهن عليه، يعرض نَظِرة الوحي فتنزل آية التخيير فيخيرهن بين هذه وتلك.

اترى كان عرض التخيير، امامهن كلهن فاخترن الله ورسوله؟ أم امام ام سلمة فتبعنها كلهن؟ ام أمام عائشة؟ وقد يروى انها تطلَّب منه (صلى الله عليه وآله وسلم) اختصاصها فقال: ﴿ان الله لم يبعثني متعنتاً ولكن بعثني معلماً مبشراً لا تسألني امراة منهن عما اخترت إلاّ اخبرتها﴾[1].

انه (صلى الله عليه وآله وسلم) على أية حال لم يكن ليخرج عن العدل بين نساءه

اللاتي قبض عنهن عائشة وحفصة وام سلمة وزينب بنت جحش وميونة وام حبيب وجريرية وسودة وافضلهن خديجة ثم ام سلمة ثم ميمونة اقول وفيه عن الكافي عن ابي جعفر (عليه السلام) قال في طوائف هولاء النسوة ـ ٤ ـ من تيم و ـ ٥ ـ من عدي و ٣ ـ من بني مخزوم و ـ ٢ ـ من بني اسد و ـ ٨ ـ من بني امية و ـ ٩ ـ من بني هلال و ـ ١٢ ـ من بني اسرائيل ولم يذكر البقية وطبعاً خديجة من افضل قريش، وتفرق هذه الطوائف من الدليل على ان زواجاته كانت سياسية اكثر مما هي جنسية.

١ . الدر المنثور ٥: ١٩٤ـ اخرج بعدة طرق عن جابر وساق القصة الطويلة الى قوله وانزل الله الخيار فبدأ بعائشة فقال: انى ذاكر لك امراً ما احب ان تعجلي فيه حتى تستامري ابويك قالت ما هو؟ فتلا عليها الآية قالت عائشة: افيك استأمر ابوي بل اختار الله ورسوله فأسألك ان لا تذكر الى امراة من نسائك ما اخترت فقال: ان الله...

حتى في ذلك العرض دون فرق بين عائشتهن وأم سلمتهن، اللـهم إلاّ بفـارق التقـوى، دون تقديم لتلك بشبابها وجمالها على هذه امّن هي لتقدمها عمراً او تاخرها جمالاً!

ويا له من عرض عريض بين عليا الحياة معه (صلى الله عليه وآلـه وسـلم) ودنيـا الحياة لامعه ❁ان كنتنَّ تردن الحياة الدنيا وزينتها☯ في بيت الرسالة القدسية، تغـافلاً عن اصل الحياة الزاهرة الباهرة في جوّ الوحي، والتنزيل، او تذرُّعاً بها الى الحياة الدنيا وزينتها، فلا جمع بين الحياتين مع النبي (صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم) ولا اختصاصـاً بالحياة الدنيا، إلاّ ارادة الله ورسوله، ف ـ ❁من كان يريد الدنيا وزينتـها نـوف الـيهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يُبخسون. اولئك ليس لهم في الآخرة إلاّ النار...☯ (١١:١٥).

وكيف لهؤلآء موقع في بيت الرسالة القدسية؟ ❁فتعالين امتعكن☯ بما يجب محبوراً ❁واُسرِّحكن سراجاً جميلاً☯ فكاً عن أسركن إذ لا تجدن ما تُـردن في ذلـك البيـت، فليس الطلاق اسلامياً إلاّ فكاً عن أسر، من الجـانبين او مـن جانـب واحـد، فيسـرح المفكوك زوجاًام زوجة ويرتع حيث يشاء و ❁سُراحاً جميلاً☯ كلمة صُراح في سمـاح انطلاقهن بطلاقهن الى اختيار الازواج، فـفي تسـريحهن ـ اذاً ـ تطلـيقهن عـن كـونهن امهات المؤمنين، كما عن كونهن ازواجه، فقضية السراح هي الإنسراح عن قيود زوجية الى اخرى، وقضية أنه جميل استئصال كافـةالعقبـات عـن زواجهـن الاخـرى كسـائر المطلقات، فلو بقي بعد طلاقهن كونهن امهات المؤمنين، فلا سراح لهن فضلاً عن جميـل، والله تعالى يقول ❁فتذروها كالمعلقة☯ تنديداً بمـن يظلمهـن هكـذا، لا ذات بعـل ولا خلية تتبعل، وساحة النبي أقدس واحرى ألاّ يذرهن بتسريحهن كالمعلقات.

واما موته عنهن دون طلاق فليس سراحاً عن جميل، وهن بعده امهات المؤمنين، إلاّ اذا تخلفن عن شروطاتها كما تخلف البعض منهن و هُدِّدت بالطلاق، اطلاقاً في الأزواج.

فكما النكاح في ميزان الله متاعٌ، كذلك الطلاق متاعٌ وسُراحٌ جميل، عقد جميل وفكٌ جميل دونما عِراك واحتكاك في ذلك الفكاك.

ليس النبي ليقبل ضغطاً عليه وتحميلاً في الحيـاة الـدنيا وزينتـها، ولـيس ليضُـغِط

أزواجه على بساطة العيشة في الحياة كأبسط ما تكون، أسراً لهن خلاف ما يردن ويرغبن، لذلك فليخيِّرهُنَّ ويَقبل منهن ما يخترن.

وليس ليقبل النبي الأقدس من ابي ابكر و عمر أن يضربا عائشة وحفصة على هذه المراجعة النكدة في النفقة، حيث المسألة مسألة مشاعر وميول بشرية وطلبات طبيعية نسائية، دون تسيير لهن على خلاف ميولهن، وإنما مسايرتهن ما لا يمس من كرامة بيت النبوة، ثم تخييرهن كما خيَّر، واخترن الله ورسوله والدار الآخرة:

«وَ إِنْ كُنْتُنّ تُرِدْنَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الدّارَ الْآخِرَةَ فَإِنّ اللّهَ أَعَدّ لِلْمُحْسِناتِ مِنْكُنّ أَجْرًا عَظِيمًا»(٢٩)

وإنه ليس الأجر العظيم إلاّ للمحسنات منهن بعدما أردن الله ورسوله والدار الآخرة، فهناك إرادة الإحسان وهنالك تحقيق الإِحسان، وليست الإِرادة لتكفي ما لم يتحقق المراد بالحسنى، ثم العاقبة الحسنى بمواصلة الإِحسان في ارادة الله ورسوله، واما اللاتي يردن الله ورسوله والدار الآخرة بُغية البقاء في بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم لا يُحسنَّ كما يناسب ذلك البيت، ومن ثم يحاربن في حرب الجمل اماذا؟ وصيه الطاهر. فهن بعيدات من الأجر فضلاً عن عظيمه، وأبعد من العامرية التي اختارت قومها!.

ثم الإِحسان في جو الوحي والتنزيل افضل أجراً من سواه كما الإِساءَة ارذل وأنكل، حيث البعد الثاني لكلى الاحسان والإِساءَة راجع إلى أحسان هذا البيت وإساءَته بين الناس، فعلى مستوى عُظم ذلك البيت يعظم أجر الإحسان وعذاب الاساءَة، وهذه قاعدة عادلة سارية في أبعاد الأفعال خيراً او شراً، وكما تواتر عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) في من سن سنة حسنة اوسيئة.

وهل التسريح هنا هو التطليق رجعيّاً ام بائناً، فمن تختار الحياة الدنيا يطلقها بصيغة؟ أم ان اختيارهن لها طلاقٌ؟ التسريح صريح أنه فعلٌ من النبي إن اخترن الحياة الدنيا، فليس اختيارهن اذاً بنفسه طلاقاً، وليس التسريح ـ فقط ـ صيغة لفظية للطلاق، إلاّ أن

تسريح كل شخص بحسبه ولا نعرف تسريحاً اسلامياً للازواج إلاّ بالتطليق، إلاّ ان يختص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بتطليق دون لفظ كما في نكاح ﴿وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين﴾ (٣٣:٥٠) إلاّ أنهما لا تثبتان طلاقاً او نكاحاً دونما صيغة، بل ﴿لو اختـرن انفسهن لطلقهن﴾[1].

وهل المسرَّحة هكذا تنسرح بحيث تحل لها الزواج بغيره؟ وهن امهات المؤمنين!: ﴿ولا أن تنكحوا ازواجه من بعده ابداً﴾! ولكنما الحياة الدنيا وزينتها والسراح الجميل قد تتنافى وحرمان الزواج وهو من امتع مُتع الحياة وزينتها ومن اجمل السراح! فقد يكون تسريحهن هكذا تطليقاً عن كونهن امهات المؤمنين وكما خول علي (عليه السلام) بتطليقهن ان خرجن عن طور الطاعة له (صلى الله عليه وآله وسلم) كما يحق وقد مضى حديثه عن القائم المهدي (عليه السلام) ومن هنا نتبين على أية حال أن ﴿لو اختـرن انفسهن لَبِنَّ﴾[2] دونما رجعة حيث الامر قاطعٌ لا مردَّ له من الله:

﴿قل.. تعالين... اسرحكن﴾ فليُسرِّح من اختارت الدنيا دونما رجعة، اللهم إلاّ رجوعاً الى الله ورسوله فرجعة بعقد جديد ولا دليل عليه!

«يا نِساءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضاعَفْ لَهَا الْعَذابُ ضِعْفَيْنِ وَ كانَ ذلِكَ عَلَى اللّهِ يَسيراً(٣٠) وَ مَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تَعْمَلْ صالِحًا نُؤْتِها أَجْرَها مَرَّتَيْنِ وَ أَعْتَدْنا لَها رِزْقًا كَريمًا»(٣١)

---

١ . نورالثقلين ۴: ۲۶۵ عن الكافي حميد عن ابن سماعة عن ابن رباط عن عيص بن القاسم عن ابي عبدالله (عليه السلام) قال سألته عن رجل خيّر امرأته فاختارت نفسها بانت؟ قال:لا ـ انما هذا شيء كان لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خاصة أمر بذلك ففعل ولو اخترن انفسهن لطلقهن.

٢ . نورالثقلين (۶۵) حميد عن ابن سماعة عن محمد بن زياد وابن رباط عن ابى ايوب الخزاز قال: قلت لابي عبدالله (عليه السلام) اني سمعت اباك يقول: ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خير نسائه فاخترن الله ورسوله فلم يمسكهن على طلاق ولو اخترن انفسهن لبّن؟ فقال: ان هذا حديث كان يرويه ابي عن عائشة وما للناس والخيار انما هذا شيء خص الله به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ولماذا في قصة التخيير ﴿قل لأزواجك﴾ ثم هنا والتي بعدها ﴿يا نساء النبي﴾؟ علّه حيث الاولى يخص ازواجه والآخريان تشملان معهن بناته وكل امراة تعيش في جوّ الوحي مرتبطة به نسباً او سبباً فهما باحرى يشملان الصديقة الزاهراء (عليها السلام) ان يؤتاها اجرها مرتين ويعتد له ارزقاً كريماً!

وهذه ضابطة عامة في الاعمال خيراً وشراً، أن يُنظر إليها من بعدين: نفس العمل، ومن يرتبط به اياً كان، في خير او شر من غير العامل، واعظم رباط للعاملين هو الواقع في جو الوحي، ثم وما دونه من أجواءٍ يذكر هنا افضلها لنجعله نبراساً ينير الدرب على ما دونه، كلٌ بحسبه.

واذا كان هذا موقف نساءه (صلى الله عليه وآله وسلم) فباحرى بنتُه الزهراء (عليها السلام) وعلي (عليه السلام) والأئمة من ولدهما عليهم السلام من عترته و كما يروى عن زين العابدين(عليه السلام): ﴿نحن احرى ان يجرى فينا ما أجرى الله في أزواج من أن نكون كما تقول، انا نرى لمحسننا ضعفين من الأجر ولمسيئنا ضعفين من العذاب﴾[1].

وقد عد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ازواجه في هذه الميِّزة من ﴿اربعة يؤتون اجرهم مرتين﴾[2] دون اختصاص بهن، فانما الميزة للأقرب فالأقرب صلة ومكانة، وهما في عترة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اقرب قرابة ومحتداً!

---

١ . نورالثقلين ۴: ۲۶۸ ح ۷۷ في جمع البيان وروى محمد بن ابي عمير بن ابراهيم بن عبدالحميد عن علي بن عبدالله بن الحسين عن ابيه عن علي بن الحسين زين العابدين انه قال رجل: انكم اهل بيت مغفور لكم قال فغضب وقال: نحن... وفي الدر المنثور ۵: ۱۹۶ ـ اخرج ابن ابي حاتم عن جعفر بن محمد (عليه السلام) يجرى ازواجه مجرانا في الثواب والعقاب.

٢ . المصدر اخرج الطبراني عن ابي امامةقال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اربعة يؤتون اجرهم مرتين منهم ازواج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفيه اخرج ابن ابي حاتم عن الربيع بن انس في الآية قال: ان الحجة على الأنبياء اشد منها على الاتباع في الخطيئة وان الحجة على العلماء اشد منها على غيرهم فان الحجة على نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اشد منها على غيرهن...

فمضاعفة العذاب هنا هي تبعة المكانة الكريمة من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كما مضاعفة الأجر فانها تابعة لنفس المكانة، تُقدَّر ان بقدرها في المنسوب والمنسوب إليه، ولا أكرم من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولاأقرب من اهله الذين يعيشون جوَّ الوحي! .

والفاحشة هي المعصية الفاحشة، متجاوزة حدها ام الى غير العاصي ام تجمعهما، ثم الفاحشة قد تكون مبينة متجاهرة ولا تبين إلاّ نفسها، وقد تكون مبيِّنة تبين معها موقف صاحبها ومن تيصل بهم بطبيعة الحال، وهنا ﴿فاحشة مبيِّنة﴾ كالأخيرة لافقط ﴿مبيَّنة﴾ إذاً فهي التي تبيّن موقف صاحبها أنها منه كما تتراوش من كوز، لا فلتةً غير قاصدة، كما و تبين ما يتسحقه من العقاب عليها.

ثم وليست الفاحشة لتختص بالشذوذات الجنسية وهي من الجنيثات النسائية بعيدة عنها ساحة الرسالة القدسية حيث ﴿الخبيثات للخبيثين﴾ مهما كانت للبعض من نساء الانبياء فاحشة الكفر كما قبل الاسلام بسائر فسقه إلاّ الزنا.

فمن ﴿الفاحشة الخروج بالسيف﴾[1].

وترى ان مضاعفة العذاب ضعفين هي ضعفين على أصل العذاب فهي اذاً ثلاثة أضعاف؟ والأجر الذي هو قضية الفضل احرى بذلك من العذاب العدل وهو ﴿مرتين﴾! اذاً ﴿فضعفين﴾ هما ﴿مرتين﴾ حالاً من العذاب، عذاباً وثواباً على سواء، والمضاعفة هي الزيادة قلّت او كثرت،من مرتين الى ما شاء الله، وهي هنا ضعفين، فالضعف هو الزيادة دونما تحديد ﴿ومن آمن وعمل صالحاً فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون﴾ (٣٤:٣٧) واقل الضعف لهم عشرة ﴿من جاء بالحسنة فله عشرة امثالها﴾ ﴿ولدينا مزيد﴾ وكما لمن جاء بالسيئة ضعف في

---

١ . نورالثقلين ٢٦٨ في تفسير علي بن ابراهيم باسناد عن حريز قال: سألت ابا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله عزوجل: «يا نساء النبي من يات منكن...» قال (عليه السلام): الفاحشة الخروج بالسيف، اقول وهو من التفسير بافحش مصاديق الفاحشة.

مضاعفتها: ﴿ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكل ضعف ولكن لاتعلمون﴾ (٣٨:٧) ومعلوم ان ضعف المضلَّل اضعف من ضعف المضلِّل وكلٌّ ضعفاً..

ومن ثم الأضعاف تعني المرات من ثلاثةفما فوقها ﴿يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافاً مضاعفة﴾ (٣:١٣٠) اي: مرات مزيدة على الاصل ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له اضعافاً كثيرة..﴾ (٢:٢٤٥).

إذاً فمضاعفة الضعفين من العذاب هي الزيادة المثلين لا زيادة مثلين على أصل العذاب، وكما الأجر مرتين: عذاب اواجر، للفاحشة او القنوت، نفسُه في حساب الفاعل، وآخر تخجيلاً او تبجيلاً لجو الوحي والتنزيل جزاءٌ وفاقاً او عطائاً حساباً.

هنالك فاحشة مبينة فعذاب ضعفين ﴿وكان ذلك على الله يسيراً﴾ وليس عليه عذابهن عسيراً تمنعه عنه مكانتهن من الرسول حيث الرسول نفسه ايضاً مهدد: ﴿لو تقول علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين. ثم لقطعنا عنه الوتين. فما منكم من احد عنه بحاجرين﴾ (٦٩:٤٦)

وهناك قنوت لله ورسوله ﴿ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً﴾ خضوعاً لله عبودية ولرسوله طاعة وعملاً يصلح لذلك الخضوع، صالحاً لجوّ الوحي والتنزيل ﴿نؤتها أجرها مرتين﴾ وزيادة هنا لانه قضية الفضل: ﴿واعتدنا لها رزقاً كريماً﴾ دونما هناك حيث العذاب قضية العدل فهو عدل للفاحشة دونما ربوة. اترى ان كن عواناً بين ذلك، لا فاحشة مبينة ولا قنوت لله ورسوله، فهلاّ يكون هنالك اجرٌ ولا عذاب؟

اجل! ولكنه لا ضعف في عذابهن ولاأجرهن، حيث البعد الثاني من العصيان والطاعة عادم فثاني الأجر والعذاب كذلك عادم ومثلهن اذاً كسائر النساء على سواء، فلا كرامة الا بالتقوى ولا مهانة إلا بالطغوى، اياً كانت الطغى وان زوجة النبي، واياً كانت التقى وان زوجة فرعون الشقي ﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امراة نوح وامراة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتا فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين، وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن

لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين. ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدّقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين۞ (١٢:٦٦)

ثم وليست مضاعفة الثواب والعقاب لنساء النبي إلاّ للبُعد الثاني من الطاعة والعصيان، دون رعاية للصلة بالنبي، وإلاّ فلا عقاب ام تخفيفاً من العذاب كضعف الثواب.

وترى ان مضاعفة العذاب في الفاحشة المبينة تخص الآخرة؟ ام تعم الاولى والآخرة؟ العموم قضية اطلاق العذاب، فالفاحشة التي فيها الحدّ يضاعف لهن حدّ ها في الاولى كما في الأخرى إلاّ انه يخص الفاحشة المبيَّنة، لاكل فاحشة ولا المبيَّنة دون تبيين وقوفاً عند النص فيما يشذ عن القاعدة تأمل.

«يا نِساءَ النّبيّ لَسْتُنّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ إِنِ اتّقَيْتُنّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الّذى فى قَلْبِهِ مَرَضٌ وَ قُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفًا»(٣٢)

انه ليس ارتفاع المساوات بين نساء النبي وسائر النساء لانهن نساء النبي، بل ۞ان اتقيتن۞ كما وليس النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كأحد من الرجال لنبوته.. انتن في مكانة لا يشاركن فيه احدٌ من النساء، ولا تشاركن فيها احداً من النساء ولكن ۞إن اتقيتن۞ فليست المسألة مجرد قرابة من النبي بسبب او نسب اللّهم إلاّ حسب التقوى وسببها ونسبها، فالتقوى تقوى ان كانت في مكانة عليا و محتد اقوى كما الطغوى تقوى على سواء، فلابد من القيام بحق هذه القرابة العليا، وهو القائل ۞يا فاطمة ابنة محمد! يا صفيةابنة عبدالمطلب! يا بني عبدالمطلب! لا أملك لكم من الله شيئاً سلوني من مالي ما شئتم۞.[1]

---

١ . اخرجه مسلم في صحيحه ويروى المسلم والترمذي ايضاً قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «يا معشر قريش انقذوا انفسكم من النار! يا معشر بني كعب انقذوا انفسكم من النار! يا فاطمة بنت محمد انقذي نفسك من النار! فاني والله لا املك لكم من الله شيئاً إلا ان لكم رحماًسأبلها ببلاءها.

وهل الاوامر والنواهي التالية تخصهن لاختصاص خطاباتها لهن؟ و ﴿ان اتقيتن﴾ تعم كل تقوىً واجبة وراجحة من كل متقية منهن وسواهن! وموارد الامر والنهي هنا لا تخصهن! فانما التقوى لهن تخرجهن عن مساواتهن لسواهنّ دون واجبات او محرمات تختصهن، وليست المذكورة إلاّ عامة لكافة المسلمين دون اختصاص بهن، فالآية تشجيع لهن على اصل التقوى واذاً ﴿لستن كأحد من النساء﴾!

تقوى في القول سلبياً ﴿فلا تخضعن بالقول﴾ وايجابياً ﴿وقلن قولاً معروفاً﴾!

ينهاهن حين يخاطبن غير ذوي الأرحام عن ان يكون في اقوالهن خضوع له نبرة مثيرة، ولينة مغيرة، خضوعاً في موسيقا التعبير، ام ما يحمله من معنىً مثير، فواويلاه إذ اجمعا في عبرة القول ونبرته وضحكته! ﴿فيطمع الذي في قلبه مرض﴾: الشهوة الكامنة حيث تظهرها القولة الخاضعة، فلتكن قولة مخضِعة ام لاقل تقدير لا خاضعة ولا مخضعة، لا في موسيقاها ولا في معناها.

للمرأة قولات ثلاث: ١ ـ خضوع مثير باي من ابعاده فمحظور ٢ ـ لا خضوع ولا كبرياء فغير محظور، ٣ ـ وإخضاع بكبرياء في قول تطوي نسائية الصوت ولطافته طياً فمحبور مشكور، فتقوى واجبة في قولهن عدم الخضوع، ومن ثم راجحة هي إخضاع والقول المعروف هو المعروف عن مسلم حِلاًّ في جنباته، ثم المعروف عن مؤمنة حلاً منها مع غير المحارم، ثم المعروف عن اهل النبي فهو اذاً مثلث المعروف واقله ألاّ يكون فيه ما يحرم من مؤمنة لغير محرم!

صحيح انهن كازواج النبي وامهات المؤمنين ليس ليطمع فيهن طامع، ولكن المرض في قلوب مقلوبة يُستثار، قلوب مريضة بالشهوات دونما عفاف، ام و مريضة بنفاق ام نقصان في ايمان، مهما سلمت القلوب السلمية بايمان وعفاف على ما فيها من شهوة، فانها ليست ككل مرضاً فان الله خلقها في كل مؤمن ومؤمنة، وفي النبيين، وانما يُخاف ممن لا يعفُّ شهوته.

الى هنا تحريفاً عن موضعها بُغية تحريف عن موضوعها انها تعني نساء النبي كما

عنتهن سائر خطاباتهن؟ وذكورة الضمير دليل قاطع لا مرد له عما يعنيه من ذكران اهل البيت!.

او ان الله جعلها فيها كيلا تحرّف عما تعنيه زعم انها تعني ما تعنيه خطابات النساء، كحيلة إلهية تحول دون التحريف! ولا تحريف في القرآن ولن... ايا كان وايان بادلة الحفظ عقلياً وكتابياً وفي السنة القطعية، فهل يخاف الله المحرفين لكي يحتال حتى لا يُغتال؟!

ان ضميري التذكير يحافظان على كيان آية التطهير، كما و ﴿إنما﴾ و ﴿اهل البيت﴾ امّاذا من عساكر البراهين من نفس الآية و من السنة المتواترة تدلنا على تحول الخطاب عنهن الى رجال اهل البيت، اذاً فالبيت غير البيت واهله غير اهله!

ليست آية التطهير لتعني نساء النبي لافي ادب اللفظ لمكان ﴿كم.. كم﴾ ولا في حدب المعنى لمكان ﴿انما﴾ اماذا؟ من قرائن قطعية تحافظ على مكانة مخاطبيها، رغم مكانها بين مخاطبات!

فكما ﴿يوسف اعرض عن هذا﴾ لا تحوّل ﴿واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين﴾ الى مخاطبها، حيث اختلاف الضمائر يحافظ على ما يعنيه المضمر والضامر ذكراناً واناثاً! كذلك ﴿كم﴾ هنا لا تتحول الى غير مخاطبيها! وقرينة السياق ـ على نقد في اصلها ـ ليست لتسوق مقارنها الى غير الصريح من معناها!

اترى نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كن هنا رجالاً لكي يخاطبن بخطابهم ﴿كُم﴾ كما يهرفه من لا يعرف ادب اللفظ والمعنى؟[1]

ام نسي الله او تناسى وسهى فخاطبهن بعد خطابات النساء تغليباً لقبيل الرجال كما

---

١ . كعكرمة في قولته «من شاء باهلته انها نزلت في ازواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كما وتشير في قولته الاخرى الى وحدته في وهدته «ليس بالذي تذهبون اليه انما هو نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (الدر المنثور ٥:١٩٨).

في سائر الاحوال؟ وشمول ضمير الرجال للنساء بحاجة الى دليل قاطع! والقرائن القطعية في الآية تُنحِّيهن وكل من هو دون العصمة القمة عنها! والسنة القطعية لاتضم إليها إلاّ الصديقة الكبرى سلام الله عليها! ولئن سألنا نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هل انتن ام واحدة منكن داخلةفي هذه الطهارة القمة الخارج عنها من خرج نبياً وسواه؟ لانسمع الجواب إلا كلا، ولاسيما وان القرآن ناطق بالاخطاء الجارفةفي بعضهن ﴿وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين﴾!

هنا ﴿إنما﴾ في ارادة الطهارة وإذهاب الرجس عن اهل البيت (عليهم السلام) تحصرها في أهل البيت وتحسرها عمن سواهم، ايـاً كانوا وايان من اهل البيوتات الرسالية وملإِ العالمين من الملائكة والجنة والناس اجمعين!

فلايدخل في ذلك البيت القمة في العصمة العليا نوح وابراهيم وموسى وعيسى (عليهم السلام) ولا جبريل و ميكال والروح (عليهم السلام) امّن ذا؟ فضلاً عن نساء النبي 3 امن ورجال فوقهن في درجات الايمان كمقداد وابي ذروسلمان!

اهل البيت في اطلاقها تشمل كل أهل من كل بيت، بيت السكن للبدن حيث الانسان يستريح فيه ببدنه من الأعباء، فاهله هم الآهلون لتهيئَة الراحة البدنية من ازواج وخدم واضرابهم.

ام بيت يبيت فيه الروح، جوٍّ روحاني يبتغيه الروح لراحة الإِستضاءة من أضواء المعرفة واهله الآهلون لتلك الإِستضاءة.

هذا جو روحاني وبيت يحلِّق على أهله، وذاك جو جسداني وبيت يحلق على أهله، واين بيت من بيت وأهل من أهل؟

وهما قد يجتمعان كبيت علي وفاطمة لهما وللرسول الأقدس (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد يفترقان كحجرات الرسول بنسائِه، وكمن يعيشون عيشة الحيوان ليس لهم جوّ روحاني يعيشهم عيشة الانسان!

ولمكان ﴿إنما﴾ هنا ليس من اهل البيت نساءَه (صلى الله عليه وآله وسلم) اذ لا يشملهن لانهن اهل بيت سكن من حجر من حجر ومدر وهو من بيت محمد كبشر، والمسند اليه هنا هو محمد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

ترى بعدُ انهم بيت الرسول (عليه السلام)؟ وهو لا يشمل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهوأسه وأساسه! و ﴿انما﴾ الحاصرة تجعله المصداق الاجلى في هذه الاهلية المباركة، وما سائر اهل البيت الا كمصاديق ثانوية! مهما تواترت الرواية انهم ﴿علي وفاطمة والحسنان﴾ في التنزيل و كما يروى عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) هولاء اهل بيتي وهم احق بخلافتي﴾[1].

او انهم اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، اعلى جو روحاني يشمله واياهم، وبيت رسالي يعمهم، لاالرسولي الذي يخص أهل الرسول المعصومين؟ وهذا يناسب حصر الطهارة، واطلاق البيت[2] وتواتر الاحاديث الاخرى عن الرسول واهل البيت وكما يروى

---

١ . غاية المرام في كفاية الخصام ص ٣٧٦عن مسند احمد بن حنبل عبدالرحمن بن احمد بن حنبل عن ابيه احمد عن شداد بن عمارة ذهبت الى واثلة بن الاسفع وعنده جماعة يسبون علياً فشاركتهم فقال واثلةاتريد ان اخبرك بما سمعت عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ قلت: بلى قال: ... ساق حديثه فى آية التطهير ثم قال (صلى الله عليه وآله سلم): وهم احق بخلافتي، اقول والاربعة في التنزيل من باب التفسير بالمصداق الثاني المختلف فيه قائله بالمتفق عليه وقد اخرج عنه (صلى الله عليه وآله سلم) نزولها في الخمسة محمد بن جرير الطبري في التفسير عن خمسة عشر طريقاً عن ام سلمة والسيوطي في التفسير عن عشرين طريقاً والثعلبي في التفسير عن تسعة طرق عن ام سلمة وفي طرق عدة عن عائشة، وقد نقله جماعة من الحفاظ والمحدثين مثل ابونصر الحميدي وموفق بن احمد وابورزين في جامع الصحاح والامام احمد والطبراني في المعجم الكبير وابن ابي بكر في مجمع الزوائد والزرندى في نظم درر السمطين والهيثمي في الصواعق وابن حسنويه في درر بحر المناقب والجري في المناقب والبدخشي في مفتاح النجا والقارى في اربعين حديثاً والنبهاني في الانوار المحمدية والواحدي في اسباب النزول والقندوزي في ينابيع المودة والأمر تسرى في ارجح المطالب والقسطلاني في المواهب اللدنية والخمراوي في مشارق الانوار و النبهاني في الشرف المؤيد والذهبي في تاريخ الاسلام ـ كلهم عن ابي سعيد الخدري عنه (صلى الله عليه وآله وسلم).

٢ . حيث التقييد باهل بيت الرسول روحياً كما هو بدنياً لا يناسب اطلاق «اهل البيت، وبيت الرسالةالمحمدية هنا قضية الاطلاق وسائر البراهين القاطعة.

عنه (صلى عليه وآله وسلم) ❁نحن اهل بيت طهرهم الله من شجرة النبوة و موضع الرسالة ومختلف الملائكة وبيت الرحمة ومعدن العلم☯[1] (عليهم السلام).

ولقد اجمع اصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والتابعون، واتباعهم، وائمة الحديث، والمفسرون في تواتر صارم لاقبل له ولا مثيل بين متواتر الحديث، أجمعوا على نزول آية التطهير في أهل بيت النبوة، وقد يربوا روات حديث التطهير ألفاً مما يجعله كآيته في التواتر الصارم!

ومن المروي عنهم فاطمة الزهراء (عليها السلام)[2] بنت الرسول(صلى الله عليه وآله

---

١ . الدر المنثور ٥: ١٩١ عن ضحال بن مزاحم ان نبي الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يقول... اقول «كان يقول» دليل استمراره في قوله هذه وقد اخرج عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) نزولها في الخمسة محمد بن جرير الطبري في الخمسة عشر رواية عن شهر بن حوشب عن ام سملة والسيوطي في التفسير في عشرين روايةوالثعلبي عن ابي سعيد الخدريى عنها وعن ابي هريرة وعبدالله بن وهب بن زمعة وعمر بن ابي سلمة عنها و مسلم بن الحجاج والبخاري وسائر الصحاح عنها والثعلبي في تفسيره بتسعة طرق وابو نصر الحميدي وموفق ابن احمد صدر الائمة وابو رزين في جامع الصحاح كل عن ام سلمة عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) والامام احمد والطبراني عنها وكذلك عن عائشة بعدة طرق، و عشرات وعشرات اخرى من الحفاظ ورجالات الحديث لحد يجعل نزولها في الخمسة اقوى من نزولها في الاربعة!

٢ . وقد روي عنها حديث الكساء المشهور، اخرجه عن جابر بن عبدالله الانصاري جماعة كالشيخ البحراني صاحب العوالم يقول رأيت بخط الشيخ الجليل السيد هاشم البحراني عن السيد ماجد البحراني عن الشيخ حسن بن زين الدين الشهيد عن المقدس الاردبيلي عن علي بن عبدالعالى الكركي عن الشيخ علي بن هلال الجزائري عن الشيخ احمد بن فهد الحلي عن الشيخ علي بن الخازن الحائري عن الشيخ ضياء الدين علي بن الشهيد الاول عن ابيه عن فخر المحققين عن العلامة الحلي عن المحقق الحلي عن ابن نما الحلي عن محمد بن ادريس الحلي عن ابي حمزة الطوسي عن محمد بن شهر آشوب عن الطبرسي صاحب الاحتجاج عن الشيخ حسن بن محمد الطوسي عن محمد بن شهر آشوب عن الطبرسي صاحب الاحتجاج عن الشيخ حسن بن محمد الطوسي عن ابيه شيخ الطائفة الطوسي عن الشيخ المفيد عن ابن قولويه القمي عن الكليني عن علي بن ابراهيم القمي عن ابراهيم بن هاشم عن احمد بن محمد بن ابي نصر البزنطي عن قاسم بن يحيى الجلاء الكوفي عن ابي بصير عن ابان بن تغلب عن جابر بن يزيد الجعفي عن جابر بن عبدالله الانصاري انه قال:سمعت فاطمة الزهراء (عليه السلام) انها قالت: دخل علي ابي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في بعض الايام فقال: السلام

عليك يا فاطمة! فقلت: وعليك السلام يا ابتاه فقال: اني لاجد في بدني ضعفاًفقلت له: اعيذك بالله يا ابتاه من الضعف فقال: يا فاطمة ايتيني بالكساء اليماني وغطيني به وصرت انظر اليه فاذا يتلألأ كانه البدر في ليلة تمامه و كماله فما كانت الا ساعة واذا بولدي الحسن (عليه السلام) قد اقبل فقال السلام عليك يا اماه فقلت وعليك السلام يا قرة عيني وثمرة فوآدي فقال لي: يا اماه! اني اشم عندك رائحة طيبة كانها رائحة جدي رسول الله 3 فقلت نعم يا ولدي ان جدك تحت الكساء فاقبل الحسن Δ نحو الكساء وقال: السلام عليك يا جداه يا رسول الله 3! اتاذن لي ان دخل معك؟ فقال: وعليك السلام يا ولدي وصاحب حوضى قد اذنت لك فدخل معه تحت الكساء فما كانت الا ساعة فاذا بولدي الحسين Δ قد اقبل وقال: السلام عليك يا اماه! فقلت وعليك السلام يا قرة عيني و ثمرةفوآدي فقال لي: يا اماه! اني اشم عندك رائحة طيبة كانها رائحة جدي رسول الله 3 فقلت: نعم يا بني ان جدك واخاك تحت الكساء فدنى الحسينΔ نحوم الكساء وقال:السلام عليك يا جداه السلام عليك يا من اختاره الله اتاذن لي ان اكون معكما تحت هذا الكساء؟ فقال: وعليك السلام يا ولدي ويا شافع امتي قد اذنت لك فدخل معهما تحت الكساء فاقبل عند ذلك ابوالحسن علي بن ابي طالب (عليه السلام) وقال: السلام عليك يا فاطمة يا بنت رسول الله 3 فقلت و عليك السلام يا ابا الحسن و يا اميرالمؤمنينΔ فقال: يا فاطمة اني اشم عندك رائحة طيبة كانها رائحة اخي واين عمي رسول الله 3 فقلت و عليك السلام يا ابا الحسن ويا اميرالمؤمنينΔ فقال:يا فاطمة اني اشم عندك رائحة طيبة كانها رائحة اخي وابن عمي رسول الله 3 فقلت نعم ها هو مع ولديك تحت الكساء فاقبل علي نحو الكساء وقال: السلام عليك يا رسول الله 3 اتأذن لي ان اكون معكم تحت الكساء قال له وعليك السلام يا اخي وخليفتي وصاحب لوائي في المحشر نعم قد اذنت لك فدخل علي تحت الكساء ثم اتيت نحو الكساء وقلت السلام عليك يا ابتاه يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اتأذن لي ان اكون معكم تحت الكساء قال لي وعليك السلام يا بنتي و يا بضعتي قد اذنت لك فدخلت معهم فلما اكتملنا واجتمعنا جميعاً تحت الكساء فاخذ ابي رسول الله 3 بطرفي الكساء وأومى بيده اليمنى الى السماء و قال: اللهم ان هولاء اهل بيتي وخاصتي وهامتي لحمهم لحمي ودمهم دمي يؤلمني ما يؤلمهم و يحزنني ما يحزنهم انا حرب لمن حاربهم و سلم لمن سالمهم و عدو لمن عاداهم و محب لمن احبهم وانهم مني وانا منهم فاجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك وغفرانك ورضوانك علي وعليهم واذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فقال عزوجل يا ملائكتى و يا سكان سماواتي اني ما خلقت سماءً مبنية بولا ارضا مدحية ولا قمراً منيراً ولا شمساً مضيئة ولا فلكاًيدور ولا فلكاً تسري ولا بحراً يجري إلا المحبة هولاء الخمسة الذين هم تحت الكساء فقال الأمين جبرئيل يا رب و من تحت الكساء؟ فقال الله عزوجل: قد اذنت لك فهبط الامين جبرئيل وقال لابي: السلام عليك يا رسول الله 3 العلي الاعلى يقرئك السلام و يخصك بالتحية والاكرام ويقول لك: وعزتي وجلالي اني ماخلقت سماءٌ مبنية ولا ارضاً مدحية ولا قمراً منيراً ولا شمساًمضيئة ولا فلكاًيدور ولا بحراً يجرى ولا فُلكاً تسرى إلا لأجلكم و محبتكم وقد اذن لي ان ادخل معكم فهل تأذن لي انت يا رسول الله 3 فقال ابي وعليك السلام يا امين وحي الله نعم قد اذنت

وسلم) وعائشة[1] وام سلمة[1] وزينب[1] من ازواجه، وكافة أئمة اهل البيت (عليهم السلام).

لك فدخل جبرئيل معنا تحت الكساء فقال جبرئيل لابي ان الله قد اوحى اليكم يقول:«انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت و يطهركم تطهيراً» فقال علي Δ يا رسول الله3 اخبرني ما لجلوسنا هذا تحت هذا الكساء من الفضل عند الله فقال3 والذي بعثني بالحق نبياً واصطفاني بالرسالة نجياً ما ذكر خبرنا هذا في محفل من محافل اهل الارض وفيه جمع من شعتنا و محبينا الا ونزلت عليهم الرحمةوحفت بهم الملائكة واستغفرت لهم الى ان يتفرقوا فقال علي Δ: اذاً والله فزنا وفاز شيعتنا ورب الكعبة فقال ابي يا علي! والذي بعثني بالحق نبياً واصطفاني بالرسالة نجياً ما ذكر خبرنا هذا في محفل من محافل اهل الارض وفيه جمع من شيعتنا و محبينا و فيهم مهموم الا وفرج الله همه ولا مغموم الا وكشف الله غمه ولاطالب حاجة الا وقضى الله حاجته فقال علي Δ: اذاً والله فزنا وسعدنا وكذلك شيعتنا فازوا وسعدوا في الدنيا و الآخرة برب الكعبة».

اقول: ورواه مثله الا في بعض المكررات الشيخ فخر الدين الطريحي في كتابه المنتخب الكبير والديلمي في الغرر والدرر والحسين العلوي والدمشقي الحنفي والشيخ محمد جواد الرازي الكني في نور الافاق ص ۴ وقد نظمه جماعة من نوابغ الادب من اصحابنا واخواننا منهم ابو المعز السيد محمد بن السيد مهدي القزويني والسيد هاشم بن المحسن اللعيبي الموسوي والسيد محسن الامين الحسين العاملي الدمشقي صاحب اعيان الشيعة والشيخ احمد الشافعي على ما في المشارق للعدوي والشيخ يوسف النبهاني البيروتي والسيد محمد بن عبدالمحسن المحيوي الخلوتي الدمشقي في ديوانه وتؤيد حديث الكساء الروايات التي تقول جاء رسول الله 3 الى فاطمة كما اخرجه ابن ابى شيبة وابن جرير وابن المنذر والطبراني وابن ابي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن واثلة بن الاسقع قال: جاء رسول الله 3 الى فاطمة ومعه علي وحسن وحسين حتى دخل... والنيسابوري في المستدرك ۴۱۶:۲ عن واثلة قال: جئت اريد عليً... والقندوزي في ينابيع المودة ۲۲۹ عن واثلة قال: دخل النبي 3 على بيت فاطمة... اقول والرواية عن واثلة في كلمة واحدة ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جاء الى بيتها!

۱ . ومن اصح ما اسند الى عائشة ما يروى عن مجمع انه دخل مع امه عليها بعد مقتل الامام علي(عليه السلام) فسألتها عن عليΔ فقالت: تسألينى عن احب الناس الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لقد رأيت علياً وفاطمة وحسباً وحسيناً وجمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بثوب عليهم ثم قال: اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» قلت: وانا من اهل بيتك؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): تنحي انت على مكانك انما اراد الله بهذه الآية انا وعلياً وفاطمة والحسن والحسين(عليهم السلام) رواه الثعلبي في تفسيره باسناد متصل الى مجمع الحارثي والبخاري ومسلم من مسند عائشةوابن ابي شيبة واحمد وابن جرير وابن ابي حاتم والحاكم عنها، وبتفاوت يسير عن الجمع بين الصحاح الستة عن موطأ ما لك بن الانس وصحيحي مسلم والبخاري وسنن ابي داود عن جمع الشيخ ابوالحسن رزين بن معاوية العبد يروي عن صحيح ابي داود عنها الا

في «انا» ومقدمة القصة واخرجه مثله ابو زكريا ابن ابي اسحاق بسند له عن جميع اليتمي وابو عبدالله الدينوري عن مجمع وعبدالله بن فراش الشيباني عن العوام كما في امالي ابن بابويه (ملحقات الاحقاق ١٤: ٧٤ـ ٧٥). وفي ٩: ١٠ البيهقي في المحاسن والمساوي ٢٩٧ قال قيل وسئلت عائشة عن اميرالمؤمنين (عليه السلام) فقالت وما عسيت ان اقول فيه وهو احب الناس الى رسول الله فساقت حديث التطهير الى وقيل لها كيف سرت اليه؟ قالت : انا نادمة وكان ذلك قدراً مقدوراً و ممن اخرج ما في معناه عن عائشة العلامة باكثير الحضرمي في وسيلة المآل ص ٧٣ نسخة الظاهرية بدمشق والعلامة الشيخ عبدالعزيز بن يحي في الدر المنثور في تفسير الاسماء الحسنى بالمأثور (ص ١٢٦ ص ط الميمنية بمصر) والعلامة محمدرضا المصري والعلامة علي بن سلطان محمد القاري والثعلبي والبخاري ومسلم من مسند عائشة وابن ابي شيبة واحمد وابن ابي شيبة واحمد وابن ابي حاتم والحاكم والجمع بين الصحاح الستة عن موطا مالك وصحيحى مسلم والبخاري وسنن ابي داوُد عن جمع الشيخ ابوالحسن رزين معاوية عن صحيح ابي داود والعلامة جمال الدين الرزندي الحنفي في (نظم درر السميطن ١٢٣) والعلامة الشيخ ابراهيم الحموينى في فرائد السمطين المخطوط والعلامة السيد علوي بن طاهر الحداد الحضرمي في القول الفصل ج ٢ ص ٢١٥ ط جاوا والحافظ البيهقي في السنن الكبرى ج ٢ ص ١٤٩ والطبري في جامع البيان ٢٢: ٦ وابو عبدالله محمد بن ابي نصر الحميدي في الجمع بين الصحيحين المخطوط والعلامة البغوي في تفسيره معالم التنزيل ٥ : ٢١٣ والعلامة محب الدين الطبري في ذخائر العقبى ص ٢٤ والعلامة ابن كثير المدمشقي في البداية والنهاية ٨: ٣٤ والشيخ عبد القادر بن احمد بدران الدمشقي في تهذيب تاريخ ابن عساكر والعلامة الشيخ علاء الدين البغدادي الشهير بالخازن في تفسيره (٥: ٢١٣) والعلامة ابو العباس احمد بن عبدالحليم بن تيمية الحنبلي في منهاج السنة ٣: ٤ و ٤: ٢٠ والعلامة الشيخ خضر بن عبدالرحمن في التبيان ١٢٥ مخطوط والعلامة الشيخ سعيد بن محمد بن مسعود الشافعي في المنتقى في سيرة المصطفى ص ١٨٨ المخطوط والخطيب التبريزي العمري في مشكوة المصابيح ص ٥٦٨ الدهلي والعلامة الذهبي في المنتفي من منهاج الاعتدال ص ١٦٨ و ٣٠٤ والعلامة القاضي المير حسين الميبدى اليزدي في شرح ديوان اميرالمؤمنين ص ١٨٥ مخطوط والعلامة احمد بن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة ص ٢٢٧ والعلامة الشيخ عبدالنبي بن أحمد القدوس الحنفي في سنن الهدى ٥٦٣ مخطوط والعلامة علي بن عبدالعال الكركي في نفحات اللاهوت ص ٥٣ والعلامة عبد الغني بن اسماعيل النابلسي في ذخائر المواريث ج ٤ ص ٢٧٧ والعلامة الشيخ عبدالله الشافعي في المناقب ١٥ مخطوط والعلامة البدخشي في مفتاح النجا ١٤ مخطوط والعلامة الشيخ سليمان البلخي الحنفي في ينابيع المودة ١٠٧ والعلامة السيد محمد صديق حسنخان ملك بهوبال في فتح البيان ٧: ٢٧٧ والعلامة الشيخ عبدالله الشيباني في تيسير الوصول ١٦٠ والعلامة الشيخ يوسف النبهاني في الشرف المؤبد والعلامة الحضرمي في القول الفصل ٢: ٢١٠ والعلامة السيد ابوبكر العلوي الحضرمي الشافعي في رشفة الصادي ١٥ والعلامة السيد محمد بن يوسف التونسي في السيف اليماني والعلامة الشيخ عبيدالله الحنفي الامر تسرى في ارجح المطالب

٥٢ والعلامة السيد احمد بن سودة الحسني الادريسى في رفع اللبس والشبهات ٦٥ والعلامة الشيخ منصور بن علي ناصف المصري في التاج الجامع للأصول ٣: ٣٠٨ والعلامة الملا علي بن سلطان الهروي الحنفي في جمع الوسائل في شرح ا لشمائل ١: ٢٤٧.

١ . ومما روي عن ام سلمة ما اخرجه محمد بن جرير الطبري عن حكيم بن سعد قال ذكرنا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه عند ام سلمة فقالت: في بيتي نزلت «انما يريد الله...» جاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى بيتي فقال: لا تاذني لاحد فجاءت فاطمة فلم استطع أن احجبها عن ابيها ثم جاء الحسن فلم استطع ان احجبه عن ابيها ثم جاء الحسين فلم استطع ان احجبه عن جده ثم جاء علي فلم استطع ان اجبه فاجتمعوا فجللهم رسول الله 3 بكساء كان عليه ثم قال: اللهم هولاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فنزلت هذه الآية اجتمعوا على البساط فقلت يا رسول الله وانا فوالله ما انعم وقال: انك الى خير واخرج ابن المغازلي وكثير مثله عنها انها قالت نزلت هذه الآية في رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسينΔ وممن اخرج حديث التطهير عنها الحافظ ابو بشر الدولابي في كتاب الكنى ٢: ٤٢١ والحافظ الحسين بن الحكم الجري في تنزيل الايات ٢٠ نسخة فوتوغرافية في جامعة طهران والعلامة الحضرمي في وسيلة المآل ٧٣ى نسخة الظاهرية بدمشق والعلامة ابن المغازلي الشافعي في المناقب ١١٠ نسخة مكتبةصنعا يمن والعلامة الشيخ محمد رضى المصري المالكي في الحسن والحسين ٧ والحافظ ابو عيسى الترمذي في صحيحه ١٣: ٢٤١ واحمد بن حنبل في مسنده ٦ : ٢٩٨ والطبري في تفسيره ٢٣: ٧.

والبخاري في التاريخ الكبير ١: ٧٠ واحمد بن علي بن ثابت الشافعي في تاريخ بغداد ٩: ١٢٦ وعبدالله بن محمد بن حيان الاصبهاني في اخلاق النبي ١١٦ ابو اسحاق الثعلبي في الكشف والبيان المخطوط والعلامة النبهاني في الانوار المحمدية ٤٣٤ والواحدي النيسابوري في اسباب النزول ٢٦٧ وابو نعيم في اخبار اصبهان ١: ١٠٨ والبغوي في معالم التنزيل ٢١٣ وعلي بن ثابت الشافعي في موضح اوهام الجمع والتفريق٣: ٢٨١ وابن الاثير في اسد الغابة ٤: ٢٩ ومحب الدين الطبري في الرياض النضرة ٢: ١٨٨ والذهبي في تاريخ الاسلام ٦ وعلي بن الحسين بن عساكر في تاريخ دمشق والنابلسي في ذخائر المواريث ٤: ٢٩٣ والزرندي في نظم درر السمطين ٢٣٨ والبيهقي في السنن الكبرى ٢: ١٥٠ والقاضي يوسف بن موسى في المعتصر من المختصر ٢: ٢٦٦ وجلال الدين السيوطي في مفحمات الأقران في مبهمات القرآن ٣٢ والشيخ ابو الحسن الكازروني في شرف النبي على ما في مناقب الكاشي المخطوط ٢٢٤ والقسطلاني في المواهب اللدنية ٧: ٤ والعسقلاني في الاصابة ٤: ٣٣٦ والذهبي في سير اعلام النبلاء ٣: ١٩٠ وابن حمزة الحسيني في البيان والتعريف ١٤٩ والشيخ حسن الحمزاوي في مشارق الانوار ١١٣ والقرماني في اخبار الدول ١٢٠ وعلي بن عبد العال الكركي في نفحات اللاهوت ٥٣ والازدي في التبيان ١٢٥ والسيد احمد زينى ـ دحلان في السيرة النبوية ٣: ٣٢٩ والملا علي القاري في الاربعين حديثاً ٦١ وابن الديبع في تيسير الوصول ١٦٠ وابن حمزة الحسيني في البيان والتعريف ١: ١٥٠ والبدخشي في مفتاح النجا ١٤ والحضرمي في رشفة

وعلي اميرالمؤمنين عليه السلام[٢] وابـن عبـاس[١] الخـدري[٢] وانـس[٣] وعطـاء[١] وابي

الصادي ١٤ والكاشفي في المواهب العلية والذهبي في المنتقى من منهاج الاعتدال ١٦٨ وابـن محمـد كرام القناني المالكي في الجواهر الحسان ٢٩٤ والقندوزي في ينابيع المودة ١٠٦ والشيخ عبـد الهـادي الابياري المصري في جالية الكدر ١٩٦ والحضرمي في القول الفصل ٢: ١٦٥ والشيخ عبيد الله الحنفي الامر تسري في ارجح المطالب ٥٢ وابن الالوسي في جلاء العيـنين ٣٩ والشـيخ حسـن النجـار في الاشراف ١٠ وابن كثير الدمشقي في البداية والنهاية ٧: ٣٣٨».

١ . ومما روي عن زينب بسند عن عبدالله بن جعفر الطيار عن ابيه قال: لما نظر النبي 3 الى جبرئيـل هابطاً من السماء قال: من يدعو لي؟ فقالت زينب: انا يا رسول الله 3! فقال: ادعي لي عليا و فاطمـة وحسناً وحسيناً فجعل حسناً عن يمينه وحسيناً عن يساره وعلياً وفاطمة تجاههم ثم غشاهم بكسـاء، خيبري وقال3 اللهم ان لكل نبي أهلاً وان هولاء اهلي فانزل الله الآية فقالت زينب: الا ادخل معكم؟ قال 3 مكانك فإنك على خير انشاء، الله اقول: اخرجه عنها جماعة ممـا يجلـب النظـر تسـابق نسـاء النبي3 في اختصاص هذه الفضيلة بيتها حتى عائشةالمعادية لعلي Δ ممـا يـدل علـى مـدى القاطعيـة الصارمة في واقع هذه القضية!

٢ . يروي عنه حديثان احدهما «كان النبي3 ياتي كل يوم باب فاطمة عند صلاة الفجر فيقول: الصلاة يا اهل بيت النبوة «انما يريد الله..» تسعة اشهر بعدما نزلت «وامر اهلك بالصـلاة واصـطبر عليهـا» .. رواه عنه ثلاثمائة من الصحابة وممن اخرجه عنه العلامة القنـدوري في ينـابيع المـودة ١٧٤ والعلامـة السيد احمد بن عبد الحميد العباس في عمدة الاخبار ٧٨ والعلامة السهمودي في خلاصة الوفاء ٢١٣ والكاشفي في المواهب العلية والمراغي في تحقيق النضرة ٧٥ والسهمودي في وفاء الوفاء تاريخ المدينة المنورة ١: ٣٣١ وثانيها مختلف احتجاجاته Δ يوم الشورى على ابي بكـر ومنـها: فانشـدك بـالله ألي ولاهلي وولدي آية التطهير من الرجس ام لك ولاهل بيتك؟ قال: بل ولك ولاهل بيتك (عن الخصال) ومنها احتجاجه على الناس يوم الشورى ح ٩٠ واحتجاجه ايام خلافة عثمان في جمع من المهاجرين والانصار: ايها الناس اتعلمون ان الله عزوجل انزل في كتابه «انما يريد الله..» فجمعني وفاطمة وابـني حسناً وحسيناً والقى علينا كسائه وقال: اللهم هولاء اهل بيتي ولحمتي يولمني ما يولمهم ويحرجني ما يحرجهم فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فقالت ام سلمة وانا يا رسول الله 3! فقال: انت ـ او ـ انك على خير انما انزل فيّ وفي اخي وابنتي وابنيّ وفي تسعة من ولد ابني الحسين خاصة ليس معنـا فيها احد فقالوا كلهم: نشهد ان ام سلمة حدثنا بذلك فسألنا رسول الله3 فحدثنا كما حدثتنا ام سـلمة (كمال الدين و تمام النعمة باسناده الى سليم بن قيس الهلالي عنهΔ وفي العلـل باسـناده الى ابـن ابي عمير عمن ذكره عن ابي عبدالله Δ قال: لما منع ابوبكر فاطمة فدكاً واخرج وكيلها جاء اميرالمـؤمنين Δ الى المسجد وابوبكر جالس وحوله المهاجرون والانصار فقال يا ابا بكـر لم منعـت فاطمـة مـا جعلـه رسول الله3 لها ووكيلها فيه منذ سنين ـ الى قوله ـ فقال Δ لابي بكر تقرء القـرآن؟ قـال: بلـى قـال:

فاخبرني عن قول الله عزوجل «انما يريد الله...» فينا او في غيرنا نزلت؟ قال: فيكم قال: فاخبرني لو ان شهوداً شهدوا على فاطمة بفاحشة ما كنت صانعاً؟ قال: كنت اقيم عليها الحد كما اقيم على نساء المؤمنين، قالΔ: كنت اذاً عند الله من الكافرين! قال: ولم؟ قال: لانك كنت ترد شهادة الله وتقبل شهادة غيره لان الله عزوجل قد شهد لها باطهارة فاذا رددت شهادة الله وقبلت شهادة غيره كنت من الكافرين قال: فبكى الناس وتفرقوا ودمدموا» (نور الثقلين ٤: ٢٧١ ح ٩٣).

١. وقد روى عنه حديث التطهير جماعة من اعلام القوم و منهم الحافظ الحسين بن الحكم الجبري في تنزيل الآيات ٢٤ ان الآية نزلت الى رسول الله3 وعلي وفاطمة والحسن والحسين، وفي ملحقات الاحقاق ١٤: ٦٨ بسند عن ابن عباس قال قال رسول الله 3 ان الله تبارك وتبارك وتعالى قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهم قسماً فذالك قوله «واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين» فانا من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين اثلاثاً فجعلني في خيرها ثلثاً فذلك قوله «فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة والسابقون السابقون اولئك المقربون» فانا من السابقين وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة فذلك قوله «وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا» فانا اتقى ولد آدم واكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً فذلك قوله «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً» واخرجه ابوعبدالرحمن السلمي بسند عن عطية وابو حفص عمر بن احمد العابد عن ابي سعيد. والعلامة اسماعيل بن عبدالله النقشبذي في مناقب العشرة ١٩٤ والعلامة الامر تسري في ارجح المطالب ٥٤ والسيوطي في الدر المنثور وابن مردويه.

٢. وممن روى عنه القاري في مرقاة المفاتيح ١١ : ٣٧١ والجري في تنزيل الآيات ٢٣ مخطوط والحضرمي في وسيلة المآل ٧٦ والشيخ محمدرضا المصري المالكي في (الحسن والحسين سبطا رسول الله 3) وابن المغازلي الشافعي في المناقب مخطوط ومحمد بن جرير الطبري ومما رواه عنه قال رسول الله 3 نزلت هذه الآية في خمسة فيّ وفي علي وحسن وحسين وفاطمة «انما يريد الله...» كما اخرجه ابو اسحاق الثعلبي في الكشف والبيان مخطوط وعبدالله الشافعي في مناقبه ١٢ مخطوط والطبراني في المعجم الكبير ١٣٤ ونور الدين علي بن ابي بكر في مجمع الزوائد ٩: ١٦٧ والزرندي في نظم در السمطين ٢٣٨ وابن حجر لهيثمي في الصواعق ٢٢٧ وابن عساكر في تاريخه ٤: ٢٠٤ وابن حسنويه الحنفي في درر بحر المناقب ٥ مخطوط البدخشى في مفتاح النبي ١٣ والواحدي في اسباب النزول ٢٦٦ والقندوزي في ينابيع المودة ١٠٨.

٣. وممن اخرجه عنه الترمذي في جامعه ٤: ١٤٤ والهندي في كنز العمال ج ١٦ والقاري في مرقاة المفاتيح ١١: ٣٧١ والمصري المالكي، واحمد بن حنبل في مسنده ٣: ٢٥٩ والطبراني في المعجم الكبير ١٣٤ وابن جرير الطبري في التفسير ٢٢: ٦ وابن اثير في اسد الغابة (٥: ٥٢١) والذهبي في تاريخ الاسلام ٩: ٩٧ وابن شاهين في فضائل سيدة النساء والصفوري في المحاسن المجتمعة١٨٩ والهندي في المنتخب ٥: ٩٦ وابن كثير في التفسير والسمعاني في الرسالة القوامية والسيد محمد صديق في فتح

الحمراء[٢] او واثلة بن الاسقع[٣] وسعد[٤] وجعفر بن ابي طالب Δ[٥] وابي برزة[٦] وصُبيح[٧] وابي سلمة[٨] وجماعة آخرون من الصحابة[١] كلهم رووا انها نزلت في الخمسة او الاربعة، وفي

البيان ٧: ٢٧٧ والنابلسي في ذخائر المواريث ١: ٣٨ والمالكي في مشارق الانوار ١١٣ والنجار في الاشراف ٩ وابن البديع في تيسير الوصول ١٦٠ والبدخشي في مفتاح النجا والبلخي في الينابيع ١٩٣ والعظيم آبادي الهندي في تجهيز الجيش مخطوط والنبهاني في الشرق المؤبد ٧٠٦ والامر تسري في ارجح المطالب ومما روى عنه ان النبي 3 كان يمر ببيت فاطمة ستة اشهر كلما خرج الى الصلاة فيقول: الصلاة اهل البيت «انما يريد الله...».

١. وممن رواه عنه ابن المغازلي في المناقب والحسكاني في شواهد التنزيل وابن الاثير في اسد الغابة ٣: ٤١٣ والعسقلاني في الاصابة ٢: ٤٧٩.

٢. وممن اخرج عند ابن الحكم الجري في تنزيل الآيات ٢٤ مخطوط والحضرمي في وسيلة المآل.

٣. وممن اخرجه عند الحضرمي وابن المغازلي ومحمد القاري وابن موسى في المعتصر من المختصر والثعلبي في الكشف والبيان مخطوط والبيهقي في السنن الكبرى ٢: ١٥٢ والطبري في ذخائر العقبى ٢٤ وابن كثير في التفسير والقسطلاني في المواهب ٧: ٣ وابن بكر في مجمع الزوائد ٩: ١٦٧ والكركي في نفحات اللاهوت ٥٢ والذهبي في سير اعلام النبلاء ٣: ٣١٢ والقندوزي في الينابيع ٢٢٩ والحمزاوي في مشارق الانوار ١١٣ والساعاتي في بدايع المنن ٢: ٤٩٥ والهاشمي في ائمة الهدى ١٤٥، ومن حديثه باخراج المغازلي ١١١ مخطوط والمناقب عن ابي عمار قال دخلت على واثلة بن الاسقع وعنده قوم يذكرون علياً فقال لي واثلة: الا اخبرك لما رأيت عن رسول الله 3؟ قلت: بلى ـ قال: اتيت فاطمة (عليها السلام) فسألتها عن علي Δ فقالت: توجه الى رسول الله 3 فجلت انتظره في رسول الله 3 وعلي (عليه السلام) معه فدخل معهم البيت فأدنى علياً وفاطمة فاجلس واحداً عن يمينه والآخر عن يساره ودعا الحسن والحسين فاجلس كل واحد منهما على فخذه ثم قال: «انما يريد الله..» اللهم هولاء اهل بيتي واهل بيتي احق.

٤. وممن اخرجه عنه تسعة وسبعون من هؤلاء الحافظ والمحدثين والمفسرين وسواهم.

٥. وممن اخرجه عند الحضرمي في القول الفصل ١٨٥ والثعلبي في الكشف والبيان.

٦. وممن اخرجه عنه علي بن ابي بكر في مجمع الزوائد في حديثه: صليت مع رسول الله 3 سبعة عشر شهراً فإذا أخرج من باب بيته اتى باب فاطمة فقال: الصلاة عليكم «انما يريد الله...» رواه الطبراني.

٧. وممن اخرجه عنه العسقلاني في الاصابة ٢: ١٦٩ والثعلبي في الكشف والبيان مخطوط وابن الاثير في اسد الغابة ٣: ١١ في ترجمه صُبيح بسنده الى ابراهيم بن عبد الرحمن بن صُبيح مولا ام سلمة عن جده صُبيح قال: كنت بباب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وساق حديث التطهير.

٨. وممن اخرجه عنه الترمذي في جامعه والحضرمي في وسيلته والسهلاوي في وسيلة النجاة ٢٠٤.

اكثرها انه (صلى الله عليه وآله وسلم) جمعهم واياه تحت الكساء بعد نزولها ـ وفي بعضها قبل نزولها ـ ودعاهم بما دعا.

والرواة عنهم يبلغون المآت في الكتب الحديث والتفسير وسائر المصنفات[٢] وقد

---

١ . ومنهم سعد بن ابي وقاص وسهل بن سعد وابو هريرة وبريده الاسلمي وابو سعيد الخدري وعبدالله بن عمر وعمران بن الحصين وسلمة بن الاكوع كلهم بمعنى واحد عن النبي3 اخرج عنهم ابن عبد البرفي الاستيعاب ٢: ٤٦٠ والحضرمي في القول الفصل ١: ٤٨ وبهجت افندي في تاريخ آل محمد ٤٢ والترمذي في صحيحه والذهبي في سير اعلام النبلاء ٣: ١٩٠ والقندوزي في الينابيع ١٥ والثعلبي في الكشف والبيان مخطوط والجابذي الحنفي في معالم تنزيل النبوة مخطوط.

٢ . ومن مصنفات اخواننا السنة التي تحوي حديث الكساء والتطهير ماة كتاب كمسند ابي داود بسنده عن انس ٢ ـ ومنسد ابن حنبل باسانيد عن صحابيين و صحابيات ٣ ـ وصحيح الترمذي ـ ٤ ـ و خصائص النسائي ـ ٥ ـ و تفسير الطبري عن خمسة عشر طريقاً الى ابي سعيد و عائشة وابى الديلم وام سلمة وعمر و بن ابي سلمة وانس وابي الحمراء ووائلة و يونس بن ابي عمار ـ٦ ـ ومسند الرازي ـ ٧ ـ ومعجم الطبراني ـ ٨ ـ واحكام القرآن للحصاص ـ٩ ـ ومستدرك الحاكم ـ ١٠ ـ والامالي للهاروني ـ ٨ ـ واحكام القرآن للحصاص ـ ٩ ـ ومستدرك الحاكم ـ ١٠ ـ والامالي للهاروني ـ ١١ ـ وتاريخ جرجان السهمي ـ ١٢ ـ والسنن الكبرى للبيهقي ـ ١٣ ـ وتاريخ بغداد ـ ١٤ ـ والاستيعاب للاندلسي ـ ١٥ ـ واسباب النزول اللواحدي ـ ١٦ ـ والفردوسي للديلمي ـ ١٧ ـ ومصابي السنة للبغوي ـ ١٨ ـ والكشاف للزمخشري ـ ١٩ ـ واحكام القرآن للاشبيلي ـ ٢٠ ـ والشقا للقاضي عياض ـ ٢١ ـ والمناقب لموفق بن احمد ـ ٢٢ ـ وتاريخ دمشق لابن عساكر ـ ٢٣ ـ والتفسير الكبير للرازي ـ٢٤ ـ وجامع الاصول لابن الاثير ـ ٢٥ ـ وكتب متعددة لابن بطريق ـ ٢٦ ـ واسد الغابة لابن الاثير ـ ٢٧ ـ والتذكرة لابن الجوزي ـ ٢٨ ـ وكفاية الطالب للكنجي ـ ٢٩ ـ ومطالب السئول لابن طلحة ـ ٣٠ ـ واحكام القرآن للقرطبي ـ ٣١ ـ وشرح المهذب للنووى ـ ٣٢ ـ وانوار التنزيل للقاضي البيضاوي ـ ٣٣ ـ وذخائر العقبى لمحب الدين الطبري ـ ٣٤ ـ والمدارك للنسفي ـ ٣٥ ـ ومشكاة المصابيح للخطيب التبريزي ـ ٣٦ ـ وتفسير ابن كثير القرشي ـ ٣٧ ـ و مجمع الزوائد للهيثمي ـ ٣٨ ـ والفصول المهمة لابن صباغ ـ ٣٩ ـ والاصابة لابن حجر العسقلاني ـ ٤٠ ـ والكافي الشاف له ـ ٤١ ـ وفتح الباري له ـ ٤٢ـ وتلخيص المستدرك للذهبي ـ ٤٣ ـ والحدائق الوردية لليماني ـ ٤٤ ـ وتفسير النيسابوري ـ ٤٥ ـ وروضة الاحباب للدشتكى الشيرازي ـ ٤٦ ـ والدر المنثور للسيوطي ـ ٤٧ ـ والخصائص له ـ ٤٨ ـ والاتقان له ـ ٤٩ ـ والاكليل له ـ ٥٠ ـ والابطال لابن روزبهان ـ ٥١ ـ وحبيب السير للخواندمير ـ ٥٢ ـ والصواعق المحرقة لابن حجر ـ ٥٣ ـ ومناقب مرتضوي للترمذي الكشفي ـ ٥٤ ـ ومنتخب كنز العمال لعلي المتقي ـ ٥٥ ـ والسراج المنير لسراج الدين الخطيب ـ ٥٦ ـ والمناقب لابن النقيب ـ ٥٧ ـ والسعدية للغيثي ـ ٥٨ ـ وبحر المناقب

يربوا يبلغون المآت في حديث الطهارة حول آية التطهير كل تواتر في أي حديث مهما اختلف النقل في نزولها في : أيٌّ من بيوت: فاطمة بنت النبي 3؟ او ام سلمة؟ او عائشة؟ او زينب؟ مما يدل على شرف الموقف لحد تتسابق في انتسابه نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) او ان ذلك تكرر في هذه البيوت! ولان لفظ عائشة ❁خرج غداة غدٍ..☯ فعلّها تعني الى بيت فاطمة، كذلك وأم سلمة، اللهم إلاّ في البعض من حديثهما!

وفي كتاب ادريس النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تأييد أكيد لشرف بيت الرسالة المحمدية كما تعنيه آية التطهير وحديث الكساء والتطهير، كما في الأصل السرياني: ❁يا رقليطا ايليا طيله شِبَّر شُبَّير: محمد ـ علي ـ فاطمة ـ حسن ـ حسين ـ ❁هليلوه لِتْ شُوقَ مِنّى محمّد اِنّوي دِاَلَهَ☯: هللوني فانه لا اله الا انا ومحمد رسولي

للبلخي ـ ٥٩ ـ وشرح الفقه الكبير لعلي القاري ـ ٦٠ ـ وشرح الجامع الصغير للمناوى ـ ٦١ ـ وارجح المطالب لشمس الدين ـ ٦٢ ـ والكفاية لشرف الدين ـ ٦٣ ـ والسيرة الحلبية لبرهان الدين الحلبي ـ ٦٤ ـ ومدارج النبوة للدهلوي ـ ٦٥ ـ والمناقب للزرقاني ـ ٦٦ ـ والالتحاف لحب الأشراف لحب الأشراف للشبراوي ـ ٦٧ ـ واسعاف الراغبين لمحمد الصبان ـ ٦٨ ـ والروض النضير للحيمي اليماني ـ ٦٩ ـ وفتح الغدير للشوكاني ـ ٧٠ ـ وروح المعاني للالوسي ـ ٧١ ـ ونور الابصار للشبلنجي ـ ٧٢ ـ وتشريف البشر للسيد صديق ـ ٧٢ ـ ومشارق الأنوار لحسن العدوى ـ ٧٤ ـ وكتاب الشرف المؤيد لآل محمد للنبهاني ـ ٧٥ ـ ورشفة الصادي للحضرمي العلوي ـ ٧٦ ـ وائمة الهدى للسيد عبد الغفار الأفغاني ـ ٧٧ ـ والسيف المسلول للتونسي الكافي ـ ٧٨ ـ والقول الفصل للحضرمي الجاوي ويذكر ثمانية عشر رجالاً من اعاظم ارباب الكتب ونقل صحيح الحديث عن ستة عشر رجالاً من فطاحل المحدثين وعد خمسةعشر صحابياً ممن ينتهي اليه الحديث ـ ٧٩ ـ والوسيط للواحدي ـ ٨٠ ـ والجمع بين الصحيحين للمحمدي ـ ٨١ ـ ابو نعيم الاصبهاني في كتابه ـ ٨٢ ـ الجمع بين الصحاح الستة للعبدري ـ ٨٣ ـ وتلخيص المستدرك للذهبي ـ ٨٨ ـ ومصابيح السنة للبغوي ـ ٨٩ ـ وتهذيب الاسماء واللغات للنووي ـ ٩٠ ـ والرياض النضرة لمحب الدين الطبري ـ ٩١ ـ وتاريخ الإسلام لشمس الدين الذهبي ـ ٩٢ ـ وعقد الفريد للاندلسي ـ ٩٣ ـ والمقتل للخوارزمي ـ ٩٤ ـ والسيرة المحمدية للكازروني ـ ٩٥ ـ وشكل الآثار للطحاوي ـ ٩٦ ـ وشرف النبي ـ ٩٧ ـ وحسن الاسوة للصديق حسن خان ـ ٩٨ ـ وكتاب المرزباني ـ ٩٩ ـ والمستدرك للحاكم ـ١٠٠ ـ وكفاية الطالب للكنجي وكتب اخرى.

۞إني لَهَوْيَوهْ انا لبرين وارَخ لا الشِّماي ولا الْ ارْعا ولا البردِس ولا الكَيْهَن ولا الشِمِش ولا السَّعر☯: لولا هم لما خلقتك ۞يا آدم☯ ولا السماء ولا الارض ولا الجنة ولا النار ولا الشمس ولا القمر![1]

ومن بالغ اهتمام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بشان أهل بيته المطهرين (عليهم السلام) انه كان يتلوا آية التطهير عند صلاة الفجر او عند كل صلاةعلى بيت علي وفاطمة حسب مختلف الإحصاء من شهر[2] الى اربعين يوماً[3] الى ستة اشهر[4] الى سبعة[5] او ثمانية[6] او تسعة[7] او عشرة[8] او سنة[9] او سبعة عشر شهراً[1] او منذ نزولها حتى

---

١ . راجع كتابنا رسول الاسلام في الكتب السماوية ص ١٣١.

٢ . اخرجه ابو داود الطيالسي في المسند ٨: ٢٧٤ قال: حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن انس عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه كان يمر على باب فاطمة شهراً قبل صلاةالصبح ويقول: الصلاة يا اهل البيت «انما يريد الله...» واخرجه ابن حنبل عن عائشة.

٣ . اخرجه ابن مردويه وموفق بن احمد وجماعة آخرون عن ابي سعيد الخدري وسالم بن ابي حفصة عن ابي الحمراء.

٤ . اخرجه الطبراني وابو داود و مالك بن انس والترمذي عن ابي الحمراء، ومعقل بن يسار وام سلمة، الحمراء الحسكاني في انس ٢: ١١ ـ ٩١ ورواه جماعة عن عفان ورواه عنه عبد الحميد في تفسيره وتابعه جماعة عن حماد منهم ابراهيم السامي، ورواه ايضاً الاسود بن عامر ـ شاذان وحجاج بن منهال وعبيد الله محمد العبس عن حجاج وعن البغوي ورواه موسى بن اسماعيل التبوذكي.

٥ . اخرجه محمد رضى المالكي عن ابي الحمراء.

٦ . اخرجه ابن جرير وابن مردويه عن ابي الحمراء وعنم ابي سعيد الخدري ورواه الحاكم عن ابن شاهين عن الاشعث وعن السبعي في تفسيره.

٧ . اخرجه ابن مردويه عن ابن عباس (الدر المنثور ٥ : ١٩٩) والثعلبي عن ابي الحمراء و موفق بن احمد عن ابي سعيد الخدري.

٨ . اخرجه محمد بن عمران المرزباني بسند الى ابي الحمراء فقال: قدمت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نحواً من تسعة اشهر او عشرة فرأيته... وفي ينابيع المودة ٢٦٠ ويروى هذا الخبر بأسانيده عن الثلاثمائة من اصحابه منهم من قال: ثمانية اشهر و منهم من قال عشرة اشهر اقول هذا الخبر يشير الى خبر مروره على بيت فاطمة (عليها السلام).

٩ . اخرجه جماعة.

ارتحاله الى جوار رحمة ربه[٢] تدليلاً على اختصاصها باضرابهما من اهل البيت الرسالة، ولكيلا يناسبهم المسلمون او يتناسوهم، استمراراً في احترامهم دون اختزام، ولكنهم اضطهدوا مالا يخلد بَخَلد ويكأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أوصى باضطهادهم واكّد!

ولقد نرى الإحتجاج بآية التطهير للامام علي (عليه السلام) وسائر اهل البيت (عليهم السلام) في مختلف الحقول، كضرورة لامرد لها فيتسلمها المحجوجون كلهم بكل قبول دونما ريبه و نكول!

ولولا هذه الأحاديث لم تكن الآية لتشمل غير أهلها لمكان ﴿إنما﴾ الحاضرة لتلك الطهارة باهل البيت (عليهم السلام) و ﴿يريد الله﴾ تعني ارادةً لدنية مستمرة مدى حياة العصمة القمة لهم مهما اختلفت درجاتها قبل النبوة والإمامة وبعدها، واختلفت طولَهما حيث التكامل لايستثنيهم!

اترى أنها ارادة تشريعية في النفي والاثبات ﴿ليذهب ويطهِّر﴾؟ وهي تعم المكلفين اجمعين! ام تكوينية؟ فكذلك الأمر حيث التوفيق لمن سلك سبيل الهدى وترك الردى موعود لهم من الله! ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى﴾ امن تخص تكوين العصمة القمة في بُعدي السلب والايجاب؟ وليس محطُّ الارادة هذه يمتاز على مَن سواه، حيث الارادة من الله، فالعصمة ــ اذا ــ هي فقط من فعل الله!

إنه ارادة العصمة تكوينية بين الأمرين، عصمة بشرية كأفضل ما يستطاع، وليست

---

١ . في ملحقات احقاق الحق ١٤: ٨٠ اخرجه الطبري بسند عن ابي الحمراء والحافظ نور الدين علي ابن ابي بكر عن ابي برزة.

٢ . اخرجه ابن ابي شيبة واحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه عن انس ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يمر بباب فاطمة اذا خرج الى صلاة الفجر ويقول: الصلاة يا اهل البيت «انما يريد الله...» اقول: ظاهر (كان) استمرارية مقالته (صلى الله عليه وآله وسلم) تلك منذ نزول الآية حتى ارتحاله وعن داود السبيعي عن ابي الحمراء مثله ورواه جماعة عن ابي عاصم النبيل واخرجه عنه عبد بن حميد في تفسيره ويعقوب بن سفيان ويونس بن ابي اسحاق السبيعي.

بالتي تعصم صاحبها عصمة مطلقة، حيث الطاقة البشرية ليست مطلقة، بل هي مقدَّرة بقدرها وقُدُراتها، ثم عصمة إلٰهية تُكفيِّها فتجعلها مطلقة في الدرجة التي يعنيها دونما فوضى، وانما بحساب ومقدار، وكل شيءٍ عنده بمقدار.

إن الرسالة الختميه تتطلب خاتمة العصمة القمة، محاولة بشرية كأفضل ما تكون وأعضله تتوسط إرادةً آلهية من قبل و من بعد، فمن قبل قدرّ اهل بيت العصمة المحمدية في أصلاب شامخة وارحام مطهرة، لم تنجسهم الجاهلية بانجاسها ولم تلبسهم من مدلهمات ثيابها، تقديراً ظرف لائق فائق تتمكن فيه كافة المجالات لأفضل المحاولات البشرية لإعداد العصمة القمة.

ثم حاولوا كأفضل ما يمكن وأعظله تطهيراً لأنفسهم الزاكية لمدى اللياقة واللباقة لارادة العصمة العليا، فعصمهم الله تعالى بما قدر وحاولوا، بما ارادوا!

ف ـ ﴿انما يريد الله﴾ تشمل مثلث احوالهم بما في أوسطه من محاولة بشرية بتوفيق الله، ارادة دائبة منذ فُطموا، حتى ارتحالهم الى جوار رحمته تعالى، مهما اختلفت درجاتها بظروفها.

تلك الإرادة القاطعة الإلٰهية هي لزامهم منذ كانوا، تعصمهم عن كل رجس وتطهرهم تطهيراً، فما هو الرجس وما هي الطهارة؟

الرجس لغوياً هو كل قذر مادي او معنوي، ما يستقذره الإنسان مادياً أياً كان، او معنوياً أياً كان، فهو أعم من النَجس اذ يخص القذر المادي، كما ويوصف به الرجس ﴿اعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم﴾.

ولان الاقذار الجسمانية هي لزام كل انسان مهما يومر بالتجنب عنها من أحداث وأخباث، فإذهابها يخص جماعة خصوصاً فلا تعنيها الإرادة الإلٰهية الخاصة باهل بيت الرسالة المحمدية، كما وأن الرجس في القرآن لايعني القذارة المادية في سائر آياته، وانما مرض القلب: ﴿وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الى رجسهم وماتوا وهم

كافرون۞ (٩: ١٢٥) وعمل الشيطان: ﴿انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان..۞ (٥: ٩٠) واتباع الشيطان: ﴿فأعرضوا عنهم فانهم رجس ومأواهم جهنم بما كانوا يكسبون۞ (٩: ٩٥) ومعبوداتهم: ﴿فاجتنبوا الرجس من الاوثان۞ (٢٢: ٣٠) وختم القلب على الذين لايعقلون: ﴿وما كان لنفس ان تؤمن إلا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون۞ (١٠: ١٠٠) وكذلك كل اكلة تحوّل الإنسان الى حيوان ك ـ ﴿لحم خنزير فانه رجس۞ (٦: ١٤٥) وقبله الميتة والدم المسفوح لم يشملهما الرجس مع انهما من النجس، وكالعذاب على الرجس فانه رجس على رجس: ﴿قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب۞ (٧: ٧١) ﴿كذلك يجعل الله الرجس على الذين لايؤمنون۞ (٦: ١٢٥)!

هذه جماع الآيات التي تضم الرجس كلها تعني الرجاسة المعنوية، وهي هي التي تُرجس الانسان وتخرجه عن العقلية والايمان ورحمة الرحمان!

ولان مرض القلب وعمل الشيطان واتّباعه دركات يشملها الرجس، فذهابه ايضاً درجات يشملها اذهاب الرجس، والجنس المحلى باللام يستاصل نفسه في نفيه.

اذاً فجنس الرجس اياً كان بعيد عنهم وعن ساحتهم من رجس الفطرة والعقلية والفكرةوالصدر والقلب والفوآد والنية والعمل ﴿وكل انسان يعمل على شاكلته۞ لاغبرة على ارواحهم، وإنما نور على نور، لاينقصهم إلاّ انهم مخلوقون، ثم الفقر الى ربهم فخرهم.

كل قلب يتقلب الى غير الله إلا تذرعاً أو تضرعاً إلى الله، فيه رجسٌ قدر اتجاهه الى غير الله، وكل اتجاه في أدقِّ منحنيات الحياه و متجهاتها الى غير الله رجسٌ، والمتدلي بالله دونما ابقاءٍ لغير الله خارج عن كل رجس، وهكذا: ﴿يريد الله ليذهب عنكم الرجس...۞!

اترى بعدُ ان اذهاب الرجس عنهم هو رفعه عن ساحتهم بعد كونه؟ ولا يذهب رجساً هكذا إلاّ بتوبة ام اي تكفير يناسبه! وهذا يعم سائر اهل الرجس دون

اختصاص! وهذا من فعل صاحب الرجس ان يذهب رجسه بتوبته! والعصمة لا تحل محلّ الوصمة! اللهم إلا في أدنى ادانيها بمعصية صغيرة بعد توبة كآدم: ﴿وعصى آدم ربه فغوى. ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾.

انه اذهاب لكل رجس بدفعه عنهم حين يعتريهم او يهاجم عليهم ببواعثه، تسديداً لهم بما حاولوا وانتجبهم الله ـ عن كل رجس، شكاً في قلب، او جهلاً بواجب الشرعة او المعرفة، او خطأً في فكر، او زلقاً في فعل، في عصمة عليا بمثلها: تلقياً للوحي ـ وإلقاءً له ـ و تطبيقاً اياه.

هنالك محاولات بشرية لاذهاب الرجس عن انفسهم رفعاً او دفعاً، وليست لتكفي استئصالاً لكل رجس، واهلُها مخِلصون!

وهنا ارادة دائبة إلٰهية تكفي محاولات قمة من أخلص المخلصين، فتستأصل عنهم كل رجس وأهلها مخلَصون، وهكذا ﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيته ويطهركم تطهيراً﴾.

وكما ﴿ليذهب عنكم الرجس﴾ يجتث في نفي الجنس كل رجس، كذلك ﴿ويطهركم تطهيراً﴾ يختص باثبات كل طهارة، فالسلب مطلق كما الايجاب، والايجاب مطلق كم السلب، تخلية عن كل نقص إلاّ انهم مخلوقون، وتحلية بكل كمال دون انهمه ليسوا بخالقين، فقد يصدق فيهم ما يقال عنهمه ﴿نزلونا عن الربوبيةوقولوا فينا ماشئتم﴾

زاحمد تا أحديك ميم فرقست همه عالم در آن يك ميم غرقست

هنا طهارة متصلة بهم، متعرقة فيهم، متزرعة في قلوبهم، هي العصمة الضافية ﴿انما يريد الله..﴾! تكوينية وتشريعية فواجب الحفاظ على الشرعة تشريعاً فيهم، يوازي واجب العصمة الموهبة لهم تكويناً، عصمة بشرية تتصل بها وتحل فيها عصمة آلهية دونما

فوضى جزاف، فكل درجة من العصمة الآلهية تتطلب كظرف لها عصمة بشرية تقتضيها، فـ ـ ۞انما يريد الله☯ إرادة تشريعية ما لم يُردها من أحد العالمين، ارادتان منحصرتان لهم وفيهم، منحسرتان عمن سواهم، فلا يُطلب من اهالى سائر البيوت الرسالية ما يُطلب من اهل البيت الرسالة المحمدية (صلى الله عليه وآله وسلم) من مدارج التقوى والعبودية والاجتهاد والإِضطهاد في سبيل الله، وكما يروى عنه ۞ما أوذي نبي مثل ما أوذيت☯ وقال عنه ربه ۞قل إن كان للرحمن ولد فانا أوّل العابدين☯ فلو لم يكن هو اوّل العابدين على ضوء الرعايةالقمة للشرعة لم يكن اوّل المعصومين في ارادة تكوينية.

وهناك طهارة منفصلة عنهم، وهي للمتصلين بهم، المنسوبين اليهم، يريدها الله منهم للحفاظ على محتد الطهارة لاهل بيت النبوة الأصول، فطهارة نساء النبي وأقربائه وانسبائه لها تاثير منفصل في طهارته عند الناس، وليس الله ليريد الطهارة لأهل بَيت الطهارة انفسهم ثم يهمل طهارتهم عند الناس، فليكونوا وجهاء عند الله ليصلحوا دعاةً الى الله، ووجهاء عند الناس ليتجه بهم الناس الى الله.

لذلك تحل آية التطهير محلات نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لتحمل تطهيرهن الى تطهيركم وبينهما بون بعيد، ولذلك نرى في الاكثرية المطلقة من روايات التطهير ليس الرسول (صلى الله عليه وآله سلم) ليرضى دخول مثل ام سلمة الطاهرة في اهل البيت المعنيين بآية التطهير، اللّهم إلاّ شذراً بقوله ۞إن شاء الله☯ انها قد تدخل في اهل البيت دخولاً منفصلاً إذا اصلحت وقنتت لله ورسوله، فطهرَّت اهل هذا البيت وجاه الناس بعد طهارتهم عند الله!

«وَ اذْكُرْنَ ما يُتْلى فى بُيُوتِكُنّ مِنْ آياتِ اللّهِ وَ الْحِكْمَةِ إِنّ اللّهَ كانَ لَطيفًا خَبيراً»(٣۴)

« إِنّ الْمُسْلِمينَ وَ الْمُسْلِماتِ وَ الْمُؤْمِنينَ وَ الْمُؤْمِناتِ وَ الْقانتينَ وَ الْقانتاتِ وَ الصّادِقينَ وَ الصّادِقاتِ وَ الصّابرينَ وَ الصّابراتِ وَ الْخاشِعينَ وَ الْخاشِعاتِ وَ الْمُتَصَدِّقينَ وَ الْمُتَصَدِّقاتِ وَ الصّائِمينَ وَ الصّائِماتِ وَ الْحافِظينَ فُرُوجَهُمْ وَ الْحافِظاتِ وَ الذّاكِرينَ

اللّهَ كَثيرًا وَ الذّاكِراتِ أَعَدّ اللّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْرًا عَظيمًا»(٣٥)

❁واذكرن☯ انتن نساء النبي، القاطنات في بيت الوحي والتنزيل ❁واذكرن ما يتلى في بيوتكن...☯ فانتن احرى من يُذكر فيتذكر، لنزول الوحي ابتداءً في بيوتكن، ولإنتسابكن الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فلكن ضعف الثواب وضعف العذاب، ثم: ❁ان المسلمين والمسلمات...☯ هذه الصفات الكثيرة الغزيرة التي جمعت في هذه الآية تتعاون في تكوين النفس المسلمة.

وتلك هي عشرة كاملة، لابد ان تكون عشيرة المسلمين على درجاتهم، من اسلام وايمان وقنوت وصدق وصبر وخشوع وتصدّق وصيام وحفظ للفرج وذكر الله كثيراً: ❁اعدالله لهم☯ كلهم ❁مغفرة واجراً عظيماً☯.

والخطوة الاولى هي الاسلام الاستسلام امام الله، اقراراً باللسان، ثم الايمان تصديقاً بالجنان، ثم القنوت الطاعة الناشئة من الايمان، ثم صدق في الطاعة والايمان، ثم صبر على أخطار الصدق والايمان، ثم خشوع في الجنان يربط كل جوانب الانسان، ثم تصدق في هذه السبيل بمال اوحال او مقال على اية حال، ثم صيام في شهر الصيام وفي كل مجال، ثم حفظ للفرج عما يجب حفظه، ثم ذكر الله كثيراً في قال وحال واعمال.

انه لا فرق بين قبيلي الرجال والنساء في فضيلة الاعمال أم رذيلتها، مهما كان ❁الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم☯ حيث القوامة هنا غيرها هناك في يوم الحساب، فرب قائم بامر، ولي على امر يرجح عليه المولى عليه لرجاحة الاعمال.

يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا

❁الملك☯ تعني حق الملك والملك الحق مُلك الكون كله، وهو ملِكه ـ وباحرى ـ كله، مُلكا فملِكاً حقيقياً في ظاهر الامر وباطنه، وقد كان العالمون مستخلفين في ظاهر منه لردح من زمن التكليف، ملكة عارية: لهم، عاريةعن حق الملك وثابته!

ذلك ❁الملك يومئـذٍ☯ حيث تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً، ❁الملك☯ الحق ❁يومئذٍ☯ الحق هو فقط ❁للرحمن☯ فـ ❁الحق للرحمن☯ خبران للملك لِصق بعض، او الحق وصف له وللرحمن خبر.

صحيح ان الملك الحق هو منذ كان كان للرحمن، لأنه مالك الملك، ولكن مالكيته ومَلكيته بارزتان يوم الدين مهما خفيتا للأخِفياء والاخفياء يوم الدنيا، فان دار التكليف هي دار الامتحان، يستخلف فيه الانسان لذلك الامتحان.

❁وكان☯ يوم الملك الحق للرحمن ❁يوماً على الكافرين عسيراً☯ وللمؤمنين يسيراً: ❁فاذا نقر في الناقور. فذلك يومئذٍ يوم عسير. على الكافرين غير يسير☯ (٧٤: ٩) اذ كانوا يتحسبون ان لهم الملك الحق ظاهرين فوجدوه حقاً للرحمن وهم أمام حساب عظيم عظيم.

«وَ يَوْمَ يَعَضّ الظّالِمُ عَلي يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنى اتّخَذْتُ مَعَ الرّسُول سَبيلاً(٢٧) يا وَيْلَتى لَيْتَنى لَمْ أتّخِذْ فُلانًا خَليلاً(٢٨) لَقَدْ أضَلّنى عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إذْ جاءَنى وَ كانَ الشّيْطانُ لِلإنْسانِ خَذُولاً»(٢٩:٢٥)

❁الظالم☯ هنا ليس كل ظالم، انما هو الظلاَّم حيث ❁يعض على يديه☯ فلا تكفيه يد واحدة ان يعض عليها، حيث ظلم بيديه، بكل طاقاته، فلذلك ❁يعض على يديه☯ لشدة ما يعانيه من الندم اللاذع المتمثل في ذلك العض العضيض، وهو صورة عسيرة من صور ذلك اليوم العسير، على الكافرين غير يسير، حركة معهودة ترمز الى حالة بئيسة، في ندامة عميقة ولات حين مناص، إذ فات يوم خلاص.

وقد وردت في شأن نزولها روايات ❁كما في عقبة بن معيط، حيث كان يكثر مجالسة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فدعاه الى ضيافته فأبى ان يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين، ففعل، فعاتبه صديقه ابن ابي خلف قائلاً له: صبأت! فقال: لا والله ولكن أبى ان يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له، فقال: لا ارضى منك إلاّ ان تأتيه فتطأ قفاه وتبزق في وجهه، فوجده ساجداً في دار الندوة ففعل ذلك فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): لا القاك خارج مكة إلاّ علوت رأسك بالسيف، فأسر يوم بدر فأمر علياً فقتله.

ولاتناحرها ما وردت في شأن غيره ممن لم يتخذ مع الرسول سبيلاً[1] مهما اختلفت الدركات، بترك مختلف البركات.

فالذي يعرف الرسول برسالته، ثم لا يتخذ معه سبيلاً الى ربه، هو الظالم بحق الرسول وسبيله، وبحق نفسه في سبيلها فليعض على يديه، متحسراً حسيراً، ومتعثراً كسيراً.

ترى ذلك الرسول، وقد عرفه، افلا تكفي معرفته سبيلاً الى ربه، ليتخذ معه سبيلاً، ولا سبيل مسلوكة الى الرب إلا الرسول بقرآنه المبين، وبرهانه المكين؟ ثم وما هي تلك السبيل؟

الرسول سبيل إلى الرب، ولكن معرفة هذه السبيل تتطلب دخولاً الى مدينة علمه

---

١ . في متظافر الروايات عن ائمة اهل البيت عليهم السلام ان السبيل هنا هو علي بن ابي طالب (عليه السلام) وممن رواه محمد بن العباس قال حدثنا احمد بن ابي القاسم عن احمد بن محمد السياري عن محمد بن خالد عن حماد عن حريز عن ابي عبدالله (عليه السلام) وعن محمد بن خالد عن محمد بن علي عن محمد بن فضيل عن ابي حمزة الثمالي عن ابي جعفر وعن محمد بن اسماعيل باسناده عن جعفر بن محمد الطيار عن ابي الخطاب عن ابي عبدالله...
واخرج ابو سعيد في شرف النبوة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «انا واهل بيتي شجرة في الجنة واغصانها في الدنيا فمن تمسك بنا اتخذ الى ربه سبيلاً» (ذخائر العقبى ص ١٦ ـ واخرجه مثله الحافظ الحسكاني في شواهد التنزيل ١: ٥٧).

من بابها التي عرف بها، حتى تكتمل المعرفة، فتسلك ذلك السبيل دون تزعزع و تلكُّوءٍ، ولكيلا يضله فلان الخليل عن ذلك السبيل.

ولقد تواتر عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: ﴿انا مدينة العلم وعلي بابها﴾[١] ﴿انا دار الحكمة وعلي بابها﴾[٢] ﴿انا دار العلم وعلي بابها﴾[٣] ﴿انا ميزان العلم وعلى كفتاه﴾[٤] ﴿انا ميزان الحكمة وعلي لسانه﴾[٥] ﴿انا المدينة وانت الباب ولا يؤتى المدينة الا من بابها﴾[٦].

لذلك نراه صلى الله عليه وآله وسلم، يسد الابواب كلَّها إلاّ بابه، فلقد ﴿كان لنفر من اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أبواب شارعة في المسجد، قال يوماً: سدواه هذه الابواب إلاّ باب علي (عليه السلام) فتكلم في ذلك ناسٌ فقام رسول

---

١ . يروى عن ١٤٣ مصدراً من اعلام الحديث كلهم من اخواننا السنة، ولقد صححه جمع من الحفاظ واعلام الحديث، وممن صححه الحافظ ابوزكريا يحيى بن معين البغدادي المتوفى ٢٣٣ والطبري ٣١٠ في تهذيب الآثار، والحاكم النيسابوري ٤٠٥ في المستدرك والخطيب البغدادي ٤٦٣ والحافظ ابو محمد الحسن السمرقندي ٤٩١ في بحر الاسانيد، ومجد الدين الفيروز آبادي ٨١٦ في النقد الصحيح والحافظ جلال الدين السيوطي ٩١١ في جمع الجوامع والسيد محمد البخاري في تذكرة الابرار، والامير محمد اليماني الصنعاني ١١٨٢ في الروضة الندية، والمولى حسن الزمان عده من المشهور المستحسن، وابو سالم محمد بن طلحة القرشي ٦٥٢، وابوالمظفر سيف بن قزاوغلي ٦٥٤، والحافظ صلاح الدين العلائي ٧٦١، وشمس الدين محمد الجرزي ٨٣٣ وشمس الدين محمد السخاوي، وفضل الله بن روزبهان الشيرازي، والمتقي الهندي علي بن حسام الدين ٩٧٥، وميرزا محمد البدخشاني، وميرزا محمد صدر العالم وثناء الله باني بني الهندي.

٢ . اخرجه الترمذي في جامعة الصحيح ٣: ٢١٤، وابونعيم في حلية الاولياء ١: ٦٤ والبغوي في مصابيح السنة ٣: ٢٧٥ وجمع آخر يربو عددهم على ستين من الحفاظ وائمة الحديث.

٣ . اخرجه البغوي في مصابيح السنة كما ذكره الطبري في ذخائر العقبى ص ٧٧ وجمع آخرون.

٤ . اخرجه الترمذي في جامعة الصحيح ٢: ٢١٤ وابونعيم في حلية الاولياء ١: ٦٤ والبغوي عنه كالعجلوني في كشف الخفاء ١: ٢٠٤ وغيره.

٥ . ذكره الغزالي في الرسالة العقلية وحكاه عنه الميبدي في شرح الديوان المنسوب الى اميرالمؤمنين (عليه السلام).

٦ . اخرجه العاصمي ابو محمد في كتابه «زين الفتى في شرح سورة هل اتى».

الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فحمد الله واثنى عليه ثم قال: أما بعد ـ فاني امرت بسدِّ هذه الابواب غير باب علي، فقال فيه قائلكم، وإني ما سددت شيئاً ولا فتحته، ولكني امرت بشيء فاتبعته﴾[1]

ذلك تأشيراً عشيراً لانحصار الباب اليه فيه (عليه السلام) وانحساره عمن سواه، وليخذوه مع الرسول سبيلاً الى الله لا سواه!

فمعرفة الرسول كما يحق التزاماً لسبيل الله، هي السبيل الواضحة الى الله، فـ ﴿سبيلاً﴾ مع الرسول هي سبيل إليه، وهما معاً سبيل الى الله.

كيف لا وهو شاهد منه ﴿افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه﴾ (١١: ١٧) وكما يروى عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): ﴿علي مني وانا منه، لايؤدي عني إلا انا او علي﴾[2] ﴿إن علياً مني وانا منه﴾[1] ﴿علي مني مثل رأسي من بدني﴾[2]

---

١ . اخرجه وما في معناه جماعة من الحفاظ وارباب السنن عن زيد بن ارقم وعبد الله بن عمر بن الخطاب والبراء بن عازب و عمر بن الخطاب وعبدالله بن عباس و أبي سعيد الخدري وابي حازم الاشجعي وجابر بن عبدالله وجابر بن سمرة وسعد بن ابي وقاص وانس بن مالك وبريدة الأسلمي وامير المؤمنين علي (عليه السلام) كلهم عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).
اخرجه عنهم فيمن اخرجه: النسائي في السنن الكبرى والخصائص ص ١٣ والحاكم في المستدرك ٣: ١٤٥ وصححه والضياء المقدسي في المختارة، والكلابادي في معاني الاخبار، وسعيد بن منصور في سننه، ومحب الدين الطبري في الرياض ٢: ١٩٢،

٢ . حديث صحيح رجاله كلهم ثقات ـ اخرجه الامام احمد في مسنده ٤: ١٦٤ ـ ١٦٥، باسانيد اربعة، والحافظ ابن ماجة القزويني في سننه ١ : ٥٧، والحافظ ابو عيسى الترمذي في جامعة ١٣: ١٦٩ و ٢: ٤٦٠ و ٢١٣ والنسائي في الخصائص ٢٦ وابن المعازلي في المناقب باسانيد متوفرة والبغوي في المصابيح ٢: ٢٧٥ والخطيب العمري في المشكاة ٥٥٦ والكنجي في الكفاية ٥٥٧ والنووي في تهذيب الاسماء واللغات، والمحب الطبري في الرياض ٣: ٧٤ عن الحافظ السلفي وسبط ابن الجوزي في التذكرة ٢٣ والذهبي في تذكرة الحفاظ وابن كثير في تاريخه والسنجاري في المقاصد الحسنة والمناوي في كنوز الدقائق ٩٢ والحموييني في فرائد السمطين بـ ٧ والسيوطي في الجامع الصغير وجمع الجوامع وابن حجر في الصواعق ٧٣ والمتقي الهندي في كنز العمال عن (١١) حافظاً والبدخشاني في نزل الابرار (٩) والفقيه شيخ بن العيد روس في العقد النبوي والشبلنجي في نور نزل الابرار (٩) الفقيه شيخ بن العيد روس في العقد النبوي والشبلنجي في نور الابصار ١٥٥ كلهم

﴿منزلة علي مني منزلتي من الله تعالى﴾[٣].

لافحسب بل هو نفسه لآية انفسنا: ﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ (٣: ٦١).

فتارك السبيل مع الرسول ﴿يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً﴾ قررها الله والرسول.

﴿يا وليتا ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً﴾ فلان الذي خلّ في أخلّ واضلني عن سبيل مع الرسول، اياً كان هذا الفلان، فلان يضل عن رسالة الرسول، فلا سبيل الرسول ولا سبيل مع الرسول! كما اضل ابن ابي خلف عقبة بن ابي معيط. او فلان يضل عن كامل رسالته حيث يغلق باب مدينة علمه ويفتح ابواباً سدها الله، كمن يصد عن باب مدينة علم الرسول، امن واي فلان يحول دونك والرسول فيما يفعل او يقول، مهما اختلف فلان عن فلان، فضلال عن ضلال، أضله قطع سبيل الرسول عن بكرتها في نُكرتها.

﴿لقد اضلني﴾ فلان ﴿عن الذكر﴾ الرسول ﴿بعد اذ جاءني﴾، وذلك خسران مبين وخذلان عظيم ﴿وكان الشيطان للانسان خذولاً﴾.

اخرجوه ورووه عن حبش بن جناده وعمران وابي ذر الغفاري عن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم).

١ . رواه البخاري في ٤ من صحيحه عن عمر بن الخطاب وفي الجمع بين الصحاح ٢ من عدة طرق ومنها ما عن جنادة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال: علي مني... ورواه ابن المغازلي من عدة طرق باسانيد.

٢ . رواه الامام احمد في مسنده وابن المغازلي بالاسناد عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) وابن الاثير في جامع الاصول عن البخاري ومسلم بسنديهما عن البراء بن عازب عنه (صلى الله عليه وآله وسلم).

٣ . اخرجه الحافظ ابن المغازلي كما في العمدة لابن بطريق ٥٣ باسناده عن بكر ابن سوادة عن قبيضة بن ذويب وابي سلمة بن عبدالرحمن عن جابر بن عبدالله عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) والسيرة الحلبية٣: ٣٩١.

ومن أخذل من العطشان الذي يأتيه ماء فرات ثم يضله عنه فلان فيموت عطشاناً؟ .. ومَن ارذل من الذي يؤمن بالرسول ثم يكفر بسبيل صالحة مع الرسول فيضل عن الرسول بعد اذ جاءه.

هنالك سبل مع الرسول الى الله، من قرآنه كثقل اكبر، ومن عترته كثقل اصغر، ومن تقوى صالحه اتباعاً للثقلين، وكما الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هو مجمع الثقلين، مثلث من السبل مع الرسول، كما الرسول سبيل معهما، ولكنه هو رأس الزاوية من مربع السبيل الى الله، فـ ﴿من يطع الرسول فقد اطاع الله﴾ (٤: ١١٥).

كلّ ذلك سبيل معه الى الله في النهاية، مهما كانت سبلاً الى رسول الله في البداية، فكلمة واحدة في سائر القرآن ﴿سبيل الله﴾[1] دون سبيل رسول الله ام سواه، ولا يعني ﴿سبيل المؤمنين﴾ (٤: ١١٥) إلاّ سبيلهم مع الرسول الى الله و كما قررها الله.

﴿وَ قالَ الرَّسُولُ يا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾(٢٥: ٣٠).

﴿وقال﴾ علّها عطفاً على ﴿ويوم﴾ حكاية عن قيله يوم العض، لأن القرآن هو المحور الاصيل من السبيل مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فهجر القرآن هو هجر الرسول وعترة الرسول.

ثم و ﴿قومي﴾ لا يخص الظالم الذي يعض على يديه، فانهم كل وجبت عليهم الدعوة الاسلامية في طول الزمان وعرضه، فقليل هؤلآء الذين لم يتخذوا هذا القرآن مهجوراً، وكثير هؤلآء الذين اتخذوا هذا القرآن مهجوراً، وكما نراه طول التاريخ الاسلامي.

ومهما ﴿قال الرسول﴾ قوله الشاكي عند ربه يوم الاخرى، فهو قائله يوم الاولى، كما نعرفه من طيات شكاواه.

---

١ . يذكر السبيل في القرآن (١١٦) مرة ولا يعني خيرها الا سبيل الله، ام وسبيل المؤمنين وهي ايضاً سبيل الله.

فان الصلة القرآنية درجات، وهجره دركات حسب ترك الدرجات:

فمنهم من هجروا الايمان به، فلم يفتحوا لـه اسمـاعهم، بـل وجعلـوا اصـابعهم في آذانهم، خوفةً منهم ان يجتذبهم فلا يملكون لقلوبهم عنه رداً، ثم وهجروا فيه بمـا هرفـوا وخرفوا والغوا فيه.

ومنهم من اسلم له نفاقاً دون وفـاق، اسـلاماً في صـورته، وكفـراً بسـيرته وهـم المنافقون.

ومنهم من آمن بـه، سـامعين لآياتـه وقـارئين، ولكنـهم لا يتـدبرون معانيـه، ولا يستشعرون مبانية و مغازيه.

ومنهم من يعتمده الاصل الاوّل والأخير من التشريع الإسلامي، وعلى ضوئه السنة المحمدية، ولكنهم هجروا دراسته، واخلدوا الى ما يسمونه علوماً اسـلامية، تخـيلاً انهـا تقدمهم لتفهمه، بالمآل نرى الحوزة الاسلامية تؤصل كل دراسة إلاّ القرآن، لحـد اصـبح طالب علوم القرآن ودارسه ومدرسه ومفسره من البطالين في قياسـهم، البعيـدين عـن العلوم الحوزوية، فاصبح القران مهجوراً عن حوزاته، لايدرس إلاّ هامشياً دونمـا تـدبر لائق به ﴿افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها﴾ (٤٧: ٢٤)؟

اجل وعلى قلوب اقفالها في إغفالها القرآن وإقفال باب مراسته في دراسته.

فنحن ـ اذاً ـ ممن لم يتخذ مع الرسول سبيلاً، حيث هجرنا اعظم السبل معه الى الله وهو كتاب الله ومن خلفياته ترك الرسول بترك سنته حيث لا تعرف إلاّ عرضاً موافقـاً لكتاب الله، فقد تركنا ـ اذاً ـ كلا الثقلين، فنحن من الظالمين يشكونا الرسول عنـد ربـه يوم يقوم الاشهاد.